

أشعار
ابن يمين الفريومدي
الجزء الأول
دراسة وترجمة: محمد محمد يونس
المشروع القومي للترجمة
1069

ديوان أشعار

" ابن يمين الفريومدي "

(الجزء الأول)

المجلس الأعلى للثقافة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٠٦٩
- ديوان أشعار " ابن يمين الفريومدى "
- محمد محمد يونس
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة لـــ :
ديوان أشعار ابن يمين فريومدى
امير فخر الدين محمود بن يمين الفريومدى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 7352396 **Fax**: 7358084



المشروع القومى للترجمة

ديوان أشعار

"ابن يمين الفريومدى"

(الجزء الأول)

دراسة وترجمة: محمد محمد يونس

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الفريومدى ، ابن يمين

ديوان أشعار ابن يمين الفريومدى / ابن يمين الفريومدى ؛

دراسة وترجمة : محمد محمد يونس ، ط ١ ـ القاهرة : المجلس

الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦

ج١، ٦١٢ص ، ٢٤سم ، المشروع القومى للترجمة

(أ) يونس ، محمد (دراسة وترجمة)

١ ـ العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٢٣٤٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977- 437 - 100 - 3

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفـة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافـاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

فهرست الجزء الأول

الباب الثالث : الدراسة التحليلية النقدية

ثانياً: قسم الترجمة

مقدمة المترجم

يقوم هذا الكتاب بالدراسة التحليلية النقدية والترجمة الكاملة لديوان أشعار أحد شعراء العصر المغولي الفارسي، وهو "أمير فخر الدين محمود بن يمين الفريومدي" الشهير بـ "ابن يمين الفريومدي، ت ٧٦٩ هـ" ، وتربو أشعاره على أربعة عشر ألف بيت من الشعر في أغراض متعددة وأشكال متنوعة، أهمها مقطوعاته الأخلاقية والاجتماعية .

ويرجع اهتمامنا بهذا الموضوع إلى اعتبارين :

أولاً : الشهرة الواسعة التي حظيت بها أشعار الشاعر الأخلاقية الاجتماعية، وبخاصة ما صبَّه في قالب "المقطعة"، والتي أجاد الشاعر بواسطتها إعطاءً صورة صادقة للمجتمع الذي عاش في كنفه إعطاءً يبرز مدى صدقه وأصالته فيما كتب، وما كان ذلك إلا لارتباطه الشديد بهذا المجتمع الذي نزل إليه وشارك في أحداثه . وقيمة ما كتبه الشاعر في هذا الغرض ترجع إلى أنه عاش في فترة تلت حملة حكومة المغول المركزية على إيران مباشرة، وورثت عنها كل المساوئ التي خلفتها من انحلال خلقي وصراع طبقي وفساد مستشرٍ وقيم منحلة، مما هيأ له الفرصة لأن يرتدي حلة المرشد والمنبه، ويدعو إلى التمسك بالأخلاقيات باعتبارها المخلص الوحيد من هذا الفساد .

ثانيًا : ظهور هذا الشاعر في فترة لم يُسلِّط الدارسون الضوء الكافي عليها ، وعاصر دولة أو إمارة تُعرف بـ "السربدارية" لم تلق عناية الباحثين والدراسين بالصورة المناسبة ، تلك العناية التي كرسوها للعصور الأخرى ، فأفاضوا فيما كثرت الإفاضة فيه ، ومن ثم نعتبر عنايتنا بهذه الإمارة "السربدارية" في هذا الكتاب في غاية الأهمية؛ لأننا لم نُسبق إلى دراستها، ومن ثم كانت أهمية دراستها – عندنا – لا تقل عن أهمية دراسة الشاعر نفسه .

وإيمانًا منّي بأن المنهج العلمي يتطلب – حين دراسة شاعر من الشعراء– الإلمام بعصره وبيئته لفهم المؤثرات التي تلعب دورها في تكوين الشخصية الشعرية للشاعر وتوجيه موهبته الشعرية ، قسَّمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب. خصصتُ الأول لعصر الشاعر، مقسمًا إياه إلى فصلين : اهتم أولهما بالجانب السياسي. وهذا بدوره قسمته إلى قسمين : وقع القسم الأول تحت عنوان " تمهيد " حاولت أن أعطي من خلاله نبذًا قليلة عن الحكام الذين استقروا على عرش إيران من حكومة المغول المركزية بعد وفاة هولاكو خان حتى انتهائها بوفاة أبي سعيد، وما استنبطناه من خلال أحداث هؤلاء الحكام من أسباب عجلت بنهاية هذه الحكومة، وأدت في الوقت نفسه إلى ظهور الإمارات. وفي القسم الثاني من هذا الفصل عالجت فيه إحدى هذه الإمارات، وهي "السربدارية" موضع اهتمامي ؛إذ إنها الإمارة التي عاصرها شاعرنا، وشارك في أحداثها ، وقد حاولت أن أعطي صورة متكاملة لهذه الإمارة من بدئها حتى منتهاها ، وهي التي استطاعت أن تحول نفسها من حركة شعبية ضد ظلم المغول إلى إمارة لها قوتها ونفوذها . أما الفصل الثاني فقد اختص بالجانبين الاجتماعي والثقافي، وقد ركزت فيهما - بصفة عامة - على إعطاء صورة لما كان عليه المجتمع من انحلال اجتماعي وفساد منتشر ومدى تأثير هذا في شعر الشاعر . كما وضحت أسباب الرقي الحضاري في هذا العصر رغم الانحطاط السياسي والاجتماعي، ثم قصرت الحديث على الشعر – على اعتبار أنني أدرس شاعرًا – وأغراضه التي ارتقت أو التي خبا ضوؤها، مبينًا دور الشاعر في رواج الغرض الأخلاقي.

أما الباب الثاني الذي تكون من فصلين؛ فقد دار الحديث فيهما عن بيئة الشاعر الجغرافية والعائلية والشخصية، مبينا العوامل الموجهة لموهبة الشاعر

في ذلك، مع القيام بتحقيق كامل عن سنى مولد الشاعر ووفاته وموضع ولادته – حيث ذهبت الآراء فى هذا مذاهب شتى – بالصورة التى استلزمت منى العناية بهذه القضية معتمدًا على أهم مصدر فى ذلك، وهو شعر الشاعر نفسه .

ولقد وقفت الباب الثالث كله على الدراسة التحليلية النقدية للديوان، واشتمل هذا الباب على أربعة فصول، اختص الفصل الأول منها بالقوالب الشكلية التى صبَّ الشاعر فيها أغراضه، وبينت فيه كلفه بالشكل وعدم إهماله له، وفى الثانى والثالث والرابع دار الحديث حول موضوعات شعر الشاعر . ولقد خصصت كل فصل فيها بغرض مراعيًا الترتيب حسب أهميتها ؛ ففى الفصل الثانى تحدثت عن غرض برز فى هذا العصر بصورة كبيرة ، فى الوقت الذى ساد فيه المدح العصور الأخرى ، وللشاعر دور كبير ومؤثر فى ذلك، وهذا الغرض هو الغرض الاجتماعى الأخلاقى . وقد بدأته بمقارنة بين الشاعر ومن تناول هذا الغرض من حيث طريقة العرض والأسلوب، وذكرت العوامل التى دفعت الشاعر إلى النزول إلى هذا الميدان والقضايا التى أثارها، وختمته بمحاولة إثبات أصالته فى هذا الغرض . أما الغرض الثانى – وهو المدح – فقد احتل الفصل الثالث الذى قسمته إلى قسمين: اختص الأول بمدائح الشاعر للحكام والأمراء، والوسائل المتعددة التى استخدمها الشاعر لاستنشاد رفدهم ودفعهم إلى البذل والنوال، واختص القسم الثانى بمدائح الشاعر الدينية التى أوضحت من خلالها مذهبه الدينى، وختمت الفصل بمحاولة التعرف على ماهية المدح عند الشاعر. وخصصت الفصل الرابع للتصوف فى شعره؛ فبدأته بدراسة تحليلية لهذا الغرض، وختمته بنظرة على تصوفه، أوضحت فيها إلى أى مدى كان الشاعر مقلدًا وإن خلّصه هذا التقليد من أسر التصوف الفلسفى المنتشر حينئذ .

والله ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،،

محمد محمد يونس

أولاً : قسم الدراسة

الباب الأول

عصر الشاعر

الفصل الأول

الجانب السياسى

تمهيد :

ولد "أمير فخر الدين محمود بن يمين الفريومدى" الشهير بـ "ابن يمين" فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى، وبالتحديد فى سنة ٦٨٥هـ فى بلاد "التركستان"، وأقبل مع أبيه "أمير يمين الدين" بأموال كثيرة؛ حيث استوطنا قرية "فريومد" التابعة لولاية "جوين" فى خراسان، وذلك قبل عهد أولجايتوخان (٧٠٣-٧١٦هـ) ، وفى هذه الفترة كان قد خلف "هولاكو" فى حكم إيران من أفراد أسرته كلٌّ من : آبا قاخان[١] (٦٦٣-٦٨٠هـ) ، ثم أحمد تكودار[٢] (٦٨١-٦٨٣) ،

(١) تولى الحكم بعد وفاة أبيه "هولاكو"، واهتم منذ بداية حكمه بنشر العدل والرحمة والرفاهية بين الجيش والشعب ، ومن أبرز أحداث عصره المهمة محاربته للمصريين فى الشام انتقامًا منهم لإلحاقهم العار بجيوش المغول فى "عين جالوت"، ولكنه هزم ثانية على يد سلطان مصر "الظاهر بيبرس"، وفقد المغول زهاء ٧٠٠٠ رجل. (خواندمير : حبيب السير. ج١ م ٣ص ١٠٨ منشورات كتابخانه خيام ١٣٣٣ ش . د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير، ط ١٠ ص ٧٨ وما بعدها . القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)

(٢) تولى الحكم بعد وفاة أخيه "آباقا خان"، وقد قويت فى عهده شوكة الإسلام - بسبب اعتناقه له بعد أن كان معتنقًا المسيحية فى صغره- وانحسرت المسيحية واليهودية والتقاليد المغولية. وقد أثار هذا حفيظة أمراء المغول الحريصين على التمسك بعقائدهم فناصبوه العداء، واستطاع "السلطان أحمد" أن يقضى على "قنقورباى" أحد الأمراء، ولكنه لقى حتفه على أيدى ورثة قنقورباى، وبخاصة "أرغون خان" فى سنة ٦٨٣هـ . (خواندمير : حبيب السير. ج١ م ٣ص ١١١ ١١٩ . د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ٦٠-٦١)

وأرغون خان[1] (٦٨٣-٦٩٠هـ) ، وكيخاتوخان[2] (٦٩٠-٦٩٤هـ) ، وبايدوخان[3] (جماد الأولى ٦٩٤- ذو القعدة ٦٩٤هـ)، وغازان خان[4] (٦٩٤-٧٠٣هـ) وأولجايتوخان[1] (٧٠٣ - ٧١٦ هـ) ، أبي سعيد [2] (٧١٧ - ٧٣٦هـ) .

---

(١) شيء طبيعي أن يعادي المسلمين ويميل إلى اليهود والمسيحين وهو الذى تخلص من سلفه " أحمد تكودار" لاهتمام الأخير المتزايد بالإسلام. وقد أسند الوزارة إلى "سعد الدولة" اليهودي الذى سارع بتولية اليهود المناصب المهمة حتى صاروا ذوي شأن خطير، كما حاول أن يهدم الإسلام بأن يبث في روع "أرغون خان) أن النبوة وصلت إليه بالوراثة عن "جنكيز خان" ؛ مما أثار الضجة عليه في كل مكان. وعند مرض "ارغون" أرسل إلى ابنه "غازان"، وكان هدفه أن يحميه "غازان" من أعدائه ولكنهم فوتوا عليه الفرصة وقتلوه سنة ٩٦٠هـ . وفي العام نفسه توفي "أرغون خان" أيضا. (حمد الله المستوفي : تاريخ گزيده . ص ٥٨٧ وما بعدها نشر بروان ١٣٢٨هـ . ١٩١م . د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ٦٢ وما بعدها).

(٢) كان فاسقا لواطا بأبناء المغول فأبغضوه لذلك وفسدت نياتهم فيه، وكان مسرفا ؛ أوقع الدولة في حرج مادي وحاول وزيره " صدر الدين أحمد الزنجاني" إصلاح الحالة باستعمال أوراق النقد الصينية "الجاو" ولكنه باء بالفشل وقتل "كيخاتو" بأمر "بايدوخان" سنة ٦٩٤هـ .(خواندمير : حبيب السير ج ١ م ٣ص ١٣٦ . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ٢٦ ط١ المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ).

(٣) ما إن تولى الحكم حتى سار إليه "غازان خان" يطالب بدم ابن عمه كيخاتوخان، وتآمر "غازان" مع أحد أتباع "بايدو" ويدعى "الأمير نوروز" وانتهى التآمر بمعركة قتل فيها "بايدو" سنة ٦٩٤هـ . (حمد الله المستوفي : تاريخ گزيده ٥٩١ . أبو الفدا : المختصر ٤/٣٢).

(٤) أسلم قبل توليته العرش بأربعة أشهر بدافع من الأمير "توروز بن أرغون" الذى حبب إليه الإسلام وأغراه بأن تجمع المسلمين حوله سيجعله ينتصر على "بايدو" ، وترجع قيمة إسلام "غازان" إلى دخول المغول عصرا جديدا يختلف بروحه ومميزاته عن عهده السابق . وأخطر ما حدث في عهد "غازان" هو تخلصه من قادته الإيلخانيين الأقوياء، مما عجل بنهاية الإيلخانيين - كما سيأتي - وقد كثرت دسائس أمراء المغول لخلعه وتولية "آلا فرنك بن كيخاتو" حتى أعتلت صحته ومات سنة ٧٠٣هـ . ويرجع أبو الفداء سبب وفاته إلى حمى أصابته أثناء هزيمة لحقت به في "مرج الصفر" فمات مكمودا . (حمد الله المستوفي: تاريخ گزيده ص ٥٩١ . خواندمير : حبيب السير ج ١ م٣ ص ١٤١ وما بعدها . أبو الفداء : المختصر ج٤ ص ٥٠ . د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ٧٠) .

وكان السلطان "أبو سعيد" آخر حاكم قوى لحكومة المغول المركزية في إيران، وبوفاته انتهى الحكم الفعلى لهذه الحكومة وعصرها، ولم يبق منهم سوى "طغايتمور" الذى كان حاكمًا بلا ولاية ، حتى انتهى أمره على يد أحد حكام السربداريين يدعى "خواجه يحيى كراوى" ، ثم بدأ عصر جديد قسمت فيه إيران إلى مناطق وأجزاء، كل جزء منها دويلة أو إمارة يتعاقب عليها الحكام ، وأهم هذه الدويلات أو الإمارات[3] :

(أ) "آل المظفر" ملوك فارس والعراق العجمى وكرمان.

(ب) "آل جلاير" الذين حكموا بغداد وآذربيجان.

(ج) "ملوك كرت" فى "هراة" الذين استقلوا بالشمال الشرقى لإيران.

(د) "السربداريون" فى "سبزوار" الذين استأثروا بالسلطة فى الولايات الشمالية من إيران.

---

(١) خلف " غازان" فى الحكم، وكان فى البداية سنيًا حنفيًا ثم تشيع ، ونجم عن تشيعه أن ازداد نفوذ وزيره "سعد الدين الساوجى" الذى احتدم الصراع بينه وبين الوزير الأول لأولجايتو "رشيد الدين فضل الله" المؤرخ، وكان لهذا الصراع أثر بالغ على دولة الإيلخانيين – كما سيأتى – وكانت وفاة أولجايتو سنة ٧١٦ هـ فى السلطانية التى بناها سنة ٧٠٤ هـ . (خواندمير : حبيب السير، ج ١ م٣ ص ١٩٢ وما بعدها . د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ١٤٠ وما بعدها).

(٢) عرف بعد ذلك بـ " أبى سعيد بهادر" بعد انتصاره على "ايرنجين" أحد الثائرين عليه . تولى "أبو سعيد" الحكم بعد وفاة أبيه " أولجايتو" ، وتميز عصره بكثرة الثورات التى قام بها الأمراء أمثال ثورة "أوزبك خان" وثورة "بيساور" فى بداية حكمه وثورة "تارين طغاى بن كيبوقا" سنة ٧٢٧هـ . وعندى أنه رغم نجاح "أبى سعيد" فى إخماد هذه الثورات فلقد كان لها تأثير فى تقويض عرش الإيلخانيين . (حافظ ابرو : ذيل جامع التواريخ رشيدى ص ٧١ وما بعدها. بخش نخستين تهران ١٣١٧ هـ ش).

(٣) براون : تاريخ ادبى ايران جلد سوم ص ١٧٤ – ١٧٥ ت على أصغر حكمت ، تهران ١٣٢٧ هـ. ش ١٩٤٨م .

وسوف أكتفى فى هذا التمهيد باستخلاص العوامل – من خلال الأحـداث التاريخية – التى أدت إلى انهيار دولة الإيلخـانيين وسـاعدت علـى ظهـور الدويلات أو ما يسمى حكامهم بملوك الطوائف، ثم أفصل الحديث – بعده – عن إحدى دويلاتهم، وهى "السربدارية"، لعدة أسباب :

أولاً – القلة الملحوظة فيما كتب عنها ، بل إنَّ ما ورد عنها فى المصادر والمراجع إنْ هو إلا أشتات لا تروى غلة الباحث ولا تشفى علته .

ثانيًا – أهم مما سبق أنها الدويلة أو الإمارة التى عاصرها شاعرنا "ابـن يمين" من بدئها إلى منتهاها تقريبًا، ولتصل بحكامها ومدحهم، وقد مرت علـى هذه الدويلة أحداث سياسية متعددة، أبرزها التنازع الدائم بين حكامها المتعددين المنقسمين فى التبعية إلى طائفتين – كما سيأتى – وكان سلاح القتل هو الوسيلة المستخدمة لدى هؤلاء الحكام للتخلص من كل عائق يحول بينهم وبين أطماعهم فى الحكم، وكانت الخيانة وسيلتهم لنيل أغراضهم ، فعاش الشعب فـى عنـت وإجحاف، دفع هذا كله "ابن يمين" إلى الاتجاه نحو الوجهة الأخلاقية وتنـصيب نفسه إمامًا هاديًا ومرشدًا يكشف عن سوءات مجتمعه المتفشية، ويزيح الأستار عنها .

ثمة عوامل نرى أنها قد أدت إلى تفكك حكومة المغول المركزيـة فـى إيران وانتهائها، وساعدت على ظهور الدويلات :

(أ) سعى بعض الأمراء جاهدين إلى التخلص من الحكام كى يحلوا محلهم فى الحكم، وذلك كتخلص "أرغون" من "أحمد تكودار" سنة ٦٨٣هـ وتخلص "بايدو" من كيخاتوخان" وتخلص "غازان" من "بايدو" بمساعدة أحد أتبـاع "بايدو" يدعى "أمير نوروز".

(ب) ظاهرة خطيرة بدت فى عهدى "غازان" و "أبى سعيد" قوضت عرش الإيلخانيين، وهى تخلصهما من قادتهما الأقوياء حماة دولتهم ، إما خشية منهم أو عقابا لذنوب اقترفوها أو إشباعًا للذّات يحسون بأن هؤلاء القادة يقفون حجر عثرة فى طريق تحقيقها ، بدأ "غازان" فى التخلص من وزيره "جمال الدين الدستجردانى" سنة ٦٩٥هـ ، ومن الأمير "نوروز" سنة ٦٩٦هـ ، ومن وزيره "صدر الدين الزنجانى" سنة ٦٩٧هـ ، ثم دفعه حزنه الشديد لهزيمة جيشه بقيادة "قتلغ شاه" أمام السلطان الناصر "محمد ابن قلاوون" عند "مرج الصفر" جنوبى دمشق سنة ٧٠٤هـ، إلى أن ينزل بقادته المقصرين أشد أنواع العقوبات ، ولم ينجُ من سخطه كبار الأمراء أمثال "قتلغ شاه" و "چوبان"[١] . وأما من نجا من الأمراء فقد آثر الاشتغال بالأعمال العامة والحياة فى عزلة وخفاء [٢]. وقد ظهرت آثار هذه النكبة بعد وفاة "أبى سعيد" سنة ٧٣٦هـ ؛ إذ نشأت صعوبة على من يخلفه. أما "أبو سعيد" فقد بطش بكل من (چوبان خان) أقوى قادته وأعظمهم ، ومن "دمشق خواجه" نائبه فى كل أمور المملكة، وكان سبب بطشه "بچوبان" هو طلب "أبى سعيد" من "چوبان" أن يعمل على تطليق ابنته "بغداد خاتون" من زوجها "حسين بن أمير حسين"[٣] ليتزوجها

---

(١) د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ٧٨ وما بعدها .

(٢) د. إبراهيم أمين الشواربى : حافظ الشيرازى ص ٦٦ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٤م.

(٣) هو الأمير شيخ حسن بن الأمير حسين گورگان بن الأمير اقبوقا الجلايرى.

"أبوسعيد" حسب قانون "الياسا المغولـــى"[1]، ولكـــن "چوبـــان" حـــاول التهــرب من ذلك[2] . وكان "أبوسعيد" قد تخلص من قبل من "دمشق خواجه بن چوبان" أثر إشاعة عن صلة غير شريفة بينــه وبــين حريم السلطان "أولجايتو"[3]

(ج) شدة الصراع بين وزراء الدولة ، وطمع كل وزير فى أن ينفرد بـــالوزارة دون الآخرين، مما أدى إلى احتدام النزاع بينهم، وأعتقد أن الـسبب ربمـا يعود إلى السُنة التى كان يتبعها الحكام من إسناد منــصب الــوزارة إلـــى شخصين يكونان على درجة واحدة فى المنــصب والأهميــة دون تحديــد واضح لمهام كل وزير .

ففى عهد "غازان" كان على الوزارة وزيران يدعيان "رشيد الدين فضل الله" المؤرخ و"سعد الدين الساوجى" الذى ازداد نفوذه – أى الأخير – وبخاصة فى عهد "أولجايتو" عندما تشيع ، وأدى هذا إلى صراع شديد بين الوزيرين انتهى بسقوط "سعد الدين" وقتله فى سنة ٧١١هـ ، ثم حل محله "عليــشاه الجيلانى" الذى سرعان ما تنازع أيضًا مع "رشيد الدين فضل الله"[4]، واشتد النزاع بينهما فى عهد "أبى سعيد"، وانتهى بإقصاء "رشيد الدين" عن الــوزارة فى رجب سنة ٧١٧هـ ، ثم عاد بناء على رغبة "چوبان" وسعيه، ولكن هذه

---

(١) توجب "الياسا" الجنكيزية أنه إذا وقعت امرأة موضع استحسان لسيد مغولى فينبغــى أن يطلقهـا زوجهـا ويرسلها إليه . (قاسم غنى : بحث در آثار وأفكار وأحوال حافظ جلد أول ص ٢٠. چاپ تهران ١٣٢١هـ ش ١٣٦١ هـ ق).

(٢) حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ ص ١١٨ ومابعدها . قاسم غنى : بحث در آثار وأفكار وأحوال حـافظ، جلد أول ص ١٩-٢٠.

(٣) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٦٦.

(٤) د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ص ١٢٤ وما بعدها.

العودة كانت سببا لأن تحاك له ولابنه الدسائس، ولأن يُتهما بأنهما دسا السم "لأولجايتو"، وانتهى الأمر بمقتلهما[1] .

(د) تعدد الثورات فى عهد "أبى سعيد" جعل البلاد تعــيش فــى قلــق مــستمر وحروب دائرة ، كما ذكرنا آنفا .

(هـ) عدم إنجاب "أبى سعيد" ذرية تخلفه على العرش بعد وفاته . وهنا تظهــر نتيجة تخلصه وتخلص سلفه "غازان" من قادة الإيلخانيين الذين لو كانوا بقوا لربما استمر حكم دولة المغول المركزية "الإيلخانيين" على إيران .

الإيلخانيون المتأخرون :

يعتبر"أبو سعيد" فى الحقيقة آخر ملوك المغول الإيلخانيين ، فبموته أخذت دولتهم فى الانهيار بسرعة لا يصدقها عقل ، فتتمزق أوصالها، وتنقــسم إلــى دويلات صغيرة تقع بعد قليل من الزمن فريسة هينة "لتيمور لنك" الذى شــاءت المصادفات أن يولد فى السنة نفسها التى مات فيها "أبوسعيد"[2] . ولقد ساعدت طفولة "أبى سعيد" جماعة من المقربين على أن يستأثروا بالسلطة ، فلما فاجأهم موته خشوا زوال السلطة من أيديهم، فأخذوا يبحثون عن سلطان جديد ليس لــه من القوة ما يغضبهم أو يثير أحقادهم[3] . وقد اقتسم هــؤلاء وهــؤلاء أمــور "إيران"، وأخذوا يتحكمون فى تعيين السلطان الجديد وفقًا لأهوائهم وأغراضهم، واشتدت بينهم المنافسات والخصومات فى هذا السبيل؛ بحيث أدت فى كثير من

---

(١) خواندمير : حبيب السير ج١ م٣ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) الشواربى : حافظ ص ٦٦ .

(٣) السابق والصفحة نفسها .

الأحيان إلى قتل هؤلاء الضعفاء الذين تولوا عرش "جنكيز خان" بعد موت "أبى سعيد"[1] .

وقد تولى فى هذه الفترة سبعة من أعقاب "جنكيز خان" كان مصيرهم معلقا بمصير من يولونهم، وقد انتهى أمرهم فى أغلب الأحيان بالقتل أو بالعزل[2] . والتفصيل عن هؤلاء الحكام قد يبدو غير ذى صلة مباشرة بالموضوع، ولذلك سأصرف النظر عنه هنا وأؤجله إلى الفصل الاجتماعى حيث يخدم فكرته هناك.

وفى نهاية هذا التمهيد ينبغى أن نذكر أن "أمير يمين الدين" والد الشاعر قد اتصل "بعلاء الدين محمد"[3] وزير "أبى سعيد" فى خراسان. وتصادق معه واشتغل فى ديوانه[4] . وبعده تولى ابنه- الشاعر- منصب الاستيفاء والتوقيع الملكى لخواجه "علاء الدين محمد "[5]، وظل على صلة وثيقة به ردحًا من الزمن ومدحه بكثرة - كما سيأتى - وعند وفاة "أبى سعيد" فى ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٣٦هـ أرخ الشاعر لوفاته بالقطعة التالية :

"حينما انقضى من سنى الهجرة سبعمائة وست وثلاثون، وانقضى من ربيع الآخر أيضًا ثلاثة عشر يومًا" .

---

(١) الشواربى : حافظ ص ٦٨.

(٢) السابق ص ٦٩.

(٣) شغل "علاء الدين محمد" مع "غياث الدين محمد" منصب الوزارة "لأبى سعيد" سنة ٧٢٧هـ ، ولكنه لم يمض على بقائه فى الوزارة أكثر من ثمانية أشهر حتى عين مستوفيا على جميع أقاليم الإمبراطورية، ثم عينه "غياث الدين" بعد ذلك وزيرًا لإقليم خراسان. (د.فؤاد الصياد: مؤرخ المغول ص ١٩٤-١٩٧).

(٤) رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات در ايران . ص ٣١٨-٣١٩ تهران چاپ انتشارات أمير كبير ١٣٤٢ ش.

(٥) ذبيح الله صفا تاريخ ادبيات در ايران . جلد سوم بخش دوم ص ٩٥٢ انتشارات دانشگاه تهران ١٣٤٦/٣٣.

" نزعت يد القدرة الإلهية تاج الملوكية عن رأس سلطان العالم "أبى سعيد"، وذلك فى "قراباغ"[1] .

"السربداريون"

"السربداريون جماعة من الحكام استأثروا بالسلطة فى الولايات الشمالية من إيران عقب وفاة "أبى سعيد" فى فترة الضعف التى انتهى بها أمر المغول الإيلخانيين ، والتى مكنت الطامعين فى الملك من أن يستأثروا بما تصل إليه أيديهم من الولايات والمقاطعات"[2] .

وكان بدؤها حركة شعبية ضد ظلم حكام المغول فى "سبزوار" ، ثم أخذت الصبغة المذهبية، واستطاعت أن تكون لنفسها قوة عسكرية بمساعدة شيعة هذه المنطقة ، وأن تنظم من وجودها دولة[3] . وصارت موضع اعتداد الإيرانيين الذين يرون أنها قدمت خدمات جليلة للعالم الإسلامى عامة ، ولمذهب التشيع خاصة[4] .

---

(١) ديوان اشعار ابن يمين: تحقيق حسينعلى باستانى راد ص ٥٦٩ از انتشارات كتابخانه سنائى چاپخانه حيدرى ١٣٤٤ش:

چون گذشت ازسال هجرت هفتصد باسي وشش / ازربيع آخرين هم سيزده بگذشته بود

درقراباغ ازسر سلطان عالم ابوسعيد / دست تقدير إلهى افسر شاهي ربود

(٢) الشواربى : حافظ ص ٩٢ .

(٣) حسينعلى ستوده تاريخ آل مظفر. جلد دوم ص ١٦٦، انتشارات دانشگاه تهران ١١٤٥/١ آذرماه ١٣٤٦

(٤) مقدمة ديوان أشعار ابن يمين ص (و). جلال الدين شريعتى ترشيزى : مقال بمجلة " نامه آستان قدس ص ١٤٨ شمارة (١) دوره دهم (٣٧ مسلسل) .

أصل كلمة "سربدار" ومعناها :

الآن نبحث عن معنى كلمة "سربدار" التاريخي والمعجمي ، وهل "سربدارية خراسان" هم أول من أطلق عليهم هذا الاسم ، أو لا؟

روى بعض المؤرخين[١] رواية يمكن أن تلقى الضوء على الكلمة وتوضح معناها، وهي: أن "عبد الرازق الباشتيني"[٢] – أول حكام السربدارية – أنفق جزءًا – في ملذاته– من الأموال التي كان قد أمره السلطان "أبوسعيد" بجمعها من "كرمان"، ثم اتجه إلى قريته "باشتين" ليبيع أملاكه، ويكمل ما نقص من المال الذي أنفقه. وفي الطريق وصله خبر وفاة "أبي سعيد" ففرح لذلك، وعندما وصل إلى قريته رأى فتنة تعمها، واتضح أن سببها هو أن رسولاً مغوليًا[٣] جاء إلى "باشتين" وطلب شرابًا وجارية من أخوين يدعيان "حسن وحسين حمزة" فقدما له الشراب واعتذرا عن عدم تقديم الجارية ، ولكن الرسول لم يحترمهما، وحاول الاعتداء على بعض الحريم ، فسلَّ الأخوان سيفيهما وقتلا الرسول قائلين "**لأن تعلق رءوسنا على المشنقة خير لنا من تحمُّل هذه الفضيحة**"[٤] . وعندما وصل "عبد الرازق" وعلم بما حدث.قال : "يجب علينا وعلى كل المسلمين معاونة الأخوين؛ لأنهما رجلان غيوران وذوا حمية"، ولما علم "علاء الدين محمد" حاكم خراسان بمقتل رسوله، أرسل إلى "باشتين" طالبًا الأخوين ، ولكن "عبد الرازق" تعرض لرسله وأوقع بهم، وبعد ذلك "جمع أهل قريته، وقال لهم لقد شبَّت فتنة "عظيمة" في هذا المكان، وإذا ما تساهلنا قتلنا،

(١) منهم: ميرخوند: روضة الصفا: ج ٥ ص ٦٠١ – ٦٠٢ تهران چاپ پيروز ١٣٣٩ هـ.ش خواندمير حبيب السير ج ٢م ٣ص ٣٥٦ – ٣٥٧ . الشواربي : حافظ ص ٩٣ .

(٢) كان يعمل في خدمة "أبي سعيد" في ذلك الوقت .

(٣) هذا الرسول كان من لدن "علاء الدين محمد" وزير "أبي سعيد" في خراسان، ويقال إنه ابن أخته .

(٤) النص هو :" ما سر بداريم وتحمل اين فضيحت نداريم".

ورؤية رءوسنا معلقة على المشانق فى رجولةٍ ، أفضل من القتل فى ذلة وخضوع[١]، ويضيف "ميرخوند"، ولهذا السبب لقبت هذه الجماعة بهذا اللقب[٢].

ويذكر صاحب مجمل فصيحى الراوية السابقة مع اختلاف بسيط فى المتن إلى أن يقول : "دوبرادر گفتند ديگر تحمل اين ننگ رانخواهيم كرد بگذار سرمايه دار برود" وهذه العبارة تفسير لجملة الأخوين السابقة- شمشيراز نيام بركشيد ندهر پنج تن مغول راكشتند وازخانه بيرون رفتند وگفتند: ما "سربدار" ميدهيم"[٣] .

والجملة الأخيرة، وبخاصة كلمة "سربدار"، أصبحت الكلمة الشاملة لمعنى عبارته "سرما به دار برود".

و "لدولتشاه" رواية تختلف عن الرواية الأولى فى المتن أيضًا ، ولكن تصل بنا إلى المعنى نفسه لكلمة "سربدار"؛ فيقول : "إنه بعد مقتل الرسول أقاموا المشنقة خارج قرية "باشتين" صباحًا، وعلقوا عليها القلانس والعمائم ، وقذفوها بالسهام وبالحجارة ، وأطلقوا على أنفسهم اسم "السربدارية"[٤] .ويقيم "پطروشفسكى" لهذا احتمالاً بأنهم اعتبروا هذه القلانس والعمائم رءوس الأعداء.

---

(١) والنص هو "بعد از آن عبد الرازق مردم آن قريه راجمع اورده گفت فتنه عظيم درين ديار بوقوع پيوست واگرما مساهله كنيم كشته شويم وبمردى سرخود بردار ديدن هزار بار بهتركه بنامردى بقتل رسيدن".

(٢) ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٢.

(٣) پطروشفسكى : نهضت سربداران خراسان :نقله إلى الفارسية كريم كشاورز ص ٤٣-٤٤؛ چاپ سوم بهار ١٣٥ ش انتشارات پيام نقلا عن مجملى فصيحى.

(٤) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٦ تصحيح وتمهيد: جناب شيخ محمد اقبال صافى صاحب ايم اكورد اسپور سنة ١٩٣٩ اط. لاهور والنص "وعلى الصباح در بيرون ديه باشتين دارى زدند ودستارها وطاقيها بردار كردند وتير وسنگ براو ميزدند وخودراسر بدار نام نهادند".

ويضيف- فى الصفحة نفسها- أن المؤرخين يعتبرون معنى "سربدار" هو "محكوم بدار" و "مأيوسان" و "بخشايش ناپذيران" [١] .

و"لشرفخان البدليسى" رواية يوضح فيها معنى كلمة "سربدار" وأصلها، يقول فيها "ولما بلغه – أى عبد الرازق- وهو فى الطريق خبر وفاة السلطان "أبى سعيد" جمع حوله كثيرًا من أوباش سبزوار ودهمائها، ونصب أعوادًا للشنق فى باب "سبزوار" ، وأعلن أن كل من كان متفقًا معنا فى العمل والغاية ، فعليه أن يعلق عمامته من أحد هذه الأعواد بدل رأسه الذى يعلق عليه فيما إذا خالف حتى يظهر إخلاصه للبلاد . واتفق أن علق سبعمائة شخص فى ذلك اليوم عمائمهم على أعواد الشنق تلك مظهرين اتحادهم معه، ومن ثم سُمُّوا بسربداران"[٢]، ويفسر المترجم فى الصفحة نفسها حاشية (١) معنى "سربداران" "بالذين رؤوسهم على أعواد المشانق" .

والآن .. فالمعنى الذى يمكن استخلاصه من مجموعة الروايات السابقة أن معنى كلمة "سربدار" هو "الرأس على المشنقة"، وهى كلمة مركبة من اسمين بينهما حرف جر : سر = رأس + بـ = على + دار = مشنقة، وهذا هو التفسير لدى Steingass [٣]، ويصبح المعنى الاصطلاحى هو أنها كلمة تشير إلى أنهم قوم يأبون الظلم، ويفضلون أن يضحوا برؤوسهم شنقًا على أن يتحملوا الظلم لحظة . وبالضرورة يصبح "سربدارية خراسان" هم أول من أطلق عليهم هذا الاسم؛ حيث إن الكلمة مشتقة من أقوالهم ونابعة من أحداثهم. وهذا هو ما

---

(١) پطروشفيسكى : نهضت سربداران خراسان ص ٤٨.

(٢) شرفخان البدليسى : شرفنامه . ترجمة : محمد على عونى ج ٢ ص ٣٨ ، نشر دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٢.

(٣) Steingass : Dictionary .

أركز عليه، ويدفعنى إلى عدم قبول ما قال به "محقق ديوان "ابن يمين"، إذ يقول إنه "لم يجد فى أى مرجع أو معجم ما يدل على معنى هذه الكلمة التى صارت علمًا ومسمى على هذه الأسرة"[1] ، ثم يرفض رواية "دولتشاه" التى اعتمد عليها المؤرخون – كما يقول – ثم يضيف أنه وجد فى "مطلع السعدين" رواية أقرب إلى الواقع – كما يرى – تلقى الضوء على معنى الكلمة وطبيعتها، فيقول "فى مطلع السعدين – فى سنة ٧٦٢هـ - ٧٦٣ هـ ، وصلت مظالم المغول فى سمرقند إلى أوج شدتها ؛ فجمع رجل شجاع يُدعى "مولانا زاده" الناس فى المسجد ، وصعد المنبر ، وبعد أن بين مظالم المغول ، حض الناس على الثورة وإخراج المغول، وأثر هذا الكلام فى الناس ، فأغاروا على المغول على حين غرة ، قتلوا وجرحوا وأسروا الكثير" . ثم يضيف : إن صاحب مطلع السعدين كتب تحت عنوان هذا الفصل "أحداث هذا العالم وسربدارية سمرقند ومن أتى بعدهم" ، وفيما يتصل بهذا الموضوع وأحداثه يسميهم – أى صاحب مطلع السعدين– فى كل موضع بالسربداريين وكل ما ينسب إليهم "سربدارى" .وينتهى المحقق إلى أنه "يمكن أن نستنتج أن قيام بعض الناس وثورتهم ضد الحكومة فى ذلك الوقت، تلك التى كانت تحت قيادة وحكم شخص يتشابه – إلى حد ما – ويتطابق مع عمل "عبد الرازق بن خواجه فضل الله باشتين ، ومولانا "زاده سمرقندى" جعلتهم يطلقون لفظى "سربدار وسربداريين على السربدارى وأصحاب الأمر"[2].

ومعنى ما سبق أن السيد المحقق :

---

(١) مقدمة ديوان أشعار ابن يمين : تحقيق حسينعلى باستانى راد، ص (كـ) .

(٢) السابق ، ص (كو) .

أولاً : يرفض تحليل كلمة "سربدار" على النحو المفصل فـــى الروايـــات السابقة مع أن كلتا الحركتين : حركة باشتين، وحركة سمرقند، ثورة ضد ظلــم المغول وتمرد عليهم .

ثانيًا : يعتبر معناها عامًا واسعًا وليس خاصـًــا بــسربدارية خراســان، مستشهدًا برواية صاحب مطلع السعدين ، وبالتشابه بين الحركتين ، ولكن السيد المحقق نسى أو تناسى الفارق الزمني بين أحداثها؛ فالأولى كانــت فـــى ســنة ٧٣٦هـــ ، والثانية فى سنة ٧٦٢هـــ . ألا نضع اعتبارًا لهذا الفارق الزمـــى؟ ولماذا لا نعتبر هذه الكلمة خاصة بسربدارية خراسان ، ثم أطلقها أهل سمرقند على أنفسهم ؟ وبخاصة أن أحداثهما متشابهة، وتكون كلمة "سربدار" في بـــ الأمر كلمة مركبة "سر+ بـــ + دار" ثم قطعت شوطًا بعيدًا فى طريق التركيب، وأصبحت كلمة واحدة بعد أن تخلصت من الذاتية الصوتية التـــى تـــربط بـــين اسميها .

يؤيد ما نقول ما يراه بطروشفسكى" من أن ظهور سربدارية خراسان كان له تأثير فى ظهور حركات أخرى، وتعد حركة السمرقنديين منهم"[1].

نشأتها:

"يتفق المؤرخون – مع اختلاف فى الجزئيات – على أن بداية ظهور هذه الدويلة كان من قرية "باشتين" التابعة لبيهق[2] قرب سبزاور"[3]، وفى تاريخ بيهق "باشتين" على وزن "آستين" قرية تقع في الفرسخ الرابع جنوب غــرب ســبزوار .

---

(١) بطروشفسكى : نهضت سربداران ص ١٠.

(٢) فى مقدمة تاريخ بيهق لابن فندق ص (ى). چاپخانه كانون ١٣١٧ ش "بيهق : اسم قديم لناحية من نــواحى خراسان كانت مدينتها الرئيسية سبزوار الحالية" .

(٣) بطروشفسكى : نهضت سربدار ان ص ٤٣.

ومن هذه القرية ظهر أمراء السربدارية[١]. وفى شرفنامه "باشتين قرية من قرى بيهق من أعمال سبزوار"[٢] ، ويبدو أن التقارب الجغرافى بين "سبزوار" وبيهق" جعل الكُتّاب يختلفون فى الولاية التى تتبعها "باشتين"؛ لأن "دولتشاه" يعتبرها أيضًا تابعة لسبزاور[٣].

تاريخ ظهورها:

يرى "پطروشفسكى" أن أكثر المراجع تكاد تتفق على أن قيام هذه الدولة كان من "باشتين" يوم ١٢ شعبان سنة ٧٣٧هـ[٤]، ولكن هذا التاريخ ليس إلا تاريخ المعركة التى دارت رحاها بين "عبد الرازق"و "علاء الدين محمد" الوزير الخراسانى – كما سيأتى – ويكاد يتفق مع أصحاب الرأى السابق كل من "صاحب مجمع الأنساب" بقوله إن "عبد الرازق" خرج فى ٩ شعبان سنة ٧٣٧هـ[٥] "وشرفخان البدليسى" أيضًا[٦] .

ويبدو أن أصحاب هذا الرأى يؤيدون هذا التاريخ اعتمادًا على انتصار "عبد الرازق" على خصمه وبدئه فى تأسيس دولته .

تاريخ آخر يذكره صاحب "مجمل فصيحى"؛ إذ يرى أن نشأتها ترجع إلى ما قبل سنة ٧٣٦ هـ بقليل[٧] ، وهو فى هذا يعتبر أن ملوك الطوائف بدأوا فى تكوين دولتهم قبل وفاة "أبى سعيد" سنة ٧٣٦هـ ، ولكن المراجع لم تشر إلى

---

(١) ابن فندق : تاريخ بيهق ص ٣٢٨.

(٢) شرفخان : شرفنامه . الترجمة العربية ج ٢ ص ٣٧.

(٣) دولتشاه : تذكره الشعراء ص ١٨٥.

(٤) پطروشفسكى : نهضت سربداران خراسان.ص ٤٩.

(٥) السابق ص ٤٩ .حاشية (١) نقلاً عن مجمع الأنسب لمحمد شبانكاره .

(٦) شرفنامه (الترجمة العربية) ج ٢ ص ٣٧.

(٧) پطروشفسكى : نهضت سربداران خراسان ص ٤٩ حاشية (٢) نقلا عن مجمل فصيحى.

مثل هذا ، "بل انها ذكرت – فيما يخص دولتنا – أن عبد الرازق كان يعمل فى ديوان "أبى سعيد" فى صمت دون شغب، وكان يحظى بحبه .

وما أميل إليه هو مرحلة وسط بين التاريخين؛ أى بعد سنة ٧٣٦هـ بعد وفاة "أبى سعيد" وقبل سنة ٧٣٧هـ ؛ أى قبل المعركة التى وقعت بين "عبد الرازق" و "علاء الدين محمد"، وذلك لأنه فى هذه الفترة بالتحديد ، رفض الأخوان ظلم رسول " علاء الدين" – كما أسلفنا– ونطقا جملتهما السابقة، ثم تبعها "عبد الرازق" بالرفض والدفاع عنهما، وجمع أهل قريته قائلاً جملته السابقة ، فمن هاتين الجملتين مع جمع "عبد الرازق" لأهل قريته وخروجه على علاء الدين محمد" رافضًا ظلمه ، كانت بداية هذه الدولة .

أصلها :

هناك رأى – اتُفق عليه لدى المؤرخين– أن أصل هذه الأسرة يعود إلى "شهاب الدين فضل الله الباشتينى"[١] من قرية "باشتين" التابعة "لبيهق"، ويتصل نسبه من جهة أبيه إلى الإمام "حسين بن على المرتضى"، ومن جهة أمه إلى "يحيى بن خالد البرمكى"[٢] وكان له خمسة أولاد هم "عبد الرازق"، و"مسعود"، و"شمس الدين فضل الله" وهم حكام السربداريين، و"أمين الدين"، و"نصر الله"[٣] .

رأى آخر يعزو "السربدارية" إلى فرع آخر من أسرة شهاب الدين، وهو "وجيه الدين مسعود" الابن الثانى "لشهاب الدين" والحاكم الثانى للأسرة بعد

---

(١) يطلق عليه ميرخوند فى روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٠ وپطروشفسكي: نهضت سربداران ص ٤٦ اسم "جلال الدين فضل الله".

(٢) خوانمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٦.

(٣) ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٠ – خواندمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٦. ولكن دولتشاه فى تذكرة الشعراء ص ١٨٦ قال إنه كان له ثلاثة أولاد، وذكر أسماء الثلاثة الأول فقط. ويبدو أن "دولتشاه" نظر إلى من تولى الحكم وأغفل ذكر الآخرين.

"عبد الرازق"؛ فيقول صاحب هذا الرأى : إنه كان بخراسان رجلان : أحدهما يسمى "بمسعود"، والآخر يسمى "بمحمد"[(١)]، وكان لهما خمسة من الأصحاب ، وهم من الفتاك ويعرفون فى العراق بالشطار ، فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق ، وسكنوا جبلاً قريبًا من "بيهق"، وقوى سلطانهم ، وجذبوا الأتباع إليهم، وأجلسوا "مسعودا" على الحكم ، واعتنقوا مذهب الرافضة ، وطمحوا إلى استئصال أهل السنة بخراسان ، وانضم إليهم شيخ يُدعى "حسن" من الرافضة ، وقد هزمـــوا أمام السنة بقيادة الملك "حسين" سنة ٧٤٨هـــ بصحراء "بوشنج"[(٢)] .

وعلى الرغم من صحة بعض أحداث هذه الرواية ، فإنهـــا قـــد جانبـــت الصواب فى اعتبارها "مسعودًا" أصل الأسرة وأول حكامها ، واتهامه ومن معه بأنهم من الفتاك والشطار ، وأن "الشيخ حسن" هو الذى انضم إليهم، كما جانبت الصواب في ذكر تاريخ الموقعة ؛ لأن "مسعودًا" – حسب أقوال المراجع – لـــم يكن أصل الأسرة وحاكمها الأول ، بل هو حاكمها الثانى بعد أخيه "عبد الرازق"، بالإضافة إلى أنه لم يكن ومن معه على هذه الصورة التى صورتها الروايـــة ، بل هم حكام أسرة فى سبيلها إلى تقوية دعائمها وتثبيت أركانها ، أنقذوا الـــشيخ "حسن" من الأسر – كما سيأتى – ولم يلتحق بهم – كما تقول الرواية – وكانت الموقعة سنة ٧٤٣هـــ عكس ما قالت به الروايـــة . ولا عجـــب إذن أن يـــتهم البعض [(٣)] صاحب الرواية بالتعصب للسنة والتحامل على الشيعة .

---

(١) ربما يقصد "محمد تيمور" أحد أتباعه والذى قوى الحكم بعده.

(٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، كتاب التحرير ١٧٢ ص ٢٥٥- ٢٥٦ ، ط دار التحرير بالقاهرة .

(٣) بطروشفسكى : نهضت سربداران ص ٣٠ . وأيضا : مقدمة ديوان أشعار ابن يمين ص (ك – كَ).

حكامها والأحداث التى جرت فيها :

"حكمها اثنا عشر حاكمًا ، وأول ما يلاحظ عنهم أنهم ليسوا جميعًا من أسرة واحدة، بل إن أسماء آباء معظمهم مجهولة"[١].

عبد الرازق شهاب الدين فضل الله الباشتينى[٢]

أول ملوك السربدارية ، وكان شابًا فتيًا وبطلاً مغوارًا اعتمد على صلة أخيه "أمير أمين الدين" بالسلطان "أبى سعيد" وخدمته له ، فالتحق بدوره بخدمة السلطان ، وكان أخوه قد رشحه لدى السلطان لمقاومة أحد المتمردين يُدعى "أبو مسلم" [٣] فأظهر عبد الرازق مهارة فائقة جعلته موضع اهتمام السلطان ، فأرسله إلى "كرمان" لجباية أموالها[٤] ، وكانت تبلغ مائة وعشرين ألف دينار جعل له السلطان منها عشرين ألفًا ، على أن يوصل للخزانة مائة ألف[٥] ، فما كان من "عبد الرازق" إلا أن أنفق جزءًا كبيرًا من أموال الخزانة فى لهوه وطربه . ولكن الظروف هيأت له فرصة النجاة بوفاة "أبى سعيد" وهو فى طريقه إلى قريته ليبيع أملاكه ويكمل ما نقص من الأموال ، وفى قريته سمع بما حدث للأخوين "حسن وحسين حمزة" مع رسول "علاء الدين محمد"–على النحو الذى فصلناه من قبل –. وبعد أن رفض "عبد الرازق" تسليم الأخوين

---

(١) ستانلى لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص ٥٣٠. ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

(٢) يدعوه صاحب روضة الصفا "عبد الرزاق" .

(٣) خواندمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٦. ويرى شرفخان البدليسى "أن أبا مسلم هذا اسمه على سرخ الخوافى مصارع ورام ماهر فى بلاط السلطان "أبى سعيد"، وقد رشح "أمين الدين" أخاه "عبد الرازق" فى مبارزة "أبى مسلم"، وانتصر "عبد الرازق"، مما جعل السلطان يعهد إليه بوظيفة جباية أموال كرمان. (شرفنامه : الترجمة العربية ص ٣٧) .

(٤) ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٢ – خواندمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٦ – دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٦ – الشواربى: حافظ ص ٩٣.

(٥) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٢ . نشر كتابخانه شرق ط . مطبعة سعادت ١٣٠٣ ش .

"لعلاء الدين محمد" أتى إليه الأخير بجيش جرار وتقاتلا عند "شهرك نو" سنة ٧٣٧هـ .

ولقد ذكرت المراجع[1] أن المعركة انتهت بانتصار "عبد الرازق" ومقتل "علاء الدين محمد" وفرار أولاده وأتباعه هاربين إلى بلدة "سارى" ، ولكن لنا هنا وقفة ورأى ثم نواصل حديثنا :

على الرغم من اتفاق المراجع – السالف ذكرها – على ما انتهت إليه المعركة بانتصار "عبد الرازق" ومقتل "علاء الدين" ٧٣٧هـ ، فإنه لفت انتباهى أن شاعرنا "ابن يمين" أرخ فى قطعة لوفاة "علاء الدين محمد" على أنه توفى سنة ٧٤٢ هـ ، وليست سنة ٧٣٧هـ كما تقول المراجع :

"فى العام الثانى والأربعين وسبعمائة من الهجرة والثالث والعشرين من شعبان" .

"يوم الأربعاء وقت الظهيرة ، بسبب سوء صنيع هذا الفلك الدائر".

"علاء الدين والدنيا محمد ، وزير ملك إيران الملكى".

"أسرعت روحه من الغاب صوب الجنة ، فلتبق روحه متجددة بهامر الغفران" [2] .

---

(١) منهم ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٢. خواندمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٧ . دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٦ . شرفخان البدليسى : شرفنامه الترجمة العربية ص ٣٨ . مقدمة ديوان أشعار ابن يمين ص (ل) . الشوار بى : حافظ ص ٩٣ . جلال الدين شريعت : مقال بمجلة نامه" استان قدس ص ١٤٩ .

(٢) الديوان ص ٥٦٩ والأبيات :

زهجرت هفتصد بودوچل ودو	سه بر عشرين فزوده ماه شعبان
بروز چارشنبه درگه چاشت	زبد فطى اين گردون گردان
علاء الدين والدنيا محمد	وزيرشه نشان ملك ايران
زسر بيشه سوى جنت روان شد	كه جانش تازه بادا زابر غفران

وعلى هذا فأمامنا رأيان وتاريخان لوفاة "علاء الدين محمد" . وطبيعة البحث العلمى وإظهار الحقائق تتطلب ترجيح رأى مدعم بأسانيد تؤكده، وأنا أرجح الرأى والتاريخ اللذين ذكرهما "ابن يمين" ، وهو أنه توفى سنة ٧٤٢هـ بناء على الآتى :

أولاً : يعد "ابن يمين" أوثق – فى "هذه القضية – من المراجع الأخرى باعتبارين : **المعاصرة والمرافقة**؛ فشاعرنا أسبق زمنًا منهم ، ووفاته[1] أقرب إلى سنة ٧٤٢هـ من باقى الكُتّاب الذين أرخوا لهذه الفترة، بالإضافة إلى أن "ابن يمين" رافق "علاء الدين" ردحًا من الزمن ومدحه بالعديد من أشعاره حتى إن القطعة السابقة تدل على مدى حبه له .

ثانيًا : لم يقتل "علاء الدين" فى" شهرك نو"- كما زعموا – بل فرَّ حيث التحق "بطغايْتَمُورخان" الذى كان على صلة طيبة به، ويضيف على هذا "ياسمى" بأنه – أى علاء الدين- رحل إلى العراق سنة ٧٣٩هـ[2] ، وإن صح قول "ياسمى" فإن هذا يدحض- على الأقل – قتله سنة ٧٣٧هـ .

أميل إلى أن "ابن يمين" فرَّ مع "علاء الدين"، وظل معه فترة ليست بالقصيرة فى "جرجان"، والدليل أنه لا يوجد فى ديوانه اسم "عبد الرازق" خصم "علاء الدين" إطلاقًا ، وهذا أمر غريب؛ لأن "عبد الرازق" أول حكام السربدارية و"ابن يمين" شاعرها الأكبر ،وقد مدح كل حكامها تقريبًا عدا "عبد الرازق"؛ فلو أن "علاء الدين" قد قتل سنة ٧٣٧هـ لبقى "ابن يمين" فى "سبزوار" ومدح "عبد الرازق" كما مدح أخاه "مسعودًا" ومن أتى بعده ، ولكنه هرب مع "علاء الدين"

---

(١) توفى "ابن يمين" سنة ٧٦٩هـ .

(٢) ياسمى : أحوال ابن يمين، ص ٣٠. وهو يميل أيضًا إلى أن "علاء الدين" لم يقتل فى هذه المعركة ، بل فرّ إلى "طغايتمور" فى "جرجان" .

إلى "جرجان". وهذا الرأى يتفق مع ما أورده "رضا زاده" بقوله : إن "ابن يمين" ذهب بعد ظهور "السربداريين" إلى "علاء الدين محمد" بجرجان" ومدحه و"طغايتمور" حاكمها، وبعد فترة عاد إلى "خراسان" ومدح أمراءها، وبخاصة "مسعود"[1] .

ثالثًا : فى إحدى سفريات "ابن يمين" سنة ٧٤١هـ نظم مثنوية كارنامه"[2] . محييًا عظماء بلدته "فريومد" وأكابرها . وعند قراءتى للمثنوية لاحظت أن الشاعر يرسل السلام فيها إلى "علاء الدين محمد " فيقول :

"امضِ صوب بلاط الوزير ، الذى يكون عبده كل أمير"

"علاء الدولة والملة محمد ، الذى علت قدمه مفرق فرقد"[3] .

وفى المنظومة نفسها يرسل السلام إلى "وجيه الدين مسعود" الذى كان قد تولى عقب وفاة أخيه سنة ٧٣٨هـ .

"ثم اتجهى من هناك صوب قادة الجيش الذين هم حماة للدين" .

"فى الدرجة الأولى الحاكم الشهير الذى هو موضع افتخار الدنيا بذاته" .

"شهاب الملك والدين مسعود الكافى الوفى فى الوفاء بالعهد"[4].

---

(١) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ص ٣١٩.

(٢) ذكر الشاعر تاريخ نظمه المثنوية في آخر أبياتها ص ٥٨٨ ، وخاصة فى قوله :

زهجرت هفتصد بود وچل ويك	كه اندر روز گار نيك اندك
من اين نامه رسانيدم به آخر	بتوفيق خداى فرد قاهر

(٣) الديوان ص ٥٧٦ والبيتان :

گذركن سوى درگاه وزيرى	كه باشد بنده او هر اميرى
علاء دولت وملت محمد	كه زير پاى دارد فرق فرقد

(٤) السابق ص ٥٨٦ والأبيات :

وزانجا روسوى اصحاب سرباز	كه يكسر بهردين باشند سرباز
دراول پايه صدرى نامدارست	كه گيتى رابذاتش افتخارست
شهاب ملك ودين مسعود كافى	كه باشد دروفاى عهد وافى

فى حين لم يذكر اسم "عبد الرازق" مطلقًا فى المنظومة، وذكر الكثير عن أمراء ذلك الوقت وعظمــائه ؛ مما يدل على أنه أرسلها بعــد ســنة ٧٣٨هــ – على الأقل – وهى السنة التى توفى فيها "عبد الرازق" وتولى "مسعود" كمــا سيأتى .

رابعًا : مما يثير العجب أن مؤرخًا كبيرًا مثل "خواندمير" الذى يعد كتابه "حبيب السير" مرجعًا أساسيًا للباحثين يناقض نفسه ؛ إذ يذكر أن "علاء الــدين محمد" قتل سنة ٧٣٧هـ[1] .

وفى صفحة أخرى[2] من المرجع نفسه يقول إن "علاء الدين محمد" وزير خراسان اتجه مع "طغايتمور" و "ارغونشاه" فى سنة ٧٣٩هــ إلــى الــسلطانية بناء على رغبة "حسن برزگــ" : "چون امير شيخ حسن كوچك أزممــر پــدر مزور تمشيت نيذ يرفت بجانب كرجستان رفته درسنة تسع وثلثين وسبعمائة" إلى أن يقول "والتماس نمود – أى حسن بزركــ – كه بجانب تختكاه أبو سعيد شتابد وطغايتمور خان باتفاق أمير أرغونشاه وخواجه علاء الدين محمد وزير متوجه انصوب شده درماه رجب سنة مذكور بساوه رسيد ند" . وهذا دليل على ما نقول .

خامسًا : يقول صاحب مجمل فصيحى فى أحداث سنة ٧٤٢هــ إن مقتل "علاء الدين محمد" فى هذا العام فى يوم الأربعاء ٢٧ شعبان فى "مازندران"[3].

وحصيلة هذا التحقيق – على مايبدو لى – أن المعركة انتهت بانتــصار "عبد الرازق" وفرَّ "علاء الدين" صوب "جرجان" حيث التحق "بطغايتمور" .

---

(١) خواندمير : حبيب السير ج ٢ م ٣ ص ٣٥٧ .

(٢) السابق ج ١م ٣ ص ٢٢٨.

(٣) پطروشفسكى : نهضت سربداران ، ص ١١٣ نقلاً عن مجمل فصيحى.

ونعود إلى حديثنا المقطوع نوصل خيوط أحداثه ؛ فبعد انتصار "عبد الرازق" رغب في التوسع ، فاستولى على "سبزوار" بلا مشقة في العام التالي، أي في سنة ٧٣٨هـ[١]، وجعلها مقرًّا لحكمه ، ودعا باسمه في الخطبة [٢]، وكان قد استولى على "جوين" و "اسفرين" و "جاجرم" و "بيار" و"مجند"[٣] .

وكان "عبد الرازق" رجلاً خشنًا فاسقًا ، رغب في الزواج من أرملة "خواجه عبد الحق بن علاء الدين هندو الفريومدي"، ولكنها أبت؛ لأنها علمت أن غرضه – كما يقول ميرخوند وخواندمير[٤] – هو الاتصال بابنها الذي كان ذا جمال باهر ، وفرَّت في أثناء الليل من "سبزوار" إلى "نيسابور" .

وما كان من "عبد الرازق" إلا أن أرسل أخاه "مسعودًا" في أثرها لإرجاعها ، ولما أدركها "مسعود" في الطريق تضرعت إليه قائلة "أيها السيد أنت تعلم أن أخاك رجل فاسق وسيئ الأحدوثة ، وأنا امرأة ضعيفة ، فاتركني لوجه الله ولاتفضحني"[٥]؛ فرق قلب "مسعود" وتركها لسبيلها ، وعاد إلى أخيه وأخبره أنه لم يلحق بها ، فوبخه "عبد الرازق" وسبَّه وسلَّ سيفه ، ولكن "مسعودًا" لم يمهله بل حمل عليه وتمكن من قتله[٦] ، وتولى مكانه ، وسعد بذلك عظماء "خراسان" و "سبزوار" الذين أصابهم إجحاف "عبد الرازق" وظلمه، وارتضوا إمارة "مسعود" عليهم، وكان ذلك في سنة ٧٣٨ هـ [٧] .

---

(١) خواندمير : حبيب السير ج ٢م ٣ص ٣٥٧ .

(٢) ياسمي : أحوال ابن يمين ص ٣٢ .

(٣) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٧.

(٤) ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٣ – خواندمير : حبيب السير ج ٢م ٣ص ٣٥٧ .

(٥) النص هو : "اى خواجه توميدانى كه برادرت مرد فاسق وبى اعتبار است ومن ضعيفه أدمى زاده ام ، خالصا لله برآن مباشى كه من رسواشوم" .

(٦) خواندمير : حبيب السير ج٢م ٣ص ٣٥٧ – ٣٥٨ . الشواربى : حافظ ص ٩٣-٩٤ .

(٧) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٧ – مقدمة ديوان أشعار ابن يمين ص (لا).

وجيه الدين مسعود :

اعتلى العرش بعد مقتل أخيه ، وكان "مسعود" رجلاً شجاعًا ذا بأس وجرأة وفطانة[1] وقد جعلته هذه الصفات محبوبًا إبان حكم "عبد الرازق"، وكان موضع اهتمام السربداريين ، ويرى – ياسمى – أن توفيق "عبد الرازق" يرجع إلى سيف "مسعود" فى أغلب المعارك[2] .

ونحن لو قارنا بين "مسعود" وسائر حكام السربدارية ، لاتضح لنا صدق ما قيل عنه ، من أنه أعظم حاكم سربدارى ؛ فإذا كان "عبد الرازق" قد جاهد فى تكوين "السربدارية"؛ فإن "مسعودًا" قد أرسى قواعدها، وثبّت دعائمها، ونجح فى ذلك إلى درجة كبيرة وإن لم يحقق كل ما يصبو إليه – كما سيأتى .

دفع حب المؤرخين الإيرانيين "لمسعود" خاصة والسربدارية عامة[3] إلى أن يخلعوا على "مسعود" لقب "صاحبقران"، وهو اللقب الذى خلعوه – رسميًّا – على "الأمير تيمور لنك"[4]، بل وانفرد "مسعود" دون حكام السربدارية بلقب "سلطان" ودعى بـ "سلطان إسلام شهنشاه هفت أقليم المؤيد من السماء المظفر على الأعداء وجيه الدين مسعود"[5]، ومن جراء هذا الحب بالغ هؤلاء المؤرخين[6] فى وصف عظمته وبطولته ، حتى إنهم يرون أن "مسعودًا" حطّم ٧٠ ألفًا من أتباع "أرغونشاه جانى قربانى" فى "نيسابور" و ٨٠ ألفًا من المشاه

---

(١) خواندمير : حبيب السير ج٢م ٣ص ٣٥٨ .

(٢) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٦ .

(٣) أعتقد أن سبب هذا الحب يرجع إلى الدور الكبير الذى قامت به "السربدارية" فى نشر التشيع فى إيران.

(٤) بطروشفسكى : نهضت سربداران ص ٥٥.

(٥) المرجع السابق والصفحة نفسها وأيضًا ص ٦٨ .

(٦) منهم دولتشاه : تذكره الشعراء ص ٨٨ . بطروشفسكى : نهضت سربدارين ص ٥٤ ، نقلاً عن تاريخ سربداران خراسان . مقدمة ديوان ابن يمين ص (لب) .

والفرسان من أتباع "أمير محمد تركمان" في قرية "بوست فروش"، وكان ذلــك في الصباح و١٢٠ ألفًا وقت الظهيرة في قرية "بقيشان" من أتباع "قرابوغاني جاني قرباني"، وقتل "ارغونشاه" مع ١٣٠ ألف رجل في صحراء "اردوكــش" وقــت صلاة عصر اليوم نفسه، وبعد فترة تقابل مع "طغايتمُور خان" على شاطئ نهر "ترك" وهزمه، وتقابل مع الملك "معز الدين حسين" في "خواف" حيث هــزم . ويعلق – دولتشاه – على ذلك قائلاً : "وازعهد آدم تازمــان او ايــن كــارهيج آفريده نكرده ، ومورخان نياورده اند) [1] .

وهذه الرواية تتضمن الكثير من المبالغة ، فلا يعقل – إلا في الأساطير – أن يخوض جيش واحد أمثال هذه المعارك في يوم واحد.

بل ما حدث – كما أرى اعتمادًا على الحقائق المتوفرة في المراجع– هو أن "مسعودًا" تولى الحكم وإيران أمامه مقسمة في ذلك الوقــت إلــى منــاطق وأجزاء ، كل جزء منها دولة يتعاقب عليها الحكام ،ولكن هذه الدولة لا تعنيــه بقدر ما تعنيه ولاية "خرسان" ، وكانت "خراسان" مقسمة في ذلك الوقت علــى النحو التالي :

(أ) "هراة" تحت حكم الملك "معز الدين حسين آل كرت" .

(ب) "نيسابور" و "طوس" كانتا تحت حكم "أمير أرغونشاه جاني قربــاني بــن أمير نوروز" .

(ج) "قهستان" تحت حكم "عبد الله بن مولاى قهستاني" [2] .

---

(١) دولتشاه : تذكره الشعراء ص ١٨٨ . والمعنى : "لم يكن لهذا الأمر أي قرين من عهد آدم حتى عهده ، ولم يذكره المؤرخون".

(٢) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٧.

استبدت الرغبة "بمسعود" فى أن يضم هذه المناطق إليه ، ويوسع بها دائرة ملكه، ويثبت للسربدارية أركان عرشها، ووصل ذكاؤه ودهاؤه إلى أن يضم إليه "الشيخ حسن جورى"[1] المحبوب لدى أهل "خراسان" عامة "وسبزاور" خاصة ، فأرسل جمعًا من الفرسان إلى "يازر" فخلصوه من أسره ، وحملوه إلى "سبزوار" حيث التف حولهما – أى مسعود وحسن جورى – خلق كثير، وصارت "لمسعود" قوة ضاربة .

وفى رأيى أن "مسعودًا" وفق تمامًا فى ضم "شيخ حسن جورى" إليه ، ودل هذا على حدة فى ذكاء "مسعود" للآتى :

أولاً : شدة خطورة "حسن جورى"؛ لأنه كان رجلاً ذرب اللسان ، عذب البيان ، يتمتع بالحديث الآسر، والقدرة الفائقة على جمع الأتباع.

ثانيًا : دولة السربدارية – فى تلك الآونة – ما زالت تسعى جاهدة لتكوين نفسها، وهذا لا يتم لها إلا بضم أهل "خراسان" إليهم، وبخاصة المتشيعين منها ، وهذا بدوره يتطلب أن يكون لها قوتان : قوة مادية عسكرية، وأخرى روحية مذهبية، وذلك ما توفر فى "مسعود" و "شيخ حسن جورى" .

---

(١) هو أحد تلاميذ "شيخ خليفة" النابهين ، والآخر أحد الصوفية الشيعية ، وقد ظهر فى أواخر سنى حكم "أبى سعيد" فى "خراسان" كى يجمع شمل الثائرين من القرويين ضد ظلم المغول ، ثم اتجه إلى "سمنان"، ولكن حاكمها "ركن الدين علاء الدولة سمنانى" خشى من أفكاره فأبعده عن مجلسه فاتجه "شيخ خليفة" هذا إلى "سبزوار" التى رحبت به– وبخاصة أنها كانت واحدة من أكبر منابع التشيع فى إيران ، وبعد فترة قتله فقهاء السنة سنة ٧٣٦هـ بسبب حديثه فى المسجد فى الأمور الدنيوية، وبعد مقتله خلفه "حسن جورى" الذى بالعقل والدراية ، واستطاع أن ينشر تعاليم الشيعة المغلفة بغلاف التصوف فى "نيسابور"، وتبعه خلق كثيرون ، ثم أخذ فى التنقل إلى "العراق وبلخ وترمذ وهراة" إلى أن قبض عليه بأمر "أرغونشاه" فى طريق "كهستان ونيسابور"، وحبس فى قلعة "تاك" فى "يازر" بدافع من فقهاء السنة الذين أوقعوا فى روع "أرغونشاه" خطورة هذا الرجل عليه . وظل فى محبسه حتى أنقذه "مسعود" وضمه إليه . (ميرخوند : روضة الصفا ج ٥ ص ٦٠٤ وما بعدها).

وبعد وفاة قادة "خراسان" الإيلخانيين ، عصى أمراء "خراسان" واليها أمير شيخعلي بن حسن قوشجي، وانضموا إلى "طغايتمور" الذى كـــان قـــد اســـتقل "بجرجان" و "مازندران" ودعوا للإيلخانية[1] .

وعنـــدما رأى "أميـــر شيخعـــلى" هــــذا أســـــرع بـــدوره إلـــى الانضمـــام إلـــى "طغـــايتمور"، ورافقـــه فـــى حملته على العـــراق ، ولكـــن الأخير سلّمه إلى أعدائه، فبادر "أرغونشاه" بقتله فى عيـــد الأضحــــى ســـنة ٧٣٧هـــ [2] .

وفى ذلك الوقت الذى كان فيه "مسعود" يحكم "سبزوار"، رأى "خراســـان" على هذه الصورة ، ورأى "أرغونشاه جونى قربانى" "وطغايتمور" يعتبران كل "خراسان" تحت إمرتهما ؛ فالأول كان يحكم "نيسابور" و "طـــوس" و "خاوران" و "قوجان جنوشان" ، والثانى فى "جرجان" والجزء الشرقى لمازندران "وشمال قوميس"[3] .

لم يخش "مسعود" "طغايتمور" فى البداية ؛ لأن مقر سلطنة الأخير خارج "خراسان"، وإنما رأى فى "أرغونشاه" أخطر أعدائه؛ لأنه يستقر فى أهم مـــدن "خراسان" وأكثرها ازدحامًا بالسكان وهى "نيسابور" ، ومنهـــا يتجـــسس علـــى شئون "السربدارية"، ولذا فاجأ "مسعود" "نيسابور" فى أيام حكمه الأولى وأسرع إليه "أرغونشاه" بأربعة آلاف رجل فقط مستسهلاً الأمر ، ولكنه هزم ، وهرب

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٧.

(٢) خواندمير : حبيب السير ج١ م ٣ص ٢٢٦ – ٢٢٧. ياسمى: أحوال ابن يمين ص ٣٧.

(٣) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٧.

إلى "طوس" حيث استوطنها ، وصارت "نيسابور" المليئة بالثروة تحت حكم "مسعود"[1] .

وكان هذا الفتح سببًا فى أن يصبح للسربدارية الحكم على الجزء الرئيسى لخراسان والمتحكم فى الطرق الرئيسية ؛ لأن بلاد "ماوراء النهر" كانت ترتبط فى القرن الثامن الهجرى "بالرى" و "السلطانية" و "بغداد"، وكان مركز "نيسابور" بالنسبة لهذه الطرق المختلفة يعد الشريان لمملكة "خراسان" وكل خطوط ذلك الوقت كانت تمر من هذا المركز المهم .

ويعد التقاء الخطوط المهمة عاملاً مساعدًا على ترويج التجارة وتنشيط الرحلات التى تخص كلاً من "خراسان" و "أفغانستان" و "تركستان" إلى "نيسابور" . ولذا تعتبر "نيسابور" واحدة من أكبر أربع مدن خراسانية ، وقد عمرت فى أقل فترة زمنية بعد تخريب المغول لها [2] .

لكل هذه الأسباب مجتمعة ، صمم "مسعود" على الاستيلاء على هذه المدينة ، ونجح. ولأنه كان يعرف أن "أرغونشاه" و "طغايتمور" وسائر الأمراء لن يتركوها له بسهولة ، فقد سلك طريق العطف مع الرعية ، ولم يأخذ من أحد دينارًا واحدًا ، ولهذا السبب أحبَّ أهل "نيسابور" غازيهم الجديد أكثر من الحكام السابقين .

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٣٧.

(٢) السابق ص٣٧-٣٨ . ولقد ذكر ياسمى هذه الخطوط المهمة التى لم أشأ ذكرها خشية الإطالة .

وقد صدق حدس "مسعود"، وأثبت أنه بعيد النظر ؛ فإن "أرغونشاه" سارع في أواسط سنة ٧٣٩هـ[١] إلى جمع ثمانين ألف فارس ، وحمل على "نيسابور" ولكنه أخفق ، فصرف نظره عنها نهائيًا[٢] ، وبذلك يكون "مسعود" قد نجح في خطوته الأولى، واستولى على أهم مدينة خراسانية.

وكانت وجهة "مسعود" الثانية التي ولى وجهه شطرها هي "جرجان" الخاضعة لحكم "على كاون" أخي "طغايتمور"، وقد تقابلا عند شاطئ نهر "جرجان"[٣]، وكان النصر حليف "مسعود"[٤] ، وقتل "على كاون"، وفر" أمير عبد الله قهستاني" الذي كان قد جاء لمؤازرة "على كاون" والتحق ابنه الأكبر "محمد" بالشيخ "حسن جوري" وصار من مريديه .

وتوسعت رقعة سلطنة "مسعود" في "جرجان" وفي "مشهد"، وزاد نفوذه في "قهستان"[٥] .وفي تلك الأثناء لم ير "طغايتمور" بُدًّا من الفرار إلى "لاقصران"[٦]. ويقول "دولتشاه" إن "مسعودًا" و "شيخ حسن" تقاتلا مع "طغايتمور" على شاطئ نهر "اترك"، وانتصرا عليه[٧] .

---

(١) يقول پطروشفسكي في نهضت سربداران ص ١١٢ نقلاً عن مجمل فصيحي : "إن هذا قد حدث سنة ٧٤٠ في "مرغزار رادكان" انتصر فيها "مسعود" و "حسن جوري" على "طغايتمور" و "أرغونشاه"، وفيها مضى "طغايتمور" إلى مازندران و"أرغونشاه" إلى "نسا" .

(٢) يلسمي : أحوال ابن يمين ص٤٨.

(٣) كان هذا في سنة ٧٤٢هـ حسب قول پطروشفسكي : نهضت سربداران ص ١١٣ نقلاً عن مجمل فصيحي

(٤) هنأه "ابن يمين" في ديوانه ص ٥٨ بالقطعة التي مطلعها:

رسيد خسرو عادل زطالع مسعود   به منتهاى مراد وبغايت مقصود

(٥) يلسمي : أحوال ابن يمين ص ٣٩.

(٦) خواندمير : حبيب السير ج٢ م٣ص ٣٦١.

(٧) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٨.

ولم تقف أطماع "مسعود" عند هذا الحد ، بل ازداد غرورًا وخيلاء ، وصمم على فتح مدينة هراة الخاضعة لآل كرت وهى الباقية له فى "خراسان" بعد أن دانت له كل من "نيسابور" و "طوس" و "جرجان" و"قهستان" . واعتقد أن تسخير باقى "خراسان" أمر ميسور ، فاكتفى بتجهيز عشرة آلاف فارس ، ثم اتجه إلى "هراة"[1] . وفي الثالث عشر من صفر سنة ٧٤٣هـ تلاقى الفريقان[2] "فريق" "مسعود" و "حسن جورى" من ناحية وفريق "هراة" تحت قيادة حاكمها "معز الدين حسين آل كرت" على بعد فرسخين من زاوه"[3] عند

"خواف"[4] ، وفيها دعا "مسعود" شاعرنا "ابن يمين" إلى هذه الرحلة، وطلب له جوادًا[5] بعد أن شكا له الشاعر فرسه :

---

(١) خواندمير : حبيب السير ج٢ م٣ص ٣٦٠.

(٢) يرى ميرخوند فى روضة الصفا ج٤ ص٦٨١ أن سبب المعركة يرجع إلى دعوة "معز الدين حسين" لنفسه بملك الإسلام ، وسعيه فى تخريب بلاد المسلمين، وقتله للرسولين اللذين بعثهما "مسعود وحسن جورى" إليه واتجه إلى محاربتهما ، ولكننى أميل إلى أن سبب المعركة – كما أسلفت – يعود إلى رغبة "مسعود" فى توسيع دائرة ملكه ، خاصة أن ميرخوند يقول فى الصفحة نفسها من المرجع نفسه إن بعض المؤرخين قالوا إنه حينما تمكن "مسعود وشيخ حسن" من ولاية بيهق سيطر على تفكيرهم رغبة تسخير "هراة" .

(٣) من رساتيق نيسابور وكورة من كورها (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٣٧١ . مطبعة السعادة ط ١٠ سنة ١٣٢٣)، ويقول البيهقى : إنها سميت بذلك؛ لأن المدخل إليها من كل ناحية من الشعاب ، تشتمل على مائتين وعشرين قرية، وقد حول كثير من قراها إلى الرخ وربع الشامات وقصبتها بيشك (السابق والصفحة نفسها) ويحدها من الشرق أعمال جام وباخرز ، ومن الغرب أعمال قهستان، ومن الشمال أعمال نيسابور، ومن الجنوب أعمال خواف (جغرفياى حافظ أبروقسمت ومن خراسان هرات ص س چهار).
(انتشارات بنياد فرهنگ ايران ١٣٣٩).

(٤) قصبه كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة والآخر بزوزن يشتمل على مائتى قرية (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٤٧٩).

(٥) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٥٠.

"أيها الملك الموفق "مسعود" يا من طالعك مسعود كاسمك" .
"كيف يكون لخادمك جواد كسول ، معوج السلوك كوزير الشطرنج"
"كل من يمتطي صهوته راكبًا ، هو في عداد المترجلين معدود" .
"إذا أنعمت عليَّ بفرسٍ ، أصير به لدى الحساد محسودًا " .

"أنثر من القلب الطاهر في مديحك جوهرًا منضودًا مثل السيل"[1] .

وفي بداية المعركة كان النصر حليف "مسعود" الذي أسرع بإصدار أمر بقتل "شيخ حسن جوري"؛ ونفذ أحد أتباعه ويُدعى "نصر الله جويني" هذا الأمر . بيد أن آل كرت تجمعوا مرة أخرى واستطاعوا أن يهزموا السربدارية ، ويرجع بطروشفسكي سبب الهزيمة إلى الخوف الذي بثَّه مقتل "شيخ حسن جوري" في أوصال الجنود فولوا مدبرين[2] .

واضطر "مسعود" إلى رفع نعش "شيخ حسن"وخزائن الجنود ، وولَّى هاربًا[3] ، وأسر من أتباعه جمع كثير من بينهم شاعرنا "ابن يمين" الذي فقد

---

(1) الديوان ص ٣٦٥ قطعة ٢١٢.

أى شه كامران وجيه الدين	أى چونلم تو طلعت مسعود
چاكرت لاشه اسبكي دارد	همچو فرزينش كژروى معهود
هركه گردد بروسوار بود	در عداد پيادگان معدود
گربچاكر دهى چنان اسبى	كه شوم نزد حاسدان محسود
سيل آسا فشانم از دل پاك	در مديح توگوهر منضود

(2) بطروشفسكي : نهضت سربداران ص ٦٥ .

(3) يقول ياسمي في أحوال ابن يمين ص ٥١ إن "ابن يمين" أنشد الأبيات التالية عن المعركة:

گرخسروكرت برد ايران نزدى	وزتيغ يلى گردن ايشان نزدى
ازبيم سنان سربداران تاحشر	يك ترك دگر خيمه بايران نزدى

ديوان أشعاره فى المعركة" [1]، وعاش فترة مع "آل كرت" ثم عاد إلى "سبزوار" ، كما سيأتى .

ولقد أثار مقتل "شيخ حسن الجورى" بأمر "مسعود" دهشتى، وحاولت جهدى معرفة السبب، ولكن المراجع بخلت بالرد علىّ بسبب اهتمام مؤلفيها بالحكام والأمراء فقط . ولهذا فما أرجحه هو أن السبب ربما يعود إلى اعتقاد "مسعود" بأن "شيخ حسن" يشكل خطورة عليه وعلى حكمه وسلطانه، وأن كلمته أكثر نفاذًا لدى الناس من كلمته، فانتهز فرصة المعركة ليتخلص منه ، ويشيع بين مريديه أنه قتل فيأمن شرهم .وأدلتى على ذلك هى :

أولاً : أنه تخلص منه فى الجولة الأولى للمعركة بعد أن اعتقد أن الأمر دان له والنصر اقترب .

ثانيًا : إذا علمنا أن "مسعودًا" أنقذ "شيخ حسن" من سجن "أرغونشاه" لا حبًا فيه بقدر ما هو من أجل الاستفادة به فى مواجهة "أرغونشاه" و "نيسابور"، ويستميل به عامة "سبزوار" – وبخاصة أنها أكبر مراكز التشيع فى ذلك الوقت – لرجح ما نراه .

ثالثًا : كان الخلاف قد دبَّ دبيبه بينهما من قبل، وانقسما إلى طائفتين : طائفة "الشيخ حسن"وتُدعى طائفة الشيوخ، وطائفة "مسعود" وهى السربدارية[2] .

عاد "مسعود" منهزمًا إلى "سبزوار"، ولكن هذه الهزيمة لم تُثنِ من عزيمته عن مواصلة شق طريقه ، ولكى يتلافى آثار

ولقد بحثت عن هذه الأبيات فى ديوان الشاعر فلم أجد لها أثرًا ، ولقد ذكرها صاحب روضة الصفا ج٤ ص٦٨٢ فى صدد حديثه عن هذا الموضوع ، ولم ينسبها إلى أحد .

(٤) خواندمير : حبيب السير ج٢ م٣ص ٣٨٦ .

(١) بطروشفسكى : نهضت سربداران ص ٦٠ نقلا عن حافظ أبرو.

الهزيمة، حاول الاستيلاء على "مازندران" عوضًا عن "هراة"[1]، ولكنه كمن استعاض عن الرمضاء بالنار ؛ إذ هزم فيها وهرب متجهًا إلى "رستمدار"، وأعمل فيها سيفه ، وقُتل من أتباعه وأُسر الكثيرون ، وفرّ مرة أخرى، ولكن جنود "شرف الدولة كستهم" قبضوا عليه في قرية "بانور" وحملوه إلى "جلال الدولة اسكندر" ثم قتلوه، وكان ذلك في سنة ٧٤٣هـ ، وتولى حكم السربدارية بعده "محمد آتيمور"، وبعد وفاة "مسعود" دبَّ في أوصال الدولة دبيب الضعف بسبب ضعف من تولى الحكم بعده .

(٢) يرى صاحب حبيب السير ج٢ م٣ ص٣٥٨ أن "مسعودًا" حارب "على كاون" بعد أن هزم في "زاوه" . ولكنني أرجح أن "مسعودًا" حاربه قبل حرب "زاوه" لا بعدها ، معتمدًا في ذلك على مصدرين أوثق، وهما: مجمل فصيحي، وروضة الصفا .

الفصل الثانى

الجانبان الاجتماعى والثقافى

إذا كان حديثنا فيما مضى قد اقتصر على إمارة (السربدارية) دون باقى الإمارات الأخرى – لاعتبارات ذكرناها – فلن نسير – فى هذا الفصل – على هدى هذا القبس؛ إذ إن (السربدارية) إمارة من إمارات عاشت فى عصر شمله الإعصار المغولى المدمر ، وشمل بالتخريب إيران عامة وخراسان خاصة ، وبثَّ الحرب فى كل موضع ، فانتشر الفساد الخلقى ، وتصدع البنيان الاجتماعى ، ورغم هذا ارتقت الحياة الحضارية فى هذا العصر ارتقاءً عظيمًا . ولهذا سنحاول – قدر استطاعتنا – أن نوضح حالة العصر من الوجهتين الاجتماعية والثقافية تحت الإطار الحضارى له .

الجانب الاجتماعى :

لقد كانت حملة المغول بمثابة صاعقة سماوية هبطت على رؤوس الخلق بسرعة وعنف ، جعلتهم طعمة للعدم دفعة واحدة [١] ، وكان قادة المغول الذين أخذوا على عاتقهم عملية تنظيم أمور الدولة ، يتنزعون بالحرب على الدولم ، وينشرون القتل فى كل موضع ، ويسعون إلى تهيئة المصائب والبلاء للناس[٢]. والنتيجة الطبيعية لهذه الحملات المغولية المتوحشة التى استمرت فترة

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران : جلد سوم ص ٤٢ قسمت اول . انتشارات ابن سينا . سال ١٣٥١ .

(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها .

ليست بالقصيرة أن تصدع البناء الاجتماعى الإيرانى ، واستشرى الفساد والانحطاط الاجتماعى فى أرجائه[1] .

وعلى الرغم من قوة الإسلام فى هذا العصر ، وتغلب مبادئه السامية على نظم المغول ومعتقـداتهم ، واحتوائه للمغـول بين طياته ، فإن حكام المغول تمسكوا ببعض مبادئهم ، ونظمهم الصحراوية، ولم يقدروا على التخلص منها ، وبخاصة قانون (الياسا) الذى يعده – نبيح الله صفا[2] – وسيلة قضى به المغول على العادات الإيرانية ورسومها ، وأضاعوا تشكيلاتها الاجتماعية المنظمة . وقد مر علينا أن (أبا سعيد) – رغم تمسكه بتعالم الإسلام حين تزوج من (بغداد خاتون) بعد مرور عدتها– كان قد أجبر زوجها على تطليقها حسب قانون (الياسا) المغولى .

" وحينما لم يبق للمغول الإيلخانيين خلافة ، استقل كل واحد من الأمراء الكبار ، بجزء من المملكة ، حاكمًا على العرش فى كل ولاية . وفى هـذا العام – سنة ٧٣٦هـ – تغير الوضع الإيرانى فجأة ؛ إذ اهتز مركز السلطة ، وكما يقول صـاحب (مطلع السعدين) إن من مصـادفات هـذا العام مولد أمير (تيمور كوركان) الذى ضم إليه مملكة إيران زهاء نصف قرن بعد أن أطاح بالملوك الصغار ؛ فلقد أشعلت سنه ٧٣٦هـ ، وهى سنة وفاة أبى سعيد – نيران الوغى فى كل موضع ، وأراق الأمراء – الكبار منهم والصغار – الدماء على ناصية الأجزاء المقسمة ، وخربوا مدنها " [3] .

---

(١) السابق ص ٧١ .

(٢) السابق ص ٧٢ .

(٣) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٢ .

ففي هذه الفترة التي كانت تتغير فيها خريطة " خراسان "، ويتقاسمها ملوك الطوائف - كما ذكرنا - عم الاضطراب إيران ، وشملته الفوضى لافتقاره إلى الحاكم القوى الذى يستطيع أن يقبض على زمام الأمور بقوة . لهذا لا نعجب أن تولى سبعة من أعقاب " جنكيزخان " عرش إيران فى فترة وجيزة لا تتعدى العام بقليل ، وقد كان مصيرهم - كما يقول الشواربى [١] - معلقاً بمصير من يولونهم ، وقد انتهى أمرهم فى أغلب الأحيان بالقتل أو العزل : أجلس الوزير "غياث الدين " " ارپاخان " على عرش السلطنة ، دعا الأمير "عليشاه " " حاكم ديار بكر " " موسى خان " ملكًا وأغار على " ارپاخان " وهزمه فى ١٧ رمضان سنة ٧٣٦هـ ، وأجلس " موسى خان " على العرش فى شوال من العام نفسه ، وفى ٤ ذى الحجة من العام نفسه ظهر " حسن الإيلخانى " وأجلس " محمد خان " على العرش ، وقتل " موسى خان "، وفى سنة ٧٣٧هـ دعا أمراء خراسان " طغايتمور " سلطانًا ، وحضر إلى السلطانية فى شهر شعبان من العام نفسه . وفى ١٥ ذى القعدة هزم جيش " طغايتمور " فى مراغه ، وفى ٢٠ ذى الحجة ظهر شيخ " حسن چوبانى - حسن كوچك " من بلاد الروم، وهزم " حسن الإيلخانى " وقتل " محمد خان "، وفى سنة ٧٣٩ هـ أجلس " ساتى بيك " ابنة " اولجايتو " على العرش، واستولى على آذربيجان"[٢].

وفى تلك الأثناء كانت خراسان قد وقعت - بصورة أشد من المناطق الأخرى - فريسة فى أيدى ملوك الطوائف الذين أقاموا على أرضها دويلات عدة ،

(١) الشواربى : حافظ الشيرازى ص ٦٩ .

(٢) خواندمير : حبيب السير ج ١م ٣ص ٢٢١ وما بعدها . ياسمى: أحوال ابن يمين ص٢٣. الشواربى : حافظ ص ٦٩ وما بعدها .

واهتزت كل قطعة من أراضيها تحت وطأة قدرتهم ، وأتلفوا عمرها فى صراع مع الولايات المجاورة (١) .

وأمام هذا كله لا نعجب أن نرى القرن الثامن عصرًا مليئًا بالفتن والمشاحنات ، عصرًا لا يعرف معنى للهدوء والاستقرار ، انقسمت فيه إيران إلى هــذه الإمارات الأربع ، فاستقر " آل كرت " فى " هراة "، و"السربداريون" فى " سبزوار " ، و" الجلايريون " فى " تبريز وبغداد " ، و" آل المظفر " فى "شيرا". وأخذوا جميعًا يتنافسون، ويتحاربون. يتنافسون فى كل شيء، ويتحاربون فى كل ميدان (٢) .

وانعكست هذه الأحداث السياسية على الوضع الاجتماعى ؛ إذ انتشر القحط والغلاء والفقر والتسول والأمراض المتنوعة ، ومن بقي من الرعية على قيد الحياة كان يعيش فى أكثر الفترات الأخلاقية والاجتماعية حقارة ، والتى – أى تلك الفترات – هى النتيجة الطبيعية لتلك الأوضاع والأحوال بالصورة التى تجعل هؤلاء المظلومين المغلوبين على أمرهم يذكرون أيام المغول بالخير، ويترحمون على أيام حكمهم (٣).

ودائمًا ما تراق الدماء بين هذه الإمارات الصغيرة ، وبين أبناء كل إمارة من هذه الدويلات ، وقد جعل أولياء العهد " خراسان " ميدان حرب وقتال ونزاع ، وما أكثر أن تنتقل الجيوش – صغيرة كانت أم كبيرة – من مدينة إلى مدينة كل عام بضع مرات ، تدمر القرى والقصبات ، وتسويها بالتراب ، وتهدم القلاع المهمة التى كانت مأمنًا للمتمردين ، وفى النهاية لم يعد لدى أى شخص

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٤ .

(٢) الشواربى : حافظ ص ١٦٦ .

(٣) قاسم غنى : بحث در آثار وأفكار عصر حافظ . جلد أول ص ٣٦ .

رغبة فى الاستحواذ على أى شىء ، وكيف ؟ وهو يرى الغنى يتلف الروح ، والشرف والفقر يؤمنان له حياته [١] .

ويصور " ابن يمين " فساد هذا الوضع شاكرًا الله أن جعله فقيرًا معدمًا، ما دام الفقر مأمنًا للروح والغنى مبددًا لها؛ فيقول [٢] :

" شكرًا لله كثيرًا أن صرت معدمًا فى هذه الأيام مثل شجرة صندل"

" فإذا كان ما أملكه شبيهًا بالورد ، فإن يد الدنيا تأبى إلا أن تضع لى الشوك فيـــه "

" فما تظفر به بالنسبة لمن يملكون الذهب إن هو إلا عديد من التعذيب والإيذاء "

" وأنا إن صرت الآن معدمًا وذا ألف عيب وعورة "

" شكرًا لله على ذلك دومًا ، ففى هذه الفترة والأمور فيها متقلبة "

" رغمًا عن قلة ما أملك ، فإن مكسبى – على الأقل – عذاب كثير "

ويقول – عباس إقبال [٣] – إن المراجع التى تناولت تاريخ إيران فى هذه الفترة التى تقع بين وفاة (أبى سعيد) آخر ملوك الإيلخانيين وبين قدوم (أمير تيمورجورجان) تحتوى على تفصيلات عدة من اضطراب عجيب حدث

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٤ .

(٢) الديوان ص ٤٢٤ قطعة رقم ٤٣٧ والنص هو :

شكرها ميكنم درين ايام	كه تهيدست گشته ام چوچنار
زآنكه چون گل اگرزرم بودى	دست گيتى مرا نهادى خار
بستدى بصد شكنجه وچوب	بقياس جماعت ز ردار
من چنين گشتمى كه اكنونم	مفلس وباهزار عيب وعوار
شكر ايزد بران هميگويم	كه درين فترت وتقلب كار
گرچه اندك بضاعتم بارى	سودم آمد شكنجه* بسيار

(٣) مقدمة كليات عبيد زاكانى : تقديم عباس اقبال اشتيانى ص (ق) . انتشار اقبال . سومين چاب ارديبهشت ١٣٣٢ .

فيها على أثر قيام عدد من مظلومى السلطة والصراع الدائم بينهم ، وعن المصائب التى ألمت بالرعية فى هذه الفترة المتلاحقة الأحداث وعن الخراب الذى أصاب المناطق المعمورة .

وقد تبين لنا فى حديثنا السالف عن دولة (السربدارية) مدى الفساد الذى توغلت جذوره فى تربتها على أنه النتيجة الطبيعية لاضطراب أوضاع المجتمع سياسيًا ، وللصراع الطائفى الذى برز من وجود طائفتين تحكمان الدولة : طائفة السربدارية التى ضمت إليها القادة والأمراء وصغار الملاك وكثيرًا من المغلوبين على أمرهم من القرويين ، والطائفة الشيخية التى تحتوى على المتصوفة الدراويش أتباع (شيخ حسن) ذات الكلمة النافذة بين عامة الشعب، والتى ضمت إليها الحرفيين أيضًا وولت بعضًا منهم الحكم دون دراية منهم بأصوله ، وما كان ذلك إلا لأنهم يتبعونهم . وكما سيتضح لنا عند الحديث فى الجانب الثقافى فإن الصوفية قد وجدوا لأنفسهم مركزًا اجتماعيًا مرموقًا ، ونفوذًا سياسيًا لم يتوافر لهم من قبل ، فسعوا إلى جمع الناس حولهم بنشر أسس التصوف ومصطلحاته ، خاصة وأن عامة الناس التفوا حولهم هربًا من اعتساف المغول .

وكان وطيس الحرب يشتد بين الطائفتين ، السربدارية والشيخية ، كل يسعى إلى أن يولى العرش من يتبعه ، ويعزل من يحيد عن طريقه ونتج عن هذا دويلة ، الحرب شغلها الشاغل ، والنزاع هدفها المنشود . وفى ظل الحرب ينتشر الفساد وتنحدر الأخلاق ، وتعم الرذيلة ، - وكما مر - ألقى " شمس الدين على " إبان حكمه فى السجن قرابة خمسمائة زانية سبزوارية، ووضع حدًا لانتشار احتساء الخمر وتعاطى الحشيش .

ومن الطبيعى أمام هذا الصراع الطائفى أن تنقسم الدويلة إلى طبقتين تفصل بينهما هوة واسعة : طبقة الحكام والإقطاعيين، وهذه استحوذت على كل شيء ، ولا تطيق رؤية غنى ، وطبقة العوام التى تحيا فى فقر مدقع .

ويضيق "ابن يمين" ذرعًا بهذا الوجود الطبقى ، ويضيق بأصحاب الثراء الفاحش ، الذين يضنون على الطبقة الفقيرة التى لا تجد حتى قوت يومها، وهما أبناء أمة واحدة ودين واحد ، مما دفعه إلى تحبيذ الالتجاء إلى اليهود – المعروفين بشدة البخل – فهم – فى رأيه – ألين قلبًا من أبناء دينه وأكثر رحمة؛ فيقول :

" لن تصير غنيًّا بقطعك شوط الأمل فيه ، ألا تقيم على أعتاب القناعة إذن ؟ "

" لا تمضِ إلى أعتاب الخلق متبخترًا ، لأنك بذلك ستجعل الحياة والعيش كليهما حرامًا "

" عندما تظفر ببقرتين ومزرعة ، أطلق على الأولى لقب أمير والأخرى لقب وزير "

" أن تقنع بالخبز الجاف الذى يحصُل منه الحلال عن ألذ لقمة حرام "

" وإذا لم يسد الكفافُ رمقك وتتجه صوب اليهود وتقترض منهم عشاء ليلة "

" فهذا أفضل ألف مرة من أن تتهيأ فى الصباح، وتلقى السلام على من هم على شاكلتك " (١)

---

(١) الديوان ص ٥٢٨ قطعة رقم ٨١٩ والنص :

بقطع راه دراز درامل غنى نشوى	برآستان قناعت مگر مقام كنى
مرو بعجب وتكبر برآستانه' خلق	كه زند گانى وعيشت همه حرام كنى
دوتارى گاوبدست آورى ومزرعه لى	يكى امير ودگر راوزير نام كنى
بنان خشك وحلالى كزوشود حاصل	قناعت ازشكرين لقمه حرام كنى
وگركفاف معاشت نميشود حاصل	روى وشام شبى ازجهود وام كنى
هزار بارزآن به كه بامداد پگاه	كمر ببندى وبرچون خودى سلام كنى

ولم تنفرد " السربدارية " فقط بهذا الانحلال والفساد والوجود الطبقى ، بل شمل كل ذلك باقى الدويلات الأخرى . ومن ذلك قول – ياسمى – إذا وقع النظر على الدويلات الصغيرة أمثال آل مظفر ، وآل كرت، وآل جلاير ، وأمراء مازندران . يلاحظ أن هذه الأحداث نفسها شملت كل أجزاء إيران بلا استثناء ، وأحاط الاضطراب والفوضى كل نواحى المملكة، وجعلتها أشبه بطوفان البحار الذى ظهرت تماسيحه الشرسة من كل صوب ، وتظل هذه الحالات تغوص وتظهر دائمًا أبدًا طيلة نصف قرن ، وهكذا كان الشعب يعيش فى تعب وعنت [1] .

فدولة آل مظفر –على سبيل المثال– ما كان حكامهم – كما يقول الشواربى – " إلا جماعة من الرجال أفسدتهم المطامع، ولعبت بهم الأغراض والنوازع ، فتبعوا أهواءهم، واستبدت بهم شهواتهم، وطغت عليهم نزعاتهم ، فالتمسوا ما يطلبون بكافة الطرق، واستباحوا لأنفسهم سائر الوسائل التى توصلهم إلى السلطة والجاه " [2] .

ووصل الانحلال الخلقى فى المجتمع إلى درجة أن الابن لم يعد يرعى حرمة والده، ولم يتورع عن سمل عينيه ، مثلما فعل " شاه شجاع " مع أبيه " مبارز الدين " فى ١١ رمضان سنة ٧٦٠هـ بعد أن حبسه فى " قلعة طبرك "[3]. وخشى أن يقوم ابنه " سلطان شبلى " بنفس الصنيع الذى صنعه مع أبيه ، فقبض عليه وحبسه فى قلعة " اقليدفارس "، وسمل عينيه بعد يومين " [4].

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٣ .

(٢) الشواربى : أغانى شيراز . الجزء الأول ص ٥ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤ . القاهرة

(٣) حسينطى ستوده : تاريخ آل مظفر . جلد أول ص ١١٩ انتشارات دانشگاه تهران ١١٤٥/١ آذرماه ١٣٤٦

(٤) السابق ص ١٩٦ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل إلى أن تعمد زوجة إلى زوجها مثل الملكة " عزت " فتشد على خصيتيه حتى الموت خشية أن يعرف بصلتها المريبة الخفية " بيعقوب شاه "[1]، وأن يجبر سلطان زوجًا على تطليق زوجته ليتزوجها – حسب قانون الياسا المغولى – مثلما فعل " أبو سعيد " مع حسن الجلايرى وزوجته " بغداد خاتون " .

وفى نصف القرن هذا المليء بالاضطراب قضى " ابن يمين " شطرًا من شبابه وباقى شيخوخته ، فلا داعى للعجب إذا نصح الخلق بترك الدنيا ، دعاهم إلى القناعة، وتحمل عبء الحياة المرة . وإذا أكثر من مدح الأمراء من أجل أن يعيش ، فليس ثمة مجال للبحث فى هذا ؛ ذلك لأنه لا يوجد ما يُؤمِّن الحياة فى هذا العصر المتقلب سوى التعلق بأهداب أحد الأمراء المغيرين[2]، وسيأتى الحديث عن ذلك .

وعندى أن " ابن يمين " نتاج هذا العصر ووليده ؛ إذ إن السمة الغالبة فى أشعاره هى النصح والإرشاد والدعوة إلى القناعة والزهد والعزوف عن هذه الدنيا الغرورة . وكيف لا وهو يرى أمامه مجتمعًا منحلاً تتلاعب به الأهواء والأغراض ، وحكامًا لا يسعون إلا إلى ما فيه نفع لهم وإثراء ، ويغمضون أعينهم عن مناظر الفقر ، ويسدون آذانهم عن صيحات استجداء المعدمين ، وشعبًا يجد فى الثراء سيفًا مصلتًا يهدد أعناقهم وفى الفقر مأمنًا . وأمام هذا كله اتخذ " ابن يمين " من نفسه إمامًا هاديًا يرشد القوم وينصحهم بمقطعاته الأخلاقية ، يمس بها الموضوعات دون الاستغراق فى التفصيل ، ولم يجعل من نفسه طبيبًا يقبض على المبضع بأنامله يعالج به مرضاه ويداوى جروحهم ، بل

---

(۱) شرفخان البدليسى : شرفنامه (الترجمة العربية) ص ٤١ .

(۲) يلسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٤ .

هيّأ من نفسه مرشدًا منبهًا إلى خطورة ما أمامه فحسب – كما سيأتى فى الباب الثالث .

وليس فقط " ابن يمين " هو الذى تناول فساد المجتمع المستشرى، بل وُجِد معه شعراء آخرون – أمثال " سعدى " و" عبيد زاكانى " و" حافظ شيرازى " و" أوحدى مراغى " وغيرهم – كما سيأتى – لم يعيشوا فى بروج عاجية شيدها لهم مدح الحكام والأمراء مثلما كان يفعل الشعراء فى العصور السابقة ، بل دارت الغالبية من أشعارهم حول مجتمعهم وأحداثه بما يمكن أن يسمى " بالشعر الاجتماعى والأخلاقى " .

وينقل – ذبيح الله صفا – رواية حدثت لــ " عبيد زاكانى ت ٧٧٢هـــ" تبين إلى أى مدى كان الفساد مستشريًا فى المجتمع ومنتشرًا – فى هذه الفترة – والعلم ممتهنًا لدى الحكام الذين شغلوا بلذاتهم ، وتفضيلهم جلسة المضحكين والمسخرين عن العلماء : قيل إن "عبيدًا" صنف نسخة فى علم المعانى والبيان باسم " شاه أبى إسحاق " وأراد عرضها عليه ، ولكنه منع من الدخول بحجة أن " الشاه " مشغول بلقاء مضحكه ، فعاد متغنيًا بهذا الرباعى :

" لا تصرْ مثلى ذا باع فى العلم والفن حتى لا تذل مثلى لدى الأعزاء "

" أتريد أن تكون أكثر قبولاً لدى الأرباب ، تصنع الصمم ، وكنْ مطربًا وعازفًا " [1] .

ويبدع رشيد ياسمى – فى تصوير هذا العصر أو هذه الفترة – بمعنى أدق – بكلمة تكفى وحدها لأن تبين حالته والحالة التى كان عليها ملوك الطوائف؛ فيقول :

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات . جلد سوم . بخش دوم ص ٩٦٧ :

در علم وهنرمشو چو من صاحب فن   تانزد عزيزان نشوى خوار چومن

خواهى كه شـــوى اربـــاب زمن   كنك آور كنگرى كن وكنگـــرزن

"وعاش الخلق فى فترة ضاقوا بما فيها ومن فيها ، حتى إنه حينما تدفق " تيمور" من شمال شرق إيران مثل السيل العرم ، وشيد المنارات من الإيرانيين ، ارتاحت كل نفس ، وأمل الخلق فى الحياة فى ظل هذا الجبروت الذى قصر أيدى الإجحاف المحلى ؛ ذلك لأن هذا السيل التيمورى كان يحفظ روح الشخص وماله فى مقابل الطاعة والانقياد فقط . وكان بوسع أى شخص أن يرفع رأسه بعد عبور هذا السيل وينجو من التدمير ، طالما لم يتمرد ويعترض طريقه ، ولكن هؤلاء الأمراء المحليين النهمين – الذين كانوا يعيشون على مال الرعية ذوى الفقر المدقع – لم يبقوا على شىء ، بل ولم يطيقوا رؤية غنى سواء أكان صديقًا أم عدوًا ، غريبًا أم قريبًا " [1].

الجانب الثقافى :

ينبغى أن أنبه – بدءًا – إلى أن ما سوف أتناوله بالحديث عن الناحية الثقافية – باعتبارها جزءًا من الحضارة – لهذا العصر ، لن يشمل كل ما يتصل به من علوم وآداب وفنون وغيره ، فهذا يمكن الرجوع إليه فى المصادر والمراجع التى كتبت عنه ، بل سوف أحاول جاهدا أن أقدم صورة مبسطة – حسب منهج هذا البحث – لطبيعة هذه الحضارة ، والعوامل التى ساعدت على مسيرها ، مع التفصيل – نسبيًا – فى الجانب الثقافى وبخاصة فى الشعر بأغراضه لنقف من خلاله على مدى تأثر شاعرنا بهذا المناخ الحضارى أو تأثيره فيه من الوجهة الفنية .

تطالعنا المراجع التى تناولت هذا العصر ، بتصوير تئن له القلوب عما قاسته الأمة الإسلامية عامة ، والشعب الإيرانى خاصة ، من ويلات الحملة المغولية وشرورها ، بل يعدونها واحدة من مصائب الدهر العاتية التى لم تلم

---

(1) بلشمى : أحوال ابن يمين ص ٢٣ .

بإيران فحسب ، بل شملت بالتخريب جزءًا مهمًا من آسيا وأوروبا ، وسوَّت كل مدن شمال إيران بالثرى ، ودمرت كل موضع تطأه بأقدامها ، وأطاحت برؤوس ساكنيه .

ومع هذا التخريب السياسى المدمر ، نفاجأ بأن هذا العصر يعد واحدًا من أهم العصور الإيرانية من الوجهة الحضارية ، نظرًا لبلوغ علومه وآدابه حد الامتياز ، وظهور شعَراء مفلقين أمثال : العطار (ت ٦١٨هـ) ، والمولوى (ت ٦٧٢هـ) شيخ سعدى (ت ٦٩٤هـ) ،ابن يمين (ت ٧٦٩هـ)، وخواجه حافظ (ت ٧٩١هـ)وغيرهم ، وكتاب أفذاذ أمثال محمد عوفى (ت أواسط القرن السابع) شمس قيس الرازى (ت أوساط القرن السابع) ،حمد الله مستوفى (ت ٧٥٠هـ) ،عطا ملك جوينى (ت ٦٨١هـ) ،رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ)وغيرهم ، وعلماء وفضلاء جهابذة أمثال " بابا أفضل كاشى " (ت٧٠٧هـ) ،والعلامة الحلى (ت ٧٢٦هـ) ، وقاضى عضد الدين ايجى (ت ٧٥٦ هـ)وغيرهم ، عاشوا فى كنفه رغم مساوئه السياسة وموبقاته الاجتماعية ، حتى شهد له المستشرقون وعلى رأسهم " بارتولد "؛ حيث يقول " وإن كان فى تاريخ إيران عهد وقف فيه الشعب الإيرانى فى الصف الأول من حضارة العالم فهو العهد المغولى ، مع أن كثيرًا من العلماء يذهبون إلى أن المغول لم يعملوا فى إيران غير تخريب الحضارة " [(١)] .

وأمام عصرٍ الوجه الأول لعملته تخريب " سياسى " والوجه الآخر رقى " حضارى " ، يبدو الأمر متناقضا . ولكن هذا التناقض سرعان ما يزول إذا لم نربط بين الناحيتين السياسية والعلمية ربطًا يفهم منه أنه كلما وجد تدمير

---

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية . ترجمة حمزة الطاهر ص ١٢٨ ، ط دار المعارف بمصر سنة ١٣٥٨ الطبعة الثالثة .

وتخريب وجد بالضرورة تأخر فى الحضارة؛ فليس شرطًا أن تتحكم العوامل السياسية فى حضارة البيئة دائمًا ، ولا تزدهر حضارة أمة إلا فى فترة رخاء ودعة ؛ فمن الجائز أن ترقى أمم حضاريًا فى فترة ضعف سياسى " فتيار الحضارة إنما يندفع بالقوة الكامنة المتوارثة فى الأمم أو فى الشعوب وطبيعة وضعها من جانب ، وبين ما ينطوى فى طبائع حكامها من جانب آخر " [١] ، وهذا ما يعبر عنه " عزام " بقوله " لا يجوز أن نلتمس فى التاريخ مسايرة رقى العلوم وتدليها للقوة السياسية والضعف ، وأن يكون لاضطراب السياسة أثر سيئ فى العلوم والآداب " ولاستقرارهما أثر حسن فيهما " [٢] .

فهناك عوامل عـدة تضافرت علـى دفـع التيار الحضارى لهذا العصر [٣]، كان للمغول أنفسهم دور كبير فيه رغـم المبالغة لـدى بعض الكتاب [٤] ، فى تصوير أعمالهم الوحشية على أنه كان لها تأثيرها البالغ تجاه الحضارة الإيرانية، تمثل فى إبادة العديد من العلماء والأدباء والشعراء ، ودفع أعداد منهم إلى الهرب خارج إيران ، وتدمير المساجد والمدارس والمكتبات ، وتسوية مراكز ما وراء النهر وخوارزم وخراسان العلمية والتعليمية بالتراب .

ومن أقوال المؤرخين والكُتّاب يمكن أن نستشف أسباب الرواج الحضارى لهذا العصر رغم الملمات السياسية الوبيلة التى ألمت به :

---

(١) د. محمد موسى هنداوى : سعدى الشيرازى ، ص ٥٣ ، ط مصر سنة ١٩٥١م .

(٢) د. عبد الوهاب عزام : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ص ٩ ، مطبعة الجزيرة ، بغداد ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .

(٣) للدكتور محمد موسى هنداوى دراسة حول هذا الموضوع فى كتابه " سعدى الشيرازى "، وقد استفدنا من بعضها .

(٤) منهم رضا زاده : تاريخ ادبيات ايران ص٢٥٩. پازوكى : تاريخ إيران ص١٦١ . شبلى النعمانى : شعر العجم جلد دوم ت فخر داعى ص١ تهران ١٣٢٧ش . قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص٦٩٧، ترجمة صادق نشأت ، طبع مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٧٢م.

أولاً : قرب هذا العصر من النهضة العلمية والأدبية فى العصر العباسى ، كما يرى – قاسم غنى – الذى يضيف قائلاً " ورغم التطورات التى طرأت فى القرن الخامس والسادس، فإن خط الرجعة لم ينقطع بينهما وبين ذلك العصر ، ولهذا فعلماء هذا العصر أمثال الرومى وسعدى وعطا ملك ورشيد الدين هم ثمرة لتدفق حضارة القرون السابقة " (١) .

ويذكر " قاسم غنى " – فى الصفحة نفسها – الدور المؤثر للمغول فى مسيرة الحضارة ، ويتفق معه فى هذا " عباس اقبال " (٢) ، ويريان أن الآثار السيئة لحملة المغول الوحشية لم يظهر أثرها بعد ، ولكن ظهر فى أيام حكم سلاطين الصفويين والإفشاريين ممثلاً فى الانحطاط العلمى والأدبى الذى يعود إلى مخلفات حملات المغول والتيموريين المخربة على إيران ورواسبها .

وإن كان هذا رأيهما، فإن " عزام " له رأى آخر لا يرجع به هذا الانحطاط إلى المغول، بل إلى عوامل أخرى منها مثلاً قوله " إن سلاطين الصفويين كانوا حماة المذهب الشيعى فصرفوا همتهم إلى نشره وتأييده ، ودعوا الأدباء إلى مدح الأئمة العلويين ورثائهم والتحسر لما أصابهم ، ولم يشجعوا الشعراء على النظم فى فنون الشعر المألوفة التى سار عليها شعراء إيران من قبل " (٣) .

ثانيًا: نضج فى هذا العصر أساس الحضارة والعلوم والآداب الإيرانية الذى كان قد اتجه إلى الرقى فى عهد السامانيين ، وظهرت آثار ومؤلفات قيمة

---

(١) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الاسلام . ص ٦٩٧

(٢) عباس إقبال : تاريخ مفصل ايران ، عهد مغول ، جلد أول چاپ سوم ص ٤٧٩ – ١٣٣٧هـ .ش .

(٣) من مقال لـ د. عبد الوهاب عزام عن الأدب الفارسى فى كتاب " قصة الأدب فى العالم " : أحمد أمين ، زكى نجيب محمود . القسم الثانى من الجزء الثانى . ص ٥٤١. ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م .

غفلت عن قدر منها أعين المغول – مصادفة – وحمل قدر منها إلى المدن البعيدة ، كما أن فرار عدد من العلماء من أيدى جلادى المغول ، واتجاههم صوب جنوب إيران وبلاد الهند وآسيا الصغرى ساعد على نشر آدابهم وعلومهم بها [١] .

ثالثًا : استطاع الإسلام الذى كان قويًا فى هذه الفترة أن يجتذب إليه حكام المغول أمثال " غازان " و" الجايتو" و" أبى سعيد" بتشجيع من الوزراء والعمال الإيرانيين ، رغم منافسة المسيحية والبوذية لهم فى اجتذاب المغول إليهم ؛ فخفف هذا من وحشية المغول ومن تعصب مسيحية هذه الفترة ، مما اضطر الحكام الإيلخانيين إلى الاستعانة بالعلماء المسلمين أمثال الطوسى وشمس الدين الجوينى وأخيه عطا ملك ورشيد الدين فضل الله على أن يكونوا مستشارين لهم أو وزراء [٢] .

رابعًا: رغم إغفال البعض من المؤرخين والكُتَّاب الإيرانيين لدور المغول فى مسيرة هذه الحضارة إما بدافع العاطفة تجاه وطنهم المخرب أو من الربط بين الناحيتين السياسية والعلمية – كما ذكرت – فإننا لا نستطيع أن نسايرهم فى هذا الركب ؛ إذ إن المغول كان لهم دورهم المباشر وغير المباشر فى دفع عجلة التقدم فى عصرهم ، خاصة بعد اعتناقهم الإسلام وتأثرهم بالحضارة الإيرانية، "فالمغول حين قضوا على دولة ملوك خـــوارزم فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث

---

(١) رضا زاده : تاريخ ادبيات ص ٢٥٩ .

(٢) شبلى : شعر العجم ص٢ . رضـــا زاده : تاريخ ادبيات ص٢٥٩ . عباس إقبال : تاريخ مفصـــل ص٤٩٧ . أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ت حسن إبراهيم وآخرين ص١٩٠، ط الشبكشى بالأزهر بمصر سنة ١٩٤٧ ، ط٣ .

عشر الميلادى) كانوا غرباء عن المدنية ، ولم يكونوا قد أخذوا من الحضارة بنصيب وافر ، ولكنهم لم يلبثوا أن تأثروا بالثقافة الصينية فى الشرق والثقافة الإيرانية فى الغرب ، فعملوا بعد ذلك على رعاية الفنون والآداب"[1]، وإن " كان سيل التتار طاغيًا جارفًا مدمرًا ، ولكن لم يجرف كل الزروع والأشجار فى إيران ، ولم يذهب بالبذور كلها من هذه الأرض الخصبة ، فنمت على الزمان جذور ، ونبتت بذور ، فلم تعدم إيران فى عصر التتار أدبا"[2] . وهذا ما آمن به " بارتولد " فيقول " إن الزعم بأن الحياة المدنية لم تدم إلا فى البلاد التى نجت من هجمات المغول زعم خاطئ "، ويعد أن مثل لذلك دعم رأيه قائلاً " والحقيقة أن نتيجة استيلاء المغول لم تكن سيئة إلى هذا الحد وأول أسباب هذا أن الفاتحين لم يستوطنوا هذه البلاد، وقد اصطحب ملوك المغول مع قواتهم العسكرية – التى لم تكن كبيرة العدد – مستشارين فى تاريخ البلاد التى استولى عليها المغول"[3]. وعند عرضنا لبعض أنواع من المعارف الإيرانية لهذا العصر سيتضح من خلاله ما للمغول من التأثير المباشر وغير المباشر فيها .

ازداد فن " تدوين التأريخ " " تاريخ نويسى " ارتقاء فى هذا العصر ، بدافع من إيلخانى المغول وتشجيعهم ، رغبة منهم فى الاحتفاظ بأخبارهم وذكريات أجدادهم وقومهم ، وذكر الأحداث التى جرت على أيديهم ، أو على أيدى أجدادهم، متحرين الدقة فى ضبطه، لذلك دفع كل من " غازان " و"الجايتو"

---

(١) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية ص٢٧ . ط دار الكتب المصرية . القاهرة سنة ١٩٤٠.

(٢) من مقال لعبد الوهاب عزام : قصة الأدب فى العالم ص ٥٠٧ القسم الثانى من الجزء الثانى .

(٣) بارتولد : تاريخ الحضارة ص ١٢٥ .

و"أبى سعيد" ووزرائهم مؤرخى عهدهم إلى تكوين تاريخهم"[1] . ويقول بارتولد " لهذا رأى ملوك المغول فى إيران تأليف كتاب فى التاريخ جامع للروايات التاريخية لجميع الأمم التى تدخل فى الإمبراطورية المغولية أو التى لها علاقة بالمغول من الصينيين إلى الإفرنج (سكان أوروبا الغربية)، وكُلف بذلك رشيد الدين فضل الله وآخرون " [2] . ويتضح دور المغول فى مسيرة الحضارة أن نبه فى عهدهم أسرة الجوينى : شمس الدين وأخوه عطا ملك الذين راعوا السياسة والعلم، وتركوا فى التاريخ آثارا محمودة – كما يقول عزام – ويضيف " أنه كان لهذه الأسرة فضل فى تدبير الملك ورعاية العلم والأدب ، وكان فيها الأدباء والعلماء " [3] .

ونتيجة هذا الرواج لهذا الفن ظهرت كتب قيمة فى هذا العهد؛ فبالإضافة إلى جامع التواريخ وجد جها نكشا لعطا ملك ، وتاريخ وصاف لوصاف الحضرة ،وتاريخ گزيده لحمد الله ، وغيرها . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان لهم – أى المغول – تأثير غير مباشر يتضح فى الصلة التى أوجدوها بين ممالك المشرق والمغرب بعضهم ببعض عن طريق إيران ، وحضور كثير من العلماء وأرباب المعرفة من بلاد " الصين " و" أويغورى" وتبت وفرنجى والأرمن إلى عاصمة الإيلخانيين ، وانتشار معلوماتهم بين شعب إيران [4] . ويقول بازوكي " إن المغول بعد استقرارهم فى إيران أوجدوا صلة مباشرة بين ممالك شرق آسيا ونواحيها الغربية ، واختلطت الحضارتان القديمتان الصينية والإيرانية نتيجة لهذه الصلة ؛ لأن كل واحدة منهما كانت لها حضارتها المشعة،

---

(1) شبلى نعمانى : شعر العجم ص ١ .

(2) بارتولد : تاريخ الحضارة ص ١٢٩ .

(3) عبد الوهاب عزام : فى كتاب قصة الأدب فى العالم ص ٥١٤ القسم الثانى من الجزء الثانى .

(4) عباس إقبال : تاريخ مفصل ص ٤٩٦ .

وراجت حضارة كل منهما لدى الأخرى فى ظل دولة واحدة شملتهما هى دولة المغول"[1] . ولذا امتاز عصرهم فى إيران بتأثير الأساليب الفنية الصينية فى فنون إيران"[2]، وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العملية كالطب والرياضة والـــهيئة [3]، من ذلك يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن المغول بعد أن تشبعوا بالإسلام والحضارة الإيرانية ، غيرهم فى أول حملتهم ، بحيث إن ما فعلوه هم وخلفاؤهم " فى سبيل الفن وتشجيع الفنانين يجعلنا نغض الطرف عما حدث فى حروبهم الأولى من تدمير واضطهاد " [4] .

الشعر :

ظهرت بصمات المغول جلية فى شعر هذا العصر، ويبدو فيه إلى أى مدى كان لأعمالهم وتصرفاتهم أثر واضح وإن أتى عن طريق غير مباشر ليس مقصودًا، لهذا نلاحظ فى شعر هذه الفترة أغراضًا ارتقت وأخرى خبا ضوؤها.

أصاب سوق المدح فى هذا العصر الكساد، وإنما كان ذلك لافتقار حكامه إلى الذوق الأدبى ، وعزوفهم عن الاتصال بالشعر والشعراء [5] ، هذا بالإضافة إلى جهلهم للغة الفارسية وآدابها مع عدم اهتمامهم بسماع مدائح شعرائهم مثلما كان يفعل سلاطين وأمراء الإسلام [6] . وكانت آخر طبقة من هؤلاء المادحين هم مـــادحو أتابكـــة آذربيجـــان وسلاجقة الـــــعراق وآل صاعد فى أصفهـــان

---

(1) بازوكى : تاريخ إيران ازمغول تا افشاريه ص ١٧١ .

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية ص ٢٨ .

(٣) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٤٦ .

(٤) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية ص ٣٠.

(٥) شبلى النعمانى : شعر العجم ص ٤ .

(٦) عباس إقبال : تاريخ مفصل ص ٥١٣ .

والخوارزميين. وتدهور هذا النوع من الشعر بصورة كبيرة ، فلم يظهر شاعر كبير فى فن القصيد اللهم إلا واحد أو اثنان على الأكثر مثل سلمان الساوجى وأثير الدين أومانى وسيف إسفرنكى ، الذين لم يكونوا على نفس درجة شعراء القصيد فى عهد السلاجقة والأتابكة [1] ، ومن هنا نلاحظ أن شعراء مشهورين عاشوا فى هذا العصر أمثال "شيخ سعدى ، وخواجه حافظ ، ومولوى ، وأوحدى، وابن يمين" لم يكن لهم ارتباط خاص بقصور عصرهم ، أو لقب أو منصب لدي أى من سلاطين عهدهم، مما أدى إلى أن تسرى روح التحرر والاستقلال فى أشعارهم ، وإلى التحلل من قيود المدح والتملق لهذا أو ذاك . لهذا يبدو فى مقطعات شيخ سعدى وابن يمين استحسان ومدح قد مُلِئ نقدًا ومكابرة [2]. وهذا القول بالنسبة لـــ " ابن يمين " لا يؤخذ على إطلاقه، فقد كان له ارتباط محدود بأمراء عصره؛ حيث مدحهم فى بعض قصائده كما سيبدو فى موضعه، وكانت هذه مشكلة عانى منها " ابن يمين " فضيق الحياة ، وشظف العيش ، وكثرة العيال ، وسوء أحوال البلاد ، مع الصلة غير المجدية بقصور عصره وأمرائه ، كل هذا اضطره إلى أن يمتدح حكام دولته اضطرارًا عسى أن يمدوا له يد المساعدة، ولكنه وجد منهم آذانًا أصابها وقر ، فانطلق يسب ويلعن ، ولم يبق ولم يذر .

سبَّ الحياة واصفًا إياها بالتقلب، وأنها محنة تحطم حتى بين عواطف الابن تجاه أبيه؛ فقال [3] :

" أتعلم ما السبب فى أن الابن لا يحمل المنّة لأبيه ، رغم أفضاله عليه "

---

(1) السابق ص ١١٢ .

(2) شبلى نعمانى : شعر العجم ص ٤ .

(3) الديوان ص ٣١٦ قطعة رقم ١٦ والنص :

" دانى چه موجبست كه فرزند ازپدر   منست نگير دار چه فراوان دهد عطا "

" يعنى درين جهان كه محل حوادثت   دو محـــــنتى وجود افكنده نى مـــرا "

" ذلك لأنه يقول له : لقد ألقيت بى فى محنة الوجود فى هذه الدنيا التى هى موطن البلاء ".

ويرى أن الكرم ليس له وجود فيها مثل الكيمياء والعنقاء الوهميين؛ فيقول [1] :

" أيها القلب لا تبحث فى هذه الدنيا عن كريم ، لأنك لن تظفر به "

" فلن تجد فيها ثالثًا للكيمياء والعنقاء سوى الكرم "

لهذا لم يتورع أن يصيح سابًا هؤلاء الحكام الأخِسَّاء اللصوص ، وخاصة بعد أن قرأ فى كتب التاريخ عن الهبات التى كان يجزلها الأمراء السابقون لشعرائهم فيقول متهكمًا [2]:

" ولكن عظماء عصرنا هذا الذين يصقلون مرآة القلب "

" هكذا هم يسرقون الجمعة من الأسبوع من أجل توفيره "

" وكل من يمدح أمثالهم فهو كمَن يضع حلوى اللوزينج على صدر الثور ".

ويصرخ من أعماقه [3] :

" إذا أمعنت التأمل فى منفعة الثور ومدح الملك "

فإن خدمة ثور واحد أفضل من مدح مائة ملك "

---

(1) الديوان ص ٣٢٧ قطعة رقم ٦٢ والنص :

" ایدل اندرجهان کریم مجوی | کاندرین عهد آن نخواهی یافت "
" جزکرم کیمیا وعنقارا | ثالثی درجهان نخواهی یافت "

(2) الديوان ص ٣١٦ قطعة رقم ١٨ والنص :

" ولیکن بزرگان این عصر ما | که صیقل زنند ازدل آئینه را "
" چنا تنذکز بهر توفیر خویش | زهفته بدزدند آدینـــــه را "
" هرآنکس که مدح چنینها کند | نهـــــد دریدگاولوزینه را "

(3) الديوان ص ٥١١ قطعة رقم ٧٥٦ " والنص هو " :

" گرتاملها کنی درنفع گاو ومدح شاه | خدمت یکتای گاوتر مدحت صدشاه به

وليس فقط شعر المدح الذى أصابه الكساد بل شعر الحماسة أيضًا ، فقد قضت وحشية التتار وعنتهم فى إبادة النفوس بلا شفقة على الحس الحربى لدى المسلمين ، وعلى شجاعتهم وقدراتهم القتالية ، وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا على الشعر والشعراء الذين عاشوا فى هذه الفترة ، فخبت حماستهم ، وتبعها خمود فى هذا النوع من الشعر ، لهذا يلاحظ فى كل من : هماى همايون لخواجوى كرمانى ، وآئينه اسكندر لأمير خسرو ، واسكندر نامه لجامى، وتيمورنامه لهاتفى ، وشاهنامه قاسم كونابادى ، وأكبر نامه لفيضى ، يلاحظ أن الشاعر – كما يقول شبلى – يحرك لسانه فقط دون أن يكون له تأثير يذكر فى الوجدان [1] . ويرى ذبيح الله " أن المنظومات الحماسية الشعبية بدأت فى الانحطاط بعد القرن السادس، وحلّ محلها المنظومات الحماسية التاريخية والدينية[2]، ولقد سلك ما وجد بعد ذلك " من منظومات طريق الشاهنامه " [3] .

وعلى النقيض أوجد ما سبب كسادًا للأغراض السابقة رواجًا لأغراض أخرى ، ومن ذلك قول " شبلى " فى صدد حديثه عن وحشية المغول وهمجيتهم، وانعكاس ذلك على الشعر ، بأن هذه الحوادث الوحشية كان لها أثر فى دفع بعض الشعراء إلى تجسيم الدنيا فى صورة التفاهة والتقلب ، ولهذا فهم يكثرون القول عن غدرها وعدم وفائها، أمثال شيخ سعدى وابن يمين وخواجه حافظ [4].

وشاعرنا " ابن يمين " – بصفة خاصة – كان له باع طويل فى هذا المجال، أى الذى يمكن أن نطلق عليه الشعر الاجتماعى، وهو جزء من الحقيقة

---

(١) شبلى نعمانى : شعر العجم ص ٣ .

(٢) ذبيح الله صفا : حماسه سرائى درايران ص ١٤٦ چاب خودكار ايران ١٣٢٤ ش .

(٣) السابق ص ٢١٨.

(٤) شبلى : شعر العجم ص ٣ .

التى فطن إليها جيدًا القدماء من الكُتّاب الذين أرخوا لشعراء هذه الفترة ، ووصفوه بأنه رجل أخلاق عف زاهد عازف عن الدنيا .

وإذا ألقينا نظرة على ديوانه نجد فيه من الأشعار التى تناولت أوضاع مجتمعه الفاسد ، منهج أسلوب النصح والإرشاد ، والتى أشارت إلى هذا الفساد المستشرى دون التعمق فى أسبابه وما يترتب عليه وكيفية معالجته ، الشيء الكثير ، وسوف أرجئ الحديث عن هذا إلى الباب الثالث .

وبرز فى هذا الاتجاه أيضًا ، بالإضافة إلى الشعراء السابقين ، شاعر تناول أوضاع هذا المجتمع بأسلوب مختلف ، وطريقة فريدة وهو " عبيد زاكانى" ت ٧٧٢هـ ، الذى سخر من فساد عصره وجهل حكامه ، وغدر دنياه التى مُلئت نفاقًا ورياءً ، وصبَّ هذا فى رسائله النثرية وفى أشعاره، وبخاصة فى فن المثنوى مثل مثنويته الشهيرة " موشى وگربه " يسخر فيها من منافقى عصره، وأن مصيرهم إلى زوال . وكما يقول " عباس اقبال " إن عبيدًا يشرح فيها تزوير قط من قطط كرمان وريائه ، تعبد وتزهد بعد أعوام مزق الفئران فيها ، وأكلهم ولكن فى يوم الوغى الذى دارت رحاها بينه وبينهم ، كان النصر حليف الفئران ، وشنقوا القط المرائى [1] .

ولقد راج شعر التصوف أيضًا فى هذه الفترة رواجًا كبيرًا بعد انتشار أفكار ومؤلفات صوفية سلاجقة الروم والخوارزميين الكبار أمثال محيى الدين ابن عربى ، وشيخ مجد الدين بغدادى ، ونجم الدين كبرى ، وشهاب الدين السهروردى وأمثالهم [2] . وقد تطبع " بطابع العلوم والأبحاث الفلسفية ، وظهر بمظهر آخر فى العلوم المدرسية ، ومعنى ذلك أن التصوف الذى يمكن

---

(١) مقدمة ديوان عبيد زاكانى صف .

(٢) عباس إقبال : تاريخ مفصل ايران ص ٥١٤ .

تسميتـــه " علم العرفان " أو " التصوف الفلسفى " قد دخل فى حوزة العلوم الرسمية متمشيًا مع سائر الدراسات الخاصة بذلك العهد مثل الفلسفة وعلم الكلام وعلم التوحيد أو العلم الإلهى، وأحرز لنفسه منزلة بينها ، وأن كتاب " فصوص الحكم " لابن عربى، وكتب [1] أخرى من مثل " فكوك القونيوى "، و " لمعان" للشيخ العراقى، و"ديوان قصائد ابن الفارض " أصبحت كتبًا تعليمية منذ أواخر هذا القرن ، واشتغل جماعة بتعليمها وتدريسها ، وقد أضاف فضلاء الصوفية شروحًا وتعليقًا عليها [2] .

ولقد ساعد على رواج هذا النوع من الشعر خاصة والتصوف عامة، إزدهار الخانقات ، وشدة نفوذ شيوخها ، وخاصـــة أن متورعى إيران هربوا من ظلم واعتساف المغول ، ومن قسوة دنيـــاهم المادية ، فاستعاضوا عنها بعالم الروح وصفاء النفس[3]، وتبعهم الخلق الذين أصابتهم لفحة نيران المغول[4] إلى التعلق بأهداب أصحاب الطرق الصوفية كى يستريح عندهم

---

(١) هكذا وردت فى النص والصحيح " كتبًا " .

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ٦٩٩ (الترجمة العربية) .

(٣) رضا زاده : تاريخ ادبيات ص ٢٦٢ .

(٤) لا يميل " ذبيح الله صفا " فى كتابه تاريخ ادبيات جلد سوم ص ١٦١ از أوائل قرن هفتم تا أواخر قرن هشتم هجرى قسمت أول تهران سنة ١٣٥١ إلى الرأى الذى يرجع رواج التصوف فى هذا العصر إلى حملة المغول معتقدًا أن أصحابه يرون أنها هى التى بعثته دفعًا مقصودًا، فيقول : " مِنَ المعتقد أن تصوير حملة المغول، على أنها كانت الوسيلة لتقوية التصوف فى إيران وترويجه يعتبر خطأ . ذلك لأن اى حملة مخربة مدمرة ليس لها إلا القتل والتخريب مع الاقتران بالعنف والبربرية، لهذا لا تعد وسيلة لبلوغ المعارف درجة الكمال والرواج، بل إن هذا النوع من الحملات يسبب انحطاطًا عقليًا واجتماعيًا " . ويرى " أنه من الممكن أن يكون اليأس والفقر والفوضى والتشرد سبب لذلك "، وفى الحقيقة أن "ذبيح الله" قد اهتم – فى هذا – بالنتائج دون الأسباب ؛ لأن الحملة لم تهدف عمدًا إلى رواج التصرف ، بل كان هذا الرواج رد الفعل المناسب لها ، وإذا فرضنا جدلاً أن يكون اليأس والفقر والتشرد وغيره سببًا لرواج التصوف ؛ فمن أين أتى كل هذا ؟ وما أسبابه ؟ ولا نجد عندنا إجابة سوى حملة المغول .

خاطرهم[١] ، وعندما وجد رؤساء الصوفية الذين كانوا من عظماء الشيعة لأنفسهم قدرًا اجتماعيًا عظيمًا [٢] بسبب إقبال الناس عليهم ، تدخلوا فى تشكيل الحكومات اعتمادًا منهم على ما لمذهب الشيعة من تأثير [٣] ، أضف إلى هذا أن مشايخ الصوفية حينما وجدوا لأنفسهم هذا النفوذ ، ورأوا التصوف وسيلة للإبقاء عليه ، قاموا بتدوين أسسه وتنظيمه[٤] . ويقول " ذبيح الله " فى ذلك " لقد صار لتدوين وتنظيم أسس التصوف ومبادئه ولشروح مصطلحات الصوفية وتفسير أصول العرفان دور كبير فى أن يصير لأسس التصوف أثر بارز فى الأدب، وبخاصة فى الشعر ، وأصبح ذلك منهلاً يستفيد منه الشعراء الذواقة أكثر من ذى قبل، ويستغلون الأفكار والمصطلحات التى حصلوا عليها دون تسليم برياضات الخانقات فى خلق موضوعات شعرية"[٥] .

وفى مقابل هذه الفرقة الصوفية الفلسفية وجدت فرقة أخرى من المتصوفة ابتعدت عن المباحث العقلية رغم سهولة ورودها بالنسبة لهم، ولم يسلكوا طريق المجاهدة الصعب إلا بعد تمكن منه ، وهم أكثر الصوفية الذين غلب عليهم الذوق والوجد؛ فرجحوا الكلمات المثيرة والأشعار المشوقة على الأبحاث الباعثة للملل، واستندوا فى تعليماتهم إلى الآيات والأخبار والتمثيليات

---

(١) حسينعلى ستوده : تاريخ آل مظفر جلد دوم ص ٢٩٩ .

(٢) ذبيح الله : تاريخ أدبيات . جلد سوم ١٦٧ – ١٦٨ .

(٣) حسينعلى ستوده : تاريخ آل مظفر جلد دوم ص ٢٦٥ ، وأيضًا ص ٢٦٩ .

(٤) بهذه الوسيلة تكونت دولتان فى فترة حكم ملوك الطوائف هما : حكومة السربدارية فى خراسان بمساندة مشايخ الصوفية وأتباعهم لمثال الجوريين ، وحكومة سادات مرعشى فى مازندران بمساندة أتباع قوام الدين مرعشى . وصار لهؤلاء المتصوفة نفوذ سياسى واجتماعى فى الدولة التى يتبعونها مستمدًا من نفوذهم المعنوى (حسينعلى: تاريخ آل مظفر ج ٢، ص ٢٦٥ وأيضا ص ٢٦٩ ذبيح الله: تاريخ أدبيات . جلد سوم ص ١٦٨).

(٥) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران . جلد سوم ص ١٦٤ – ١٦٥ .

وقراءة الشعر من أجل هداية السالكين ، وشحذ خاطرهم، ودفعهم صوب الرشد والصلاح ، ومن هؤلاء المتصوفة " العطار " و" جلال الدين الرومى " وابنه " بهاء الدين (سلطان ولد) "، ... وغيرهم [١] .

وهكذا أصبح فى شعر هذا العصر الصوفى اتجاهان : اتجاه عقلى فلسفى كلامى ، وآخر عاطفى وجدانى، وكل منهما فى جانب على حدة .

وسنعرف فى الباب الثالث إلى أى اتجاه انتمى الشاعر فى تصوفه .

---

(١) السابق ص ١٦٥ .

الباب الثانى

بيئـة الشاعر

الفصل الأول
البيئة الجغرافية

تحدثت فى الباب السابق عن عصر الشاعر بحيواته الثلاث : السياسية والاجتماعية والثقافية ، وسوف يشمل حديثى هنا البيئة الجغرافية، والبيئة العائلية، وبيئة الشاعر الخاصة، لنستشف ما فى ذلك من عوامل ومؤثرات يمكن لها – متضافرة مع البيئة العامة – أن تؤثر فى نفس الشاعر وشعره على السواء .

فريومد وما بها من عوامل مؤثرة :

اختلفت الصور الكتابية التى كتبت بها " فريومد " لدى مؤرخى الأدب، وكُتّاب التذاكر، والكتب الجغرافية ، واختلف نطقها، وتبع ذلك اختلاف الأوزان التى وزن عليها اسمها .

فيقال إنها على وزن " ره جويد "، وهى مركز " جوين " [1] ، وتذكر فى Steingess " فريوَند " Farivand على أنها اسم المدينة التى اشتق منها اسم " أمير محمود بن يمين الدين الفريوندى[2]، وتنطق أحياناً، وتكتب بصورة (فرومد) و(فرمد) و(فرند) [3] ، وتضبط فى المعاجم بكثرة على النحو التالى " فرمد " و" فرهومد" و" فروند" و"فرملا" على وزن "سرمد" و"سرگويد" و"نگويد" و"فرهلا" وتذكر فى المحاورات الآن – بـ "فرومد" و"فريمد" [4] ، وفى " تاريخ بيهق " : " فريومد " على وزن " برگويد " ، وهى اسم يطلق على

---

(١) سجدى على أكبر : راهنماى دانشوران ص ٧٥٠ جلد دوم ش . ق چاپخانه تابش قم .

(٢) Steingess .

(٣) مقدمة ديوان ابن يمين ص (لب) .

(٤) ابن فندق : تاريخ بيهق ص ٣٤١ .

جزء من " سبزوار "، واشتهرت بأنها كانت مركزًا لها أيضًا . وتقع " فريومد " على بعد ستة عشر فرسخًا شمال غربى " سبزوار " بين " صدر آباد " و" مزينان " [1] .

ويقول عنها " سعيد نفيسى " إنها كانت تتبع " بيهق " قديمًا و" سبزوار " حاليًا، وكانت فى ذلك العهد [2] مركز ناحية " جوينْ " وعاصمتها [3] .

ويرى "تقى بينش " فى مقال له عن " مسجد فرومد سبزوار " أن "فرومد" (والتى هى على وزن خروشد) كانت تُدعى قديمًا "فريومد"، وهى على مسافة اثنى عشر كيلومترًا من طريق شاهرود – سبزوار ، وتقع فى الشمال الشرقى لعباس آباد والشمال الغربى لمزينان . وكانت هذه الولاية ، والتى تعد – فى الواقع – قصبة كبيرة مركزًا أو عاصمة لناحية جوين قديمًا [4] .

وهذا أيضًا هو ما يفهم نصه من عبارة المستوفى التى يقول فيها " جوين ولايتى است وپيش ازين داخل تومان بيهق بوده واكنون مفرداست قصبه فريومد شهرستان آنجاست " [5] .

ومن المعتقد أن " فريومد " قد تبوأت هذا المكان العلى ، أى صيرورتها عاصمة لناحية " جوين " فى القرن السابع الهجرى (١٣م)، وقد احتلتها بديلا عن " آزادوار " المركز السابق لجوين ؛ ففى دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان " جوين " أنها تكتب گويان : ناحية من نواحى نيسابور على طريق

---

(١) السابق والصفحة نفسها .

(٢) أى فى القرنين السابع والثامن .

(٣) سعيد نفيسى : ديوان مقطعات ورباعيات ابن يمين ص ١ تهران . چاپخانه شركت مطبوعات ١٣١٨ .

(٤) ورد المقال فى مجلة نامه آستان قدسى ص ٩٣ .

(٥) حمد الله مستوفى : نزهة القلوب ص ١٥٠ . المقالة الثالثة . تصحيح كاى ليسترنج . طبع ليدن ١٣٣١هـ – ١٩١٣م .

القوافل من بسطام وهى بين جاجرم وبيهق " سبزوار "، وتشتمل الناحية التى قصبتها " آزادوار " ثم غدت قصبتها " فريومد " [1] . ولقد كانت " آزادوار " هى المدينة الرئيسية لجوين " – كما يقول ياقوت [2] – ويعتقد " ليسترنج " بناء على ما جاء فى المائة الثامنة أن قصبة رستاق " جوين " انتقلت إلى " فريومد " حسب قول المستوفى [3] .

ومعنى هذا كله أن " فريومد " صارت عاصمة جوين فى القرن الثامن، ولكن " تقى بينش " يرى أن عملية التغيير أو الانتقال هذه تمت فى القرن السابع الهجرى [4] .

وعلى كل سواء أأصبحت " فريومد " عاصمة " جوين " فى القرن السابع أم الثامن ، فإن الذى يعنينا هو أنها قد تبوأت مكانة علية فى فترة شاعرنا مما دفعه – بلا شك – إلى أن يستقر فيها مع والده، بل ويحمل اسمها، ويدفن فيها رغم أنها ليست مولده [5] ، وربما كانت مكانتها هذه العالية دافعًا لأن يستقر فيها وزير " أبى سعيد " لخراسان فى ذلك الوقت وهـو " علاء الدين محمد "، وأن يكون لهذا تأثير على شعر شاعرنا – كما سيأتى .

ولم تظهر قيمة " فريومد " ومكانتها فى هذه الفترة فقط ، " فقد كان يعيش فيها أناس مشهورون من كل طبقة وصنف من العلماء والمحدثين العظام

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية ص ٨٥ .المجلد الثالث عشر : إبراهيم خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، وأحمد الشنتناوى .

(2) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ١٨١ .

(3) كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٣ ت بشير فرنسيس . كوركيس عواد . طبع بغداد ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

(4) نامه أستان قدس ص ٩٥ .

(5) سيأتى فى فصل قادم ترجيحنا إلى أن الشاعر لم يولد فى فريومد .

وحفظة الكلام الإلهى : " الفقهاء " والحكماء والوزراء والأطباء الحاذقون والحرفيون المهرة والرجال الشجعان ، وكانت بها الأسواق المعمورة والمدارس والمساجد والخانقات والتكايا ، وكل ما يلزم لمدينة عامرة لها اعتبارها " [1] .

ويطالعنا صاحب " تاريخ بيهق " بالعديد من العلماء والأشراف ورجال الحديث والشعراء والخطباء الذين عاشوا فى كنفها، وكان لهم دورهم العلمى فى خدمة العلم الإيرانى ، أمثال السيد الرئيس الأجل أبو يعلى زيد بن السيد العالم على بن محمد بن يحيى العلوى الحسينى الزبارة الفريومدى الذى ظفر برواية الحديث عن سيد أبى منصور [2] ، وأمثال الحكيم " أبى العلاء حمزة بن على المجيرى والحكيم تاج الحكماء الموفق بن مظفر القوامى ، وهو من تلامذة الحكيم المجيرى ، وكذلك الحكيم يحيى بن محمد الضياتى الفريومدى " [3] ، وهؤلاء شعراء لهم أشعار وقصائد كثيرة . ولقد نشأ فى " فريومد " ودفن فيها السيد الأجل " فخر الدين أبو القاسم على بن زيد الحسينى سنة ٥٢٢ هـ وهو وحيد عصره فى الزهد والعظمة [4] ، وكذلك أبو حامد محمد بن جعفر بن الحسين الحنفى البيهقى والذى كان من أبنائه الحاكم الامام محمد حنفى ، وكان رجلاً عالمًا وورعًا وتقيًا حافظًا للمذهب ، ومن أبناء الأخير " حسن " وهو حاكم " فريومد " وخطيبها [5] .

كما كانت " فريومد " أيضًا موطنًا " لعلاء الدين محمد الفريومدى " الوزير الخراسانى " لأبى سعيد "، والذى لعب دورًا كبيرًا فى أحداث هذه الفترة

---

(١) مقدمة ديوان ابن يمين ص (كب) .

(٢) ابن فندق – تاريخ بيهق ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٣) السابق ص ٢٥٨ .

(٤) السابق ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٥) السابق ص ١٧٠ .

السياسية – كما مرّ فى الباب الأول – ويبدو أن " علاء الدين " قد اهتم "بفريومد" اهتمامًا زائدًا ، وأعطاها من عنايته الشىء الكثير ؛ إذ بنى فيها " شهرستان " وعمارات عالية [1] ، وقد ظل بناء " شهرستان " الذى يعد من أهم ما خلفه " علاء الدين " قائمًا حتى القرن التاسع أيضًا [2] .

ويبدو أن " شهرستان " هذه قد بلغت من ناحية الجمال الشكلى وروعة الحدائق درجة كبيرة ؛ مما دفع " ابن يمين " إلى أن يبدع بدوره فى وصفها ويطنب فى حسنها ؛ فيقول " حبذا المدينة العلائية وشهرستانها ، وما أبهج النزهة فى حدائقها ورياضها ، هذه ليست مدينة بل هى جنة قد مُلئت دلالاً ونعيمًا ، وليس هناك أجدر من رضوان لها حارسًا " [3] .

ويمدح علاء الدين بانيها فيقول :

" حيثما ترمى بطرفك نحو بنيانها ستعلم أن صاحب الهمة العالى قد بناها من بنيانه " .

" من هو بانيها ؟ إنه علاء الدول، والدين الذى لم يأتِ الزمان بمثله من مئات القرون " [4]

ويذهب " ياسمى " فى اعتقاده إلى أن " علاء الدين " قد بنى فى "فريومد" دارًا للشفاء ودارًا للكتب، ويستشهد على ذلك بقول ابن يمين :

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٤ .

(٢) ياسمى : احوال ابن يمين ص ١٧ .

(٣) الديوان ص ٤٣٨ والبيتان :

حبذا شهر علائيه وشـــــهرستانش	خرما نزهت باغ خوش وبا غستانش
اين نه شهر يست بهشتيست پرازنازونعيم	خازنى نيست سزاوار تراز رضوانش

(٤) الديوان ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ والبيتان :

چون بنيانش نظربرفكنى خــود دانى	همـــــت عالى بانى وى ازبنيانش
كيست بانيش علاء دول ودين كه بود	نآورد مثل بصد قرن وبصددورانش

حبذا آرامگاهی خوشترازدار النعیم وزیری رویان صدفکردار بردریتیم
چون دراوامراض باصحت مبدل میشود
نیست جزدار الشفائی کرده بنیادش حکیم[1]

ويرى أن المقصود بـــ " حكيم " الذى بناها هو " علاء الدين " بمساعدة أخيه " غياث الدين هندو " [2] .

كما أن " فريومد " كانت أيضًا مولد السلطان " محمود ارپاخان " ومسقط رأسه [3] .

كل هذا يدل على مدى أهمية " فريومد " السياسية والعلمية، ويشير إلى قيمتها فى ذلك العهد .

ولو تركنا هذه الناحية ، وانتقلنا إلى الناحية المناخية ، لوجدناها ملائمة لخلق جو شاعرى جميل قد تطبع به شاعرنا ، وانعكس هذا عليه بالصورة التى جعلته يتصف بالحساسية الزائدة تجاه كل ما يسير فى غير طريقه الطبيعى ، وبدا هذا فى سخطه الشديد على أوضاع مجتمعه كما يتضح من أشعاره وكما سيأتى تفصيله .

فيقول ابن فندق " إن خيرقرى بيهق جلين وأطيبها فريومد " [4] " وكان هواؤها طيبًا للغاية ولعل السبب فى هذا يعود إلى كونها منطقة سهلية وجبلية أيضًا " [5] كما أنها منطقة عامرة بالفواكه وخيراتها كثيرة ؛ " ففيها ينبت التين الأحمر والتين الأصفر الذى يجففونه ، وقد ورد فى كتاب القانون أن أفضل

---

(١) الديوان ص ١٣٠ .

(٢) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ١٨ .

(٣) مقدمة ديوان ابن يمين ص لب .

(٤) ابن فندق : تاريخ بيهق ص ٣٤ .

(٥) السابق ص ٣٦ .

أنواع التين ، والذى هو أكثر اتفاقًا مع طبيعة الخلق ، هو التين الذى تنطبق أوصافه على تين " فريومد "، وتكثر فى " فريومد " قنوات المياه ، كما أن هواءها سهل وجبلى ، وفاكهتها متفقة جدًا مع الأذواق ، وتناولها يقلل من نسبة الأمراض " [1] ، " كما يكثر نحل العسل على حدود " فريومد" وعسله غاية فى الكمال ، مما يجعله بلا نظير فى نواحى نيشابور الأخرى " [2] .

ولا غرو أن يكون لهذه الطبيعة الخلابة تأثيرها الجيد على شاعرنا وعلى شعره ، يتضح من أشعاره التى تناولت أغراضًا أخرى أو تحدثت عن " فريومد " واصفة إياها بأجود ما يوصف به موضع؛ إذ يقول عن " فريومد " فى مثنويته " كارنامه " محدثًا نسيم الصباح :

" دليل مدينة " فريومد " هو أن تتصور أنها جنة الخلود "

" فى كل ناحية نهر كأنه الكوثر ، أشجارها مثل شجرة طوبى التى تعلو برأسها على الفلك " .

" المياه فيها والجو يبعث على النشاط مثل رائحة الخمر وكأس الصبوح" .

" ربيعها رياض مليئة بالشقائق والورود ، وخريفها حدائق مكتظة بالفاكهة والنبيذ " .

" نسيمها فى طيبه مثل رائحة الحبيب، بل هو كأنفاس المسيح محيى الموتى " .

" قد شمل الكبك والقطا أنحاء جبلها ، وانتشرت الوعول والغزلان فى بيدائها " .

---

(١) السابق ص ٢٨٠ .

(٢) السابق والصفحة نفسها .

" حينما تطأ ساحتها بأقدامك ، تبدو عليك البشرى، وتظل سعيدًا " (١) .

وقد ظل الشاعر محبا " لفريومد " شديد التعلق بها حتى لحظة وفاته ؛ إذ يقول عنها وهو فى النزع الأخير :

" لا تغتم يا " ابن يمين " حينما تحين لحظة وفاتك ، فى غياب العم والخال والأب والأم " .

" كل وفاة تحدث فى السلطانية ، تيقن أن ليس أطيب من حدوثها فى فريومد " (٢) .

---

(١) الديوان ص ٥٧٦ والأبيات هى :

نشان خطه" فريومد آنســـــت   كه پندارى بهشت جـاودان است

بهرسوجويبـــــارى همچو كوثر   در ختش راچو طــوبى برفلك سر

نشاط افزاهـــــوا وآب دروى   چو بوى ميگسـار وسـاغر مى

بهـا رش راغهـــا پرلالة وگل   خزانش باغها پرمـــيوه ومـــل

نسيمش در خوش چون بوى دلبر   چوانفـاس مســيحـا روح پرور

سراسركوه اوپركبـــــك وتيهو   تمـاشت دشت او پـرگور وآهـو

چوپاى قدر فضاى وى نهـــادى   بشـد شادى كه دلم شـاد بادى

(٢) الديوان ص ٣٥٥ قطعة رقم ١٧٥ والأبيات هى :

مخوراى ابن يمين غم چو وفاتت برسد   بحضــور عم وخال وپدر ومـــادرنيست

هروفاتى كه بسـلطانيـــة واقع گردد   تويقين دان كه بفريومد زان خوشترنيست

الفصل الثانى

الشـــاعر

اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه ونسبه :

اسم الشاعر " محمود " ولقبـــه " فخر الدين " [(١)] ، ويكنى بـــ " ابن يمين "؛ فهو " أمير فخر الدين محمود بن يمين الفريومدى " ، تخلصه الشعرى " ابن يمين " .

وينسب اسمه إلى قرية " فريومد " التابعة لولاية " جوين " بخراسان، والتى نشأ فيها، ولا أقول ولد – كما سيأتى– ودفن تحت ترابها.

وليست " فريومد " هى الوحيدة التى يُنسب إليها اسم الشاعر ، بل إنه يُنسب أحيانًا إلى العمل الذى ورثه فترة عن أبيه " يمين الدين الطغرائى " وهو " طغرائى " أى كاتب الطغرا أو رئيس ديوان التوقيعات لدى " علاء الدين محمد " الوزير الخراسانى " ، ولهذا كان بعض الكُتّاب [(٢)] يذكرون اسمه منسوبًا إلى عمله وقريته؛ فيكتب هكذا " فخر الدين محمود بن يمين الطغرائى الفريومدى " .

وجدير بالذكر أن الحديث عن أبيه لدى صاحب " ريحانة الأدب " [(٣)] يندرج تحت عنوان " طغرى "، ويقول ذبيح الله صفا إن " ابن يمين " تصدى فى

---

(١) المشهور أن " فخر الدين " هو لقب " ابن يمين " ولكن جاء فى مقدمة ديوان ابن يمين ص (يو) أن صاحب عرفات العاشقين يلقبه بـــ " قطب الدين " .

(٢) آذر : آتشكده ص ٧ بمبىء چاپ ٢٧٧ هـــ – ١٢٧٧م – محمد على مدرس : ريحانة الادب جلد هشتم ص ٢٨٢ – سيد على اكبر : راهنماى دانشوران ص ٢٥٠ .
مقدمة ديوان " ابن يمين " ص (يو – يز) نقلاً عن كل من أصحاب هفت إقليم ، ورياض العاشقين ، وعرفات العاشقين .

(٣) محمد على مدرس : ريحانة الادب جلد چهارم ص ٥٩ .

البداية بإحكام إلى كتابة الطغرا مثل أبيه، واشتهر أيضًا بـ " طغرائى " كأبيه[١].

وفى بعض الأحيان ينسب اسم الشاعر إلى عمل ورثه عن أبيه أيضًا وشغله فترة لدى " علاء الدين محمد " وهو " مستوفى "، ويذكر " سعيد نفيسى " أنه كان واحدًا من " جباة " عصره [٢]، ويقول " نبيح الله " إن " ابن يمين " تولى منصب الاستيفاء وكتابة الطغرا فى عهد " علاء الدين محمد الفريومدى " الوزير الخراسانى [٣] . ولهذا يذكرانه بـ " أمير فخر الدين محمود بن أمير يمين الدين طغرائى مستوفى بيهقى فريومدى "، وهما قد جمعا فى هذا كل ما ينسب إليه الشاعر دفعة واحدة .

لم يكن لشاعرنا حظ وافر لدى أصحاب التذاكر ومؤرخى الأدب الذين تناولوا شعراء الفارسية وشعرهم بالدرس والتحليل ، ولهذا نجد ما كتب عنه أو عن أشعاره على السواء متشابهًا ، بل إن معظمه قد نقل عن "مجمل فصيحى " أو " تذكرة الشعراء ".

وهذه القلة الملحوظة التى خص الشاعر بها، وبخاصة فيما يتصل الحديث فيه عن تاريخى مولده ووفاته، وعن موضع ولادته مع الاختلافات الشاسعة بين آرائهم تضعنا فى مأزق يستلزم منا جهدًا مضاعفًا لإزاحة الأستار عن هذه الغوامض .

تاريخا مولده ووفاته :

ليس هناك تاريخ محدد لمولد شاعرنا، كما أنه ليس هناك تحديد لموضع ولادته، ولكنا نستطيع ترجيح ذلك بناء على ما رجحناه لتاريخ وفاته طبقًا للمادة

---

(١) نبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران . جلد سوم بخش دوم ص ٩٥٢ .

(٢) سعيد نفيسى : مقطعات ابن يمين ص ١ .

(٣) نبيح الله : تاريخ ادبيات : جلد سوم . بخش دوم ص ٩٥٢ .

التى تقدمها المراجع التى بين أيدينا ، أمـــا فيمـــا يتعلق بوفاته فقد ذكـــر تاريخان لها :

التاريخ الأول سنة ٧٤٥ هـ : وقد ذكره كل من دولتشاه [١] هرمان اته[٢]، آذر [٣] ، وذكر فى دائرة المعارف الإسلامية [٤] ، ويقول " رشيد ياسمى"[٥] إن أمين أحمد رازى وقاضى نور الله ششترى وأبو طالب تبريزى وهدايت طبرستانى أجمعوا على أن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة " ابن يمين "، ويتردد صاحب " ريحانة الأدب " [٦] بين هذا التاريخ والتاريخ الآخر سنة ٧٦٩هـ، ويكتفى ذبيح الله صفا [٧] بذكر آراء ثلاثة مختلفة لوفاة شاعرنا، وهى آراء دولتشاه سنة ٧٤٥هـ، وصاحب مجمل فصيحى سنة ٧٦٩هـ وصاحب رياض العارفين سنة ٧٤٣هـ ويرجح رأى صاحب مجمل فصيحى هـ - ولنا ملاحظة هنا – فعند رجوعى إلى رياض العارفين " [٨] وجدت صاحبه " هدايت" قد ذكر هذا التاريخ سنة ٧٤٣هـ على أنه تاريخ المعركة التى ضاع فيها ديوان " ابن يمين " – وهذا صحيح – ولم يذكره على ما ذكره " ذبيح الله صفا " من أنه تاريخ وفاته . أما " براون " [٩] فإنه يكتفى بذكر رأيى دولتشاه وصاحب

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٥ .

(٢) هرمان اته : تاريخ ادبيات فارسى . ترجمة باحواش دكتر رضا زاده شفق ص ١٨٦ تهران ١٣٣٧.

(٣) آذر : آتشكده ص ٧ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول ص ٣٠٤ . مجموعة كتب المرحوم د. محمد عسكر المتوفى سنة ١٩٤٣ .

(٥) رشيد ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٥ .

(٦) محمد على مدرس : ريحانة الادب ص ٢٨٤ جلد هشتم .

(٧) ذبيح الله : تاريخ ادبيات ص ٩٥٧ .

(٨) هدايت : رياض العارفين ص ٢٧٩ چاپ دوم . تهران ١٣١٦ .

(٩) براون : تاريخ ادبى ايران جلد سوم ص ٢٥١ وما بعدها .

مجمل فصيحى دون ترجيح ، وكذلك صاحب عرفان العاشقين [١] يكتفى بنقل التاريخ الذى ذكره " دولتشاه " .

ولو سلمنا بصحة هذا التاريخ وافترضنا – جدلاً – صدق هؤلاء الذين ذكروه ، مع مراعـــاة أن شاعرنا قد عمر أكثر من ثمانين عامًـــا؛ حيث يقـــــول : " وا أسفاه لأن عمرنا قد تجاوز الثمانين ، مضى مثلما تمضى الرياح فـــى البيداء " [٢] – أقول – لو سلمنا بصحة هذا التاريخ يكون مولده فى سنة ٦٦٥هـــ ، وهذا لا يتفق مع ما سنذكره بعد قليل :

التاريخ الآخر سنة ٧٦٩هـــ : قد اهتم بذكره كل من صاحب مجمل فصيحى خوافى[٣]، وسعيد نفيسى[٤] ، وصاحب الذريعة [٥] ، وصاحب رهنماى دانشوران [٦] ، ورضا زاده شفق [٧] ، وشبلى النعمانى [٨] ، وذكر أيضًا فى آريانا – دائرة المعارف [٩] ، وكذلك " ريكا " [١٠] .

وأرجح أن هـــذا هـــو التاريخ الصحيح لوفاة الشاعر ، وذلك لاعتبارات عدة :

---

(١) مقدمة ديوان ابن يمين ص (يح) نقلاعن عرفان العاشقين .

(٢) مقطعات ابن يمين ص ٣٢ والبيت هو :

فسوس كه عمر ما زهشتاد گذشت   بگذشت چنانكه بگذرد باد بدشت

(٣) نهضت سربداران خراسان ص ١١٧ نقلاً عن مجمل فصيحى .

(٤) مقدمة مقطعات ابن يمين ص ١ .

(٥) مقدمة ديوان ابن يمين ص (يط) نقلا عن صاحب الذريعة .

(٦) سيد على أكبر : راهنماى دانشوران ص ٢٥١ .

(٧) رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات ص ٣١٩ .

(٨) شبلى النعمانى : شعر العجم ص ٢٤٧ .

(٩) آريانا دائرة المعارف جلد اول ص ٩٠١ : ازانجمنى دائرة المعارف افغانستان ١٣٢٨ .

(١٠) Yan Rypka. History of Iranian Literetare Holland 1968 p. 261.

(أ) أن الشاعر مدح حكامًا استقروا على عرش السربدارية بعد سنة ٧٤٥هـ وهو التاريخ الأول .

(ب) أن الشاعر مدح " على مؤيد " وهو آخر حاكم سربدارى " ٧٦٦ - ٧٨٨ هـ"، ويكون شاعرنا قد مات إبان حكمه .

(ج) أنشد صاحب مجمل فصيحى الذى توفى سنة ٨٤٥هـ - وهو حديث العهد بشاعرنا - هذين البيتين يؤرخ فيهما لوفاته فيقول :

" بوداز تاريخ هجرت هفتصد باشصت ونه روز شنبه هشتم ماه جمادى الآخرين گفت رضوان حوررابرخيز واستقبال كن خيمه بر صحراء جنت ميزند ابن يمين " [1] .

ومع صحة هذا التاريخ يكون مولد شاعرنا - مع اعتباره قد عاش أكثر من ٨٠ عامًا كما قال - قبل سنة ٦٨٩هـ ويمكن أن نأخذ بالرأى الذى ذكره بعضهم [2] من أن شاعرنا ولد سنة ٦٨٥هـ ، على اعتبار أنه ليس مؤكدًا لدينا أنه عاش ثمانين عامًا فقط ، فربما يكون قد عمَّر سنوات أربعًا أخرى . ومما يجعلنا نرجح هذا التاريخ أن " لابن يمين " مقطعات نظمها فى بدء لقائه مع الشعر تحتوى على تاريخ نظمها والأولى سنة ٧٠٤هـ .

كاتب اينحروف بى اكراه ... برخط وقول خود گرفت گواه
كه بتاريخ بيستم زرجب ... تابنوغان كه بلشدآن شش ماه
ده من ابريشيم گزيده نيك ... برساند بشيخ عبد الله

---

(1) بطر شفسكى نهضت سربداران ص ٣١٨ - نقلا عن مجمل فصيحى .

(2) رضا زاده : تاريخ ادبيات ص ٣١٨ - ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٨ - آريانا - دائرة المعارف جلد أول ص ٩٠١ .

بود تاريخ سال هفتصد وچار   كه نوشت اينحروف بى اكراه [١]

وللشاعر قطعة أخرى كتبها قبل هذا التاريخ أى سنة ٧٠٣هـ ، ويؤرخ لوفاة " غازان خان " فيقول :

بسال هفتصد وسه ز هجرت از شوال

بروز يازدهم وقت عصر از شنبه

شد از نواحى غزنين شه جهان غازان

بسوى خلد كه باد انجهان ازاينش به [٢]

وقطعة أخرى كتبها قبل هذا التاريخ أى سنة ٧٠٢هـ ، ويؤرخ لوفاة " خواجه نظام الدين يحيى بن خواجه وجيه الدين زنكى " - كما يقول ياسمى[٣] - والذى يضيف أنه قتل على أيدى " غازان خان " فيقول " ابن يمين " :

بسال هفتصد ودو ز هجرت نبوى   دهم زماه محرم سه شنبه ازهفته

بيوزاغاج نظام خجسته پى يحيى   زتيغ قهر اجل تابحشر شد خفته [٤]

---

(١) الديوان ص ٥١٦ قطعة رقم ٧٧٣ والترجمة :

" كاتب هذه الحروف بلا إكراه ، وشهد على خطه وقوله " .

" إنه فى العشرين من رجب ، طالما قد مضى على شرنقة الحرير ستة أشهر " .

" أوصل الى الشيخ عبد الله ، أن أعطنى حريرًا حسن الانتقاء "

" فى سنة سبعمائة وأربع ، قد كتب هذه الحروف بلا كره " .

(٢) الديوان : ص ٥٦٨ والترجمة :

" فى سنة سبُعمائة وثلاث من الهجرة ، عصر السبت الحادى عشر من شوال "

" اتجه ملك العالم غازان من ناحية " غزنه " صوب الخلد فلتبق تلك الدنيا حسنة به "

(٣) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٧ .

(٤) ذكرت هذه القطعة بنصها فى المقطعات التى جمعها " نفيسى " ص ١١٦ اما فى الديوان فلقد ذكرت مع اختلاف فى الشطر الأول الذى ذكر فى وفاة خواجه نظام الدين يحيى كراوى أحد حكام السربداريين ، والذى يتشابه اسمه مع اسم من رثاه " ابن يمين " بالقطعة التى فى المتن :

سال هفتصد وپنجاه ونه ز هجرت نبوى   دهم زماه محرم سه شنبه از هفته

بپور آغاج نظام خجسته پى يحيى   زتيغ قهر اجل تابحشر شد خفته

وهذه المقطوعات الثلاث تعتبر أقدم ما أنشد الشاعر ، ونحن لو تأملناها من الوجهة الفنية لوجدنا أن مثل هذا الشعر لا يصدر عن شاعر يقل عمره عن ١٧ أو ١٨ عامًا مثلاً . وهــذا يجعلنا نرجح أن مولده كان فى سنة ٦٨٥ هــ ، و تكون وفاته سنة ٧٦٩هــ .

موضع ولادته وأصله :

إذا صح ما انتهينا إليه من أن شاعرنا قد ولد سنة ٦٨٥هــ - على وجه التقريب – فإننا لن نقبل ما قال به بعضهم من مؤرخى الأدب وكُتّاب التذاكر [١] الذين ادعوا أن " أمير يمين الدولة " والد شاعرنا من بلاد التركستان أصلاً، وأنه نزح منها إلى (خراسان) فى عهد أولجايتو ٧٠٣ – ٧١٦هــ بأموال كثيرة واستوطن قرية (فريومد) حيث اشترى أملاكًا كثيرة، وصادق " علاء الدين محمد" الوزير الخراسانى ، وفى هذه القرية – أى " فريومد" – ولد " ابن يمين".

ووجه اعتراضى هو أن معنى مولد شاعرنا فى " فريومد " فى عهد " أولجايتو " أنه ولد فى الفترة التى تقع بين ٧٠٣-٧١٦هــ وهى فترة حكم أولجايتو ، وهذا إمعان فى الخطأ نأباه حسبما توصلنا إليه – بأدلة علمية – من قبل عن تاريخ مولده ، فإذا قبلنا – جدلاً – هذا الرأى؛ فمعنى هذا أن نتشكك فى شعره السابق الذى أنشده فى أعوام ٧٠٤هــ ، ٧٠٣هــ ، ٧٠٢هــ ثم إلى أيضًا أنه توفى سنة ٧٦٩هــ على اعتبار أنه عاش أكثر من ٨٠ عاما ،

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٢ – سيد على اكبر " راهنماى دانشوران ص ٢٥١ الذى يقول بأن والد " ابن يمين " أقبل من بلاد التركستان فى عهد أولجايتو ، واتخذ من " جوين " مسكنًا حيث ولد فيها " ابن يمين". ولعل هذا الكاتب يعنى أن شاعرنا ولد فى " فريومد " التابعة " لجوين " ؛ حيث يقول بعد ذلك فى الصفحة نفسها من المؤلف نفسه إن " ابن يمين " مات فى سنة ٧٦٩هــ فى قرية " فريومد" مولده – ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات . بخش دوم ص ٩٥٢ – دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص ٣٠٤ مجموعة محمد عسكر – خانلرى : فرهنك أدبيات فارس ص ١٧ . انتشارات فرهنك ايران ١٣٦٨ .

وتكون وفاته بعد سنة ٧٦٩هـ بكثير ، وإلى التشكك فى القطعة التى يقول فيها إنه عاش أكثر من ثمانين عامًا ، ويكون قد عمر حوالى ٦٦ عامًا على الأكثر ، وهذا ما نرفضه ، أضف إلى هذا قطعة يمدح فيها " أولجايتو" فكيف إذن ولد فى عهده " [1] ؟ .

وهناك بعض الآراء يرى أصحابها [2] أن " أمير يمين الدولة " والد شاعرنا أتى من بلاد التركستان إلى خراسان فى عهد " أولجايتو " واستوطن " فريومد" حيث ظهر " ابن يمين " ، وهذه المراجع اكتفت بلفظ الظهور دون تحديد المنطقة التى ولد فيها " ابن يمين " سواء فى بلاد التركستان أو فى " فريومد " بخراسان ، وهذا إمعان فى الغموض؛ إذ لا يعقل أن يأتى " يمين الدولة" وحده دون ابنه ، كما لا يعقل أن يكون " ابن يمين " قد عاش فى " فريومد " قبل قدوم والده . إذًا فالأصح لديهم أنه أتى معه ، وإذا كان قد جاء فى عهد أولجايتو حقيقة ، فكيف يرثى " غازان " سنة ٧٠٣هـ وخواجه نظام الدين يحيى سنة ٧٠٢هـ إن لم يكن يعيش فى إيران أثناء وقوع هذه الأحداث . ويرجح " آربرى " – بناء على ما يقوله ياسمى – أن يكون مولد الشاعر فى بلاد التركستان سنة ١٢٨٦م [3] .

---

(١) الديوان ص ٤٢٩ قطعة ٤٥٣ :

منت ايزد راكه بازافكند چتر شهريار   برسراهل خراسان سايه خورشيدوار

شهريار شه نشان الجايتو خـــان   كافتاب ميكندا ندرپناه سايه چتر مدار

والترجمة :

" المنة لله الذى بسط مظلة الملك ثانية على رأس أهل خراسان الشبيهة بظل الشمس " .

" الملك ذو السمات الملكية " الجايتوخان " الذى تدور الشمس فى حماية ظل مظلته " .

(٢) شبلى : شعر العجم ص ٢٤٧ . سعيد نفيسى : مقطعات ابن يمين ص ١ .

(٣) A.J. Arberry : CLASSical Persian Literature. P. 308

وهناك رأى قريب إلى العقل والواقع قال به " ياسمى " [1] يرفض به رأى دولتشاه – الذى قال إن الشاعر ووالده قد أتيا فى عهد أولجايتو – ثم يحاول " ياسمى " أن يجد لهذا الرأى تعليلاً؛ فيقول إنه إذا كان مقصود " دولتشاه" بأيام " أولجايتو " هو أيام ولايته لعهد " غازان " ٦٩٨ – ٧٠٢هـ وحكمه لخراسان فى ذلك الوقت فهذا أمر ممكن ، ثم يرجح (ياسمى) مجىء (يمين الدولة) إلى خراسان سنه ٦٩٨هـ ومعه " ابن يمين " أو يكون قد جاء قبل هذه السنة المذكورة واشترى أملاكا فى هذه السنة وتيسرت حاله .

ويمكن أن نأخذ بهذا الرأى على أن نضع فى اعتبارنا جيدًا أن شاعرنا إذًا ليس إيرانى الأصل ولم يولد فى " فريومد " . وعليه تكون نسبته إليها محمولة على أنه نشأ وتوفى فيها ، ولا ندرى إذًا أين ولد الشاعر بالتحديد فى بلاد التركستان ، ولهذا فما قال به صاحب " ريحانه الأدب " [2] من أن " يمين الدولة " قد أتى من بلاد التركستان من قرية تدعى " فريومد " لا طائل منه عندنا ، فإننى بذلت قصارى جهدى فى البحث عن هذه القرية فى المراجع المتوافرة لدينا أو فى الكتب التى تناولت هذه المناطق جغرافيًا ، فلم أعثر لها على أثر . أضف إلى هذا أن محقق ديوان ابن يمين [3] يرفض فى مقدمة الديوان قول صاحب " ريحانة الأدب " قائلاً إنه لم يذكر اسم المرجع الذى استند إليه فى هذا القول حتى نستطيع التحقق من أن هذه القرية موجودة فى بلاد التركستان أو لا .

---

(1) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٩ – ١٠ .

(2) محمد على مدرس : ريحانة الادب جلد هشتم ص ٢٨٤ .

(3) مقدمة ديوان ابن يمين ص (يا) حاشية (١) .

ملمح عن حياة الشاعر :

اتضح لنا مما سبق ذكره أن شاعرنا قد نزح إلى خراسان مع أبيه؛ حيث استوطنا " فريومد "، واشتريا أملاكًا كثيرة ، وتصادق الوالد مع " علاء الدين محمد " الوزير الخراسانى وعمل عنده " مستوفيا " إلى جانب رئاسة الطغرا .

ويبدو أن الوالد قد أعد ابنه لهذا العمل ؛ حيث إن الشاعر قد ورث هذا العمل عنه بعد وفاته .

وأميل إلى أن الشاعر قضى فترة صباه مرافقًا " لعلاء الدين " يعمل لديه ويمدحه بقصائده المتعددة ، حتى بعد سنة ٧٣٦هـ الشهيرة ، ولما كان أتباع علاء الدين قد اشتطوا فى جمع مال الديوان من الأهالى الأمر الذى دفع عبدالرازق باشتين وأتباعه إلى الثورة عليهم ونشوب الحرب بينهم ، تلك الحرب التى انتهت – كما ذكرنا – بفرار " علاء الدين " إلى " جرجان "، فإننى أرجح أن شاعرنا قد هرب معه حيث التحقا " بطغايتمورخان " . ويبدو أن الشاعر قد بقى معهما إلى أن مات " علاء الدين " سنة ٧٤٢هـ ، فعاد إلى " سبزوار " واتصل " بمسعود " ، وهناك من القرائن ما يجلعنى أرجح ما قلته :

(أ) الكثرة الكثيرة من مدائح الشاعر فى " علاء الدين " " وطغايتمور "، وكلها تعبر عن عظيم حب الشاعر " لعلاء الدين "، وبخاصة القطعة المؤثرة التى أرخ لوفاته، والتى سبق ذكرها فى الباب الأول .

(ب) رغم أن " ابن يمين " يعد شاعر السربدارية الأكبر ، فإنه لم يمدح أول حكامها " عبد الرازق " ٧٣٦ – ٧٣٨هـ ، بل مدح " مسعودًا " حاكمها الثانى ومدح من أتى بعده ، فهذا يدفعنى إلى ترجيح مكوث الشاعر طوال هذه الفترة فى " جرجان " مع " علاء الدين " .

ولعل تساؤلاً يقفز إلى أذهاننا : لماذا لم يتصل الشاعر بالسربدارية منذ بدئها ؟ ولماذا لم يمدح " عبد الرازق " أول حكامها ، فى حين أنه مدح أخاه " مسعودًا " ومن جلس بعده على عرشها ؟

أرجح عند الإجابة على هذا التساؤل أن " ابن يمين " قد عاش حياته منذ قدومه إلى " خراسان " حتى وقت المعركة متصلاً " بعلاء الدين " وعاملاً لديه؛ فليس معقولاً أن يترك الشاعر ولى نعمته ثم ينضم إلى عدوه، ولهذا فضل الفرار مع " علاء الدين "، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن " السربدارية " كانت فى بدئها حركة ثورية أو جمعًا من المتمردين ضد ظلم " علاء الدين "، فلا يعقل أن ينضم الشاعر إلى جمع لا يعرف لهم مصيرًا ، وحينما تطورت هذه الحركة ، وأصبحت دويلة قوية تسعى إلى إرساء قواعدها وتثبيت أركانها ، وتولى حكمها بعد مقتل " عبد الرازق " " مسعود " المتصف لدى الكتاب بالصفات الحسنة ، اتصل به شاعرنا ومدحه بأشعاره .

ورغم أن الشاعر قد ظل مرافقًا " لعلاء الدين محمد " طوال فترة حياته - أى حياة " علاء الدين " - فإنه قد ذهب إلى " تبريز "؛ حيث اتصل بالوزير " غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله " ومدحه ، وقد طلب منه " غياث الدين " حينئذ أن يدبج له مقدمة كتاب له ، وقد مدحه الشاعر بالقطعة التى أولها[1]:

" وزير الاقليم الرابع غياث الدولة والدين ، أنت الذى يزين رأيك مائة ملك " [2].

---

(1) على أصغر حكمت فى تعليقه على كتاب تاريخ ادبى ايران جلد سوم لـ"براون" ص ٢٤٩ حاشية (١) .

(2) الديوان ص ٤٠٣ ، قطعة ٣٧١ . والبيت :

وزير كشور چهارم غياث دولت ودين   تونى كه راى توصد ملك رابياراید

ولكن أمر الشاعر لم يستقم فى هذه المدينة ، فاضطر إلى أن يرسل إلى " غياث الدين " خطابًا يحتوى على قطعة شعرية نظمها الشاعر يطلب فيها منه السماح له بالعودة إلى الوطن [1]، منها البيت التالى :

" الآن وحينما لا يكون لأمرى أى استقامة ، ماذا عليك لو أذنت لى بالرجوع؟ " [2] .

ويبدو أنه قد ذهب إلى العراق فى هذه الفترة، فإن " نبيح الله يقول : إن فى ديوان الشاعر قطعة تدل على أنه قد يئس من الإقامة فى العراق " نواحى غربى إيران أى ما عدا خراسان " ومن أهلها، وصمم على العــودة إلى "خراسان " [3] : " قولوا لعظماء العراق ، ما أكثر أن عاش الخادم يائسا هنا ، فى خلال عشرة أو عشرين يوما تكون رجعته من هنا إلى خراسان وإذا ما سأله الأصحاب فى خراسان من هم أهل الكرم فى العراق ؟ وحينما لم يشم رائحة كرم هنا ، أى جواب يقوله ، فما المصلحة فى ذلك ؟ " [4] .

ولا يعلم على وجه التحديد إلى أين سافر الشاعر فى سنة ٧٤١هـــ ؛ حيث أرسل مثنوية " كارنامه " إلى " فريومد " يرسل السلام فيها إلى كل

---

(١) نبيح الله : تاريخ ادبيات بخش دوم جلد سوم ص ٩٥٣ .

(٢) الديوان ص ٤٠٣ والبيت :

كنون جوكار مرا هيج استقامت نيست ... كرم اجازت رجعت دهى همى شايد

(٣) نبيح الله : تاريخ ادبيات بخش دوم جلد سوم ص ٩٥٣ .

(٤) الديوان ص ٢٣٢ قطعة ٨٣ والنص :

بزرگــان عراقـــى رابگوئيد ... كه چاكر بسـكه اينجاينوازيست

ازاينجا رجعتش سوى خراسان ... درين ده روزه باشد غايتش بيست

گر اصحاب خراسانش بپرسند ... كه در ملك عراق اهل كرم كيست

چواينجا كرم نشنيــــد بوئى ... جواب آن چه گويد مصلحت چيست ؟

معارفه هناك، ويبدو أن " علاء الدين محمد " كان قد رجع إلى " فريومد " فى هذه الفترة؛ لأن المثنوية تحمل سلام الشاعر إليه .

وفى الفترة التى عاش فيها " ابن يمين " مع " علاء الدين " لدى " طغاتيمور " فى " جرجان " اهتم الشاعر بمدح الأخير ، وأكثر من قرض الشعر فيه حتى إن " هدايت " [1] أطلق عليه لقب " مادح طغايتمور " ، ولا ينبغى الانسياق وراء هـذا، ويعتقـد أن السبب فى هذا يرجع إلى إغـداق "طغايتمور " عليه ، لأن فى أشعار الشاعر – كما سيأتى – معاناته من بخلهم وعدم ميلهم إلى العطاء ، وربما كان هذا المدح نوعًا من رد الجميل إزاء استضافته طغايتمور له .

ورغم أن الشاعر ظل مرافقًا " لعلاء الدين محمد " حتى وفاة الأخير فإنه يبدو أن الشاعر قد اتصل " بمسعود " فى حدود سنة ٧٤٠هـ أو يزيد قليلاً ؛ لأننا نجد فى ديوانه قصيدة يهنئ فيها " مسعودًا " على انتصاره على " على كاون " وأولها :

رسيد خسرو عادل بطالع مسعود بمنتهاى مراد وبغايت مقصود[2]

وأنا أعتمد فى هذه النقطة على ما رجحه " ياسمى " أيضًا من أن اتصال " ابن يمين " بمسعود " يرجع ابتداء من انتصاره على " على كاون "، ويستشهد بهذه القصيدة ، ويقول إن الفتح الذى قتل فيه عدو " مسعود " ليس إلا حربه مع " على كاون " [3] – وهذا حقيقة – ويبدو أن " ياسمى " اعتمد فى هذا

---

(١) هدايت : مجمع الفصحاء جلد دوم ص ١ ط ١٢٩٥ .
(٢) الديوان ص ٥٨ .
(٣) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٤٥ .

على البيت التالى :

سحقت هيبتك رأس عدوك ، أى مكان لقوة عاد أو نبوة هود" [(١)] .

وبعد وفاة " علاء الدين " سنة ٧٤٢هـ لم يكن أمام الشاعر سوى الالتحاق نهائيًا " بالسربدارية "، والانشغال بمدح قوتيها المادية الممثلة فى "مسعود " والروحية الممثلة فى " شيخ حسن جورى "، ووصل به الأمر إلى أن اشترك معهما فى الحروب مثلما فعل فى " حرب زاوه " سنة ٧٤٣هـ ، والتى انتهت بهزيمة جيش " مسعود " وأسر " ابن يمين " وحمله إلى " هرات " وفقدانه لديوانه أثناء المعركة ، كما أسلفت فى الباب الأول .

وفى هرات اهتم " معز الدين حسين " حاكم " آل كرت " بشاعرنا ورعاه، وقد أنشد الشاعر أمامه قطعة يشكو فيها ضياع ديوانه ، وذيلها بمدحه والثناء عليه، وأولها " إذا سلب الفلك ديوانى من يدى ، شكرًا لله أن جعل الديوان فى داخلى " [(٢)]، ويرى " براون " [(٣)] نقلاً عن " خوافى " أن هذه القصيدة قد أرسلها الشاعر من " سبزوار " إلى " معز الدين " ، ولكن " ياسمى " يخالفه مستدلا بأن الشاعر كان أسيرًا ومحمولاً إلى " هرات "؛ فربما أرسلها إليه من " هرات " أو وهو فى الطريق إليه [(٤)] .

وقد عاش الشاعر فى " هرات " فترة ليست بالقصيرة ، ونظم القصائد المطولة فى مدح " معز الدين حسين " والثناء عليه ، ربما بسبب إعزاز " معز

---

(١) الديوان ص ٥٩ والبيت بالفارسية :

سر عدوى توشد پايمال هيبت تو   چه جاى قوت عادست يا نبـــــوت هود

(٢) الديوان ص ٤ والبيت بالفارسية :

گر بدستان بستد از دستم فلك ديوان من   آنكه او ميسلخت ديوان شكر يزدان بامنست

(٣) براون تاريخ ادبيات جلد سوم ص ٢٥٠ .

(٤) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٥٣ .

الدين" وإكرامه له ، وبخاصة أن الشاعر كان ذا شهرة واسعة، ويعتقد أن "معز الدين" قد سمع بها ، كما سمع أشعاره ، وحينما علم بعد المعركة أنه من أسراه حمله إلى " هرات "، وأعزه وأكرمه وهيأ له كل سبل الراحة (١) .

ولكنى أجد نفسى عاجزًا عن الانسياق وراء هذا القول واعتباره التفسير الوحيد للكثرة الكاثرة من ممدوحات " ابن يمين " – فى أسره – " لمعز الدين " وإكرامه له ، وبخاصة أن الشاعر كان ذا شهرة واسعة، ويعتقد أن " معز الدين"؛ حيث أرجح أن الشاعر إلى جانب خجله من إكرام " معز الدين " له قد اضطر إلى مدحه وممالأته ، فإن بعض الفلتات تفلت من أشعار الشاعر تكشف أن " معز الدين " كان يأمره بمدحه ويجبره على ذلك .

وليس هذا أمرًا غريبًا ؛ فكل حاكم يهمه أن يجذب الأصدقاء، ويكيد أعداءه ولو بالحرب الباردة التى يكون الشعر أفضل أسلحتها ، ويمكن أن نستشف من البيتين التاليين أن الشاعر كان ينظم شعره أحيانًا بناء على أمر " معز الدين " فيقول :

كرد اشارت تابغواص فكـــر ابن يمين   ازميان بحر خاطر گوهر آرد بركنار(٢)

ويقول :

برجناب فرخش پاشم زبحرطبع خويش   امتثال حكم اورا سلك در شاهـــوار(٣)

ويبدو أن الشاعر قد ظل فى أسره فى " هرات " حتى سنة ٧٤٦هـ أو سنة ٧٤٧هـ ثم عاد إلى " سبزوار "، والتحق بالسربدارية مرة أخرى، ومدح

---

(١) السابق ص ٥٧ .

(٢) الديوان ص ٩٦ والترجمة :

" طالما قد أشار إلى غواص الفكر ابن يمين بأن يخرج الجوهر من بحر الخاطر إلى الشاطئ " .

(٣) السابق الصفحة نفسها والترجمة :

" أنثر على جنابه السعيد فى بحر طبعى عقدًا ملكيًا دريًا امتثالاً لأمره " .

" شمس الدين فضل الله " حاكمها فى ذلك الوقت . يقول " ياسمى " إن الشاعر عندما عزم على العودة إلى خراسان أنشد قائلاً [١] :

" لقد عزمت على الرحيل إلى خراسان مرة أخرى ، اتجه مثلما يتجه البلبل الصادح صوب روضة الورد ، كنت قد قطنت مثل " يعقوب " بيت الأحزان ، ثم وليت وجهى حينئذ شطر يوسف كنعان " [٢] .

ويمكن أن نستدل من تشبيه الشاعر لنفسه وهو فى أسره ، بمثل يعقوب ساكن بيت الأحزان بأن الشاعر أجبر على مدح " معز الدين حسين " مداراة له وخشية منه .

ومن المرجح أن الشاعر ظل فى " سبزوار " و"فريومد" بقية عمره عاكفًا زاهدًا ، ضائق الصدر بالسفر ، مشبهًا إياه " بسقر "، مفضلاً الراحة والاستقرار ، ومن ذلك قوله " أرى بعينى ما سمعته أذنى ، من أن السفر قطعة من سقر " [٣]، وإذا ما أجبر الشاعر على السفر ، فسرعان ما يخلق لنفسه الإعذار متعللاً بلطائف الحيل مثلما يقول : " أشعل الملك المعظم البيرق فوق الشمس عازمًا على السفر وسمعت من قول مطلع أن إمبراطور البحر والبر قد أمر بأن يتمنطق " ابن يمين " السعيد أيضًا بنطاق الخدمة فى هذا الطريق " حتى يقول : " بسبب الشتاء والشيخوخة، وإذا ما وجب السفر على هذه الصورة

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٦١ .

(٢) الديوان ص ٢٨٦ والبيتان :

اين منم باردگر عزم خراســــان كرده   روى چون بلبـــل شيدا بگلستان كرده

بوده يعقوب صفت ساكن بيت الأحزان   وينزمان روى سوى يوسف كنعان كرده

(٣) الديوان ص ٨٤ والبيت :

ببينم بچشم آنچه گوشم شنيد   كه باشد سفر قطعه‌ء نى از سقر

سيكون بلا فائدة ، ماذا ينقص كمال الكرم ، إذا ما الملك فريدون السيرة ، يسمح فورًا – بالبقاء – حتى أدعو له بروحى وأنا ماكث فى المدينة "[1]، ورغم هذا الاعتكاف لم يبتعد الشاعر عند مدح حكام السربدارية الذين جلسوا على عرشها بقية حياته أمثال على شمس الدين ، ويحيى كراوى ، وحسن دامغانى ، على مؤيد ، تحت وطأة الحاجة ، فيطنب فى مدح من يعطيه، ويسب من يمسك عن عطائه، ويتهمه بالخسة ومثلما فعل مع على شمس الدين وغيره ، كما سيأتى تفصيله .

ويلاحظ أن الشاعر لم يمدح ثلاثة من حكام السربدارية، وهم " ظهير الدين كراوى " و" حيدر قصاب " و" ميرزا لطف الله "، وهم الذين حكموا السربدارية طوال فترة السنوات الخمس التى تقع بين حكم سلطان يحيى وبهلوان حسن دامغانى " [2]، وربما يرجع السبب فى هذا إلى ضعف هؤلاء الحكام وضعة شأنهم .

---

(١) الديوان ص ٨٤ – ٨٥ والأبيات :

بعزم ســـــفر شاهجمشيد فــر   برا فراخت رايت بخور شيدبــر
شـــــــنيدم زگفتار كار آگهـــى   كه فرمود شــاهنشه بحروبــر
كه ابن يمـــــــين نيز اقبـــال وار   درين ره ببــــندد بخدمت كمر

ويقـــــول :

زمستان وپيرى وبيحــاصلى   برين صــــورت اركرد بايد سفر
كمال كرم راچه نقصان رسد   اگر شـــــهريـــــار فريدون سير
پس آنگه اجازت دهد تابجان   دعا گوى ميبا شـــمش درحضر

(٢) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٧٨ .

هذا وقد توفى الشاعر – كما سبق أن رجحنا – فى سنة ٧٦٩هـ خلال حكم " على مؤيد ٧٦٦ – ٧٨٠هـ " ، وقد أنشد الشاعر لحظة وفاته هذا الرباعى[١] :

منگر كه دل ابن يمين پرخـون شـد | بنگر كه ازين سراى فانى چون شد
مصحف بكف وروى بره چشم بدوست | باپيك اجل خنده زنان بيرون شد [٢]

والترجمة :

" لا تنظر إلى قلب " ابن يمين " المليء دمًا ، بل انظر إليه حينما يرحل عن هذه الدنيا العابرة ، المصحف فى كفه ووجهه على الطريق وعينه على الحبيب ، يرحل مع ملك الموت ضاحكًا " .

ويبدو أنه قد دفن فى " فريومد " إلى جوار أبيه " [٣]

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٥ . آذر : آتشكده ص ٨ . آريانا – دائرة المعارف جلد أول ص ٩٠٢ . محمد على مدرس : ريحانة الأدب . جلد هشتم ص ٢٨٤ . هدايت : تذكرة رياض العارفين ص ٢٨٠ .

(٢) المقطعات ص ٥٠ . لم يهتم محقق ديوان اشعار ابن يمين بنقل هذه القطعة فى الديوان الذى اهتم بجمعـه ، ومن العجيب أن المحقق ذكر حديث " دولتشاه " عن الشاعر وفيه هذه القطعة ، ولم ينتبه إليها ويـدرجها ضمن أشعار الشاعر ، أو يشير – على الأقل – إلى أنها ليست من أشعار الشاعر إن لم تكن لـه ، وقـد تحقق من ذلك .

(٣) دكتور على رضا حكمت : فى مقال بعنوان وضع أدبى واجتماعى ايران ازديده گاه ابن يمين . من مجلـة مجموعة خطابه هاى نحستين كنگره تحقيقات ايرانى ص ١٢٦ .

الباب الثالث

الدراسة التحليلية النقدية

الفصل الأول

القوالب الشكلية لشعر " ابن يمين " وقيمتها

القوالب الشكلية التى صبَّ فيها " ابن يمين " أغراضه هى : القطعة ، والقصيدة ، والمثنوى ، والرباعى ، والغزلية ، والتركيب بند ، والترجيع بند، والمخمس ، والمسمط ، والمستزاد .

ولقد وظف الشاعر كل قالب من هذا القوالب لخدمة غرض معين من أغراض الشعر – كما سيتضح – ولم تأت كل هذه القوالب على درجة واحدة فى الديوان من حيث الأهمية ؛ فالمقطعات تحتل مكان الصدارة وإليها ترجع شهرة الشاعر ، تليها القصيدة، فالمثنوى، ثم باقى القوالب .

وهذه الضروب الشعرية التى اهتم الشاعر بها – شأنه فى ذلك شأن أغلب الشعراء الإيرانيين – هى ضروب النظم العربى نفسه فيما عدا التركيب بند والترجيع بند ، والمثنوى، إلا أن بعضهم يرى أن " المثنوى " قد عرف عند العرب باسم " المزدوج " ومثاله ألفية ابن مالك .

ذاعت شهرة الشاعر بسبب مقطعاته الشعرية، وارتبط اسمه بها وارتبطت به ، حتى إذا ذكرت المقطعات ذكر " ابن يمين " والعكس صحيح ، مما دفع بعضهم إلى أن يُطلق عليه لقب " أستاذ فن القطعة " .

وإخال أن سبب الشهرة الواسعة التى نالتها مقطعات " ابن يمين " – والتى قيل إن الملوك كان يحلو لهم ترديدها فى مجالسهم – يرجع إلى أن هذه المقطعات قد حوت معانٍ وأغراضًا تختلف كثيرًا عن المقطعات التى نظمها الشعراء الذين سبقوا " ابن يمين " كما سيأتى .

والقطعة كما يدل عليها اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب ، وقد تكون أيضًا جزءًا من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل ، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضا من الأغراض؛ فلما سجله فيها تركها على حالها ولم يفكر مطلقا في أن يضيف إليها أبياتًا أخرى [1] . وقد تتفق القطعة والقصيدة في اتحاد الأبيات في الروى ، غير أنهما يختلفان في أن مطلع القصيدة لابد أن يتحد مصراعاه في الروى [2] .

غير أننا حين نلقى نظرة فاحصة على مقطعات الشاعر من الناحية الشكلية نجده لم يلتزم هذا الشرط دائمًا ؛ فتارة ينظم مقطعات غير مصرع مطلعها ، وقد أفرط في هذا إفراطًا كبيرًا، ومن نماذجه :

هرچند كه در خلاف وعده مشهور جهان شدى چوعرقوب

با اينهمه نزد من عزيزى چون يوسف مصر نزد يعقوب[3]

وتارة يخالفه وينظم العديد من المقطعات مصرعة المطلع، ومن نماذجه :

هماتا كه شاهنشه بى نظير كزوتازه شد رسم تاج وسرير

تمورخان شهنشاه جمشيد فر كه هم تاج بخشى است وهم تخت گير

---

(1) براون : تاريخ الادب ، ج٢ ص ٤٧ (الترجمة العربية) .

(2) حامد عبد القادر : القطوف واللباب ، الجزء الأول ص ٢٨٤ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة سنة ١٩٥٤م .
جلال الدين همائى : تاريخ ادبيات ايران ، جلد اول ص ٦٦ چاپ اول ايران . تبريز . ١٣٠٨ ش . ويقول ابن قيس رازى في المعجم في معايير أشعار العجم ص ٣٠٩ . تهران ١٣١٤ ش ، يقول " لابد أن تكون القصيدة الفارسية مصرعة المطلع، وكل قصيدة ليست مصرعة المطلع رغم طولها تدعى قطعة ولا يطلق عليها اسم قصيدة " .

(3) الديوان ص ٣٢٢ قطعة ٤٤ والترجمة :
" على رغم أنك في خلف الوعد صرت مشهورًا في الدنيا كعرقوب " .
" فأنت أثير لدىَّ مثل يوسف مصر لدى يعقوب " .

گرا خــلاص مــن بنــده يــاد آورد	ببخت جوان بينــد وراى پيــر
كه ابــن يمــين بــرگل مــدح كــس	جــزوگرزنــد بلبــل آســاتفير
اكرچـــه بظــاهر بـــود نـــام غيـــر	وليكن مراد او بود در ضمير[1]

وتارة نجد الشاعر فى مقطعاته التى وحد عروض مطلعها وضربه نجده يلتزم وحدة الرديف فى مطلعها، ثم ينفرد المصراع الثانى من كل بيت بعد ذلك بالرديف الواحد ، ومن ذلك القطعة التى مطلعها :

با خبر باش كه دنيا گذرانست ايدل	خيزكا بن خوابگــه بيخبر انست ايدل
هريك ازبرگ بنفشه كه دمد ازدل خاك	خال مشكين رخ سيمبر انست ايدل[2]

وحجم القطعة عند " ابن يمين " يتراوح بين بيتين وخمسة وعشرين بيتًا ، وهذا لا يتفق مع بعض الآراء [3] التى تذهب إلى أنه ينبغى ألا يتجاوز عــدد أبيات القطعة اثنى عشر بيتًا .

ويبدو من قراءة هذه المقطعات أن أغلبها وافٍ بالغرض الذى أنشئ مــن أجله ؛ أى أن الشاعر عندما نظمها لم يكن يقصد أن يقول فيها أكثر مما قال .

---

(1) الديوان ص ٣٤١ قطعة ٤٦٢ والترجمة :

" حقا إن الملك الفريد ، الذى تجدد منه رسم التاج والعرش " .

" تيمور خان الملك المعظم ، واهب التاج والقابض على العرش " .

" لو يذكر إخلاصى أنا العبد ، يرى بحظ الشباب ورأى الشيخ " .

" إن " ابن يمين " لو يصدح مثل البلبل فوق الورد بمدح شخص سواه " .

" رغم أن اسم الغير هو الظاهر ، فإن المراد أنه المستتر فى الضمير " .

(2) السابق ص ٣٥٤ قطعة ٥٥١ والترجمة .

" اعلم أيها القلب أن الدنيا عابرة ، فانهض فإنها مرقد الجهلاء " .

" كل واحدة من ورق البنفسج التى تنبت من قلب الأرض ، خال عنبرى لوجه ذى قوام فضى " .

(3) يقول همائى فى تاريخ ادبيات ص ٧٧ : " إن بعض الأساتذة يعتقدون أنه يجب ألا يتجاوز عــدد أبيــات القطعة عن اثنى عشر بيتًا ، وكلما استطاع الشاعر أن يصب فكرته فى أقل من هذا العدد ، كان أفضل" .

وقد نجح الشاعر فى أن يصب فيها كل ما كان يجول فى خاطره ومخيلته من صور وفكر .

أما القصيدة فتعد من القوالب الشكلية والفنية المهمة لدى الشاعر باعتباره شاعرا من شعراء القصور الذين يعد المديح من أهم ما فى شعرهم ، والقصيدة – كما لا يخفى – تهيئ بما لها من سمات تعبيرية ، الفرصة للشاعر لأن يصب فيها ما شاء وشاءت له قريحته من لفظ فخم وعبارة جذابة آسرة ومبالغة فى المدح والوصف مما يجعلها – أى القصيدة – أكثر ملاءمة وتناسبًا من القوالب الشكلية الأخرى لتوضيح مناقب الممدوح وتعديد سجاياه وأفضاله ، بغية استدرار غيثه المنهمر ، وإغرائه على البذل ودفعه إلى السخاء .

وهناك مميزات خاصة للقصيدة منها وحدة الوزن والقافية وتصريع البيت الأول منها ، مع طول نفسها بحيث تتراوح أبياتها من عشرين إلى أكثر من مائة بيت . والمعروف أن الغرض الأساسى من القصيدة فى الشعر الفارسى هو المدح وليس معنى هذا أن يكون الغرض الوحيد ؛ فربما كان هجاءً أو تعليمًا أو فلسفة أو دينا أو رثاء ... إلخ ، بل يفضل أن تتضمن القصيدة المدح حتى يتقبلها السامع الممدوح وتتشرئب لها نفسه .

وكان المدح لدى شعراء العرب القدامى هو السمة الغالبة فى قصائدهم ، وكان يحلو للشاعر أن يبدأ قصيدته بالتشبيب أو بالغزل أو الوصف أو التحدث عن الخمر وساقيها أو عن حديقة غنَّاء ، ثم ينتقل إلى المدح بعد أن كان قد هيأ ذهن السامع له وجذب انتباهه ، ثم يلقى عليه ما تهفو إليه نفسه ، من استجداء سيله المتدفق ، ونشود رفده سالكًا – فى ذلك – كل الدروب من إمعان فى المبالغة، وتوغل فى الاستعطاف مع نعت الممدوح بما لم ينعت به غيره من قبل.

" والقصيدة المدحية فى الأدب الفارسى تشبه كثيرًا قصيدة المــدح فــى الأدب العربى ؛ إذ إنها تتألف فى الغالب مــن ثلاثة أجــزاء أساســية هــى : المقدمة ، والمدح ، والاستعطاف ، وتظهر مهارة الشاعر فى أن يجعل من هذا التعدد وحدة واتساقًا ، ومن ذلك التخالف ، تآلفًا وانسجامًا " [(١)] .

وهذه الوحدة والتآلف والانسجام لا تتأتى إلا عن طريق بيت " ينتقل بــه الشاعر من التشبيب إلى المدح يعرف لدى الفرس باسم " گريزگــاه " أى بيت الانتقال " [(٢)]، ويسمى أحيانًا " المهرب " أو " حسن التخلص "، ويطلب فيه إيداع المعنى ولطائف اللفظ وحسن الربط بين الغرضين وجودة الانتقال من الأول إلى الآخر بحيث لا تصدم أذن السامع حين الانتقال .

وبعد المديح يختم الشاعر القصيدة بالدعاء للممدوح بما يسمى بدعاء التأبيد .

ولو حاولنا – جاهدين – تطبيق هذا القواعد المتبعة ، فى قصيدة " ابــن يمين " سنجده :

يبدأ غالبية قصائده بالتشبيب أو بالغزل أو التحدث عن الخمر وساقيها أو الشكوى ، ثم ينتقل إلى المدح، وفى النهاية يختم كل قصائده بدعاء التأبيد ؛ فلا غرابة أن يعترف " ابن يمين " صراحة باستخدامه لهذا القواعد فــى شــعره ؛ فيقول مثلاً عن استفتاحه لقصائده بالتشبيب :

" جعلت تشبيب هذه القصيدة بالخمر سيرًا على مــذهب الــشعراء ، وإلا فالخالق شاهد (على ذلك) [(٣)] ".

---

(١) حامد عبد القادر : القطوف واللباب ص ٣٥٢ .

(٢) براون : تاريخ الادب ، ج٢ ص ٤٢ (الترجمة العربية) .

(٣) الديوان ص ٩٧ والبيت :

تــشبيب ايــن قــصيده بــآئين شــاعران   كردم بمى وگرنــه گواهــست كــردگــار

ويعترف بأنه يختم قصائده بدعاء التأبيد؛ إذ يرى أنه يطيب مع المديح إلحاق الدعاء فيقول :

" وأنا ألحق الآن مع مدحك دعاء الخير ؛ إذ يطيب مع المديح إلحاق الدعاء أيضًا " [١] .

ولعل مثالاً أو أكثر يدعم نظريتنا، ويؤكد صدق ما نقول ؛ فالشاعر يقول فى مطلع إحدى قصائده :

"أقبل العيد أيها الحبيب ، فقدم كأسًا سائغة ، منها يصير الأمر (حسنًا) مثل الحبيب" .

"ولى شهر الصوم فاعتبر العيد مغنما ، فهذا موعده ، فأقم هذا أيضًا".

"انهض، واتجه صوب الحانة ، ذلك أنه ليس لهواء الصومعة بعد ذلك اتفاق مع الطبع" [٢] .

إلى أن يأتى إلى بيت الانتقال ثم ينطلق إلى المدح وتعداد مناقب الممدوح . ويلاحظ براعة الشاعر الفائقة فى حسن تخلصه ، بحيث إنه قد جمع فى القصيدة بين الطريقة التقليدية لبنائها وبين الفكرة التى يسعى الى عرضها

---

(١) السابق ص ٢٥ والبيت :

بامدحت توضم كنم اكنون دعاى خير   آن به كه با مديح دعانيز منضم است

(٢) السابق ص ٩٧ والأبيات :

عيد آمداى نگار بده جام خوشگوار   كزجام خوشگوار شود كار چون نگار

بگذشت ماه روزه غنيمت شمار عيد   زيراكه هست نوبت اين نيز برگذار

برخيز وعزم ميكده كن زانكه بعدازين   نبودى هواى صومعه باطبع سازگار

كى يرضى بها الممدوح ويسعده ، لهذا نجد الشاعر يستدرك معتذرًا بما بدأ به القصيدة من الخمريات مرتئيًا أن ما مضى لم يكن سوى بناء شكلى للقصيدة فحسب ، وأنه قد تاب عن الخمر منذ فترة ، وتبدو لنا الفكرة بصورة أوضح وأجلى لو عدنا إلى ما ذكرناه فى الباب الأول من أن " على شمس الدين " – ممدوح هذه القصيدة – قد حرم احتساء الخمر وتعاطى الحشيش وحدَّ من انتشار البغاء .

فيقول الشاعر :

" لا .. لا .. نعوذ بالله ، لقد نفضت يدى من هذا الأمر ، فلا تقدم لى الكأس أيها المعشوق التركى الساقى " .

" لقد جعلت تشبيب هذه القصيدة بالخمر طبقًا لمذهب الشعراء ، وإلا فالله شاهد (على ذلك) " .

" لأننى قد تبت فترة عن هذا الجرم ، طوعًا لا كرهًا " .

" خاصة الآن لأن أمر ملك العهد صار مؤازرًا لنهى الخالق فى هذا " .

" روح ودنيا الفضل والكرم تاج الملك والدين ، ذلك الذى هو كتاج ملوك الدهر العظماء " [1] .

---

(1) الديوان ص ٩٧ والأبيات :

نى نى نعوذ بالله ازين كار فارغم ... ساغر مده بدست من اى ترك ميگسار

تشبيب اين قصيده بائين شاعران ... كردم بمى وگرنه گواهست كردگار

كين بنده مد تيست كزين جرم تايبست ... ازراه اختيارنه ازروى اضطرار

خاصه كنون كه امر شهنشاه عهد شد ... بانهى كردگار درين كارد ستيار

جان وجهان فضل وكرم تاج ملك ودين ... آن همچوتاج سرور شاهان روزگار

ويمضى الشاعر فى المدح وتعداد مناقب الممدوح وسجاياه حتى يصل إلى نهاية القصيدة بعد أن أحسن العرض، وأجاد الطلب :

" حينما تكون يدك ناثرة الذهب معينة لى ، فأنا أعرف أننى لن أتحمل وطأة الانتظار " .

" صار " ابن يمين " الذى لا يسار عنده من ذلك يأخذ من اليسار قوة ألف واحد بالأضعاف " (١).

ثم يختم القصيدة بدعاء التأبيد :

" فليكن لعدوك نصيب السكر من النبيذ والشوك من الورد وقت القصف واللهو " (٢) .

وكثيرًا ما يبدأ الشاعر بعضًا من قصائده بالشكوى والأسى ، ونحن نجد فى الديوان الكثير من القصائد المدحية، وقد بدأها الشاعر بالشكوى من الزمن ومن الحياة ومن الفلك ومن الصديق ومن الممدوح ... إلخ .

وهذا نتاج طبيعى لظروف الشاعر الخاصة والعامة – كما أسلفنا – وتعرضه لتقلب الزمان الذى قلب له ظهر المجن .

ويمكن أن نستشف من هذا أن الشاعر متحرر بعض الشىء من التقليد الخالص الذى وقع فيه العديد من الشعراء المقلدين لشعراء العرب فى بدء

---

(١) الديوان ص ٩٨ والبيتان :

چون دست زرفشان توام هست پايمرد ... دانم كه بعد ازين نكشم بار انتظار

باضعف ازآن شد ابن يمين كش يسارنيست ... مى گيرد از يساريكى قوت هزار

(٢) الديوان ص ٩٨ والبيت :

بادا عدوت رابگاه عشرت ونشاط ... ازمل خمار بهره وازگل نصيب خار

القصائد إما بالغزل أو بالتشبيب أو بالخمريات أو بالوقوف على الاطلال ... إلخ .

فقد غير الشاعر فى مضمون مقدمة القصيدة بما يتناسب مع ظروف عصره وبيئته .

ولا ندعى أن الشاعر قد سار على هذا النسق فى كل قصائده، بل فى الغالبية فقط ، فهناك بعض من قصائد الشاعر لم تتعدد فيها الأغراض ، بل اهتم الشاعر بأن يجعلها من بدئها حتى منتهاها فى غرض واحد كان المدح .

ولم تحتو بالضرورة على بيت الانتقال – لانعدام تعدد الاغراض ... فكان أمثال هذا النوع يسمى بالمحدود أو المقتضب [1] ، وإن كان الشاعر قد التزم فى نهايتها ببيت الطلب وبدعاء التأبيد . وإليك نموذجًا من هذه القصائد :

" أنت يا من رأيك المنير كاشف أسرار الفلك ، ويا من ضميرك مظهرا لأنوار السعود " .

" أنت يوسف مصر ، وقد نصبك عزيز الآفاق كلها أميرًا على كل الخزائن فى الدنيا " [2] .

إلى أن يأتى إلى بيت الطلب :

" اجتهد فى العناية بعبدك " ابن يمين " ذلك لأنه لن يكون لك غنى عن مثلى " [3] .

---

(١) جلال الدين همائى أصفهانى : تاريخ ادبيات ايران جلد اول ص ٧٠ .

(٢) الديوان ص ٢٥ والبيتان :

اى كاشف اسرار فلك راى منيرت ... وى مظهر انوار سعادات ضميرت

تو يوسف مصرى وعزيز همه آفاق ... برجمله خزائن بجهان كرد اميرت

(٣) السابق ص ٢٦ والبيت :

درتربيت بنده خود ابن يمين كوش ... زيراكه نباشد زچنين بنده گزيرت

ويختم القصيدة بدعاء التأبيد :

" فبك تبقى دنيا الكرم عامرة ، ولتبق لهذه الدنيا مالكًا طالما هى نصيرة لك " [١] .

وحجم القصيدة عند الشاعر يتراوح بين ثمانية أبيات على الأقل ، وثمانية وثلاثين بيتًا على الأكثر ، ويهتم الشاعر بتصريع أول بيت فى جميع قصائده، ثم يوحد القافية أو القافية والرديف فى المصراع الأخير من كل بيت فقط .

ومن القوالب الفنية المهمة التى أحسن الشاعر استخدامها فن " المثنوى "، وقد نظم الشاعر عدة مثنويات اشتملت على أغراض ثلاثة : مثنويات " مجلس افروز " ، و " مثنوى دگر " ، و " مثنوى فى التوحيد والمعرفة " فكانت فى التصوف .

أما مثنويات " أنوشيروان وموبدان " و " دوپندو اندرز " و " چهار پندنو شيروان " فكانت فى الحكم والمواعظ وإسداء النصح . أما مثنوى " كارنامه " فكانت فى السؤال وإرسال السلام من موضع ما إلى أهله وعشيرته فى قريته " فريومد " .

والمثنوى الذى يدعى أيضًا بالمزدوج عبارة عن شعر ذى أبيات مستقلة مصرعة، ويلزم كل شطرين قافيتان [٢] ؛ بمعنى أن المثنوى مختلف فى القافية ومتفق فقط فى شطرى البيت الواحد ، ويشترط فيه وحدة الوزن .

---

(١) السابق والصفحة نفسها والبيت :

ازتست جهان كرم آباد كه بادا   داراى جهان تاكه جهانست نصيرت

(٢) همانى : تاريخ ادبيات ص ٧٦-٧٧ .

ولقد سار الشاعر على هذا النهج فى مثنوياته ، غير أن الجديد عنده من الناحية الشكلية يبدو فى مثنوى " كارنامه " ؛ حيث ضمنها غزلية أثناء الحديث عن أمه ، فيطلب الشاعر من ريح الصبا أن تذهب إلى أمه تسلم عليها وتنشد أمامها هذه الغزلية ؛ فيقول :

پس آنگه ايصبا اين بيتكى چند   بخوان درپيش آن پير خرد مند

غزل

فلك باما سرياری ندارد   بجزميل دلا زاری ندارد

زيهلوى من اين گردون بيمهر   جزآهنگ جگر خواری ندارد

چه بيداد ست يارب چرخ گردان   كه كاری جزستمكاری ندارد[1]

ويظل على هذا المنوال حتى ينتهى من الغزلية ، ثم يقفل راجعًا إلى المثنوى بشروطه السالفة الذكر .

أما من حيث الأغراض فلم يكن الشاعر مجددًا حين اختار فن المثنوى لغرضين اثنين وإخاله مجددًا فى الغرض الثالث ؛ ففى الغرض الأول وهو " التصوف " قد سبق الشاعر فى هذا الفن ، فمن طلائع شعراء المثنوى الصوفى " أبو شكور البلخى "، وتنسب إليه مثنوية " آفرين نامه " و " أبو المؤيد البلخى "، ويقال إنه تقدم الفردوسى فى نظم " يوسف وزليخا " ثم " العنصرى "

---

(١) الديوان ص ٥٨٧ والترجمة :

" وبعد ذلك رددى يا ريح الصبا هذه الأبيات المعدودة فى حضرة هذه العجوز العاقلة " .

غزل

" الفلك ليس لديه مساعدة لنا ، ، ليس له من رغبة أيها القلب إلا الأذى " .

" ليس لهذا الفلك القاسى رغبة من ورائى إلا الإيذاء " .

" يا الهى أى ظلم هذا . وليس للفلك الدوار من شأن إلا الظلم " .

وقد نظم مثنويات صوفية وغير صوفية من بينها "وامق والعذراء " " سرخ بت" " خنك بت " و " عين الحياة " ثم " الفردوسى " نظم " يوسف وزليخا " ثم " بابا طاهر " و " أبو سعيد بن أبى الخير " و " سنائى " الذى نظم مثنويات " عشق نامه " و " عقل نامه " و " عفو نامه " و " العطار " ، ثم فى العصر المغولى "جلال الدين الرومى " فى " المثنوى المعنوى " (١).

أما الغرض الثانى وهو إرسال السلام والسؤال عن الأهل والعشيرة والممثل فى مثنوية " كارنامه " ؛ فقد سبق الشاعر فيه أيضًا ؛ إذ نظم " سنائى الغزنوى " مثنوية تحمل الاسم نفسه وتشمل الغرض نفسه ، وهى " كارنامه " أرسلها " سنائى " من " بلخ " إلى جماعة من الأصدقاء والأحباب فى " غزنة " يمتدحهم فيها، وبخاصة أهل الديوان (٢) ، وهذا عين ما صنعه " ابن يمين " مقلدًا ؛ إذ أرسل من موضع ما فى سنة ٧٤١ هـ مثنوى " كارنامه " إلى أهله وأصدقائه فى " فريومد " يطلب فيها من النسيم أن يحمل سلامه ويوصله إليهم . فيقول فى أولها :

نسيم صبح جانم تازه كردى	رسيدى لطف بى اندازه كردى
رسانيدى پيام ازد لستانم	از آن درد دل ودرمان جانم
ازاينجا نيزيك شبگير درده	وازان منت بس برجان من نه (٣)

(١) محمد موسى هنداوى : بوستان سعدى ص ١٦ وما بعدها .

(٢) مثنويهاى حكيم سنائى ص ١٤٢ تصحيح وتقديم محمد تقى مدرس رضوى . تهران سنه ١٣٤٨ .

(٣) الديوان ص ٥٧٦ والترجمة :

" نسيم الصباح قد انعشت روحى ، ووصلت متلطفًا إلى أبعد حد " .

" لقد حملت رسالة من حبيبى فيها تعب قلبى وعلاج روحى " .

" امنحنى ليلة هنا ، واجعل لك منّة بذلك على روحى " .

إلى أن يطلب الشاعر من النسيم التوجه الى " فريومد "، وينتهز الشاعر هذه الفرصة ليطنب فى حسنها .

وبعد أن يعدد محاسنها يطلب الشاعر من النسيم التوجه الى أصدقائه وأهله يسلم عليهم واحدًا واحدًا ، وفى أثناء ذلك ينتهز الشاعر الفرصة ليمدح كل واحد منهم ويعدد مناقبه .

أما الغرض الثالث وهو " الحكم والمواعظ وإسداء النصح " فإخال الشاعر مجددًا فى اختيار المثنوى قالبًا يصب فيه هذا الغرض ، فلقد حصر الدارسون الأغراض التى نظمت فى فن " المثنوى " قبل عصر الشاعر على أنها الأغراض الحماسية والتاريخية والغرامية والقصصية والتصوفية . وهذا ما دفعنى إلى ترجيح أن الشاعر يعد مجددًا فى نظم هذا الغرض فى فن المثنوى . ومثنويات الشاعر فى هذا الغرض هى :

الأولى " أنوشيروان وموبدان "، ويبدأها :

بنام خدائى كه هستى ازوست زبرد ستى وزيردستى ازوست[1]

ثم ينشغل بمدح الخالق والثناء على الرسول وأولاده إلى أن يأتى إلى بيت الانتقال – كما هو متبع فى القصيدة – :

كنون بازگويم يكى داستان سخن جمله ازگفته راستان
شنيدم كه كسرى شه دادگر كه ديهيم ازوبود بازيب وفر[2]

---

(١) الديوان ص ٥٩٤ والترجمة :

" بسم الله الذى منه الوجود ، ومنه العزة والمذلة " .

(٢) الديوان ص ٥٩٤ والترجمة :

" أعيد لك الآن إحدى القصص ، حديثها جملة من قول الصادقين " .

" سمعت أن كسرى الملك العادل ، والذى يتفاخر به التاج " .

وقد أحسن الشاعر الانتقال من المدح والثناء إلى الغرض الأساسى الذى وضعه نصب عينيه لهذا الفن، وهو تقديم عدد كبير من النصائح التعليمية والإرشادية :

أما الثانية فكانت مثنوية " درپند واندرز "، والتى أولها :

شرط وآداب خدمت سلطان   برشمارم مگررسى توبدان[1]

فإن الشاعر يرى أن هذه الشروط تتلخص فى الصدق والصفاء والقناعة والحفاظ على السر وعدم طلب المزيد على عطاء الملك ، ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن التوكل ، فكأنه بالشروط التى أسلف تقديمها قد بسط الطريق إلى الله أمام السالك وما عليه إلا أن يتوكل على الخالق سبحانه – وقد سبق أن تحدثنا عن أنواع التوكل التى حددها الشاعر .

بقى لدينا آخر مثنوية فى هذا الغرض وهى " چهار پند نوشيروان "، والتى أولها :

شنيدم كه كسرى يكى فرش داشت   برآن فرش هرگونه پندى نگاشت[2]

يقدم الشاعر عدة نصائح يحث فيها على عدم الاهتمام بأمر الدنيا، ويبين أن القدر لا ينفع معه حذر ... إلخ ، ثم يقدم الشاعر حكايات قصيرة يصب فيها ما يرغب فى قوله ، وهذا نوع من التجديد أيضًا؛ لأن الحكاية تضفى على الموضوع طابع القصة فتمنحه مرونة وطرافة .

وهذه حكاية من حكاياته يوضح بواسطتها مذهبه الدينى وهو " التشيع ". ويبدو منها إلى أى مدى كان تعصبه الدينى؛ فيقول :

شنيدم زگفتار كار آگهان   بزرگان گيتى كهان ومهان

كه پيغمبر پاك والانسب   محمد سر سروران عرب

چنين گفت روزى باصحاب خود   بخاصان درگاه واحباب خود

---

(١) السابق ص ٥٩٩ والترجمة : " .

" أعد (لك) شروط وآداب خدمة السلطان فلعلك تصل إلى ذلك " .

(٢) السابق ص ٥٨٩ ، سبق ترجمة البيت .

كه چون روز محشر در آيدهــمى   خــلايق سوى محشر آيد همى[1]

ويسترسل الشاعر فى حكايته من أن مناديًا ينادى يوم الحشر طالبًا مــن الرجال والنساء غضَّ الطرف؛ لأن الخاتون " فاطمة " تمر وهى فى حالة يرثى لها ولا يقدر على رؤيتها أحد ، ثم يوضح الشاعر أن الظلم الذى وقــع علــى ابنيها " حسن " و " حسين " هو سبب هذه الحالة ، ثم يطلب الشاعر من العاقل المستنير الرأى أن يلهج لسانه بلعنة هؤلاء الظالمين كى ينال الجنة ، فيقول فى هذا :

ندارد كسى طــــاقت ديـــــدنش   زبس گــريه وسوزونا ليــــدنش[2]
بيـــــك دوش او بريــكى پيرهن   بزهر آب آلـــــــوده بهر حسن
زخون حســـــينش بدوش دگـــر   فروهشته آغشته دســـــتارسر
بدينســان رود خسته تاپــاى عرش   بنــــــالد بدرگـــاه داراى عــرش
بــگويد كـــــه خون دو والاگـــهر   ازين ظالمان هم توخواهى مــگــر[3]

إلى أن يقول :

چه بــد طــالع آنظــالم زشــتخوى   كه خصمان شــوندش شــفيعان او

---

(1) الديوان ص ٥٨٩ والترجمة :

" سمعت من أقوال العارفين ، عظماء العالم صغارًا وكبارًا " .

" أن الرسول الطاهر عظيم النسب ، محمد سيد سادات العرب " .

" هكذا قال ذات يوم لأصحابه ، خاصة بلاطه وأحبابه " .

" إنه حينما يأتى يوم المحشر ، ويتجه الخلائق صوبه " .

(2) ما أوردناه تحت عنوان الشكل هنا من حديث موجز لهذه المثنوية ؛ لأننا لن نتناولها بعد ذلك فى الأغراض.

(3) السابق ص ٥٩٠ ، والترجمة :

" لا يقدر أحد على رؤيتها من كثرة البكاء والحرقة والأنين " .

" على أحد كتفيها ثوب الحسن الملوث بشراب مسموم "

" ومعلق على الكتف الأخر عمامة ملوثة بدماء حسينها "

" تمضى متعبة على هذه الصورة حتى أعتاب العرش ، تئن فى بلاط صاحب العرش "

" تقول : ألا ترغب فى أن تثأر لدم هذين العظيمين من هؤلاء الظلمة "

الا ای خرد منـــدپـــا کیــزه رای   بنفرین ایشان زبـــان بـــرگـــشای
وزان تـــوزیزدان جـــای آفـــرین   بیـــابی جـــزایش بهـــشت بـــرین
جزا ین پـــند مینوش اگـــرمؤمنی   بـــدین راه روگـــرنه تردامنـــی[1]

وكان الرباعى من القوالب الشكلية أيضًا التى نالت اهتمـــام الـــشاعر ، والرباعى من حيث الشكل عبارة عن بيتين من الشعر يشتملان علـــى أربعـــة مصاريع تجرى على وزن واحد [2] وقافية واحدة " ويجب أن يكون الربـــاعى على وزن من الأوزان المستخرجة من الهزج ، ويجب أن تقفـــى مـــصاريعه الأول والثانى والرابع مع بعضها ، بينما يكون المصراع الثالث مقفى مع هـــذه المصاريع أو لا يكون كما هو فى الغالب الأعم " [3] .

والرباعى لابد أن يصرع بيته الأول حتى يمكن التفرقة بينه وبين المقطعـــات الأخرى [4] . والرباعى ذو المصاريع الأربعـــة المقفـــاة يُعـــرف " بالكامـــل " والرباعى ذو المصاريع الثلاثة المقفاة يعرف " بالخصى " .

ولقد اعتنى شاعرنا بهذين النوعين وإن أفرط فى النوع الثانى " الخصى " إفراطًا كبيرًا حتى أصبح يمثل الغالبية الغالبة من رباعياته .

---

(١) السابق والصفحة نفسها والترجمة :

" أى طالع سيئ لهذا الظالم القبيح الطبع ، الذى يصير شفعاؤه خصماء له " .

" ألا أيها العاقل مستنير الرأى ، الهج بلعنتهم "

" وسيكون جزاؤك بسبب ذلك الجنة العليا من الله خالق الروح "

" لا تنس هذه النصيحة لو كنت مؤمنًا ، فسر على هذا النهج وإلا فإنك تكون عاصيًا "

(٢) يقول همائى فى تاريخ ادبيات ص ٣٤ : إن وزن الرباعى تقريبًا يكون على وزن (لا حول ولا قوة الا بالله) .

(٣) براون : تاريخ الادب : ج٢ ص ٤٨ (الترجمة العربية) .

(٤) ابن قيس رازى : المعجم ص ٣٠٩ .

أما النوع الأول " الكامل " فقد نوَّع الشاعر فى استخدامه ، فقد التزم فى بعضه وحدة القافية فقط فى المصاريع الأربعة، وقد أكثر الشاعر فى استخدامه بصورة ملحوظة ، ومن أمثلته هذه الرباعية :

لقمان كه حكيمان جها نراست امام   فرمود بحفظ چاردرچا رمقام
دل درگه طاعت وزبان وقت كلام   ديده گه ديدن وشكم وقت طعام [1]

وفى البعض الآخر التزم الشاعر وحدة الرديف والقافية فى المصاريع الأربعة وإن لم يكثر فى هذا النوع ، ومن أمثلة :

ازكوى تودلفكار رفتيم دريغ   باناله' زار زار رفتيم دريغ
ناديده جمال يار رفتيم دريغ   نوميد ازين ديار رفتيم دريغ [2]

وأحيانًا يتصرف الشاعر فيوحد الرديف فى المصاريع الأربعة، ويلتزم وحدة القافية فى المصاريع الأول والثانى والرابع فقط ، ونرى هذا فى قوله :

در صورت ما جمال خودمى بينى   در ديده' ما خيال خود مى بينى
در سينه' ما سرور خود مى بينى   در كسوت ما وصال خود مى بينى [3]

---

(1) الديوان ص ٦٨٧ رباعية ٤٩٠ والترجمة :

" أمر لقمان إمام حكماء العالم بالحفاظ على أربعة (أشياء) فى أربعة مقامات " .

" القلب وقت الطاعة ، واللسان حين الكلام ، والعين أثناء الرؤية ، والمعدة وقت الطعام " .

(2) السابق ص ٦٧٩ رباعية ٤٢٦ والترجمة :

" وا أسفاه لقد مضينا من حيك بقلب كسير ، ومضينا مساكين بأنين مؤلم " .

" وا أسفاه لقد مضينا دون أن نرى جمال الحبيب ، وا أسفاه لقد مضينا باليأس من هذه الديار " .

(3) الديوان ص ٧٠٤ رباعية ٦٢٢ والترجمة :

" ترى جمالك فى صورتنا ، وصورتك فى مقلتنا " .

" وترى سعادتك في جوانحنا ، ووصالك فى حلّتنا " .

هذا من الناحية الشكلية ، أما من ناحية الأغراض التي شملتها هذه الرباعيات ، فإننا نلاحظ أن الرباعية عند الشاعر وحدة ذات غرض مستقل : تصوف أو مدح أو غزل أو نقد اجتماعي أو خمريات ... إلخ .

فمن رباعياته في التصوف :

رخسار توآئينهٔ ديرينهٔ ماست   ما شاهد وديدار توآئينهٔ ماست
آن جامهٔ شاهي كه باطلس ندهيم   در صومعه آن خرقه پشمينهٔ ماست [(1)]

وفي نقد المجتمع يقول الشاعر يائسًا من وفاء الأصدقاء :

ياري بگزين كزتو جدائي نكند   از غير توبا كس آشنائي نكند
ازاهل جهان بيوفا ايدل من   ياري بگزين كه بيوفائي نكند [(2)]

وفي المدح يقول :

اسبي كه قضادرپي او وقت شتاب   باشد چو خرلاشه كه افتد بخلاب
چون آصف مملكت نشيند بردي   گوئي كه ملك نشست برتير شهاب[(3)]

وعلى هذا الدرب يسير الشاعر في رباعياته التي تتصف ببساطتها وطرافتها وعذوبة أسلوبها مع قدرتها على التأثير .

---

(1) السابق ص ٦٣٨ رباعية ٩٥ والترجمة :

" إن وجهك هو مرآتنا منذ القدم ونحن حسان ورؤياك مرآة لنا " .

" ذلك الرداء الملكي الذي لا نبدله بأطلس (الحرير) ، يكون في الصومعة خرقتنا الصوفية "

(2) السابق ص ٦٦٧ رباعية ٣٣١ والترجمة :

" اختر الصديق الذي لا ينفصل عنك ، ولا يعاشر غيرك " .

" انتق يا قلبي صديقًا وفيًا من عشيرة هذه الدنيا المتصفة بعدم الوفاء "

(3) السابق ص ٦٣١ رباعية ٤١ والترجمة :

" الجواد الذي يكون القضاء في إثره وقت السرعة مثل الحمار الهزيل الذي ينكب في الطين " .

" حينما يستقر آصف المملكة عليه راكبًا ، تقول إن الملك قد استقر على شهاب عطارد " .

أما الغزلية أو الغزل فمن الناحية الشكلية يحتل مكانًا وسطًا بين القصيدة والمقطعة ؛ فهو أقصر من القصيدة وأطول من القطعة، " ويشبه القصيدة فى أنه يبدأ ببيت مقفى المصراعين ، ويختلف عن كل من القصيدة والقطعة فى أنه لا يكون وحدة شعرية متصلة الأفكار أو سلسلة من المعانى مترابطة الحلقات ، بل كثيرًا ما تكون الأفكار فيه مفككة والمعانى متناثرة متباعدة "[1] " ولا يزيد عدد أبياته عن الاثنى عشر بيتًا إلا فى القليل النادر من الأحوال "[2] . فى حين يرى همائى " أن عدد أبيات الغزل يكون ما بين ستة أبيات وثلاثة عشر بيتًا وإذا، تجاوز هذا العدد ولم يصل إلى واحد وعشرين سمي تغزلا "[3]. ومن مظاهره الشكلية أيضًا التى تمسك بها شعراؤه كثرة التشبيهات والكنايات والاستعارات، وذكر تخلصهم فى آخر أبياته .

ولو ألقينا نظرة فاحصة على الغزلية عند " ابن يمين " لوجدناها لا تشذ عن القواعد التى ذكرها النقاد ؛ فحجم الغزلية عند " ابن يمين " يتراوح بين ستة أبيات واثنى عشر بيتًا، وتبدأ مقفاة العروض والضرب للبيت الأول ثم يلتزم الشاعر وحدة القافية :

بياض غمزه روى وسواد طره شب   **زروى ومو ى نمود آنگار شيرين لب**

رخش بسايه زلف اندرون بدان ماند   **كه آفتاب درخشان شود ميانه شب**

كنم تحمل جوررقيبش ازپى آنك   **زمار مهره بدست آيد وزخار رطب[4]**

---

(١) جلال الدين همائى : تاريخ ادبيات ايران : جلد اول ص ٦٩ . حامد عبد القادر : القطوف واللباب ص ٣٢٦ .

(٢) براون تاريخ الأدب ج٢ ص ٣٨ (الترجمة العربية) .

(٣) جلال الدين همائى : تاريخ ادبيات جلد اول ص ٦٩ .

(٤) الديوان ص ١٨٦ غزلية ١٦ والترجمة :

" ظهر بياض غمزة الوجه وسواد الطرة السوداء من وجه وشعر ذلك المحبوب السكرى الشفة " .

" اعلم أن وجهه فى ظل طرته مثل الشمس المشرقة وسط الليل " .

" أتحمل جور عازلى فيه من أجل أن تأتى الجوهرة من الأفعى ، الرطب من الشوك " .

ويستمر الشاعر حتى يصل إلى البيت الأخير فيذكر تخلصه ، وقد اهتم الشاعر بذكر تخلصه فى نهاية جميع غزلياته :

سفر زكوى تو ابن يمين چگونه كند   كه باشد ازرخ وزلف توماه در عقرب[1]

وأحيانًا يلتزم وحدة القافية والرديف ، وقد أفرط فى هذا بصورة ملحوظة ، ومن أمثلته هذه الغزلية :

زهى من وفاى تونا ديده هيچ   بغير ازجفاى تونشنيده هيچ

مرادست هجرانت خارى نهاد   گل دلگشاى توناچيده هيچ

زمهرت تنم گشت همچون هلال   مه دلرباى تونا ديده هيچ

تو خورشيد حسنى ومن ذره وار   برون از هواى تونگزيده هيچ

نكردست ابن يمين سرمه ئى

به ازخاك پاى تودر ديده هيچ[2]

على أن الجديد الذى أتى به الشاعر فى شكل الغزلية يبدو فى غزلية واحدة أنه وحَّد عروض وضرب أبياتها جميعًا، وهى قريبة – إلى حد ما – من المثنوى :

اى آنكه بخوبى بمه چارده مانى   ازديده چرا همچو هلالى تونهانى

---

(۱) السابق ونفس الصفحة والغزلية :

" كيف يرحل " ابن يمين " عن حبك ، لأنه بسبب وجهك وطرتك يكون القمر فى العقرب " .

(۲) الديوان ص ۲۱٦ غزلية ۹۰ والترجمة :

" وا أسفاه أن لم أر وفاءك مطلقًا ، ولم أسمع إلا عن جفائك " .

" وضعت يد هجرانك لى الشوك ، ولم تجمع وردك المفرح مطلقا " .

" صار جسدى فى حبك هلالا ، ولم ير مطلقًا قمرك الأسر " .

" أنت شمس حسنه وأنا ذرة لم تختر الخروج مطلقًا عن هوائك " .

" لم يجد " ابن يمين " مطلقا أفضل من تراب قدمك دواء للعين " .

هستی صنما غایت آمـــال وامـــانی	افسوس كه غار تــگرایمـــان وامـــانی
بس صافتر وپـــاكتر ازآب روانـــی	هم قوت دل ازتـــووهم قـــوت روانـــی
گـــرچه همه عمرای مه بدمهر برانـــی	كزپـــیش خودم بی سببی دور برانـــی
محبوب همه خلق جهان همچو جهـــانی	آخر چوجهان ابن یمین ازچه جهـــانی
آری تـــومراكی ببرخـــویش نـــشانی	من بنده گـــدایـــیشه وتوشاه جهانی[1]

أما من جهة الأغراض فإن الشاعر لم يتقيد بموضوعات الغزل والعشق والتصوف ، بل خرج منها إلى الخمريات وإلى مزج المدح بالغزل .

القوالب الشكلية التى سبق ذكرها هى الفنون الأصلية عند الشاعر ، بيد أنه قد تناول فنونًا أخرى غير أصيلة، وإخال أن الشاعر استخدمها كى يثبت – فقط – مقدرته على صب أغراضه الشعرية فى قوالب شكلية متنوعة .

للشاعر ثلاثة من " التركيب بند " عدد أبياتها ١٤١ بيتًا " در تعريـــف بهار ومدح تاج الدين على سر بدارى " و " تركيب بندخزينه " " مـــدح عـــلاء الدين محمد وزير"و "تركيب در مرثية فوت مولانا بهاء الدين وتاريخ فوت او".

ومما يثير الانتباه أن الشاعـــر استخدم البيت الذى يـــرد بيـــن أقســـام " التركيب بند " على صورتين : ففى الأولى ذكر هذا البيت موحد القافية فـــى مصراعيه ويتفق مع نظائره فى المنظومة كلها فى القافية والروى ، أمـــا فـــى

---

(١) السابق ص ٢٩٥ غزلية ٢٨٥ والترجمة :

" أيها الشبيه ببدر التمام فى الحسن ، لماذا تحتجب مثل الهلال عن العين " .

" أيها الحبيب أنت غاية الآمال والأمانى ، وا أسفاه لأن المغير هو الإيمان والأمانى " .

" أنت أصفى من ماء الروح وأطهر كثيرًا ، فمنك أيضًا قوة القلب وشدة الروح " .

" رغم أنك شردت العمر كله أيها القمر القاسى ، لأنك أبعدتنى من أمامك بلا سبب " .

" إنك محبوب لكل خلق الدنيا (كحبهم) للدنيا ، ولكن لم تجعل من ابن يمين كالدنيا " .

" حقًا متى تشير بحملى إليك ، أنا العبد الشحاذ وأنت ملك العالم " .

الثانية والثالثة فقد جعل هذا البيت موحد القافية بين مصراعيه ، ولكنه يختلف في القافية عن غيره من الأبيات بحيث لو جمعت تكون مثنوية .

وفى التركيبين الأولين يقلد الشاعر مذهبه فى القصيدة بأن يبدأ تركيبه موحد القافية بين مصراعى بيته الأول ، ويسلم نفسه لسلطان الوصف أو الغزل ، ثم يمدح الحاكم فى البيت الذى يرد بين البنود . أما الثالثة فقد دارت حول الرثاء ، وقد ذكرت فى الديوان ناقصة العديد من أبياتها ، وقد وضع " المحقق " عددًا من النقط فى موضع أبياتها الناقصة ؛ لذا ارتأينا تجنب الحديث عنها .

بالإضافة إلى " التركيب بند " كان للشاعر " **ترجيع بند** " واحد فى التهنئة بالعيد، ومدح أمير " توكال قتلغ " عدد أبياته " ٣٩ بيتًا " لم يخرج فيه عن قواعده المألوفة ، بالإضافة إلى هذا ، عدد قليل من " **المخمس** ،**والمسمط** ، **والمستزاد** " دارت كلها حول العشق أو المدح ، بالإضافة إلى هذا كان للشاعر القليل من الألغاز تحت عنوان " چيستان " .

وبعد هذا العرض السريع لمختلف القوالب الشكلية التى استخدمها " ابن يمين " لموضوعات شعره نجده قد استخدم أغلب القوالب الشائعة فى الشعر الفارسى مع اختلاف قيمتها عنده وحسن استخدامه لبعضها، وهذه القوالب تشير إلى اهتمام الشاعر بالشكل اهتمامًا كبيرًا يدفعه إلى ذلك رغبة فى تناول فنون الشعر المختلفة .

الفصل الثانى

الغرض الأخلاقى والاجتماعى

احتل هذا الغرض مكانًا بارزًا فى هذا العصر – بصفة خاصة – وفق الأغراض الأخرى، وبخاصة " غرض المديح " الذى كان قد كثر بصورة واضحة فى العصور السالفة للعصر المغولى، وبخاصة العصر السامانى والسلجوقى والغزنوى .

ولعل فى الحروب المدمرة التى أصابت أهل هذا العصر بالويلات؛ فلم تهدأ أحشاؤهم، ولم يرق لهم جفن ، وفى كثرة الموبقات التى استشرت، وصدعت بنيان هذا العصر الاجتماعى ، وهو سبب يمكن أن نعلل به سعة انتشار هذا الغرض وبروزه .

ولم ينفرد شاعرنا " ابن يمين " وحده – دون شعراء عصره – بالنظم فى هذا الغرض الذى برع فيه وأبدع وعادت إليه شهرته ، حتى قال بعضهم : " إن كل الجوانب الأخرى فى حياة الشاعر تندرج تحت شعاع الجانب الأخلاقى عنده " [1] – أقول – لم ينفرد الشاعر بهذا الغرض وحده ، بل تناوله العديد من شعراء هذا العصر المبرزين الذين يعتد بأشعارهم ويفخر بها وبأصحابها أدب العصر المغولى خاصة والأدب الفارسى عامة ؛ فبالإضافة إلى الشاعر كان هناك " سعدى " و " عبيد زاكانى " ثم جاء بعدهما – وبعد شاعرنا – " حافظ الشيرازى "، وهم أبرز من تحدث فى هذا الغرض فى ذلك العصر .

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٨٣ .

لقد وجد هؤلاء الشعراء فى مشاكل المجتمع المتفاقمة مرتعًا خصبًا يصولون فيه ويجولون ، هدفهم تبصرة العامة والخاصة على السواء وهدايتهم ، سواء بالنصح والإرشاد أو بالأسلوب الفكه المكنى الذى يخفى تحت طياته حقائق تحتاج إلى دقة فى التأمل وإمعان فى التمحيص .

وإن دار جزء كبير من أشعار هؤلاء الشعراء حول مجتمعهم وما به من أخلاقيات ، فإنهم قد اختلفوا فى طريقة التعبير وفى الأسلوب ؛ " فالسعدى " مثلاً عالج هذه الموضوعات فى " البوستان " بطريقة قصصية توافر لديه عناصرها من زمان ومكان وشخصيات ، وفى "الـگلستان " عالجها بالنثر المطعم بالشعر، وقد غلب عليه الأسلوب الفكه [1]، وكان تركيز "السعدى " على الموضوعات أكثر من الشخصيات، فتعددت فى أشعاره أبواب العدل والإحسان والرضا والطاعة والقناعة والتربية والشكر ... إلخ ، بينما " عبيد " قد تناول هذا الغرض شعرًا أو نثرًا ، وبالطريقة الهزلية المرحة الساخرة ، أو كما يقـول " عباس إقبال " " انتقد أو ضاع الزمان بلغة الهزل ، والسخرية من هذا الزمن ومن أبنائه الجهلاء قصار النظر " [2] ، وقد كان تركيز " عبيد " على الشخصيات أكثر من تركيزه على الموضوعات؛ فلم ينجُ من لسانه اللاذع لا القاضى وأتباعه ولا الخطيب ولا الحكام وأتباعهم ، لا الشيخ ولا المقرئ، حتى الزهاد والمتصوفة والعابدون لم يسلموا من انتقاده كما جاء فى مثنويه " موش وگربه "

---

(١) د. محمد موسى هنداوى : الروضة أو گلستان ص ١ ج ١ ، ط مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٦ – ١٣٧هـ .

(٢) عباس إقبال : مقدمة كليات عبيد زاكانى ص (ن) .

على أن شاعرنا " ابن يمين " قد سلك طريقًا مخالفًا لسابقيه الكبيرين ؛ فقد اعتمد على النصح المباشر الواضح دون مواربة ، بواسطة أبيات قليلة، وهى " المقطعات ". اجتهد الشاعر فى أن يصب فيها فكرته ، وكان يجد من الشجاعة ما يدفعه إلى مهاجمة حكام عصره الذين وصفهم بالدناءة وشدة البخل .

وكان شأنه شأن " السعدى " فى أن ركز على الموضوعات دون الشخصيات؛ فحذر من الرياء والنفاق والملق والحسد والمداهنة، وحثّ على القناعة والإحسان والتواضع والشكر والرضا ... إلخ .

ولنا فى ظروف الشاعر الخاصة من العوامل ما يتضافر مع فساد عصره فى دفعه – أى شاعرنا – إلى النزول إلى هذا الميدان ، منها :

(أ) طبيعة الشاعر الدينية الأخلاقية ، ولو لم يملك الشاعر رأس مال أخلاقيًا حقيقيًا لما وصل إلى كثير من هذه الحقائق التى توصل إليها ، ودليلنا على ما نقول هو قول الشاعر عن نفسه :

" يكون مثل كلامك ، ذلك الذى هو محجوب لديك فى باطنك " .

" إن كان داخلك سيئًا فقولك سيئ ، وإن كان حسنًا فقولك حسن " [1] .

ومما لا شك فيه أن من يطلع على أشعار الشاعر – وبخاصة مقطعاته – يحس بصدق ما اتفقت عليه كتب التذاكر من أن " ابن يمين " شاعر يتميز بصفاء النفس ونقاء السريرة وحسن الخلق ، وإلا كيف يتأتى لمن لا يملك مثل هذه الصفات أن يكتب فى هذا الغرض دون أن يكون مهيئًا له داخليًا ونفسيًا .

---

(١) ديوان ابن يمين ص ٣٢٣ قطعة ٤٧ :

هست همچون نمونه سخنت   زآنچه دآرى تو در بدن محجوب

گر درونت بداست گفتت بد   ور درون توخوب گفتت خوب

ورغم أنه ليس من المُسلَّم به أن يفعل الإنسان ما يقــول ، فإن النواحى الأخلاقية بخاصة لا يمكــن الحديث عنها بهذه الصورة الصادقة التى برع فيها " ابن يمين " إن لم يكن يملك رأس مال أخلاقيًا كافيًا [1] . والشاعر – كما يفهم من مقطعاته – قد اهتم بأن يزود نفسه بالفضائل ، ولم يتوان فى السعى خلفها وكسبها ، بل ويتحدى من يرى فيه غير هذا :

" أنا لم أقصر فى اكتساب أسباب الفضائل ولم أتكاسل " .

" تربيت فاضلاً على هــذه الشاكلة التى ترانى بها ، تعــال وأنكــر إن استطعت " [2]

(ب) طول عمر الشاعر ومعاصرته للأحداث المتلاحقة لحكم ملوك الطوائف ساعداه على كشف الحقائق الأخلاقية التى ربما غفل الكثيرون عن كشفها[3] .

(ج) كان الشاعر غنيًا فى بدء حياته ثم أصابته الفاقه ؛ فقد ورث عن أبيه أملاكًا – كما سبق أن ذكرنا – ثم دارت عليه الأيام دورتها وافتقر ، فلم يجد أمامه بُدًّا – وهو الشاعر الذى يمتلك موهبة الشعر ، تلك التى تعد سلاحًا أجاد استخدامه من قبل فى التكسب جمعٌ من شعراء العرب والفرس – من أن يمتدح حكام عصره وأمراءه ، يستمطر غيث كرمهم ، ولكن هيهات .. فقد طاش سهمه وخاب فأله وطرد من أمام بيوتهم كما يطرد الكلب :

---

(١) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٨٣ .

(٢) الديوان ص ٥٤٣ قطعة ٨٧٧ :

من اندر كسب اسباب فضايل   نكردم هيچ تقصير وتوانى

هنر پرورده ام زين سان كه بينى   بيا انكار كن گر ميتوانى

(٣) ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٨٣ .

" يصير لسانى عذبًا وقت مدحك ، ويظهر جوهرك أكثر مما يظهره سيفك المرصع " .

" ماذا يصير أن يكون مثل جنابك ملجأ لأهل الفضل ، فإنك لا تذكرنى كما تذكر أقل عبيدك ".

" أنا لم آت، ولم أتغن بلطفك ، فلأننى آت وتردنى بعنف عن بابك " .

" أين كرم الطبع ذلك وتلك النفس السخية ، اللذان قد صنعا لذاتك الطاهرة مظهرها " (١)

ولهذا انحسر الشاعر إلى ذاته – وهو الشاعر الحساس ذو النفس الأبية – يحثها على العزلة وعلى الانزواء والبعد عن هؤلاء الأخساء ، وينعيها وينعى لأبناء وطنه حكامهم هؤلاء الأدنياء :

" إذا أمعنت التأمل فى منفعة الثور ومدح الملك ، فإن خدمة واحدة للثور أفضل من مدح مائة ملك " (٢) .

وهذا الانحسار الذاتى، وهذه النفس الشاعرية، تدفعان الشاعر إلى أن يبين لهؤلاء الحكام أنه ليس متسولاً بل شاعرًا له وضعه وكيانه، وليس الذنب ذنبه بل ذنب هؤلاء الحكام الذين لا قبل لهم بالشعر ولا بالعلم ؛ فكل عملهم لا يتعدى الأكل مثل الثور أو النوم مثل الحمار :

---

(١) الديوان ص ٤٤٢ قطعة ٨٠٥ :

منم كه درگه مدحت زبان خوش سخنم   كلندز تيغ بلارك پديد گوهــر خويش
پناه اهل هنرچون جناب تست چه شد   كه با دمى نكنى ازغلام كمتر خويش
مــــن ارنيايم ولطفت نخوا ندم باشد   چنا نكه آيم وراتى بعنفم ازدر خويش
كجاست ان كرم طبع وآن سخاوت نفس   كه ذات پاك ترا ساختند مظهر خويش

(٢) الديوان ص ٥١١ قطعة ٧٥٦ والبيت :

گرتأملها كنى در نفع گاو ومدح شاه   خدمت يكتاى گاو ازمدحت صد شاه به

" أنا ابن يمين الذى يجيد ماس فكرى نظم الجوهر من كل نوع "

" ينفض ببغاء القدس الغبار عن جوهر نطقى لذة وتمتعًا " .

" لدىَّ مهارة فى النظم، ولكن يصعب إشعال الكبد من ضياء نار فكرك ".

"بمدح ذلك الذى يكون نتاج عمره الأكل مثل الثور أو النوم مثل الحمار"(١)

وربما عاد سبب فقر الشاعر إلى سببين :

(أ) انكبابه على العلم وطلبه له وانشغاله به؛ ذلك الذى من شأنه أن يبعد الإنسان عن النواحى المادية فيقول عن نفسه :

" إذا لم أضبط مالى على حسب الشريعة ، فعذرى مقبول لدى العلماء " .

" لو سقط السقف وتهدم البنيان، فذلك يسير ما دام بناء فضلى وطيدًا " (٢)

(ب) طبيعته السخية ويده المبسوطة بحيث قد صرف عمره فى اجتذاب الأصدقاء واستضافة الضيوف حتى أودى به السخاء إلى الفقر فى نهاية عمره : (٣)

" ما أفضل الفضة التى تنثرها – رغم أنف العدو – لاجتذاب الأصدقاء ".

" فإن مالك يعطى عدوك حقه ، إن لم تأخذ منه حق الأصدقاء " (٤) .

---

(١) الديوان ص ٤٩٧ قطعة ٧٠١ :

منم ابن يمين كالمـــــاس فكر من ... نكـــو داندز هر نوعى گهـــر سفتن

زشوق وذوق خواهد طوطى قــدس ... غبـــار ازگوهـــر نطقم بپر رفتن

مهارت در ســخن دارم ولى نتوان ... زتاب آتش فكـــرت جـــگرتفتن

بمدح آنكه باشـــد حاصل عمرش ... بســـان گاو خوردن يا چوخر خفتى

(٢) المقطعات ص ١٦ :

گر ضبط مال خويش بقانون نميكنم ... عذرم بنزد مـــردم دانا ممهـــدست

بام سرافتاده وبنيـــاد منهدـــــم ... سهلست اگر بناى فضايل مشددست

(٣) ياسمي : احوال ابن يمين ص ٨٧ .

(٤) الديوان ص ٥٤١ قطعة ٨٦٩ :

سيم آن به كه رغم دشمن را ... در ره دوستان برافشانـــــى

مـــــال توداد دشمنت بدهد ... گرتـــو زوداد دوست نستانـــى

وقوله :

" أنفق كل ما تملك، ولا تخش أن يطعنك شخص قائلاً إنك متلاف " (١).

ولا ينبغى أن يفهم – هنا – أن الشاعر يدعو إلى التبذير وإنفاق كل ما فى اليد ، فلا يعقل هذا، وخاصة أنه قد عانى من الفقر وشدته حتى دفعه إلى الوقوف متسولاً على أعتاب الحكام ، بل القضية أن السخاء من القضايا الأخلاقية التى يعتز بها كل كريم ؛ فالسخاء مبدأ أخلاقى أو قضية عامة محببة يدعو إليها الشاعر من أجل خير العـــامة، وليستفيد منها أهل وطنه لهذا يقول :

"إذا قال عنى حاسد بأننى مسرف ، فلا تحزن يا ابن يمين ، فلا يعد الجود من الإسراف إذا كان له إنصاف " (٢) .

أضف إلى هذا أن للشاعر أبياتًا يدعو فيها إلى الاعتدال والتوسط ، ويحث على الانضباط وعدم التفريط والإسراف :

" اجتهد يا بنى فى ضبط ما تملك، حتى لا تتحسر من أجل ما لا تملك".

" ولكن إذا حفظته عليك بخلا ففى عنقك دم سمعتك " .

" استمع لى حتى أظهر لك الطريق القويم فى حياتك ، ويلزمك أن تنفذ سنة ابن يمين " .

" ينبغى الاحتراز عن باب الإفراط والتفريط ، ويجب عليك أن تقصد طريق الاقتصاد " (٣) .

---

(١) الديوان ص ٣٥٧ قطعة ١٨٥ :

هرچه دارى بخور وبذل كـــن وباك مدار   كه ترا طعنه زندكس كه فلان متلاف است

(٢) السابق والقطعة نفسها :

حاسدم مسرف اگر گفت چه غم كابن يمين   نشمرد جود زا سراف گرش انصا فست

(٣) الديوان ص ٣٢٥ قطعة ٥٦ :

اى پسردر ضبط آنچت هست جهدى مينماى   كازهرچ آن نيست اندوهى نبايد خوردنت =

ولعل فيما مضى ما يبصرنا بالدافع الحقيقى الذى دفع شاعرنا إلى النزول إلى هذا الميدان ، ولهذا فإننا لا نقبل ما قاله " د. عليرضا حكمت " من أن " النداء الوجدانى " هو الذى دفع " ابن يمين " إلى نظم الأشعار الأخلاقية، ويضيف بأن هذا النداء هو الذى جعل الشاعر يترك حياة الأمراء والإشراف وما لذلك من امتيازات – وبخاصة وأنه أمير ابن أمير – إلى حياة المرشدين الذين يدافعون عن الحق [1] .

ففى اعتقادى أن الشاعر لم يترك حياة الأمراء إلى حياة المرشدين من تلقاء نفسه كما قال "د. عليرضا" بل إن الشاعر قد دفع إلى هذا ، فقد أصابته الفاقه بعد غنى فى مجتمع قاسٍ لا يرحم ، وحاول أن يستغل موهبة الشعر فى مدح حكام عصره، ولكنهم – لانعدام صفة الكرم لديهم وتشجيع الشعراء – ضنوا عليه بالعطاء ، فضاق صدره بهم فانطلق سابًا لهم وناصحًا لأبناء وطنه :

من ارنيايم ولطف نخواندم باشد   چنانكه آيم وراتى بعنفم ازدرخويش

فكيف بالله يترك الشاعر الحياة الرغدة إلى حياة الفقر – كما قال د. عليرضا حكمت – ثم يتزلف إلى الحكام طالبًا أعطياتهم وما فى ذلك من مهانة له :

" برغم أن خبزك القمح وأعتابك الجنة ، فلماذا أنا بلا نصيب من طعامك مع أنى لست آدمَ " [2].

= ليكن ان ضبط ازره امساك خواهى كردنش   خون نلم وننك توزانيس بود دركرد نت

بشنوا زمن تاتمايم در معاشـــت راه راست   ســـنت ابن يمين بايد بجاى آوردنت

ازدرا افراط واز تفـــريط بودن محتـــــرز   بر طريق اقتصــــاد آهنگ بايد كردنت

(١) عليرضا حكمت فى مقال له بمجلة " مجموعة خطابه هاى نخستين كنگرة تحقيقات إيرانى " ص ١٣٣ .

(٢) الديوان ص ٥٠١ قطعة ٧٢٠ والبيت :

گرچه نانت گندم است وآستانت جنت است   من نيم آدم چرا بى بهره ام از نان تو

غير ما ذكرناه وما سنذكره من أشعار الشاعر كفيل بدحض هذا الرأى.

على أن ما تتميز به الأشعار الأخلاقية الاجتماعية للشاعر هو أنها صورة " صادقة " للحالة التى كان عليها المجتمع ، فساد مستشرفى كل زاوية ، ظلم منتشر فى كل موضع ، فقر ممتد فى كل تجاه ، العلم ممتهن وأصحابه محتقرون .. لا قيمة للفضل أو العلم بل القيمة فقط للمال ولصاحبه :

" شخص فاضل وعالم أصيل وطاهــر النسب، ولكن لا أحد يحبه فى الدنيا مطلقًا ".

" وآخر دنىء سيئ الأصل والنسب ومكروه ، يتلقى العديد من حسن القول أينما يذهب " .

" فسألت شيخًا حكيمًا عن هذا السر ، عن سبب هذا التفاوت الفاحش فى هذه الدنيا " .

" فاستغرق فى التفكير لحظة وأجاب فجأة ، إننى أكشف لك عن الأمر من خفاياه " .

" اعلم أن المال أصل السعادة فى هذه الدنيا ، وكل من لا يملك المال مثله كمثل النافجة التى ليس لها رائحة " .

" وحينما يملك الذهب والفضة ولو كان سيئًا ، فكل أقواله وأعماله طيبة لدى الخلق " .

" وإذا كان يملك آلاف الفضائل ولا يملك المال ، فبه موضع كل فضيلة مائة ألف عيب "[1] .

---

(١) الديوان ص ٣٥٩ قطعة ١٩١ :

يكيست فاضل ودانا اصيل وپاك نسب — وليك هيچ كسش درجهان ندارد دوست

يكيست ناكس وبداصل وبدرگ ومردود — بهر كجاكه رود صد هزارش نيكوگوست =

وكان للحكام الذين كان الجشع والنهم صفتهم الأساسية ، نصيب من نقد الشاعر وهجومه ، فصورهـم بصورة تجسد الجشع بكل معانيه فى كل أنحائها؛ فهم نهمون يخطفون حتى ما فى فم الفقير الذى لا يجد قوت يومه :

" شكوت إلى السيد آلام فقرى ، وقلت دواء هذا فى كف همتكم " .

" وحينما وقف على حالى قال : لا تلق لهذا الألم بالاً ، لأن دواءه لدينا ".

" وسلبنى طعامى وشرابى وقال : الوقاية هى أول علاج للمريض " [(١)] .

وشاعرنا – كما أشرنا – له حساسية خاصة ضد حكام عصره الذين – بسبب بخلهم وجهلهم – لم يلقوا للشعراء بالاً ولم يقدروهم حق قدرهم – مثلما كان يفعل أمراء المسلمين – لهذا أصيب الشاعر بخيبة أمل كبيرة، وهو يرى هؤلاء الحكام لا يقدرون شعره وشاعريته، وهو الذى يعتقد أنه ليس أقل من "العنصرى " أو "الأنورى " بأى حال من الأحوال :

" إذ ما أكون مرعيًا لمثل محمود ، لا يتساوى العنصرى معى " .

" أين لى مثل سنجر مُرَبيًا ، حتى أتفوق على الأنورى " .

" من أين عظمة هذين الشاعرين ؟ من إكرام محمود وسنجر " .

سئوال كردم ازين سـر زيرير دانـــــائى | كه اين تفاوت فاحش درابنجهان زچه روست
زمـــانكى به تأمل شد وبس آنـــگه گفت | كه ميكــــــشم زبراى تو مغزرا از پوست
بدان كه اصل سعادت درينجهان ما لـست | هرانكــــــه مال ندارد چو نافه" بى بوست
وگر بداست چو دردست سـيـم وزردارد | به نزد خـــلق همه قول وفعل او نيكوست
وگـــر هزار هنر دارد ونداردمــــال | بجاى هر هنرى صـــد هزار عيب داراوست

(١) الديوان ص ٣٣٤ قطعة ٨٩ :

بردم بنزد خواجه شكايت زرنج فقر | گفتـــم دواى اين بكف همت شماســت
برحال من چويافت وقوف تمام گفت | زين رنج غم مخور كه دوايش بدست ماست
ازمن گرفت باز طعام وشراب وگفت | اول علاج مردم بيمــــــارا حتمـــاست

" أنا الآن من دوران الزمن بحيث أكون فى العدم ، من التفكير فى خبز الشعير جاءت شاعريتى " .

" وإذا لم يكن الأمر على هذا النحو لابن يمين ، فماذا يملك هؤلاء من السمو أكثر منه " [1].

وبالإضافة إلى إهماله كان الشاعر فقيرًا ويعول أولادًا :

" سألنى سائل قائلاً : أيها الفقير ، أرى لك أولادًا ولا أرى لك مالاً "[2].

كل هذا أثر على نفسية الشاعر، ودفعه الى أن يعود الى نفسه حزينـا بائسًا كسير القلب يائسًا من عطاء هؤلاء البخلاء الأخساء ، حزينًا على تحطيم آماله وأحلامه فى رفدهم :

" ذات سحر جلست مفكرًا فى زاوية ، لماذا ساء حالى هذا العام؟ ".

" الدموع من العين مهراقة ، والآه من الصدر منبعثة ، من أجل نعمـة الدنيا والأجل ونيل المنال".

" وفى زحمة هذه الأفكار خاطبت القلـب عسى أن يـصير حـالى المضطرب الخاطر طيبًا".

---

(١) الديوان ص ٥٤٥ قطعة ٨٨٣ :

مربى چو محمـــود باشد گـــرم   چه سنجد بميزان من عنصـرى
چو سنجر هنـر پرورى كومراكــه   تا بشكنم رونق آنـــورى
بزرگى اين هردو شاعر زچيســت   زا كرام محمودى و سنجـرى
ز دوران چنانم من اكنون كه نيست   ز فكر شعيرم سر شاعـــرى
وگرنه نه اينست ابن يميـــــن   چه دارند ايشان ازوبر تـرى

(٢)الديوان ص ٤٥٧ قطعة ٥٦٢ والبيت :

سئوا ل كرد زمن سائلى كه اى درويش   تراعيال همى بينم ونبينم مال

" فاجابنى قائلاً : فى عهد هذا الحاكم يا له من خيال باطل، ويا له من تصور محال " [1].

ومن الطبيعى أن يكون العلم والفضل فى حالة يرثى لها طالما أن المجتمع كان على هذه الشاكلة، وكان حكامه بهذه الصورة، لأن الشعراء والأدباء إن طمعوا فى عطاء حكام، فإنهم لا ينظرون إلى هذا العطاء والتشجيع النظرة المادية بقدر ما ينظرون إليه على أنه تقدير لهم ولفنهم الأصيل الذى يستحق هذا التقدير ..

وإذا كان الحكام على هذه الصورة التى صورها الشاعر ، فلا غرابة أن يصاب سوق العلم والفضل بالكساد ؛ فهل يعقل أن يهتم بخيل خسيس بأهل الفضل والعلم !! فماذا يعنيه شأنهما – وما الذى يعود على جشع نهم إذا أثنى عليه بالثناء مثن أو لم يثن ، أو إذا وصفه بأجود النعوت واصف أو لم يصف ، لهذا نجد الشاعر قد اهتم بأن يعطى صورة عن الفضل فى هذا العصر مبينا حاله:

" الفلك يكون عدوًا لأهل الفضل جهالة ؛ لأنه ليس فى قلبه من ذلك حب لأهل الفضَل ".

" أهل العلم كلهم فى ألم ويتعذبون من الدهر ومن ذلك الشخص الذى لا يخرج عن ربقة الجهال " [2].

---

(١) الديوان ص ٤٥٧ قطعة ٥٦١ :

سحر گهى متفكر نشسته در كنجى ... بفكر آنكه چرا حال من بداست امسال
زديده آب روان زسينه آه كشان ... زبهر نعمت دنيا وبهر مال ومنال
در ميانهء انديشه هابـــدل گفتم ... بود كه نيك شود خاطر پريشا نحال
جواب داد وبگفتا بعهد اين مخدوم ... زهى تصور باطل زهى خيال محال

(٢) الديوان ص ٣٣٨ قطعة ١٠٦ :

فلك از بيهنرى دشمن اهل هنراست
مهر اهل هنرش دردل زآنست كه نيست =

فسوق الفضل كاسد بسبب جور الفلك الظالم وتخريبه له :
" صار اليوم سوق الفضل كاسدًا بسبب تعدى الفلك المتهور ".
" ويحبس فى القفص كل من له صفة الببغاء ناثر السكر بسبب جفاء الفلك ".
لقد فسد أمر أهل الصلاح؛ فهذا هو عهد السوقة والغوغاء " [1].
وما فائدة الفضل مادام عيبًا لدى عظماء الممالك، ومن يحصل عليه من العامة لا يستفيد به، ولا يحصل بواسطته على شيء :
" ليلة البارحة قلت للعقل من شدة الضيق : أنت يامن صرت مالكًا لملك العلم ".
" ما أكثر الآلام التى تحملتها فى قطع المسالك سعيًا إلى كسب الفضائل".
" وحينما حصلت عليها قلت أجد بسعيها خلاصًا من المهالك ".
" فإذا بى قد رأيت أن ليس هناك من عيب أسوأ من الفضل لدى عظماء الممالك ".
" فقال العقل لا تيأس – هكذا – دفعة واحدة ، لعل الله يحدث بعد ذلك " [2] [3].

=اهل دانش همه در رنج وعذ ابندز دهر

وآنكس از دائره بيهنراست كه نيست

(١) الديوان ص ٣٤١ – ٣٤٢ قطعة ١٢١ :

روز بازار فضل كاسد شد	وين زجور سپهرطباش است
ازجفاى سپهر در قفس است	هركه طوطى صفت شكر پاشى است
كار اهل صلاح يافت فساد	رزوگار رنود واوباش است

(٢) الديوان ص ٤٥١ قطعة ٥٤١ :

زد لتنگى خرد راد وش گفتم	كه اى بر ملك دانش گشته مالك
بسا كا ندربى كسب فضائل	كشيدم رنج در قطع مسالك
چو حاصل كرد مش گفتم بيابم	بسعى او خلاص از مهالك
بديدم از هنر عيب بترنيست	بنزديك بزرگان ممالك
خرد گفتا مشويكباره نوميد	لعل الله يحدث بعد ذلك

(٣) اقتباس قرآنى من سورة " الطلاق " آية (١) .

وإذا كان هذا هو حال العصر وحال حكامه ، وإذا كان هذا هو حال العلم والفضل؛ فأى شيء فى الدنيا يستحق أن يسعى إليه الإنسان ويعض عليه النواجذ ؟ ! لا شيء .. فلا مفر إذن من العزلة والانزواء .

وفى اعتقادى أن هذا كان السبب للكثرة الكثيرة من أشعار الشاعر التى يدعو فيها إلى العزلة والانزواء :

" أغلقت فمى كلية عن المديح وعن الغزل ، اسمع عنى لماذا لا أجد معنى فى تتبعها؟! ".

" لم أر لطفًا من أحد كى أمدحه ، ولست عاشقًا لجمال معشوق أو متيمًا به ".

" لم يبق هناك ربيع السعادة ولا ورد الطرب ، فبلبلى حبيس خريف الغم ولست عن ذلك منشدًا ".

" حينما يستقر فكرى البكر فى زاوية الخلوة، فقل الحق ألست أنا ابن يمين فى جنة المأوى؟!" [1]

فالعزلة فى كرامة أحب من ملك كيقباد وكيخسرو فى ذل ومهانة :

" قرصا خبز سواء أكانا من القمح أم من الشعير ، قطعتا لباس سواء أكانتا قديمتين أم جديدتين ".

---

(١) الديوان ص ٤٧٤ قطعة ٦٢٨ :

دم فروبستم بكلى از مـديح واز غزل بشنو از من كز چه معنى دروى اينها نيم

از كس لطفى نمى بينم كه گويم مـدح او بر جمال دلبرى هم عاشـق وشـيدا نيم

نوبهار شاد مانى وگل عشـرت نمـاند بلبـلم انـدر خزان غم از آن گويا نيم

چون بود كنج خلوت فكر بكرم همنـشين راسـت گو ابن يمين در جنـة المأوانيم

" فراغ البال فى زوايا إيوانى ، ذلك الذى لا يقول أحد فيه انهض هنا واذهب هناك ".

" أحب إلى " ابن يمين " من جاه مملكة كيقباد وكيخسرو ألف مرة " [١]

فالشاعر يؤثر العزلة؛ إذ يرى أنها تنقذ الإنسان من المصائب والبلايا التى يتعرض لها ذوو النفوس الشاعرية من الناس حين الاختلاط بهم :

" العزلة والانزواء والوحدة تحررك من آلاف البلايا ".

" وهكذا من مثل هذه الأحوال يكون العنقاء ناجيا من الشباك التى تصيد الضعفاء ".

" – فلتكتف – بالصومعة والصحيفة التى تحتوى على لطائف الأشعار".

" كل من يملك – أشعارا – مثل ابن يمين لا يكون وحيدًا؛ لأنه يكون مع الناس " [٢]

على أننا لا ينبغى أن نسارع الى فهم أن الشاعر يدعونا إلى العزلة والانزواء، ونحكم عليه من جراء ذلك ونتهمه بالسلبية والهروب والتواكل ؛

---

(١) الديوان ص ٥٠٤ قطعة ٧٢٩ :

دو قرص نان اگرز گندم است اگر زجو
دوتای جامه اگر کهنه است اگرزنو
بچار گوشه ایوان خود بخاطر جمع
که کس نگوید ازاینجای خیز وآنجارو
هزار بار نکوتر بنزد ابن یمین
ز فر مملکت کیقباد وکیخسرو

(٢) الديوان ص ٣١٦ – ٣١٧ قطعة ١٩ :

عزلت وانزوا وتنهائى — برهاندت از هزار بلا
رسته از دام هرزبون گیری — زینچنین حالها بود عنقا
گوشه ئی وجریده ئی که درا و — جمع باشد لطایف شعرا
هرکه دار دیمسان ابن یمین — نیست تنهاکه هست باتنها

فالشاعر لا يعتبر العزلة مبدأ عامًا ينبغي أن يحتذى ؛ فالشاعر نفسه لايقدر على الاستغناء عن الآخرين حتى يدعونا الى ذلك ، وإذا نجح فرد فى هذا فلا يمكن أن يقدر عليه الآخرون ، بل إن الشاعر – فى ملتــى واعتقــادى – لا يقــصد بالعزلة والانزوائية هنا الاعتكاف والانزواء والقعود عن طلب الرزق وانتظار ما تمطره السماء من ذهب أو فضة ، وإلا صار فى مقدمة السلبيين ؛ فالشاعر – بصرف النظر عن أنه قد أنشد هذه الأشعار فى لحظات معينة فرضت عليه هذا النوع من الشعر – يقصد الاستغناء عن الأشرار وتجنبهم، ولم يقعــد عــن طلب الرزق وله الأشعار التى يحث فيها على العمل وطلب الرزق ، بل كل ما قعد عنه واستغنى هو الاتصال بالأدنياء والأخِسَّاء :

" ينبغي أن تسعى رغم أن الرزق مقسم ، لأن معزى[1] قد قــال هــذا المعنى اللطيف".

" فــإذا كان الله يعطى الرزق بلا سعى ، فكيف نــادى مــريم قــائلاً: "هزى" [2].

ويقول حاثًا على السفر والسعى وراء الرزق ، وهذا وحده ينفى قصده بالعزلة هو التواكل والسلبية :

" أيها القلب إذا كان فى السفر عديد الأخطاء ، أين يجد الشخص سفرًا بلا خطر؟".

" ذلك الذى يظفر به الرجل فى السفر ، أين يجده فى الحضر؟ ".

---

(١) هو الأمير " معزى" شاعر السلطان " سنجر" استمد تخلصه من أحد ألقاب السلطان ملكشاه وهو " معز الدين" توفى سنة ٥٤٢هـــ .

(٢) الديوان ص ٥٢٠-٥٢١ :

اگرچه رزق مقســـومت ميجوى	كه خوشى فرمود اينمعنى " معزى"
كه يزدان رزق اگر بى سعى دادى	بمريم كه ندا كـــردى كه "هزى"

" كل من يقبع فى الظل معتزلا ، أين يجد شعاع القمر والشمس؟ ".

" وذلك الذى لا يغوص فى البحر ، أين يظفر بالعقد الدرى والجوهرى؟".

" وذلك الذى ينأى بجانبه عن المنجم ، فمن أين له بصرّة الفضة والذهب؟ ".

" وإذا لم يطر الصقر من أيكه ، فمن أين يظفر بالصيد؟".

" وإذا اعتكف الفاضل ، فمن أين يجد رغبة القلب من الفضل؟"[1] .

والبيت الأخير خير دليل على ما نقول :

ولقد اهتم " ابن يمين" بكثير من القضايا الأخلاقية التى ينبغى أن يحتذيها أبناء وطنه ويعضوا عليها بالنواجذ، وأولى هذه القضايا العبادة الحقة التى ينبغى أن تكون حبًّا لله من أجل الحب، وليس طمعا فى ثوابه أو خشية من عقابه :

" عباد الله الذين يعبدونه هم على ثلاثة أقسام فى عبادتهم هذه ".

" قسم يعبدونه طمعًا فى جنته ، وتلك شيمة التجار وعادتهم ".

---

(١) الديوان ص ٣٦٣ قطعة ٢٠٦

اى دل ارجند در سفر خطرست   كس سفر بيخطر كجا يابد

آنچه اندر سفر بدست آيد   مرد آن در حضر كجا يابد

هركه در سايه گشت گوشه نشين   تابش ماه وخور كجا يابد

وانكه در بحر غوطه مى نخورد   سلك در وگهر كجا يابد

وانكه پهلو تهى كند از كان   صره سيم وزر كجا يابد

بازكز آشيان برون نپرد   بر شكارى ظفر كجا يابد

گر هنر مند گوشة نى گيرد   كام دل از هنر كجا يابد

" قوم آخرون يعبدونه خشية عقابه ، وهذا عمل العبيد الــذى يــصنعه الأحرار ".

" وجمع صرفوا النظر عن هاتين الجهتين ، وأنكــروا علـــى هـــاتين الطائفتين أمرهما ".

" ولما لم يجدوا للوجود مركزًا غيره ، داروا حوله مثل الفرجار".

" وهذا الطريق الذى تسلكه الفرقة الثالثة هو طريق الحق ، والذين يشقون بسيرهم وسلوكهم الطريق باستقامة "(1).

والقطعة السابقة تعبير واضح لما كان عليه حب " رابعة العدويـــة"، أو الحب الخالص لله تعالى " وهو الحب الذى يتخذ فيه من الله موضوعًا يــشتاق اليه الإنسان ويقبل عليه لا خوفًا من ناره ، ولا طمعًا فى جنته ، بــل ابتغـــاء لوجهه ، واجتلاء لطلعته " (2).

إذن فحب الله هو الأساس ، ولن يتأتى هذا الحب إلا برضا الله ، ولـــن يتأتى هذا الرضا إلا بالعمل الطيب الصالح :

" إذا أردت خير الدنيا والدين ، فأصلهما هو العمل الطيب ".

" والبحث عن راحة عباد الحق ، هو عين التقوى الزهد والدين".

---

(1) الديوان ص ٣٨١ قطعة ٢٧٥ :

خلق خـــــدا كه خدمت دادار ميكنند　　　هســتند برسه قسم كه اين كار ميكننــد

قسمى شدند ازپى جنت خدا پرســــت　　　وآن رسم وعاد نيست كه تجار ميكننــد

قوم دگر كننـــــد پرســـــتش زبيم او　　　واينكار بنــد گانســت كه احرار ميكننــد

جمعى نظر ازين دوجهت قطع كـرده اند　　　بركار هردو طـــــايفه انكار ميكــــنند

چون غير خويش مركز هســتى نيا فتند　　　بر گرد خويش دور چـــو پرگار ميكنند

اينســــت راه حق كه سوم فرقه ميروند　　　سير وســــلوك راه بهنــــجار ميكنند

(2) د. محمد مصطفى حلمى : الحياة الروحية فى الاسلام . ص ٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م.

" وإذا كان لباب الخلد مفتاح ، فهو كثرة العطاء وقلة الإيذاء ".[1]

ولن يتأتى رضا الله بدون السير على الصراط المستقيم :

" انظر إلى وقع أقدامك أولاً ثم اخطُ بعد ذلك، وكن حذرًا ".

" أتريد أن تصل إلى ماتصبو بلا تأخير ، استقم فى مشيك دائمًا، وكن على الصراط "[2] .

ويحاول الشاعر بهذه الأسس والقواعد الأخلاقية أن يرسم صورة مثالية لما ينبغى أن يكون عليه الإنسان ، بمعنى أن يكون عزيز النفس ، قنوعًا ، حسن السيرة ، طيب السمعة، ... إلخ . فهذه الأخلاقيات تعد دعوة من الشاعر إلى تربية أخلاقية حميدة ؛ فما أجمل أن يكون الإنسان وفيًا وما أقبح الخيانة ومن تسرى الخيانة فى دمهم :

" اعلم كل شخص كما هو ، ثم صادقه بهذا القدر ".

" كن وفيًا ولا تصل وتقطع بين الأصدقاء القدامى لأجل الجدد ".

" اجتهد فى العمل، ودع القول جانبًا ؛ فالأمور لا تسير بالقول " [3].

---

(١) الديوان ص ٣٤٣ قطعة ١٢٨ :

سود دنيا ودين اگر خواهى	مايه هرد وشان نكوكاريست
راحت بند گان حق جستن	عين تقوى وزهد وديندارست
گر در خلد راكليدى هست	بيش بخشيدن وكم آزار يست

(٢) الديوان ص ٤٣٧ قطعة ٤٨٩:

اول ببين مواقع أقدام خويشتن	درنه قدم از آن پس وباحتياط باش
خواهى كه بى درنگ بمقصود خودرسى	پيوسته مستقيم رو وبر صراط باش

(٣) الديوان ص ٤٩٨ قطعة ٧٠٨ :

هركس راچنا نكه هست بدان	پس بدا نقدر دوستى ميكن
باوفاباش ووصل وفصل مكن	بهر ياران نوزيار كهن
در عمل كوش وترك قول بگو	كار كرده نميشود بسخن

وإذا حذر الشاعر أهل قومه من الخيانة فإنه يحذرهم النميمة والإنسان النمام ، الناقل لسيئ القول الطاعن من الخلف :

" أترغب ياعزيزى فى ألا تذل ، لا تنم أحدًا مطلقًا أمام أحد ".

" ذلك لأنه لن يفعل أحد معك نفس الصنيع ، طالما لا تذكر أمامى شيئًا عن أحد ".

" وذلك الذى اشتهر فى الآفاق بسب الآخرين ، لن يكون لأحد رغبة فى مصاحبته " [1] .

ونلمح فى أشعار الشاعر – فى إطار أخلاقياته – دعوة صريحة إلى التمسك بالقيم الأخلاقية والعمل بها ، فليس ثمة أحب من التواضع وأكره من الكبر والغرور :

"كل من تواضعت له – إذا عرف قدر ذلك – فعليك أن تزيد منه".

"وذلك الذى لايعرف هذا القدر دناءة ، اطرده من البيت مثلما يطرد الكلب " .

"حتى تتحرر من ذلك الشيطان سيئ المسلك ، اجعله فى الكون إبليسا من الهجاء" [2] .

---

(١) الديوان ص ٤٣٤ قطعة ٤٧٥:

خواهى كه خوارمى نشوى ايعزيز من — هرگز به نم كس نزنى پيش كس نفس
زيراكه باتوكس نكند ما جرا از آنك — بهرچه با دمى نكن پيش من زكس
وانكس كه شهره گشت ببد گفت ديگران — كس را بصحبتش نبود درجهان هوس

(٢) الديوان ص ٤٩٩ قطعة ٧١٣ :

هركه اورا تواضعى كردى — قدر أن شناخت افزون كن
وانكه قد رش زنلكس نشناخت — جون سگش از سراى بيرون كن
تا از آن ديو سير برهى — تكزه از هجاش دركون كن

ولايقدر الشاعر على خلع حلة المرشد الناصح التى طالما رفل فيها ؛ لهذا آلى على نفسه أن يبصر قومه وحكام قومه بما لم يبصروا به من قبل ، فاتجه إلى حكام عصره الجهلاء ينصحهم، ويبين لهم قيمة العلم، ويعلمهم كيف ينبغى أن يعاملوا العلماء، ويدفعهم إلى الاستئناس بهم :

"ابن يمين يعرض مقالة من التمثيل على الملك الحاكم " .

"وهو أن الرجل الفاضل يكون كصقر تصطاده من الهواء بشراكك" .

"لا ترهق نفسك بتعليمه الصيد ، لأنه يحسن هذه الصنعة تلقائيًا" .

"ويكفى أن تجعل لذلك الصقر الغريب معرفة معك عن طريق اللطف ".

"وحينما يزول الخوف تمامًا عن طبعه ، فإنه يعطيك بعد ذلك من الفضل منافع" .

" وإن ير العنف ، فعندما يجد المجال ، سيحرر نفسه من شراكك" .

"احفظه باللطف، إن كان يلزمك هذا الصقر النجيب"[(١)] .

واتجه إلى قومه يحذرهم من بعض العادات المرزولة التى امتدت خيوطها فى أرجاء المجتمع ... يحذرهم من الرياء ويناشدهم الإعراض عنه ويحذرهم السعى خلف ما يجلب العار :

---

(١) الديوان ص ٣١٣ – ٣١٤ قطعة ٧ :

بتمثيل ابن يمين نكته لى — كند عرضه برشاه فرمانروا

هنرمند مانند بازى بود — كه اورا بدام آورى ازهوا

بتعليم صيدش مشورنجه هيج — كه نيك آرد واين صفت رايجا

همان به كه آن باز بيگانه را — كن بالخود از راه لطف آشنا

چو وحشت بكلى ز طبعش رود — دهد زان پست از هنر بهره ها

وگر عنف بيند چويابد مجال — كند خويشتن را زدامت رها

بلطفش نگهدار اگر بايدت — كه باشد چنين شاهبازى ترا

"مرحى للأبله الذى يحارب أحياء عصره لأجل الجيفة" .

"الشخص الذى لا يعرف الخبيث من الطيب يكون الهرب منه بفراسخ أمرًا ضروريًا " .

"الشخص الذى يتذكر التابوت أثناء الحكم كيف يتخايل بتاج الملك" .

"حياة المرائى أمام الخلق تعد تزويرًا لدى أهل العلم والثقافة" .

"طالما تكون قد وقعت فى أسر الشهرة والعار، فلن تتحرر ثانية من ذلك المحبس الضيق "[1] .

وفى إطار أخلاقياته يهتم الشاعر بأن يحذر قومه من الدنيا تلك التى عانى منها طويلاً ؛ فهى ما إن تبتسم للإنسان حتى تقلب له ظهر المجن؛ فهى بشكلها الجميل وطويتها الفاتكة أشبه بامرأة قبيحة تخفى قبحها بقناع خادع، وتسعى إلى إغراء الأزواج لتفتك بهم ... وهذه هى طبيعتها ... لهذا ينبغى أن يحذرها أهل المروءة والرجولة، وهذا ما أبدع الشاعر فى تصويره فى قطعة تعد من أروع ما أنشد، وترجع براعة هذه القطعة إلى أن الشاعر أضفى عليها الطابع القصصى بعناصره من زمان ومكان وشخصيات وحوار، كما أجاد اختيار البحر المناسب لعنصر الحكاية وهو "المتقارب: فعولن ٨ مرات" كما أن براعة الشاعر تظهر فى اختياره "سيدنا عيسى عليه السلام" بطلاً للقصة ليضفى عليها الطابع الدينى، ويشير بذلك إلى أن من يرفض الدنيا هم أهل المروءة والرجولة :

---

(١) الديوان ص ٤٥١ قطعة ٥٤٢ .

زهى ابله كس كزبهر مرده ... كند بازندگان عهد خود جنگ

كس كوباز نشناسد بد از نيك ... بود واجب گريز ازوى بفرسنگ

بتاج خسروى كى نازد آنكس ... كه از تابوت ياد آورد باور نگ

مرائي زيستن در پيش خلقان ... بود تزوير نزد أهل فرهنگ

توتادر بند نام وننگ باشي ... نخواهي باز رست أز محبس تنگ

"سمعت أن عيسى عليه السلام قال متضرعًا : يا رب" .
"أرنى جمال الدنيا الخادعة كما خلقتها" .
"ومرَّ حين من الدهر على هذه الرغبة، ومضى ذات يوم إلى السهل" .
"فرأى – على بعد – امرأة وحيدة ليس معها محرم أو رفيق أو صديق"
"فقال لها عيسى من أنت؟ وما لك بعدت عن الخل وعن الديار؟ " .
"فأجابته : أنا تلك المرأة التى انتظرتنى طويلاً" .
"حينما سمعها عيسى ملكه العجب، وقال : كيف لى أن أصادق امرأة" ؟.
"وحينئذ قالت المرأة معتذرة : اسمى الدنيا أيها العظيم" .
"فقال لها المسيح : اكشفى عن وجهك لنعرف لماذا لك السيطرة على القلوب؟".
"فضربت بيدها، وألقت البرقع عن وجهها، وأظهرت له سرها الخبىء" .
"فرأى عجوزا متهالكة كالحة الوجه، بها مائة نوع من العيوب والنقص"
"إحدى يديها ملوثة بالدماء والأخرى مخضبة بالحناء" .
"فسألها المسيح : أخبرينى أيتها العاهرة المؤذية ما هذا؟" .
"فقالت : لقد قتلتُ هذه اللحظة بيدٍ زوجًا شر قتله" .
"وخضبتُ الأخرى بالحناء ليرغبنى زوج آخر" .
"حينما أهلكتُ هذا بقهرى وسطوتى احتضنت الآخر بلطف" .
"والعجيب أنه رغم كل هؤلاء الأزواج ، لم تزل بكارتى على حالها لم تفض" .
"فقال لها المسيح متعجبًا : أيتها الدنيا القبيحة الوجه العاهرة" .
"كيف لم تُزل بكارتك مع أن لك أزواجًا يفوقون الألف؟" .
"فأجابته تلك العجوز الهرمة : يا خلاصة الدهر وقدوته" .

"هؤلاء الذين رغبوا فيَّ لم أر فيهم أحدًا كامل الرجولة " .

"أما الأشخاص مكتملو الرجولة حقًا فتجنبونى خشية العار وسوء الأحدوثة ".

"حينما يكون حالى هكذا مع الأزواج فلا تعجب إذا ما ظللت بكرًا" .

"أنت أيضًا أيها الأخ خذ هذه القصة ذكرًا عن "ابن يمين" .

"إذا كان لك أى نصيب من الرجولة – فحذار – لا ترغب فى هذه العاهرة"[1] .

---

(٢) الديوان ص ٤٢١ – ٤٢٢ قطعة ٤٢٤ :

شنیدم که عیسی علیه السلام | تضرع کنان گفت کای کردگار
جمال جهان آفریننده را | چنانک آفریدی بچشمم در آر
برین آرزو چند گاهی گذشت | همی کرد روزی بدشتی گذار
زنی راد زان دشت از دوردید | نه اغیار با او رفیق ونه یار
بدو گفت عیسی که توکیستی | چنین دور مانده زیار ودیار
چنین داد پاسخ که من آن زنم | که بردی مرا مدتی انتظار
چو بشنید عیسی شگفت آمدش | مراگفت باصحبت زن چکار
بپوزش در آمدزن آنگاه گفت | جها نست نام من ای نا مدار
مسیحا بدو گفت بنمای روی | که تا برچه دلها تراشد شکار
بزد دست وبرقع زرخ برفکند | برو کرد راز نهان آشکار
یکی گنده پیری سیه روی دید | ملوث بصد گونه عیب وعوار
بخون غرقه گشتست یکدست او | دگر دست کرده بحنا نگار
مسیحش بپرسید کین حال چیست | بگو با من ای قحبه تا بکار
چنین گفت کین لحظة یک شوی را | بدین دست کشتم بزاری زار
دگر دست حنا از آن بسته ام | که شویی دگرشد مراخوا ستگار
چوبر دارم این را بقهر ازمیان | بلطف آن دگر گیردم درکنار=

ويحذرهم السؤال ولو من حاتم أو خضر، فالرجل الحر الكريم هو من يسعى، ويجد حتى لا يراق ماء وجهه :

"إذا عنّ لك أيها القلب أن تحفظ ماء وجهك بين العظماء" .

"فلا تسأل عن الخبز ولو يعطيكه حاتم، ولا تشرب الماء لو كان خضر هو الساقى"[1] .

وتظهر معاناة الشاعر الشديدة، وما يعتمل فى داخله من أبناء عصره وخاصة الحكام والأغنياء – البخلاء، أهل المن والأذى الذين إذا حدث وأعطى أحدهم عطية فهى للشهرة وليست طمعًا فى رضا الله، لهذا يحذر من أن يقع الإنسان فريسة هؤلاء وأسير منة أحد غير الله :

"لا تذل الخلق لأجل نعمة الدنيا وإلا تعدّ – لهذا السبب – لدى أهل العقل خسيسًا" .

شگفت آنکه با اینهمه شوهران   هنوزم بکارت بود برقرار

زراه تعجب مسیحاش گفت   که ای زشت رو قحبه خاکسار

چگونه بکارت نشد زا ئلت   چوداری فزون شوهران از هزار

بپاسخ چنین گفت آن گنده پیر   که ای زبده' وقدوه' روزگار

گروهی که کردند رغبت بمن   از ایشان ندیدم یکی مردکار

کسانی که بودند مردان مرد   نگشتند گرد من ازننگ وعار

چو حالم چنین است باشوهران   اگر بکر باشم شگفتی مدار

تونیز ای برادر مرین قصه را   همی دار این یمین یا بگار

زمردیت هیچ ار نصیبی بود   بدین قحبه رغبت مکن زینهار

(١) الديوان ص ٣٧٢ قطعة ٢٣٦ :

اگر باید ایدل که تا آبروی   میان بزرگانت باقی بود

مجونان اگرحا تمت نان دهد   مخور آب اگر خضر ساقی بود

"أن تتغذى من دماء العين؛ فهذا أطيب من أن تقع اسير منة إحسان الدنيء".

"أن تقبل نصحى فما أطيب ذلك، وإلا فما أكثر أن تطرد مثل الكلاب من الأبواب"[1]

وتدفعه هذه المعاناة إلى أن يتجه إلى العلماء أيضًا محذرًا إياهم من الاحتياج إلى أحد لما يخلفه ذلك من مذلة لا يشفع لها علمهم؛ لهذا ينبغى أن يستغنى العالم عن مال العالم بعلمه، وكأن الشاعر فى هذا يواسى نفسه الجريحة :

"الرجل الحر إذا ما كان بين الجمع عذب القول، عاقلاً، عالمًا،" .

"عندئذ يستطيع أن يكون محترمًا، لأنه استغنى عنهم بما يملكه" .

"وذلك الذى احتاج إلى الخلق، فهو ذليل حتى ولو كان على علم أبى على ابن سينا"[2] .

فالمال – سبب المشاكل – قد خلقه الله ليتمتع به الخلق، ويؤدوا به حاجتهم لا أن يساء استخدامه ويكرس لشراء العظمة التى لا تشترى ولا بقاء الجاه :

"ذلك الذى يشترى العظمة بالمال لا يكون مقبولاً لدى أحد" .

---

(١) الديوان ص ٥٣٠ قطعة ٨٢٣ :

براى نعمت دنيا مكش منلت خلـــق

كه نزد اهل خرد زين سبب خسى باشى

زخون ديده غذاگـر كنى از آن خوشتر

كه زير منت احسان ناكسى باشى

اگـــر قبول كنى پند من از آن خوشتر

وگرنه همچو سـگـــان در بدر بسى باشى

(٢) الديوان ص ٣٥١ قطعة ١٦٠ :

مــــــرد آزاده درميـــــــان گـــــــروه — كرچه خـوش گـــوى وعاقـل ودانـاسـت

محتـــرم آنـــــگـــــهى تواتـــد بـــود — كـــه از ايـــشان بمـــا لـــش استغناسـت

واتكـــه محتـــاج خلـــق شـــد خوارســـت — ورچـــه بـــا علـــم بـــو علـــى سيناسـت

"فهو يجعل المال وسيلة لإبقاء الجاه، وإن لم يأت بأى عمل آخر" .

"إذا لم يتمتع بالمال، فإن الذهب والفضة يصيران مثل الخزف والحجر – بلا قيمة –"[1] .

ويحذر الشاعر من سبعة أشخاص بحسن تجنبهم والابتعاد عنهم وعدم الإفضاء إليهم بسر :

"استمع بأذن العقل لنكتة حسنة، فإن كنت تملك العقل فاجعله مرشدك" .

"دائمًا يا أخى ـــ طالما تقدر ـــ لا تتبادل أسرارك مع ثمانية أشخاص" .

"الحسود والغادر والجاهل والكاذب والبخيل والدنئ وسئ الطبع والغماز"[2]

ويستمد الشاعر من كتاب الله نصائحه التى ينبغى أن تحتذى وتنقش فى الصدور فيدعو إلى شكر الله على نعمه طبقًا لقوله تعالى :﴿ لَئِن شَكَرتُم لأَزِيدَنَّكُم﴾ :

"تصير الصحة والأمن وسبل الحياة كفرانًا إن لم تكن شاكرًا" .

"وإذا لم تشكر المنعم على إنعامه، فإن هذا ليس كفرانًا بل هو الكفر بعينه"[3]

---

(١) الديوان ص ٤٣٠ قطعة ٤٦٠ :

نيست مغبون بنزد عقل كسى ‌‌ ‌ ‌ كه بزرگى خرد بسيم وبزر

مال بهر بقاى جاه نهند ‌ ‌ ‌ ‌ ورنه نايد بهيچ كار دگر

گر تمتع نباشد از زروسيم ‌ ‌ ‌ ‌ چه زروسيم وچه سفال وحجر

(٢) الديوان ص ٤٣١ قطعة ٤٦٦ :

بگوش هوش بشنو نكته نى خوب ‌ ‌ ‌ ‌ وگر دارى خرد دستور خود ساز

هميشه تا توانى اى برادر ‌ ‌ ‌ ‌ مشو باهشت كس همراز ودمساز

حسود وبيوفا نادان وكاذب ‌ ‌ ‌ ‌ بخيل وناكسى وبدخوى وغماز

(٣) حرفيا: وإذا لم تشكر المنعم على إنعامه ، ضع ذلك كفرانا لأنه عين الكفر .

"الكفران يزيد على الكفر، لأن مثنى كفر هو كفران"[1]

ويلح الشاعر على الشكر :

"منع الشكر النعمة، من الكفر، هكذا قرأنا فى الأخبار" .

"إذا زادت نعمتك ينبغى أن تعد شكر المنعم من الواجبات"[2] .

وإلحاح الشاعر على شكر الله على نعمه ــ رغم فقره المدقع ــ يجعلنى أميل إلى أن الشاعر يوجه هذا الإشعار إلى حكام عصره وأغنيائه الذين ضنوا عليه بعطائهم ؛ فكأن لسان حاله يقول لهم : أنا قانع شاكر حامد لما أعطانيه تعالى ، ولست فى حاجة إلى متاعكم الزائل .

وإذا كان الشاعر قد ذم أن يستخدم المال فى غير موضعه، وذم أن يعد المال وجمعه صناعة يهتم بها ، يوضح أن الله يعطى لكل ذى حق حقه ــ ولكل امرئ نصيبه فى الحياة، فلا ينبغى أن يكرس الإنسان جهده لأجل المال فقط، فهناك من القيم الدنيوية ــ لمن يسعون فى أثر هذه الدنيا العابرة ــ ما ينبغى أن يهتم به مثل عزة النفس والقناعة وراحة النفس البال ــ ... إلخ :

"أهل العقل الذين يطلبون الدنيا العابرة، ليس لهم فى حالتهم تلك رغبة إلا فى ثلاثة أشياء" .

---

(١) الديوان ص ٣٤٦ قطعة ١٣٧ :

صحت وامن هست ووجه معاش ... گر نباشي شكور كفرانست

شكر انعام منعم ار نكنى ... آن نه كفران كه عين كفر آنست

هست كفران فزون زكفر از آن ... كه مثنى كفر كفر انست

(٢) الديوان ص ٤٢٤ قطعة ٤٣٩ :

شكر نعمت زكفر واد ارد ... اينچنين خوانده ايم در اخبار

گر فزونى نعمتت بايد ... شكر منعم زواجبات شمار

"إما كمال العزة، أو اكتساب المال، أو الحصول على الراحة لتلك النفس الظالمة" .

أترغب فى أن تنال مراد القلب، فأصغِ سمعًا أيها العقل لنصحى المعتبر" .

"إذا وجب لك تحقيق العزة الخالدة، فاصرف القلب عن الدنيا التى متاعها قليل" .

"وإذا كنت تسرع فى أثر الدنيا لأجل الذهب والفضة، فاجتهد أن يكون لك العقل مرشدا مرة" .

"فعسى أن تسقط قدمك فى كنز القناعة، أو يصبح الذهب فى كفك بلا عيار مثل التراب" .

"وإذا مال خاطرك صوب راحة القلب،فلا تجعل روحك عرضة لسهام الخطر" .

"ولا ترهق نفسك فرزق الخلق مقدر، ولا يمكن زيادته بالجهد"[1] .

وعلى هذا الدرب سارت أشعار الشاعر الأخلاقية والاجتماعية، واحتذت هذا النمط .

---

(١) الديوان ص ٤٠٨ قطعة ٣٩٢ :

اهل خردكه دينى فلتى طلب كننـــــد	جز برسه چيزنيست در آن حالشـــان نظر
يا بركمال عزت ويا اكتســــاب مال	يا بر حصول راحت اين نفـس خيره سر
خواهى كه دسترس بودت بر مراد دل	بشنو بـگـوشى هـوش زمن پند معتبر
گــر آرزوى عزت جـــاويد بايدت	بركن دل ازجهان كه متاعيسـت مختصر
وزبهر ســــيم وزربـى همى دوى	بارى بكـــوش تابودت عقـــل راهبـر
بايت مـگـر بـگـنج قناعت فروشود	يا در كفت چـوخاك شـــود بيعيار زر
ورميل خاطرت سوى آسايش دل است	پس جان خـود مكن سـپـر ناوك خطر
زحمت مكش كه روزى خلقان مقدرست	آنرا بجهـدمـــى نتوان كـــرد بيشتـر

والآن .. إلى أى مدى كان الشاعر ذا أصالة فى هذا الغرض؟

وفق الشاعر فى عدة أمور أعطت غرضه هذا شيئًا من الأصالة والجدة فيه :

أولاً : أجاد "ابن يمين" اختيار القالب الشكلى المناسب لهذا الغرض، وكانت "المقطعة" هى ذلك القالب، فمن الأمور المهمة التى ينبغى على الشاعر تداركها هى اختيار الشكل المناسب للغرض، فهناك من الأغراض ما يناسبها شكل معين دون الآخر، ومن هذه الأغراض الغرض الذى يتصل شعره بالنواحى الأخلاقية والاجتماعية والانتقادية، فيناسبها ــ فى رأيى ــ شكل المقطعة، بل هو أنسب شكل لها على الإطلاق؛ فالمقطعة ترجع قيمتها وتناسبها مع النقد الاجتماعى والأخلاقى إلى صغرها وقلة أبياتها مما يهيئ للشاعر أن يكتبها فى أى موضع أو أى مكان أو زمان مما يتيح له أن يعبر بواسطتها عن شعوره الداخلى لحظة إحساسه به . وهذا هو الأدب الصادق الذى هو تعبير لما تجيش به النفس؛ فالشاعر حين يتعرض لفكرة معينة، ولتكن محاولة الإجابة عن سؤال معين : ما العظمة؟ أهى فى جمع المال؟ أهى فى أتراع الخمر وتناول اللذيذ من الطعام؟ أهى فى الجبروت والقوة؟

يرفض الشاعر كل هذه الأشياء التى لا تمت للعظمة بشىء عنده، ويرى أنها تكمن فى الحسنى والتخفيف عن البائسين . هذه الفكرة العظيمة فى معناها، والتى تحتاج إلى مقدمات وتعليلات مختلفة ورفض بعض النتائج الخاطئة حتى يمكن الوصول إلى النتيجة الصحيحة وتبرير الرفض والقبول ... إلخ . كل هذا يجمعه الشاعر فيما لا يزيد عن خمسة أبيات احتوت فى معناها كل ما يهدف إليه الشاعر. وكان هدفه الأكبر منها هو أنه رمى بها حكام عصره الذين أغاروا على

مال الرعية وعاشوا فى رفاهية وبسطة من العيش، وحياتهم لا تتعدى الزور والبهتان ويعاملون أتباعهم ورعيتهم الفقراء بخشونة وإجحاف :

"ليست العظمة فى أتراع الخمر اللذيذ ليل نهار" .

"أو فى تناول شهى الطعام أو الرفل فى الحلة اللطيفة " .

"أو فى الصراخ كل لحظة ــ بلا سبب ــ فى وجه ذلك الذى يتبعك" .

"أنا سأتحدث عن ماهية العظمة إذا رغبت فى الإصغاء لى" .

"العظمة ... هى تخليص القرناء من الحزن والجهاد فى رعاية الخلق"[(١)].

وليس معنى ذلك أنه يلزم الشاعر معاناة التجربة قبل وصفها؛ "فليس ضروريًا أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها"[(٢)]، "والشعراء مختلفون فى ذلك، فبعضهم يجيد فيما يلحظ ويتخيل، وبعضهم لا يجيد إلا فى وصف ما عاناه بنفسه"[(٣)] ، ولكن ما أركز عليه هو أن هذا النوع من الشعر بالذات لا يمكن الحديث عنه بهذه الصورة الصادقة التى برع فيها "ابن يمين" إن لم يكن ذا طبيعة أخلاقية حقيقية، ويكون قد عانى التجربة بنفسه، فلابد للشاعر أن يشعر بآلام أمته التى تعانيها من جراء النكبات التى تعرضت لها، ولابد أن

---

(١) الديوان ص ٤٩٨ قطعة ٧٠٥ :

نبود مهترى بروز وبشب   باده' خوشگوار نوشيدن

يا طعام لذيذ را خوردن   يا لباس لطيف پوشيدن

يا بدان كس كه زيردست تو بود   هرزمان بى سبب خرو شيدن

من بگويم كه مهترى چه بود   گر بخواهى زمن نيوشيدن

همگنان را زغم رها نيدن   در رعايات خلق كوشيدن

(٢) د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ص ٣٩٢ ط . دار النهضة العربية ، ط٣ ، ١٩٦٤م.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها .

يعبر عن هذه الآلام، وهو إذ يعبر عنها إنما يعبر عن نفسه هو بوصفه فردًا منها . ولهذا نرى شاعرنا يعرض لفكرة معينة تدور عليها جل مقطعاته، وهى أزمة الأخلاق أو عدم الثقة فى الناس والحكام وأثرياء عصره وابتعاد الرجاء فيهم، وقد عاش الشاعر هذه الأزمة واكتوى جلده بنارها فعبر عن هذا بصدق .

وربَّ معترضٍ يعترض بأن "ابن يمين" مسَّ كثيرًا من المشكلات التى عانتها أمته ومجتمعه دون معالجة لها أو وضع الحلول الجذرية لها . ولكن : هل المطلوب من الشاعر أن يخبرنا بموضع الداء لتداركه أم لابد له من الإتيان بالحل؟!

ثانيًا : كان شعر الشاعر فى هذا الغرض بالذات تعبيرا صادقا لحالة عصره ، بل " يعد الشاعر ممثلا نموذجيا لعصره " [1]، كما أنه قد استخدم مقطعاته "كسلاح يبارز بها الفساد الظاهر المستشرى لدى حكام عصره"[2] ، وهذا من تجديداته فى مضمون مقطعاته؛ ففى مثل هذا المجتمع المليء بالإرهاب والفتنة والظلم وجد شاعرنا فى نفسه من الشجاعة ما جعله يستطيع مجابهة حكام عصره العتاة ناقدًا ومهاجمًا دون خشية أو خوف، وهذا دليل على أصالة ما كان يكتبه الشاعر حتى ولو اعترض على ذلك بأن سبب هجومه عليهم هو إهمالهم له وعدم تقديرهم لشاعريته وضنهم عليه بالعطاء، وبخاصة أن نظرة الشعراء للعطاء نظرة أدبية أكثر منها مادية ـــ أقول ـــ إن هذا لا يغض من شجاعته وصدقه، فالعبرة فى النهاية بالنتيجة لا بالسبب الذى أدى إليها . ولهذا امتدح بعض النقاد شجاعة "ابن يمين" فى مقطعاته الأخلاقية والاجتماعية والانتقادية، وفى مثل هذه الفترة التى عمَّ الفقر الأدبى والفساد الاجتماعى الأرض التى

---

(١) Rypka : History of Iranian Literature . P . 261 .

(٢) عليرضا حكمت : مقال له بمجلة مجموعه خطابه هاى نخستين كنكره تحقيقات ايرانى ص ١٣١ .

وقعت تحت سيطرة المغول، وبخاصة خراسان ــ انتقد بها سادة وأمراء المغول بشجاعة فائقة وبفدائية، والتى أرشد بها أهل خراسان المكلومين إلـــى طريـــق السعادة والحقيقة"[1]، ولقد ذكرنا الكثير من المقطعات التى دارت فى هذا الشأن .

ثالثًا : أميل إلى أن "ابن يمين" قد سلك ــ إلى حد ما ــ طريقًا فى جملته بعيـــدًا عن مسلك شعراء القطعة السابقين مما يعطيه شيئًا من الأصالة، ونال بها شهرة واسعة؛ فلو رجعنا إلى "لباب الألباب" لمحمد عوفى، واطلعنا على ما بـــه مـــن مقطعات لوجدناها قد نحت ــ فى غالبيتها ــ كما يبدو فى الكتاب منحى الغزل، الخمريات، المدح، وصف الربيع والزهور، وصف الزوابع والأعاصير ... إلخ

ففى الخمر يقول : "الرودكى" أحد شعراء السامانيين :

زان مى كه گرسرشكى اندر چكد نيل

صد سال مست باشد ازبوى او نهنگ

آهو بدشت اگر بخـــــورد قطره ازو

غر نده شير گردد ونندیشد از پلنگ[2]

وفى وصف الربيع والزهور يقول : "الحكيم كسائى مروزى الغزنوى" يصف النرجس :

---

(1) السابق ص ١٢٩ .

(2) محمد عوفى : لباب الألباب ج٢ ص ٨ تصحيح ادوارد براون انـــگـــليسى . ط بريل فى ليدن ١٣٢١ هـــ - ١٩٠٣ م . والترجمة :

" من تلك الخمر التى إذا تقاطر قطرة منها فى النيل ، يظل التمساح – من رائحتها – ثملاً مائة عام " .

" وإذا شرب الغزال قطرة منها فى الفلاة يصير أسدًا هائجًا ، ولم يخش النمر " .

نرگس نگر چگونه همی عاشق کند بر چشمکان آن صنـم خلخی نژاد
گویی مگرکسی بشد ازآب زعفران انگشت زردکرد وبکافور برنهاد[1]

وفی الغزل یقول "أبو شکور البلخی" فی الغرض نفسه :

ازدور بدیدارتو اندر نگر بسـتم
مجروح شد آن چهره‌ٔ پر حسن وملاحت
وزغمزه‌ٔ توخسـته آزرده دل من
وین حکم قضـائیست جراحت بجراحت[2]

وفی المدح یقول "العنصری" مبالغا فی مدح ممدوحه :

هرکه ناشاعر بود چون قصد مدح اوکند
شاعری گرددکه شعرش روضه‌ٔ رضوان بود
زآنکه جودش جمع گردانید معنیهاء نیك
چون معانی جمع گردد شاعری آسان بود[3]

---

(1) السابق ص ٣٧ والترجمة :

" انظر إلى النرجس كيف يهيم عشقًا على عيون ذلك المحبوب التركي " .

" تقول إن شخصًا غمس إصبعًا من ماء الزعفران وبصم على الكافور " .

(2) السابق ص ٢١ والترجمة :

" جرح ذلك الوجه المليء حسنا وملاحة ، حين امعنت التأمل فى طلعتك عن بعد " .

" وصار قلبي المعنى متعبا من غمزتك ، وهذا هو حكم القضاء ، جرح بجرح " .

(3) السابق ص ٣٠ والترجمة :

" حينما يقصده مادحا كل من ليس بشاعر ، يصير شاعرا ، لأن شعره - بمدحه - يكون جنة رضوان " .

" لأن كرمه قد شمل المعانى الحسنة ، حينئذ يكون سهلا للشاعر أن يظفر بالمعاني " .

فما سبق نماذج لما كانت عليه المقطعات قبل عصر "ابن يمين" ، أما المقطعات عند "ابن يمين" فقد اتخذت مسارًا آخر مختلفًا ـ إلى حد ما ـ في موضوعها وأسلوبها . يعد "ابن يمين" أول شاعر أنشأ مدرسة جديدة في فن المقطعة وأحدث انقلابًا في مضمونها وأسلوبها"[1] ، وليس معنى هذا أن شاعرنا هو أول من صبَّ أشعار هذا الغرض في ذلك الشكل وأحدث به تجديدًا، بل إنه ـ على اليقين ـ قد سبق إلى ذلك، وبخاصة لدى "الأنوري" و "السعدي"، ولكن "ابن يمين" وإن تساوى معهما من ناحية الكيف والقدرة على النظم والجزالة إلا أنه يتميز عنهما من حيث الكم والشهرة، فإن ما كتبه "الأنوري" و "السعدي" لا يتعدى جزءًا ضئيلاً أمام الكم الهائل "لابن يمين" ، وهذا الكم يتيح له الفرصة العظيمة لأن يتناول اكبر قدر من المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، وهذا ما لم يتوافر لدى من سبقه في ذلك ، أما من حيث الشهرة فإن شهرة "الأنوري" ترجع إلى مدائحه، وشهرة "السعدي" ترجع إلى غزلياته ومثنوياته وحكاياته، أما "ابن يمين" فلم يختلف اثنان من النقاد على أن شهرته ترجع إلى مقطعاته الأخلاقية، تلك التي نال بها استحسانهم على السواء؛ فهو عندهم "أستاذ فن القطعة بسبب عمق معاني مقطعاته تلك التي تهبه مقامًا محترمًا لائقًا به، وتضعه في مقدمة منشدي القطعة"[2]

ويقول "شبلي النعماني" إنه لم يأت من عهده ـ أي ابن يمين ـ حتى اليوم أحد بمثل ذلك الحسن، وأنها تؤثر في نفس القارئ؛ حيث لا يوجد مثل هذا الأثر في كلام الآخرين"[3]، ويرى "ياسمي" أن الشاعر قد "حظي بمكانة عالية في أخلاقياته، ويمكن إعداد مقطعاته الأخلاقية من النماذج البارزة في الشعر الفارسي"[4] ، وهذا هو عين ما ذكره "آربري"[5] أيضًا . أما "ربكا" فقال "إن

---

(١) عليرضا حكمت ص ١٣١ .

(٢) هرمان اته : تاريخ ادبيات فارسي ص ١١٧ وص ١٨٦ ترجمة باحواشي دكتر رضا زاده شفق . تهران ١٣٣٧ هـ .

(٣) شبلي نعماني : شعر العجم ص ٢٤٨ .

(٤) رشيدي ياسمي : أحوال ابن يمين ص ١٤٨ .

(٥) Arbrry : classical . Persian . Literature . p . 311 .

قوته تكمن فى القطع بشخصيتها الفلسفية الصوفية"[1] ، بل إن شهرة الشاعر فى هذا الفن وقالبه وصلت إلى الدرجة التى دفعت البعض إلى المبالغة فى تقريظها أمثال "رضا زاده" و "عليرضا حكمت"؛ فادعى الأول أن ليس لها مثيل فى الأدب الإيرانى من حيث كثرتها وتمجيدها للسعى والعمل[2] . وبالغ الثانى فى تمجيدها فعدها من شوامخ القرن الثامن الهجرى الأدبية الإيرانية، والتى لم يتوافر مثلها حتى الآن ما يساويها فى قيمتها الاجتماعية والفلسفية[3] .

وبالإضافة إلى هذا فقد احتفظ "ابن يمين" لنفسه بشخصيته المميزة وبأسلوبه وصياغته فى مقطعاته الأخلاقية ، أو بعبارة أخرى أن هذه المبادئ عامة وعرضه لأن يتحدث فيها من يشاء، والعبرة ترجع إلى أصالة من يتحدث عنها ويحتفظ لنفسه بسماته وشخصيته . وحدث أن تناول "ابن يمين" بعض ما تناوله "سعدى" و "الأنورى"، ولكنه احتفظ لنفسه فيما كتب بشخصيته وأسلوبه وصياغته، ولم يقلد أيًا منهما .

فلقد دعا "السعدى" و"ابن يمين" إلى العمل الطيب فى الدنيا؛ لأن الإنسان يموت، ولا يبقى منه سوى السمعة؛ فيقول "سعدى" فى ذلك :

نه نيكان رابدا فتاده است هرگز   نه بد كردار را فرجـام نيكو
بدان رفتند ونيكان هم نماند ند   چه ماندنام زشت ونـام نيكو[4]

---

(1) R ypka . History of Iranian Literature . p . 261 .

(2) رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات ايران ص ٣٢٠ .

(3) عليرضا حكمت : ص ١٢٨ .

(4) سعدى الشيرازى : كليات سعدى تصحيح ذكاء الملك فروغى ص ٨٥٨ چاپ جاويدان چاپ دوم ١٣٥١هـ. ش . والترجمة :

" ليس للأخيار نهاية سيئة مطلقًا ، وليس للأشرار نهاية حسنة " .

" مضى الأشرار ولم يبق الأخيار أيضًا ، وماذا بقى السمعة السيئة أو السمعة الحسنة " .

ويقول "ابن يمين" :

چودر دنيا نخواهد ماند چيزى زبد كردار ونيكـــو كارجزنام
بكسب نيكنامى كوش ونيكـــى كه نيكو راتكو باشد سرانجام[(١)]

يتضح لنا بعد قراءة القطعتين عدم تقليدية "ابن يمين" "للسعدى" واحتفاظـــه لنفسه بشخصيته وأسلوبه وصياغته فإن "سعدى" يقرر القضية دون توجيـــه أو إرشاد كما فعل "ابن يمين"، وحين يقول "السعدى" عن القناعة :

خدا يا فضل كنى گنج قناعت چو بخشيدى ودادى ملك إيمـــان
گـــرم روزى نماند تا بميرم به ازنان خوردن ازدست لئيمان[(٢)]

تختلف تمامًا عما كتبه "ابن يمين" فى القناعة، وقد مر الكثير من مقطعات الشاعر فى القناعة .

أما "الأنورى" فرغم أنه سبق شاعرنا من حيث الزمن فإننا لا نجزم بأن شاعرنا قد قلده فى مقطعاته، "فالأنورى" حين يقول :

هركه سعى بد كند در حق خلق همچو سعى خويش بدبيند جزا
همچنين فرمـــــود ايزد درنبى ليس للإنسان إلا مـــا سعـــى[(٣)]

وحين يقول "ابن يمين" معبرًا عن الفكرة نفسها :

هركه برمسكين ستم دارد روا ان يدعونـــى مجيب للدعـــا
هرچه كن كه اندرشان تست ليس للإنسان إلا ما سعى [(٤)]

---

(١) الديوان ص ٤٦٧ قطعة ٦٠٠ والترجمة :
" لن يبقى شيء فى الدنيا من العمل السيئ أو الحسن سوى السمعة " .
" لجتهد فى لكتساب السمعة الطيبة والخير ، فلا يكون حصاد الخير سوى الخير " .
(٢) سعدى : كليات سعدى ص ٨٥٧ والترجمة :
" يا إلهى لجعل كنز القناعة مستحبًا ، حينما تهب ملك الإيمان " .
" إذا لم يتوافر لى الرزق حتى أموت ، أفضل من تناول الطعام من يد اللئام " .
(٣) نقلاً عن فنون الشعر الفارسي ل د. إسعاد قنديل ص ٢٣٤ . الطبعة الأولى ١٩٧٥م والترجمة :
" كل من يسعى سيئًا فى حق الخلق ، فإنه يرى جزاء سيئًا كسعيه " .
" كما قال الله تعالى فى القرآن : ليس للإنسان إلا ما سعى " .
(٤) المقطعات ص ١ والترجمة :
" كل من يستمرئ ظلم المسكين فليخش دعاءه ، وقد قال تعالى : " إن يدعونى فإنى مجيب للدعاء " .
" فافعل كل ما تبغى فقد قال تعالى فى شأنك " ليس للإنسان إلا ما سعى " .

لا تستطيع أن تجزم هنا بتقليد اللاحق للسابق، بل لكل أسلوبه وصياغته رغم التشابه فى الفكرة بين القطعتين، بل إن "ابن يمين" ينفرد عن "الأنورى" فى أن جعل بيته من الملمع، ثم إن الجزالة تتضح فى قطعة "ابن يمين" بصورة أفضل، وبخاصة أنه قصر الظلم على المسكين فقط؛ لأن المسكين يكون دعاؤه أكثر استجابة لدى الله سبحانه وتعالى عن باقى الخلق كما جاء عند "الأنورى" ؛ ولهذا يفضل كثير من الباحثين مقطعات "ابن يمين" على مقطعات "الأنورى" فيقول بعضهم "وإذا كان ابن يمين يتساوى مع الأنورى فى الجزالة والقدرة على النظم إلا أنه أعلى منه كعبًا فى الأصالة والأهمية الاجتماعية والفلسفية لمقطعاته"[1] ، ويقول آخر " تتميز مقطعات "ابن يمين" عن مقطعات " الأنورى" بأن ألفاظها رقيقة وعباراتها مهذبة ومعانيها سامية"[2] .

وتبقى نقطة جديرة بالتنويه، وهى أنه لا يختلف اثنان من دارسي الأدب الفارسي على أن " سعدى " و " حافظ " من أعظم شعراء الفرس على الإطلاق وبخاصة من الناحية الفنية ، وحدث أثناء قراءاتى فى أشعارهما أن وجدت بعضًا من مقطعات " ابن يمين " بنصها فى أشعارهما، وقد أشار "مسعود فرزاد ، محقق قصايد ومقطعات ورباعيات ومثنويات حافظ " إلى مقطعة واحدة فقط منها وقال إنه رآها فى ديوان " ابن يمين "، ولم يجزم إلى من

(١) عليرضا حكمت ص ١٢٩ .

(٢) د . إسعاد قنديل : فنون الشعر الفارسي ص ٢٤٣ .

تنتسب هذه القطعة، وقال " إن هذه المسألة متعلقة بتحقيقات أكثر من هذا " [١]،
وهذه القطعة هى التى تبدأ بالبيت التالى :

هركس توبه كرد به وقت گل از شراب

كى توبه اش قبول كند غافر الذنوب [٢]

أما باقي القطع التى ذكرت بنصها فى ديوانى " ابن يمين " و " حافظ "
فهى التى تبدأ بالأبيات التالية :

تونيك وبد خود هم از خود بپرس چراد يگرى بايدت محتسب ؟ [٣]

وهذه القطعة عند " حافظ " ستة أبيات فى حين ذكر ثلاثة فقط منها لدى
" ابن يمين " .

أما القطعة التى تبدأ بالبيت التالى :

مدتى در طلب مال جهان كردم سعى تاآخر خبرم شدكه زنفعش ضررست

فقد ذكرت كاملة دون أدنى تغيير فى ديوانى الشاعرين [٤] ، ويشك
" مسعود فرزاد " فى نسبتها إلى " حافظ " دون أن يشير الى من تنسب مكتفيًا
بالشك فى أنها لحافظ . وفى رأيى أن هذه القطعة تتفق مع شعر " ابن يمين "
وروحه عن " حافظ "، وبخاصة أنها تدور حول مغبة السعى خلف المال، وتحبذ
القناعة، وهذه الفكرة دار حولها كثير من مقطعات " ابن يمين " .

---

(١) مسعود فرزاد : قصايد قطعات رباعيات ومثنويات حافظ . ص ٦٩-٧٠ انتشارات دانشگاه بهلوى .
شيراز ، ١٣٥ هـ. ش .

(٢) ديوان ابن يمين : ص ٣٢٢ قطعة ٤٢ .

(٣) ديوان ابن يمين ص ٣١١ قطعة ٣٧ وفي قصايد قطعات رباعيات ومثنويات حافظ ص ٦٨ .

(٤) ديوان ابن يمين ص ٣٥٣ قطعة ١٦٩ ، وفي قصايد قطعات رباعيات ومثنويات " حافظ " ص ٧٠ .

أما " السعدى " فإننى قد وجدت فى ديوانه قطعتين ذكرتا بنصهما لــدى " ابن يمين ".وقد ذكــرتا لــدى " السعدى " فيمــا أسمــاه بــ " صاحبيه " [1]، وهاتان القطعتان هما :

القطعة الأولى :

كس گفت عــزت بمــال اندرســت	كه دنيا وديــن رادرم يــا ورســت
چه مردى كند زور بــاز وى جــاه	كه بى مال سلطان بى لــشكر ســت
تهيدســـت باهيبـــت ونـــام نيــك	زن زشـــترى كـــه بيچـــا درســت
بدان مرغ ما ندكه بــر شـــخص او	پر وپوش بسيار وبــس لا غرســت
دگـــركس نـــگرتا جوابش چـــه داد	بجاهست اگر آدمــى ســرور ســت
بـــذلت بـــود مـــرد مجهـــول نـــام	وگر خود زمال آســتانش زرســت
خـــرد منـــدراجاه بايدنـــه مـــال	وگر مال خـــواهى بجـــاه اندرســت
وگرراست خواهى ز ســعدى شـــنو	قناعت ازين هردو نيكـــوتر ســت [2]

---

(١) يقول ذكاء الملك فروغى مصحح كليات سعدى فى المقدمة ص بيست ويك :

" يفهم من الصاحبية انها بعض مقطعات تدور حول صاحب الديوان ومدحه " .

(٢) الديوان ص ٣٤٩ قطعة ١٤٨ والترجمة :

" قال شخص العزة تمكن فى المال ، لأن الدرهم جالب للدنيا والدين " .

" أنى لرجل أن يجعل ساعد الجاه قويًا ، لأن السلطان بلا مال ليس له حماية " .

" الفقير مع هيبته وسمعته الطيبة ، امرأة قبيحة بلا حجاب " .

" يكون مثل ذلك الطائر الذي يكون نحيلاً ، ويغطى جسده جناح وريش غزير " .

" انظر إلى ما أجاب به الشخص الأخر ، إذا كان لآدمى سيادة فبالجاه " .

" يبقى الرجل المغمور ذليلاً ، وإن كانت عتبته مصنوعة من الذهب " .

" يلزم للعاقل الجاه لا المال ، وإذا أردت المال فإنه يكون فى الجاه " .

" وإذا أردت الحقيقة فاسمع من السعدى ، القناعة أفضل من كليهما " .

ولقد توفر لدينا – فى بادئ الأمر – ما يرجح إثباتها " لابن يمين " :

١- ذكر محقق ديوان " كليات سعدى " هذه القطعة [١] على أنها قطعتان لا قطعة واحدة ، فقد فصل بين الأبيات الخمسة الأولى والثلاثة الأخيرة بعلامة (***) التى تعود أن يفصل بها بين المقطعات ، وهذا الفصل يفقد القطعة معناها .

٢- التخبط الذى وقع فيه محقق " كليات سعدى " تمثل فى أن ذكر كثيرًا من صاحبيات سعدى فى مقطعاته دون إشارة أو تعليل :

أمثلة :

القطعة التى أولها :

يارب كمال عافيت بردوام بال　　　　اقبال ودولت وشرفت مستدام باد

ذكرت فى الصاحبية ص ٨٣٧ وفي المقطعات ص ٨٧٨ .

والقطعة التى أولها :

اى بلند اختر ، خدايت عمر جاو يدان دهاد

وآنــچه پــيروزى وبهر وزى در آنست آن دهاد

فى الصاحبية ص ٨٣٨ فى المقطعات ص ٨٧٨ – ٨٧٩ .

والقطعة التى أولها :

هرگز برطاوس كسى گفت كه زشتست ؟　　ياديوكس گفت كه رضوان بهشتست ؟

فى الصاحبية ص ٨٣٨ فى المقطعات ص ٨٧٧ .

وهكذا ... فإن هذا التخبط يدفعنا الى رؤية إدخاله قطعتى " ابن يمين " فى أشعار " السعدى " .

---

(١) كليات سعدى ص ٨٤٢ .

٣- ذكرت هذه القطعة فى النصف الأول لمقطعات ابن يميـــن ، والذى اعتمد " سعيد نفيسى " فى جمعه على مخطوط رجح " نفيسى " أنه كتب بعد قـــرن من وفاة " ابن يمين " .

ولكن ما سبق لا يكفى إثباتا أنها " لابن يمين "، وبخاصة أننى وجدت فى دار الكتب المصرية أقدم مخطوط " لكليات سعدى " [(١)] يكون أقرب إلى وفاته، وبخاصة أنه متقدم على " ابن يمين "، وهذا المخطوط جمع أشعاره " على بـــن أحمد بن أبى بكر " سنة ٧٢٦ هـــ ودونت - كما جاء فى صفحته الأخيـــرة - سنة ٩٤٩هـــ . وفيه هذه القطعة، ولكن يثار سؤال : لماذا لا نـــرجح أن هـــذه القطعة قد دست فى أشعار سعدى أثناء جمع المخطوط ، وبخاصة أن "ابن يمين " كان قد تجاوز عمره أربعين عامًا - وقت جمعها - وطغت شهرته الآفاق ؟

وحينما لم أجد من هذه التحقيقات ما يؤيد نسبتها لأحد الشاعرين ، عمدت الى القطعة نفسها التمس من الدراسة الداخلية لها الحقيقة ، وخلصت بما يرجح أنها " للسعدى " بناء على الآتى :

١- فى القطعة بيت اختلف (ضربه) لدى الشاعرين وهو عند " ســـعدى " أكثر صوابًا :

فهو عند " ابن يمين " :

تهيدست باهيبت ونام نيك   زن زشتروئى كه بيچادرست

وعند " سعدى " :

تهيدست باهيبت ونام نيك   زن زشتروئى نكوچادر ست

---

(١) " ديوان كليات ســـعدى " : مخطـــوط بدار الكتب المصـــرية تحت رقم ٣١ أدب فارسى . كتـــب فى ســـنة ٩٤٩هـــ .

فإن المقام مقام مشابهة بين الفقير الذي يداري عـــورة فقـــره بالهيبـــة والسمعة ، وبين امـــرأة قبيحة تداري قبحها بحجاب حسن، وهذا هـــو ما لدى " سعدى "، وهو تشبيه جيد ، أما عند " ابن يمين " فقد قام التشبيه بـــين الفقيـــر بهيبته وبين امرأة قبيحة بلا حجاب ، وهذا تشبيه ردىء؛ لأن المـــرأة القبيحـــة التى بلا حجاب تكون معراة عن عيبها، وهذا لا يتفق مع المشبه به .

٢- الشطر الأول من البيت الأخير في القطعةَ وهو " وگرراســـت خـــواهى ز سعدى شنو " يتفق مع المنهج الذى يسير عليه " سعدى " فـــى كثيـــر مـــن "صاحبياته "؛ إذ يكثر من إثارة انتباه السامع بقوله :

" زسعدى شنوى " و " راست خواهى " :

زمن شنو نصيحت خـــالص كه ديگرى
چنـــدين دلاورى نكـــــند بـــردلا وران
نيك اختران نصيحت سعدى كنند گوش
گربشنوى ســـــبق برى از سعد اختران(١)

وقوله :

بعد از دعا نصيحت درويش بى غرض
نيكش بود چـــو نيـــك تأمل كند درآن(٢)

وقوله :

راســـت خواهى هزار چـــشم چنان
كـــور بهـــــتر كه آفتـــاب سيـــاه(٣)

---

(١) كليات سعدى ص٤٣٨.

(٢) السابق ص ٤٣٧ .

(٣) كليات سعدى ص ٨٥٨ .

وقوله :

راست ميخــــواهى بچشم خار پشت

خــــار پشــت بهتراست ازقما قمى[1]

٣- يرجح سعدى فى قطعة أخرى الكمال على المال والجاه وهو قريـب من مضمون قطعتنا هذه :

صاحب كمال راچه غم از نقص مال وجاه

چون ماه پيكرى كه براو سرخ وزرد نيست

مردى كه هيچ جـــامه ندارد باتفــاق

بهتر زجامه اى كه در او هيچ مردنيست[2]

أما القطعة الثانية : وهى تتبع بالضرورة ما تتبعه القطعة الأولى :

چــــون ســـفيهى زبان درازكند

كه فـــلا نكس بفســـق ممــتاز ســت

فســـــق او زين بيــان يقين نشود

واين بــاقرار خـــــويش غمـــاز است[3]

ولقد ذكر الثانى عند " سعدى" باختلاف بسيط :

فسق مـــا بى بيان يقين نشود   او باقرار خويش غمازاست [4]

وعلى كــل فإن ما سبق لا يتعدى الترجيحات، ولم يصل إلى مرتبــة اليقين ، ولكن الذى يعنينى هو : أن تتكر قطع " لابن يمين " فى ديواني أكبــر شاعرين فارسيين أو العكس ، دون أن يتوصل إلى ذلك مــن قبــل البــاحثين أصحاب اللغة نفسها ومتذوقيها ، لدليل أكيد على أن " ابن يمين" قد بلــغ فــى مقطعاته الأخلاقية الاجتماعية درجة عالية لا تقل بحال من الأحوال عن الدرجة التى وصل إليها " السعدى " و "حافظ ".

---

(١) السابق ص ٨٦٢ .

(٢) السابق ص ٨٤١ .

(٣) ديوان اشعار ابن يمين ص ٣٣٨ قطعة رقم ١٠٥ والترجمة :

" حينما يتطاول سفيه بالقول بأن فلانا ممتاز فى الفسق؟ " .

" وطالما لم يتيقن من فسقه ، فهذا اقرار منه بأنه غماز " .

(٤) كليات سعدى ص ٨٣٩

الفصل الثالث

المـــــدح

أولاً – مدح الحكام والأمراء :

شمل القسم الأول – والأكبر – من مدائح الشاعر مدح الحكام والأمراء، وتنوعت فيه قصائده ، فما بين قصيدة تبدأ بمقدمة غزلية أو خمرية أو وصـــف أو شكوى – وما إلى ذلك من الوسائل التى من شأنها أن تثير انتباه الحاكم نحو الشاعر أو تستدر شفقته ، إلى قصيدة قد شملها المدح من بدئها إلى منتهاها .

وقد استغرق الشاعر فى هذه المدائح استغراق المرتزق المستجدى الذى يسعى الى استدرار غيث الممدوح المنهمر ، لهذا لا نجد قصيدة مدح لحاكم أو أمير إلا ورائحة الاستجداء تفوح منها ، ومن هنا كانت مدائح الـــشاعر كلهـــا تقليدية بحتة لا جديد فيها [١] .

لقد دارت مدائح الشاعر للحكام والأمراء حول هدف واحد هو محاولـــة دفع الحاكم إلى البذل والعطاء وإمطار سحب كرمه ودفعه الى أن يبسط يـــدى كرمه المعطائتين؛ " فالدافع الطبيعي للمدح – طبقًا لمعناه اللغوي – هو الإعجـــاب بصفات الممدوح الجميلة ، ولا يرتبط بمنفعة سابقة أو متوقعة ، إلا أنه انحرف فى ظل التكسب إلى الاستمناح وطلب العطاء؛ مما يجعل الطمع فى العطاء هو الحافز النفسي لدى الشاعر"[٢] ؛ فالممدوح بذاته كشخص وإنسان ليس مهمًّا لـــدى الشاعر قدر أهمية عطائه ، لهذا نجد الشاعر لا يهتم – فى مدائحـــه – بـــإبراز

---

(١) وربما رجع السبب فى هذا إلى أن المديح لم يكن صنعة الشاعر الأساسية ، وإلى أن سوق المدح قد كـــسد فى هذا العصر ، كما عللنا فى الباب الأول .

(٢) د. درويش الجندى : ظاهرة التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده ص ٨٠ وما بعدها . ط . دار النهضة مصر ١٩٦٩ .

سمات الممدوح الشخصية وما يتبعها من صفات يتصف بها وتميزه عن غيره وتفرقه ، بل يهتم – فقط – بأن ينعت ممدوحه بالصفات التى من شأنها أن تغريه على البذل والعطاء ، ولهذا كثر وصف الشاعر ممدوحه بأنه الكريم المعطاء الذى يضؤل "حاتم" بجواره ويعد البحر وسحب نيسان شحيحين إلى جانب كرمه .

وبمحاولة الشاعر الوصول الى هذا الغرض نراه يحاول جذب انتباه الممدوح إليه وإثارة روح الغرور فيه ؛ حيث يتبع هذا عطاء وبذلاً وسخاء . وتعددت وسائله فى هذا ؛ فما بين وسيلة يسعى بها إلى إفراج أسارير الممدوح بنعته بأجود النعوت مثل الشجاعة والعدل والحكمة والفصاحة والجمال ... الخ. تلك الصفات التى جعلها الشاعر تخدم صفة الكرم، والتى يهدف إليها الشاعر، والتى من شأنها – أى تلك الصفات – أن تدفع الممدوح إلى السخاء ، وهى وسيلة يحاول الشاعر أن يثير بها انتباه الممدوح بمقدمات متنوعة لقصائده قبل الانتقال الى المدح أو نظم قصيدة كاملة فى المدح ، وبين وسيلة أخيرة تكون بإنشاد قصيدة كاملة فى الكرم .

ومن حيث الوسيلة الأولى نجد صفات الممدوح واحدة فى كل قصائده ؛ فكل ممدوحى الشاعر شجعان كرام ، ذوو حكمة وعدل وحصافة فى الرأى وجمال فى الشكل ... إلخ ، حتى إننا لو غيرنا اسم الممدوح فى القصيدة ما تغير فى الأمر شىء ؛ فصفات الممدوح لدى الشاعر أشبه بحُلة يرفل فيها أىُّ حاكم ، فالممدوح عند الشاعر شجاع وفارس مغوار تضؤل حملات "رستم" وشهرتها إلى جواره :

" حينما ينزل إلى الميدان يوم الحفيظة هائجًا ، تبدو لى حملات رستم كلها خرافة " [1].

ولهذا السبب يصير عدوه أمامه مثل الثور فى مواجهة الأسد ، بل مثل الصعوة التى تبغى التخلص من شراك الصقر :

" يصير عدوه فى مواجهته مثل الثور أمام الأسد ، لا .. بل مثل الصعوة فى كفاحها للتخلص من قبضة الصقر " [2] .

وقد ركز الشاعر على صفة الشجاعة ليشبع غرور الممدوح ويستمطر غيثه ، وحيث إن الله قد عنى به ووضع زمام المُلك فى يده، فإن هذه العناية تجعله سعيدًا فى حالة السكون وموفقًا وقت الفتح والظفر :

" وضع الله عنان خير المملكة وشرها فى يد حظ الذى لم يزل ملكًا ".

" تكون السعادة نديمة الملك فى وقت الاستقرار ، والفتح والظفر قرينيه وقت الارتحال والغزو "[3] .

وما يكون ذلك إلا لأنه عاقل حصيف؛ لهذا ينعته الشاعر بهذه الصفة :

" الوزير ملاذ الروح الذى مع دولته الفتية يكون العقل الحصيف رفيقا لطبعه من البداية " [4] .

---

(١) الديوان ص ١١ والبيت:
چون بميدان آيد روزكين جولان كنان   حمله هاى رستم آيد مر بمر دستان مرا

(٢) الديوان ص ١٤ والبيت:
دربيش او عدوش چوگاواست پيش شير   نى نى چو صعوه در كشش چنگل عقاب

(٣) الديوان ص ١٥٢ والبيتان:
ايزد عنان خير وشر مملكت نهاد   دردست بخت لم يزل ولا يزال شاه
دولت نديم باشد وفتح وظفر قرين   در حالت سكون وگه ارتحال شاه

(٤) الديوان ص ٢٤ والبيت :
دستور جانپناه كه باد ولت جوان   از بدو فطرتش خرد پير همدم است

والحاكم عند الشاعر عظيم حتى إن ملوك العالم يأتونه خاضعين طائعين:

" يعتبر ملوك الدنيا بلاطه قبلة إقبالهم ، ويحنون – لهذا السبب – على ترابه الجباه "[1] .

وهو عالى القدر والمقدار حتى إن الطين الذى هو أصل آدم وحواء من تراب بلاطه ؛ فهو – أى الممدوح – أعلى درجة من الفلك :

" خمروا ذلك الطين الذى هو خلق حواء وآدم فى الأزل من تراب بلاطك".

" إذا كانت ذاتك قد تأخرت فى الزمن عن الفلك ، لكنها مقدمة عليه من حيث الدرجة والرتبة "[2].

وهذه مبالغة من الشاعر دفعته إليها حاجة إلى الاستجداء ورغبة فى العطاء .

والممدوح عند الشاعر جميل الوجه والمحيا ، لطيف الطبع ولطفه، يجعل السم ترياقًا :

" لطفه الشامل يجعل تلك القطرة التى فى لثة الأرقم ترياقا منعشا للروح "[3] .

وهو عادل حتى إن الذئب يحرس الغنم فى عهده :

---

(١) الديوان ص ١٥٩ والبيت :

قبلهء اقبال خود دانند شاهان جهان — در گهش را زا نسبب سايند برخاكش جباه

(٢) الديوان ص ٢٥ والبيتان :

ازخاك درگه توسرشتند در ازل — آن گل كه اصل خلقت حوا وآدم است

ذات تودر زمان زفلك گر مؤخر است — اما زراه مرتبه بروى مقدم است

(٣) الديوان ص ٢٤ والبيت :

ترياق جانفزاى كند لطف شاملش — آن قطره راكه بربن دندان ارقم است

" الملك العادل الذى يحترف الذئب الظالم فى عهده حرفة الراعى علـــى الخراف " [١] .

وهذه صورة قديمة مستهلكة لم يكتفِ الشاعر بذكرها بل كررها كثيرًا.

وما أكثر أن تأخذ الحمية شاعرنا فيجمع كل الصفات الحسنة فى بيت واحد :

" أرى أن لك مع العفة والحكمة شجاعة وكرمًا ، وينحـــصر فـــى هـــذه الصفات نفس إنسانية كاملة ". [٢]

وبناء على هذا ، فإن الشاعر يركز على أن يجعل من الصفات السابقة ما يخدم الغرض الأساسى عنده ، ويهيئ لدى الممدوح النفـــسية الملائمـــة لأن يطلب منها ما يشاء وبلا حرج ، وحيث إن هذا الغرض الأساسي كان الكـــرم وهو ما ينشده الشاعر ، نراه يركز عليه بإلحاح، وينوع فى صور اســـتجدائه ، بل ويعمد إلى نفس الممدوح يزرع فيها هذه الصفة ، فيرى مثلاً أن الممـــدوح رجل كريم يمتلك رزق الخلق، وتجرى أعطياتهم من يده :

" كتبت كفه من ديوان الهمة العالي براءة الأجر لأجل رزق الخلق "[٣].

لهذا فإن الرعية كلهم رجالاً ونساءً عبيد إحسانه وإماء له :

---

(١) الديوان ص ٤٩ والبيت :

خسرو عـــادل كه در ايـــام او برگـــو سفنـــد   گـــرگ ظالـــم پـــيشه را مهر شبان آمد پديد

(٢) الديوان ص ١٦٥ والبيت :

ترابا عفت وحكمت شجاعة هست وز ربـــــاشـــى   در اينـــها منحصـــر بينم كمـــال نفس انسانى

(٣) الديوان ص ٩ والبيت :

كفش نوشتـــه زديـــوان همـــت عالـــــــــــى   زبهـــر روزى خلقـــــان برات اجرى را

" أهل العصر جميعهم رجالاً كانوا أم نساءً ، صاروا عبيد إحسانك وإماء لك " (1)

ولم لا وهو الذى لا شبيه له فى العالم بسبب كثرة عطائه :

" ليس لك شبيه فى بقاع الأرض كافة ، فكيف وصل مثل هذا الجـوهر إلى مثل هذا المفلس؟ " (2) .

وإذا كانت سمة المنجم هى أنه يدر الذهب والفضة ، وكانت سمة سحب نيسان إنزال الماء غيثًا بلا حساب ، فأنّى لهذين أن يتساويا مـع بحـر كفـه المعطاء ؛ فالمنجم ممسك بالنظر إلى بحر كفه ، وسحب نيسان تخجل حين ترى سخاء يديه :

" رغم أنّ سمة المنجم وهب الفضة والذهب ، فإنه يبدو لى ممسكا أمام بحر كفه " .

" وطالما أرى سخاء يده الممطرة للجوهر ، يظهر لى العار من وجود السحب فى نيسان " (3)

وإن كان المنجم والسحب يغاران منه فلا أقل من أن يغار البحر الزاخر بالماء، ويُصاب بالحمى حسدًا وغيرة :

---

(٤) الديوان ص ١٥١ والبيت :

اهـل زمانه يكسره گر مرد وگـر زننـد زاحصـان توشدند عبيد واماى تو

(٢) الديوان ص ٩٤ والبيت :

تراكـه درهمه عالم وجوه يكشبه نيست كجارسد بچنـا ن مفلسى چنان گوهر

(٣) الديوان ص ١١ والبيتان :

گرچه كانراسيم وزر بخشيدن آئين است ليك پيش درياى كفشى ممسك نمايد كان مرا

تاهمـى بيـنم سخاى دست گوهر بار او ننگ ميايدز جودابردرنيسـان مـرا

" يصاب البحر غيرة من يدك بالحمى والارتعاش ، وما أكثر أن يظهر على طبيعته وفمه دليلُ الحمى " [1] .

وجمال الصور السابقة أن الشاعر أضفى على الأشياء الجامدة السابقة الصفات الإنسانية ؛ فجعل المنجم وسحب نيسان والبحر يشبهون الإنسان في العطاء والغوث بل والغيرة أيضًا ، ثم انتهى إلى أن عطاء هؤلاء لا يقارن بأى حال من الأحوال مع عطاء الملك ، وهذه الصور الحسية التى مال الشاعر إليها تشير إلى أن الشاعر لم ينفصل عن الطبيعة التى عاش فيها وهى " خراسان " .

ولم يستنفد الشاعر الحيلة لاستمطار غيث الممدوح ؛ إذ ينتقل من المحسوسات السابقة إلى من ذاعت شهرتهم من بنى الإنسان فى الثراء الوافر مثل قارون ، أو الكرم الشديد مثل حاتم الطائى ؛ فالممدوح بسبب كثرة عطائه ونواله ، يصير من يحلم – فقط – بخيال كفه فى غنى قارون :

" لو يرى شخص فى منامه ذات ليلة طوال عمره خيال كفه المجواد فإنه يصبح فى غنى قارون " [2] .

ولمَ لا " وحاتم الطائى" أكرم رجالات العرب وأكثرهم شهرة فى هذا المجال يعد خادمًا له وقت المحفل :

" يكون رستم دستان من عبيده وقت الوغى ، وحاتم الطائى مثل الخادم له وقت المحفل " [3] .

---

(١) الديوان ص ١٠ والبيت :

زر شك دست تودريافتاد درتب ولرز ... بسست طبع ودهانش دليل حمى را

(٢) الديوان ص ١٤ والبيت :

قارون شود بمال كسى گر بعمر خويش ... بيند شبى خيال كف راد او بخواب

(٣) الديوان ص ٣١ والبيت :

رستم دستانش هست از زير دستان روز رزم ... حاتم طائيش گاه بزم او چون چاكرست

ولا غرابة فى هذا مادام الكرم طبع ممدوح ، وإحياء سنة السلف الكرام ديدنه :

" فطبعه كريم لأنه فرض على نفسه إحياء سنة السلف الكرام " [1].

وبعد أن يوصل الشاعر الممدوح إلى هذه الدرجة من المبالغة ، يشتد استغراقه فى المدح، ويسعى جاهدًا إلى جذب ثقته بإيهامه بأنه لم يمدح أحدًا سواه، ولم يطرق سوى بابه مطلقًا :

" أنا لم أطرق سوى بابك أيها المليك فى أى فصل ".

" لا أفرغ فى الغيبة والحضور من أمرين وضعهما فكرى وكلاهما على صواب ".

" إذا كنت حاضرًا فانشغل بذكر الثناء المستطاب ، وإذا غبت أعملت فكرى فى الدعاء المستجاب ".

" فذلك الذى لا يعرف سوى بابك مرجعًا له ومآبًا على وجه البسيطة يستحق رعايتك ".[2]

ويوهمه أيضًا بأنه هو الذى وضع أساس الكرم فى الدنيا :

---

(١) الديوان ص ٦٦ والبيت :

طبع جواد اوست كه برخود فريضه كرد   احياء سنت كرمى كش سلف نهاد

(٢) الديوان ص ١٧ والأبيات :

جز برجنـــاب حضـــرت شاهى بهيج فصل   ازراه التجـــا نگـــذ شتـــم بهيج باب

در غيبت وحضـــور نيـــم فارغ از دوكار   فكـــرم نهاده قاعده هرد وبر صواب

گـــر حـــا ضرم بذكـــر ثنـــاهاى مستطاب   ورغا ئبـــم بفكر دعا هاى مستجاب

واجب بـــود رعايت آنكس كه جز درت   نشناســـد از بسيط ز مين مرجع ومآب

" أيها الملك أنت الذى اتفق الخلق على أنه لم يضع أحد أساس الكرم فى الدنيا غيرك " [1]

وبعد أن يصل الشاعر بالممدوح إلى هذه الدرجة، ويحس بأنه قد أثـار شهية الإعطاء عنده، وجعل أوداجه تنتفخ غرورًا ، سأله الرحمة والعطف :

" انظر بعين العناية صوب " ابن يمين "؛ لأنك رحيم العالم وهو حقيـق بالترحم " [2] .

ويوجد الشاعر لطلبه هذا عذرًا بأنه أهل للعطاء ومستحق له؛ لأنه طائر مهيض الجناح ومظلوم متعرض لظلم القدر وغبنه؛ فلم ينعم عليه هـذا القـدر بشيء:

" مع ما لى مثل هذا الطبع الذى هو مثل الماء والنار – سلاسةً وعنفًا – والذي يتعجب منه القاصى والدانى " .

" لماذا ليس لى أى نصيب فى الدنيا ؟ ، لا جاه ، لا مـال ، لا شـراب، لا طعام " [3] .

---

(1) الديوان ص ١٣٤ والبيت :

شهنشهـا تولى آنك اتفاق خلق بر آنست ... كـه جز توكس ننهد درجهان اساس تكرم

(2) الديوان ص ١٣٤والبيت :

نظـر بعين عنايت بسوى ابن يمين كن ... كـه تو رحيم جهانى واو سزاى ترحم

(3) الديوان ص ١٦٢ والبيتان :

مـرا با چنـين طبع چون آب وآتش ... كـزو در شگـفت انـد قاصى ودانى

چـرا ازجهـان هيـچ بهره نباشد ... نـه جاهـى نـه مالى نه آبر نه نانى

وفى شدة هذا الاستغراق فى المدح ، تأخذ عزة النفس بتلابيب الشاعر وتدفعه الى محاولة التخلص مما أودى به إلى هذه الدرجة ، إلا أن الظـروف التى هى أقوى منه تدفعه إلى أن يصرخ بإعياء : إما عطاؤك أو تدلنى علـى غيرك إن وجد :

" أيها الملك الموفق ، إذا سـمحت ، عرضـت فـى حـضرتك حـديثًا مختصرًا".

" جاء وقت نوبتك، و" ابن يمين " يقضى عمره أكثر من هذا فـى ليـت ولعل ".

" فإما أن تطلق رزقى من ديوان الكرم ، أو تدلني على ديوان آخر غير هذا إن وجد " (١)

أما الوسيلة الثانية التى استخدمها الشاعر لدفع الممدوح إلـى العطـاء فكانت تعتمد على افتتاحية القصيدة، والتى تنوعت بتنوع أساليب الشاعر ؛ فتارة يشنف آذان الممدوح بغزلية رقيقة اللفظ حسنة العبارة ، أو ينقلـه إلـى عـالم الصورة وجماله بوصف رائع لجمال الطبيعة يضمنه تشبيهات رائعة ، أو يثلج صدره بالتغني بالخمر وساقيها ، أو يثير أشجانه ويستدر عطفه بالشكوى مـن الزمان وأفاعيله ... إلخ . ثم ينتقل الشاعر – بحسن وجمال – إلـى الغـرض المنشود ممهدًا له بتعـداد مناقب الممدوح ونعته بأجود النعـوت ، وسـبق أن

---

(١) الديوان ص ١٠٤ والأبيات :

شـهريارا كامكارا گرإجازت ميدهى	عرضه دارم درجنابت يك حديث مختصـر
نـوبت دور آمدگاه آن كابن يمين	نگذ راند عمر خود زين بيش در بوك ومگر
ياز ديوان كرم اطلاق كن روزى من	يا نشانم ده جزاين گرهست ديوانى دگـر

تحدثنا فى هذا الشأن . وتارة يعمد الشاعر إلى أن ينشد قصيدة كاملة فى مـــدح الممدوح من بدئها حتى منتهاها ، والديوان يحفل بهذه النماذج، وهـــذه قـــصيدة مدحية تعد نموذجًا لما نقول :

يبدؤها الشاعر بما يدل على أن الحاكم يستحق أن يعتلى العرش، ومـــا إن يعتليه حتى تصير السعادة نصيرة له :

" طالما اعتلى الملكُ عرشَ الملك ، صارت السعادة نصيرة الملك لأجـــل نصرته " [1] .

ثـــم يثنى الشاعر – كما تعود – فى تعداد مناقب الممدوح – المكـــررة فى كل قصيدة ولا تتغير – حتى يصل الى الغرض المنشود ؛ فالممدوح شجاع فذ :

" ملك العالم حينما يضع السهم فى القوس ، قد أعطى سهم الملك الى يـــد مالك الأملاك "[2] .

وهو ضياء الملك الذى لايخبو :

" ليس لشمس الملك بعد هذا زوال ، حينما صار لطف ظل الإله ظهيـــرًا للملك " [3] .

وبسبب عظمته وعظمة ما حوله ، فإن الحسد ينهش قلب خصمه :

---

(١) الديوان ص ١٢٠ والبيت :

تاشـــه نهاد پاى براوج سرير ملك   دولت زبهر نصرت اوشد نصير ملك

(٢) السابق والصفحة نفسها والبيت

شاه جهـــان كمان كمين چون بزه كند   دادش بدســـت مـــــلك املاك تير ملك

(٣) السابق والصفحة نفسها والبيت

خورشيد ملك را نبود بعد ازين زوال   چون گشت لطف سايهء يزدان ظهير ملك

" الدخان الذى يتصاعد من نيران قلب خصمك ، يجعل أثير الملك سماء من الحرقة واللهيب " [1]

وهو الملك المحبوب الذى لم يجلس مثله على العرش :

"أيها الملك أنت الذى – طالما فى الدنيا عادة الحكم – لم يستقر على العرش مثلك ملك مرغوب فيه "[2] ، بل وكل ما يتصل بالملك يكون عالى القيمة والقدر بسبب هذا الاتصال:

" جاء المداد الآن من زحل والورق من القمر ، والديوان من السماء – وصار – عطارد معلم الملك " [3] .

وبعد أن أثلج الشاعر صدر الممدوح ، ونفخ أوداجه بهذه النعوت الطيبة، نجده يلقى بما تهفوا إليه نفسه مستنشدًا رفده :

" كيف ينفصل الملك عنك ، وقد غذّتك مربية الكرم – حقًّا – بلبن الملك".

" لم يسمع أحد من الشباب أو الشيوخ غير الدعاء بالسعادة لملك العالم".

" أيها الملك ، لم يبق فى ملك الملك فقير سوى " ابن يمين"، فلا تبخل بنظرة على فقير المملكة ". [4]

---

(١) السابق والصفحة نفسها والبيت :

دودى كزآتش دل خصمت كند صعود   گردد ز سوز وتاب سپهر اثير ملك

(٢) السابق والصفحة نفسها والبيت :

شاها تونى كه تاجهان رسم خسرويست   ننشست بر سرير چو تو دلپذير ملك

(٣) الديوان ص ١٢٠ والبيت :

آمد كنون مداد زكيوان ورق زماه   ديوان زآسمان وعطارد دبير ملك

(٤) الديوان ص ١٢٠ – ١٢١ والأبيات :

شاهى جدا چگونه شود ازتو چون ترا   پرورد دايهء كرم حق به شير ملك

غير از دعاى دولت شاهنشه جهان   كس نشنود سخن ز جوان وز پير ملك

در ملك شه نماند جز ابن يمين فقير   شاها نظر دريغ مدار از فقير ملك

ويبدو أن ما كان الشاعر يحصل عليه إن هو إلا قليل لا يسد الرمــق ، فما كان منه إلا أن استخدم وسيلة ثالثة عسى أن تجعل روح الكرم تسرى فــى كيان الممدوح ، وكانت الوسيلة أن ينظم قصيدة كاملة فى الكرم مع جعل رديفها الذى يتكرر مــع كل أبياتها كلمة " كــرم "، ويقول فى أولها :

" وما أجمل جمالك ياشمس سماء الكرم ، وجودك الطاهر قائــد أســرة الكرم " (١)

ثم يستغرق الشاعر – كما تعود – فى مدح الممدوح وتعداد مناقبه التى تنحصر فى الكرم – وهذا أمر مقصود – أو تتصل به ؛ فكرمه جدير بــدعاء الورد ، والقلم يعجز عن تبيان كرمه ، والفلك يعبر بنفسه عن كرم الممدوح فى الوقت الذى يجرى فيه اسم كرم الممدوح على لسان الــشاعر ، ثــم يتــساءل الشاعر عن سبب انقطاع كرمه عنه :

" لمــاذا يكــون واجبًــا أن ينقطــع زمــان الكــرم علــى حــظ ابن يمين مع كريم طبعك " (٢).

ثم ينخرط الشاعر فى الشكوى لحاله ومن تحدى الزمــان لــه ، ذلــك الزمان الذى يبخل عليه بكسرة من مائدة الكرم ، إلى أن ينهى القصيدة بــدعاء التأبيد الذى لا يخرج عن نطاق الكرم أيضًا :

---

(١) الديوان ص١٣٣ :

زهــــى جمــال تو خور شيد آسمان كرم وجـــود پـــاك توسـرخيـل دودمان كرم

(٢) السابق والصفحة نفسها :

جـــه واجبست كه شد بالكريم طبعى تـــو ببخـــت ابــن يمين منقطـــع زمـــان كرم

" فليبق وجودك الطاهر فى الدهر ؛ لأن الحياة تملك روح الكرم بسبب وجودك " [1].

وهؤلاء الحكام لم يكونوا على درجة مشابهة لأمراء المسلمين – كما أسلفنا – الذين كانوا يشجعون الشعراء المادحين ويغدقون عليهم المال ، بل كانوا جمعا من المتمردين استطاعوا تكوين دويلات يحكمونها – كما سبق – ونلاحظ أن شاعرنا قد تنبه إلى ذلك ، فلم يصف واحدًا منهم بصفة العلم والثقافة، وما كان ذلك إلا بسبب انعدام هذه الصفة عندهم ، فلم نسمع عن مثقف بينهم له مؤلفات أو إنشاءات ، ولهذا نجد الشاعر قد ضاق ذرعًا بإمساك البعض عن عطائه؛ فيحاول – وهو الشاعر القانع الذى اضطر الى أن يمد يده – أن يعود إلى طبيعته الحقيقية طبيعة الشاعر العفيف القانع الزاهد؛ فينظم القصائد فى القناعة، ويقول فى بعضها :

" أظهر العقل لى طريق القناعة متلطفا ، ولم أسلك سوى هذا الطريق الذى أشار إليه ".

" أنا ذلك الذى أطفأ نار الحرص بماء القناعة ؛ لأن سطح الأرض كله أظهر الرياح لى " [2] .

ويقول :

---

(١) الديوان ص١٣٣ :

وجـود پاك تـو اندر زمانه باقى باد	که از وجود تو دار دحيان جان كردم

(٢) الديوان ص ١٢٩ والبيتان :

خـردم راه قناعـت بنمود ازره لطف	جزبدان راه كه أو كفت قـدم ننهـادم
منم آب آب قناعت زدهِ برآتش حرص	كه سر لسر كرهء خاك منـا يد بـادم

" لا أرغب فى الخروج عن حى القناعة ، وإن اقتلع سيل الإفلاس أساسى من الجزع "[1].

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل دلالة واضحة على أن الشاعر ليس مادحًا محترفًا لهذه الصنعة ، بل الأمر لا يتعدى المحاولة للتغلب على صعوبات الحياة ، وهذا يدفعنا لى أن ننظر إلى مدائح الشاعر نظرة خاصة ، وسيأتى الحديث عن ذلك :

ثانيًا : مدائحه الدينية

وكانت المدائح الدينية هى القسم الثاني والأخير من مدائح الشاعر ، والتي يمكن أن نستخلص منها شيئين :

(أ) أن ظروف الشاعر الخاصة وما فيها من فقر وحاجة ومعاناة دفعته إلى الإكثار من مدائح الحكام والأمراء وفاق هذا – كمًا – مدائح الشاعر الدينية بصورة ملحوظة :

(ب) هذه المدائح الدينية صورة واضحة لمذهب الشاعر الديني وغلوه فيه .

نظم الشاعر قصيدة واحدة – هى أولى قصائد الديوان – فى مدح الذات العلية ، وهى قصيرة – إلى حد ما – فلم تتجاوز ستة عشر بيتًا ، سار فيها على نفس الأسلوب الذى سار عليه فى القسم الأول ، فإن كان الشاعر قد اهتم فى مدائحه للحكام والأمراء بأن يعدد صفاتهم ومناقبهم تحدوه فى ذلك رغبة فى نيل أعطياتهم ؛ فهو فى هذه القصيدة قد سار على نفس النهج ؛ فهو يعدد صفات الله سبحانه وتعالى التى اتصف بها، ويطمع الشاعر فى هذا بحسن الجزاء يوم القيامة ؛ لهذا بدأ الشاعر قصيدته بصفة الكرم :

---

(١) السابق والصفحة نفسها والبيت :

من نخواهم شدن از كوى قناعت بيرون   سيل افلاس گر از بن بكند بنيادم

" يا من هيأ كرمك أمر الدنيا ، وجعل الروح واليًا لإقليم الجسم "[1] ، ويقول :

" يا من أنت ناثر للجوهر ومبعثر للدر بطبيعتك ، وأكرم من سحب الربيع ورياح الخريف "[2] .

ومدح الشاعر الله سبحانه بما يُمدح به للبشر خطأ كبير ، فإن ذاته أعلى من أن نصفها أو ننعتها بما نصف به أنفسنا أوننعتها ، وذاته – تعالى – أكرم من أن نفاضل بينها وبين أشياء مادية مثل سحب الربيع وغيرها ؛ ففي هذا إنقاص لصفاته تعالى ؛ فشيء معلوم أن كرم الخالق أكثر من كرم سحب الربيع ورياح الخريف ، وليس في حاجة إلى ذكر ، وفي الذكر إنقاص له ، وهنا يصدق قول الشاعر العربي :

ألم تر أن السيف يصغر قدره إذا قلت إن السيف خير من العصا

ومن صفاته تعالى التي ذكرها الشاعر :

" علمك احتوى ما ظهر وما بطن مما كان من قبل وما سيأتي من بعد".

" لطفك مطّلع على ما في القلب من معنى مختف ، حكمتك وضعت البيان في اللسان ".

" قدرتك تعبير لفكرك من بدء الخليقة وأجرت الحديث على اللسان "[3]

---

(١) الديوان ص٧ والبيت :

اى كرمت نظم داده كار جهانرا واليى اقليم جسم ساخته جانرا

(٢) السابق والصفحة نفسها والبيت :

كرده گهرپاش ودر فشان بطبيعت از كرم ابر بهار وباد خزانرا

(٣) الديوان ص ٧ والأبيات :

هرچه از ين پيش بود وباشد ازين پس علم تو دانسته آشكار ونهانرا
لطف تو معنى نهفته در دل آگاه حكمت تودر زبان نهاده بيانرا
قدرت توداده ترجمانى فكرت زاول فطرت سخن سراى زبانرا

وحيث إن الحق تعالى قد جعل " محمدًا " ﷺ شفيعًا لنـــا ، فلـــم يفــت الشاعر أن يمدحه فى نهاية القصيدة متشفعًا به :

" اخترت مرشد ساكنى الكون والمكان لأجل الرسالة من العالم أجمع ".

" شمع النبوة مصباح أسرة آدم ، أحمد المرسل مثلث الأقمار ".

" لابن يمين يوم الحشر العنان وركابه ، حتى يسرع صوب الجنة ".[1]

على أن أهم قصائد الشاعر الدينية قصيدة فى التوحيد والزهــد ونعــت الرسول ﷺ – ويبدو أنه قد كتبها فى أخريات حياته – يتضح منها إلى أى حــد كانت الروح الدينية متمكنة من الشاعر ، وما بدر منه من ملــق وريــاء فــى مدائحه للحكام والأمراء ما كان إلا تحت وطأة الحاجة – وهذا يجعلنا ننظر إلى هذا النوع من الشعر نظرة خاصة كما سيأتى – والدليل على ذلك أن الــشاعر يعلن من خلال هذه القصيدة توبته الصادقة النصوح وعدوله عن هذا الطريــق سالكًا طريق الحق سبحانه ؛ فالشاعر يرى أن الشيب قد غزا مفرقــه ، لهــذا يطلب من قلبه أن يترك أمور الشباب التى لا تليق بشيخ عجوز ، ثم يدعوه الى أن يخلص قدم طائر الروح مــن أسر زلف الأحباب طالما يحيى علــى فــرع "الســدرة " و" طوبــى ":

---

(١) السابق والصفحة نفسها والأبيات :

ازهمـــه عـــالم گـزيده بهر رسالت	راهـــــبر ساكنـــان كـــون ومكـــانرا
شمـــع نبـــوت چـــراغ دودهء آدم	احمـــد مرسـل مثلـــث قمـــرا نرا
ابـــن يميـــن است روز حشر وركابش	تاكـــه بتـــابد ســوى بهشت عنانرا

" حل موسم الشيخوخة ، فاترك أيها القلب أمور الشباب ، ذلك لأنها لا تليق أن تصدر من عجوز "[١].

ويقول :

" خلّصْ قدم طائر الروح من أسر زلف الأحباب ، حتى يغرِّد على غصن السدرة والطوبى سعيدًا " [٢] .

والبيت الأخير يوضح – إلى درجة كبيرة – دعوة الشاعر لنفسه الشاعرية بالتخلص من المدح وما يتبعه من ملق ومداهنة ببدء القصائد بالغزل والتشبيب وبالتخلص من أشعار الغزل ونحوها ، والاتجاه صوب الدين والانكباب عليه فهو أنجى وأكدى :

لهذا يتجه الشاعر إلى قلبه طالبًا منه تطهير نفسه من غش العصيان :

" طهرْ نقد عمرك من غش العصيان أيها الفقير ، من ذلك الطريق الذى سلكته من قبل وكان لك الزاد " [٣] .

ثم يوضح الشاعر ما يقصد فى البيت التالي الذى يطلب فيه من القلب أن يترك طريق الضلال، وأن يتمسك بدين محمد ﷺ :

---

(١) الديوان ص ١٠٠ والبيت :

موســـم پيرى رسيد ايدل جوانى ترك گير   زآنكه نا لا يق بود كا رجوان از مرد پير

(٢) السابق والصفحة نفسها والبيت :

پاى مرغ جان زدام زلف جانان برگشاى   تاز ند برشا خسار سدره وطوبى صفير

(٣) السابق والصفحة نفسها والبيت :

نقد عمر خوريش را از غش عصيان پاك دار   زآنكه ره دارى پيش وزانت اينست ايفقير

أيها القلب إذا وجب لك الخلاص من جبِّ الضلال ، فتمسك بالعروة الوثقى شريعة أحمد المختار " [١].

ثم ينخرط الشاعر فى مدح الرسول ﷺ بخير ما يليق أن يمدح به خير البشر، وهو نعته بالرحمة والشفقة، وهو ما وصفه به الله سبحانه فى محكم كتابه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]

" ذلك فلك الشفقة والرحمة التى شمسها مشرقة ، على الوضيع والشريف والصغير والكبير"[٣].

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى مدح الكتاب المنزل على الرسول ﷺ فيصفه بما وصفه الله تعالى به من أن الإنسان يعجز عن أن يأتى ولو بسورة من مثله:

" ليس فى قدرة أحد فى الدنيا من أهل الفصاحة أن يأتى بسورة مثل كتابه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا"

" فليس فى الإمكان نسخ آياته بدين غيره ، وليس هناك أفضل من ذلك، وليس له كذلك نظير "[٤].

وتظهر براعة الشاعر فى البيتين السابقين فى أن هيأ من قوله تعالى :

---

(١) الديوان ص ١٠١ والبيت :

ای دل از چاه ضلالت گر خلاصی بایدت　　　عروهٔ وثقای شرع احمد مختار گیر

(٢) سورة آل عمران ، آية(١٥٩) :

(٣) الديوان ص ١٠١ والبيت :

آن سپهر شفقت ورحمت كه مهرش تافتست　　　بروضيع وبر شريف وبر صغير وبر كبير

(٤) السابق والصفحة نفسها والبيتان :

درجهان زاهل فصاحت چون كتابش سورئى　　　كس نيا ورد ارچه بعض بود بعض راظهير

نسخ آياتش بدين غير اونا ممكن است　　　ز آنكه نى بهتر از آن باشدنه نيز آنرا نظير

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) هذه الصورة الرائعة التى يؤكد بها فكرته .

ويظل الشاعر على هذا المنوال إلى أن يأتى إلى نهاية القصيدة فيختمها بالطلب – كما تعود – مضمنا إياه آية قرآنية وإن كان طلبه هذه المرة طلبا محبوبًا مرغوبًا فيه ويتمنى تحقيقه كل إنسان :

"يا رسول الله لقد تبت رغم أننى مذنب ، فخذ بيدى فى اليوم الذى يُباح فيه السر" .

" لست يائسًا رغم إسرافى – فى الذنوب – حسب فحوى قوله تعالى" لا تقنطوا من رحمة الله" (٢) (٣).

أشرنا – آنفًا – إلى أن هذه المدائح الدينية صورة واضحة لمذهب الشاعر الدينى وغلوه فيه ؛ فالشاعر شيعى شأنه شأن قاطنى "سبزوا" موطن التشيع فى ذلك الوقت .

وتأخذ شيعية الشاعر وتعصبه لها إلى الإغراق فى نعت " علىّ " وأولاده رضى الله عنهم أجمعين والغلو فى مدحهم مع التغاضى تمامًا عن ذكر أى شىء عن استحقاق الخلفاء الراشدين الآخرين أمثال " أبى بكر" و"عمر" و "عثمان" رضى الله عنهم جميعًا للخلافة، يقول فى مدح على :

---

(١) من سورة الإسراء ، آية (٨٨)

(٢) من سورة الزمر، آية " ٥٣" والآية كاملة : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

(٣) الديوان ص ١٠١ والبيتان :

يا رسول الله اگرچه مجرم مم تائب شدم	دستگیری کن مراد رروزسرّ مستتير .
نيستم نوميد اگرچه مسرغم زيراكه همست	آيه " لاتقنطوا من رحمة الله دليذيـر .

" أعلم أن عليًا المرتضى ابن عم المصطفى هو مقتدى أهل العالم بعد أن توفى المصطفى ".

" ذلك علىٌّ الاسم والمسمى كذلك بسبب علو مرتبته ، أوج الفلك بالنسبة لجنابه كالأرض بالنسبة للسماء ".

" ذلك الذى جعل رجعة الشمس من المغرب إلى المشرق ، حتى لا تقع الصلاة فى القضاء مع تضرعه ".

" ذلك الذى حمل سالكو طريق الحق من الأولياء والأتقياء كلهم نسبة الخرقة الى بلاطه "[١] .

والبيت الأخير يشير إلى أن الشاعر من الذين يرون أن اسم التصوف يرجع إلى سيدنا على ، على اعتبار أنه أول من لبس الصوف .

ويبالغ الشاعر – كعادته فى مدائحه – فى مدح "على" أن شرط الإمامة ما كان فى صلاة الجماعة إلا لأن صفة الإمامة هذه من أفضل صفات " على " كرم الله وجهه :

" يشترط الإمام فى صلاة الجماعة ، وما كان ذلك إلا لأنها الصفة الفضلى له من بين تلك الصفات " [٢] .

---

(١) الديوان ص ١٠ والابيات :

مقتداى اهل عالم چون گذشت از مصطفا ... ابن عم مصطفى رادان على مرتضا

آن على اسم ومسمى كز علو مرتبت ... اوج گردون باجنا بش ارض باشد باسما

آنكه از مغرب بمشرق كرد رجعت آفتاب ... تا نماز باتياز او نيفتد در قضا

وآنكه نسبت خرقه رايكسر بدرگا هش برند ... سالكان راه حق از ولياء واتقيا

(٢) الديوان ص 44 والبيت :

شرطست در نماز جماعت امام را ... كاورا ازآن ميان صفت افضلى بود

ويتضح تعصب الشاعر لمذهبه الشيعي – شأنه شأن أتباع هذا المذهب – فـــى قطعة يعلن فيها – بصراحة عدم اعترافه بغير " على " إمامًا :

" نحن لا نعرف فى الدنيا زيدًا ولا عمرًا ؛ فكل ما لنا من معرفة هو أن مولانا يكون عليًا " [1].

فالشاعر يعلن – بطريق غير مباشر – عدم اعترافه بإمامه " أبى بكر " و" عمر " و " عثمان "، وأن ليس ثمة إمام غير "على" . وإن كان الشاعر قـــد وارى بعض الشيء فى البيت السابق إلا أنه يفصح عن معتقده فى البيت التالي :

" ولذلك لا أعلم بأن أى شخص أحق بالخلافة بعد وفاة النبى من علـــىٍّ المرتضى " [2].

وإن جبَّ الشاعر خلافة هؤلاء الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم أجمعين، إلا أنه مما يحمد له أنه لم يُكفِّر أيًا منهم مثل بعض غلاة الشيعة كالرافضة مثلاً. فكل ما بدر من الشاعر هو شدة فى الحب والإعجاب " بعلى " كرم الله وجهـــه وبمذهب الشيعة ، ودفعه هذا الإعجاب والحب إلى أن يعلـــن تمـــسكه بمبـــادئ الشيعة، وبخاصة المبدأ الذى ينص على القول بعصمة الإمام من الخطأ؛ ذلـــك المبدأ الذى لم يجزه عقل ولا دين :

" اعلم أن ترك الأفضل من أجل المفضول يعد من فضول النفس ، فـــلا تهتد فى طريق الحق إلا بنور العصمة " [3] .

---

(١) الديوان ص ٤٠ والبيت :

ماعمرو وزيدرا اتشناسيم درجهان   ما رابس اين شناخت كه مولاى ما عليست

(٢) الديوان ص ١١ والبيت :

وآن ندانم هيچكس رازنبى چون بگذرى   جز على مر تضا را پاد شاه اوليا

(٣) السابق والصفحة نفسها والبيت :

ترك افضل بهر مفضول از فضول نفس دان   در طريق حق مكن جزنور عصمت پيشوا

ويذكر الشاعر السبب الذى من أجله يستحق " على " الخلافة بعد الرسول ﷺ ، ويلاحظ أن هذه الأسباب ليست سوى صفات اتصف بها "على" تؤهله – من وجهة نظر الشاعر – إلى تولى الخلافة بعد الرسول مباشرة :

"حينما توفى النبى وَجَبَ للأمة إمام ، وهذا ليس أمرًا سهلاً فله شروط".

" الحكمة ، والعصمة من الخطأ ، والعفو ، والمروءة ، لجلس معوجًا وتحدث مستقيمًا ليكون ذلك لدى الأصدقاء مقبولاً ".

" هذه الصفات بل وآلاف أكثر منها – وعلى رأسها العصمة – تتوافر لدى وصى المصطفى علىّ المرتضى " [1] .

ولا يكتفى الشاعر بالقول بأحقية " على" الخلافة بعد الرسول ﷺ مباشرة وبالتعليل لذلك ، بل يتجاوز ذلك إلى أن أولاد "على" رضى الله عنهم هم أصحاب الحق فى تولى الخلافة بعده، فيعدد ذكرهم، ويعلن إخلاصه لهم فهم – فى نظره– الأحق بالاتباع والأجدر بالاهتداء لهذا فهو يأمل فى شفاعتهم له يوم القيامة :

" حينما توفى المرتضى ، فاعلم أن الإمام بعده فى أولاده ، أولهم الحسن ثم شهيد كربلاء ".

" وبعده السجاد والباقر والصادق ، وبعده موسى نجىُّ الله ثم الرضا ".

" حينما توفى فاعلم أن الإمام بعده هو التقى ثم النقى بعد ذلك الإمام العسكرى الذى هو قدوة لأهل الهوى".

---

(١) الديوان ص ٣٩ والأبيات

چون نبى بگذشت امت را امامى واجبست — وين نه كارى مختصر باشد مر اينرا شرطهاست
حكمتست وعصمتست وبخشش ومردانگى — كزنشين وراست ميگوتاز ياران اين كراست
اينصفات وزين هزاران بيش وعصمت برسرى — با وصى مصطفى يعنى على المرتضا ست

" وبعده صاحب الزمان الذى تترقب الأعين طلعة ذلك السعيد اللقاء منذ أعوام ".

" حينما يجعل نور حضوره الدنيا صافيةً، فإن كل معوج فى العالم سيصبح مستقيمًا دفعة واحدة ".

" يصير كل واحد من هؤلاء العظماء بسبب عظمتهم فوق السماوات العلى فى جوارذى الجلال ".

" ولو أنهم لا يعرفون عبدهم، إلا أننى دائمًا أنظم فى الثناء على أعمالهم إخلاصًا لهم ".

" على أمل أن يقول واحد منهم يوم الحشر : هذا " ابن يمين" من خاصة أتباعنا " [1].

ماهية المدح لدى الشاعر :

والآن .. نتعرض لقضية تعرض لها بعض الباحثين .. وقد شغلتنى كثيرًا ، وهى : هل " ابن يمين" ينهى عن شىء ويأتيه ؟ بمعنى هل المبادئ الأخلاقية الرائعة التى نادى بها بما فيها من مدح للقناعة والزهد والصبر على

---

(١) الديوان ص ٣٩ والأبيات :

جون گذشت از مرتضى اولاد او رادان امام	اولين زيشان حسن وانگه شهيد كربلاست
بعد از وسجاد وآنگه باقروصادق بود	بعد ازاو موسى نجى الله وبعد ازوى رضاست
جون گذشتى زوتقى رادان امام آنگه نقى	پس امام عسكرى كاهل هدى راپيشواست
بعدازوصاحب زمان كز سالهاى ديرباز	ديده هادر انتظار روى آن فرخ لقاست
چون كند نور حضور او جهان راباصفا	هركژى كاندرجهان باشد شود يكباره راست
اين بزرگان هريكى رادر جناب ذو الجلال	از بزرگى رفعتى فوق سماوات العلاست
بنده خودر اگرچه حد آن نميداند وليك	دائم از اخلاص ايشان كارش انشاء ثناست
برامید آنكه روز حشراز ينشاهان يكى	گويد اين ابن يمين از بند گان خاص ماست

مشاق الحياة وذم الملق والرياء ، قد هدمتها مدائحه وما يصحب المدح من ملق ورياء واستجداء ؟

يتعرض محقق ديوان "ابن يمين" "حسينعلى باستانى راد" لهذه القضية مدافعًا عن الشاعر ومجيبًا على معترض يتهم "ابن يمين" بالملق والمداهنة بسبب مدحه لحكام عهده الظالمين ، ويرى السيد المحقق أن " فى أنواع الشعر قصيدة خاصة تعد لأجل المدح والتقريظ وجلب الشهرة ، وأن يستخدم فيها الإغـراق والغلو- بصرف النظر عن قولها الجذاب - فإنه يكون من أجل اليقـين بـأن الشاعر إذا مدح شخصًا فى الكرم والسخاء مشبهًا إياه " بمعن بن زائدة " و"حاتم الطائى" اللذين اشتهرا بهـذه الصفة ، فهدفه من ذلك إبعاد البخل والخسة جانبًا - عن الممدوح - وإذا اعتبر آخر مثل " رستم" شجاعة ، فما كـان ذلـك إلا ليزيل عنه صفة الجبن والخوف والضعف، وإذا شُبِّه شخص " بأنو شيروان" فى العدل والإنصاف فقصده من ذلك إبعاده عن الظلم والإجحاف" [1] .

ويؤكد "المحقق" فكرته فى فقرة أخرى فى الوقت الذى يمـدح شـاعر سلطانًا بالعدل والإنصاف ، فإنه - فى الواقع - يلقى فى روعه مغبـة الظلـم ويبعده عنه ، وفى الوقت الذي يمدح ملكًا بالتدبر والتأمل فى الأمور وبـالنظر الثاقب والقدرة على سبر الغور وبالحزم ، فإنه - فى الحقيقـة- يحـذره مـن التسرع ومن التعجل ومن إصدار الأحكام بلا دراسة، بل فـى حالـة غـضب وثورة "[2] .

(١) مقدمة ديوان أشعار ابن يمين ص (ج) .

(٢) السابق ص (د- هـ).

ويتعرض " رشيد ياسمى" للقضية نفسها مدافعًا عن الشاعر بأسلوب يختلف عن الدفاع السابق؛ فيقول فى نصف القرن [1] المضطرب الذى قضى فيه " ابن يمين" بقية شبابه وسنى شيخوخته ، إذا كان قد نصح الخلق بترك الدنيا وبالقناعة والتحمل فما فى ذلك من عجب ، وإذا كان قد مدح أمراء كثارا لأجل معاشه فليس ثمة بحث فى ذلك ؛ ذلك لأنه ليس هناك ما يؤمن للإنسان حياته فى هذا الاضطراب العظيم سوى التعلق بأهداب أحد الأمراء [2].

ورأيى الشخصى فى هذه القضية ينبع من إشارة بعض التساؤلات ومحاولة الإجابة عليها ما أمكن ، هل من الضرورى أن يلتزم الشاعر بزاوية معينة من الصورة دون تجاوزها إلى كل الزوايا الأخرى ؟ أو لابد له من تناول كل الزوايا والجوانب، ويطلعنا على ما وصل إليه بإحساسه وشعوره ولنا حرية الاختيار ؟ ثم هل الشاعر ملزم بالتخصص فى غرض شعرى واحد يتناوله دون باقى الأغراض ؟ وقبل كل هذا – وهذا هو الأهم – هل خدم الشاعر أمته بأشعاره المدحية كما خدمها بأشعاره الأخلاقية ؟ وإلى أى مدى خدمها ؟

فى اعتقادى أن " ابن يمين" كان لزامًا عليه أن يكتب فى غرض المديح لاعتبارين :

(أ) الفترة التى عاش فيها الشاعر – كما أسلفنا – شهدت كسادًا فى سوق الأدب، وبخاصة غرض المديح بسبب انعدام حب الشعر لدى الحكام وبالتالي انعدام حثهم للشعراء على المدح وتشجيعهم على ذلك ، وكتابة الشاعر فى هذا الغرض فيه استمرار له .

---

(١) أى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى .

(٢) رشيد ياسمى : أحوال ابن يمين ص ٢٤ .

(ب) حكام هذه الفترة تغلبت عليهم صفاتهم السيئة وقلت الحسنة، فكان لابد من شخص ينبههم إلى خطورة ذلك بأية طريقة ، وكان " ابن يمين" هو ذلك الشخص الذى ينبههم إلى هذا وبطريق غير مباشر .

والصفات الحسنة التى خلعها الشاعر على ممدوحيه – وهم قادة الأمة وحكامها – إن هى إلا صورة مثلى يتصور الشاعر – أو يتمنى على الأقل – أنها متوافرة لديهم تلك الصفات ؛ فالمجتمع يستفيد من القصيدة أنها تحيى فيه أخلاقا لا قوام له بغيرها فى قيادته وسياسته ومعاملاته المتبادلة بين أفراده ، وتلك هىّ أخلاق الشجاعة والرأى والحزم والكرم والمروءة والحياء وشمائل النبل والفداء . ولم يخطئ "أبو تمام" حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بناة العلا من أين تؤتى المكارم

فهذا على التحقيق هو "دور" الشعر فى بناء المجتمع والمحافظة على قوامه وأسس تكوينه والدفاع عنه ، وأنه لمن الفهاهة أن يُقال : إن الشاعر قد يمدح من لا يستحق المديح، وقد يسكت عن إسداء الثناء إلى من يستحقه ، فهكذا يمكن أن يقال عن الخطأ والانحراف فى تطبيق القانون ولا يقول أحد – من أجله – بإلغاء المحاكم وإسقاط القوانين" [1] .

ولنا من الأدلة ما يدعم صدق قضيتنا :

(أ) الصفات التى خلعها الشاعر على جميع ممدوحيه واحدة ، ومعنى أن يصف الشاعر ممدوحيه بصفات واحدة – وهى أجود الصفات التى يتمناها كل حاكم – مغفلاً فى ذلك سمات الممدوح الشخصية – وهذا ما أخذناه عليه آنفًا – أقول ، معنى هذا أن هذه الصفات الواحدة إن هى إلا

---

(١) عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ص١٢٩- ١٣٠ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

صفات مثلى يتصور أنها فى الممدوح هذا؛ فيتغنى بها أو معدومة لديهم؛ فمدحهم بها محاولاً إمدادهم بها ولو على سبيل الإيحاء .

(ب) اعتدال الشاعر فى مدائحه؛ فلم يغل فيها غلو محترفى المدح والتكسب أمثال "قطران التبريزى" أو "سيد حسن الغزنوى" مثلاً . فمن يقرأ أشعار

" ابن يمين" فى المدح – وقد سبق ذكر نماذجها – ومن يقرأ أشعار " قطران" و"سيد حسن" يتيقن من ذلك ، فيقول " قطران " متجرئا على القرآن وعلى الإيمان وعلى الرسول ﷺ :

" اگرچه ياسين هست از شريف سورتها

بنام تو شرف آرد مديح برياسين "

"بروان اندر بايسته از توحيدى

بزبان اندر شايسته تراز ايمانى" [1]

يقول :

" شده پال از بدى مير ممجد

گشاده دست ومنصور ومؤيد "

" تنش صافى ترازجان محمد

بدو دين محمد شد مؤكد " [2]

---

(١) " وإن تكن ياسين من أشرف السور القرآنية ، فإن المديح باسمك يشرف ياسين " .

" أنت أوجب فى النفس من التوحيد ، وأليق فى اللسان من الإيمان " .

" نقلا عن قطران التبريزى : رسالة ماجستير إعداد أميرة عبد الدايم ص ١٣٠ ، سنة ١٩٧٣م"

(٢) " لقد صار خالصا من السوء الأمير الممجد ، مبسوط اليد ومنصورا ومؤيدا " .

" فجسده أكثر صفاء من روح محمد وبه تأكد دين محمد " . (المرجع السابق ص ١٣١)

ولا يقل " سيد حسن الغزنوى " عن " قطران " تجروًا :

" شاها بكعـــبه رفتم دانى چرا از آنــــك

گفتند خانه ايست معظم چوجاى شاه "

" لبيكهـــا بنـــام مبـــارك زدم چنانــــك

كانجا همى رسيد بگردون صداى شاه "

" موقف نبود جزره صدر رفيع مـــلك

زمزم نبود جزره بحر عطـــاى شـــاه"

" در مروه جز مروت خسرونيا فتم

واند ر صفا نديدم الا صفاى شـــاه " [1]

فى حين أن شاعرنا كانت له – بالإضافة إلى أشعاره الأخلاقيـــة الرائعـــة – مدائح دينية رائعة أظهرته فى ثوبه الدينى اللائق بإنسان فاضل مثله ، وسبق ذكر الشواهد على ذلك .

(ج) كان الشاعر يُدفع أحيانًا إلى مدح هؤلاء الحكام دفعًا، والبيت الآتى دليل على ذلك، وسبق أن تحدثنا عن هذا فى الباب الثانى :

" كرد اشارت تا بغواص فكر ابن يمين

از ميان بحر خاطر گوهر آرد بركنار"

---

(١) ديوان سيد حسن الغزنوى ص ١٧٢ بتصحيح آقاى تقى مدرس رضوى ١٣٢٨ ، انتشارات دانشگاه تهران ٧٦ ، والترجمة :

" أيها الملك أتعلم لماذا ذهبت إلى الكعبة ؟ لأنهم قالوا إنها مكان معظم مثل مكان الملك " .

" فصحت : لبيك ... باسم مبارك هكذا هناك ، فكان يصل إلأى الفلك دائمًا صدى – اسم – الملك " .

" وليس ثمة موقف هناك سوى طريق الملك ذى الصدى ، وليس ثمة " زمزم " هناك سوى بحر عطاء الملك ".

" لم أجد فى " المروة " سوى مروءة الملك ، ولم أر فى "الصفا" سوى صفاء الملك ".

وكثيرًا ما كان الشاعر يجد فى نفسه من الشجاعة ما تدفعه إلى الهجوم على هؤلاء الحكام وإلى سبِّهم دون خشية – كما ذكرنا – وهذا ينفى عنه صفة التزلف والمداهنة مثل محترفى المدح والاستمناح الذين لا يجرءون على ذلك الهجوم .

وأخيرا إذا بدا لنا إمكان توجيه اللوم إلى الشاعر لجمعه بين المبادئ الأخلاقية التى نادى بها وبين المدح وما فيه مما يناقض تلك المبادئ، فينبغى أن نلوم " أبا نواس " لجمعه بين شعر المجون وشعر الزهد ، ونلوم " المتنبى" لجمعه بين شعر التفاخر برجولته واعتزازه بنفسه التى نأت عن الخمر والنساء وبين شعر الغزل .

فالشاعر المادح " أصبح عليه أن يُصعد ممدوحه إلى مرتبة المثال أو يجعل منه " نموذجًا " للرجل السامى الذى لا يتشابه مع غيره من البشر" [١].

---

(١) جابر أحمد عصفور : الصورة الفنية عند شعراء الإحياء فى مصر ص ٢٨ ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة .

الفصل الرابع

التصوف

والآن نأتى إلى الغرض الثالث من أغراض الشاعر الشعرية، وهـو "التصوف" . نظم الشاعر أشعاره الصوفية فى مثنويتين هما "مجلس افـروز" و"مثنوى دگر".

لقد أخذت المثنوية الأولى "مجلس افروز" طابع الحكاية ، يبدؤها الشاعر بالحديث عن "العشق" قاصدًا به الحب للذات الإلهية أو المحبة التى هى صفة حقيقية لله ، ويركز الشاعر على تبيان طبيعة هذا العشق وكيفية أنّه للـشاعر أنيسٌ وجليسٌ ، وأنه يحرق كلٍّ من يقترب منه أو يطرق بابه . ولأن العشق يزكى النار فى كل موضع يحل فيه ، فإن آلاف قتلاه قد انتشروا أشلاء فـى كل بقعة ، وتشرد مثلهم من العشاق ، وليس هذا بغريب لأننا أتينا خصيـصًا فى هذا العالم لأجل العشق ؛ فالعشق هو وسيلة الاتحاد فى الذات الإلهية حيث تنعدم الاثنينية :

" العشق يخلصنا من نحن وأنا ، العشق يجرعنا كأس الشوق".

" العشق يعطينا شرابًا خاصًا ، العشق يخلصنا من الحزن ".

" العشق يسحبنا صوب الودود ، ويحملنا إلى ملك الشهود" (١)

ويؤكد الشاعر ما قاله بأن العشق هو وسيلة الاتحاد :

---

(١) الديوان ص ٦٠٢ والأبيات :

عشـق مارا زمـا ومن برهانند	عشق مارا شراب شوق چشاند
عشـق مارا شراب خاص دهد	عشق مارا زغم خـلاص دهد
عشق مارا كشـد بسوى ودود	عشق مارا برد بمـلك شهود

" العشق يصنع الاتحاد بالحبيب ، ويجعل من الغير منفردًا " (١)

والعشق هو الذى يحملنا إلى ديار الحبيب ، ويجرنا إلى المشنقة :

" يحملنا العشق إلى ديار الحبيب ، ويفضى بنا العشق إلى المشنقة" (٢)

وبعـد أن يطيل الشاعر القول فى "العشق" وأنه وسيلة الاتحـاد فـى الذات الإلهية ، ينتقل الشاعر من هذه المقدمة إلـى حكايتـه ... فيخاطـب المستمع أو القارئ -على الأصح- مبينًا له أنه - أى الشاعر - يتحدث الآن عن العشق بلا لسان ، وكيف أنه يمضى عن هذه الدنيا الغرورة ، فمر على فئة حالها عجب ، فتجرأ وسأل واحدًا منهم عن حالتهم تلك التى هم عليهـا ، فشفاههم يابسة ، وأعينهم مهرقة بالدماء ، وصدورهم مكلومة مفعمة ، وهـم يصيحون ثمالة ويتأوهون ألمًا ... ومن ثم يسألهم الشاعر عمن فعل بهم هذا الصنع :

" فقلت : أيتها الفئة المتألمة المكلومة القلب ، ياصاحبة الحال المضطرب والمشوش ".

"مَـنْ الذى حاك قلوبكم بسهم الغمزة ؟ ، و مَـنْ الذى أحرق روحكـم بنار العشق ؟".

---

(١) السابق ص ٦٠٣ والبيت :

عشق بايار متحد سازد — عشق از غير منفرد سازد

(٢) السابق والصفحة نفسها والبيت :

عشق مارا بكوى يار برد — عشق مارا بسوى دار برد

" مَنْ الذى جَرح صدوركم من الحزن ؟ ، و مَنْ الذى خضب وجوهكم بالدم ؟ " (١).

ويستمر الشاعر فى تساؤلاته التي يحاول أن يوضح من خلالها الحالة التى هم عليها ، وأخيرًا يجيبونه :

" فأجابوا : نحن عشاق ذات واحدة ، ونضع الرأس على أعتابها ".

" نحن جمع من العجزى الحيارى ، نمسى فى مكان ونصبح فى آخر ".

" ونحن على ناصية ديار العشق سكرى معربدون متصوفون ".

" لنا فى تلك الديار حبيب ، نحن متيمون فى حبه ".

" وجهه أمل عيوننا ، عشقه طريقنا المختار ".

" لنا رغبة فى وصاله ، وشوق إلى جماله " (٢)

---

(١) الديوان ص ٦٠٤ والأبيات

گفتم اى زار ود لفكارى چند — مضطرب حال وبيقرارى چند
دلتان را بتيره غمزه كه دوخت — جانتا را بنار عشق كه سوخت
سينه هاتان زغم نكار كه كرد — چهره هاتان بخون نگار كه كرد

(٢) السابق والصفحة نفسها والابيات :

همه گفتند عاشقان يكيم — سر نهارده بر آستان يكيم
جمع مدهوش بيسر وپائيم — شام يكجا وصبح يكجائيم
همه سرمست ورند وقلاشيم — برسر كوى عشق او باشيم
ما دراين كوى دلبرى داريم — كه بسوداى او سرى داريم
روى او آرزوى ديده ٔ ماست — مهر او يار برگز يده ٔ ماست
آرزوى وصال او داريم — اشتياق جمال او داريم

وهكذا يستمرون فى تبيان سبب حالهم هذا ، وكيف أنهم فى حالة مجاهدة للوصول إلى محبوبهم والاتحاد فيه ؛ فهذا المحبوب هو كعبتهم وغاية سؤلهم ، وكيف أنهم على هذه الحالة منذ سنوات :

" قضينا الأعوام فى انتظاره ، وضحينا بالروح فى هذا الانتظار".

" جعلنا عيوننا حلقة لبابه ، ويممنا وجوهنا صوب محيّاه".

"ومضينا فى طريقه سكرى لا نعى شيئًا ، تارة على الأقدام وتارة على الرأس".

"على أمل أن يتجلى بمحياه ، ويرفع عن وجهه الحُجب" (١).

والأبيات السابقة تشير إلى أن الشاعر مع من يكرمون الإنسان، ويقولون بأن أصله إلهى، وأن نفسه تحنّ إلى ذلك الأصل الذى جاءت منه .

وما إن يستمع الشاعر إلى قولهم هذا حتى يرق لحالهم ، وينتابه شعور جارف يشده إليهم فيتجه إلى الله بالدعاء أن يرق لحالهم ويداوى آلامهم ويفك كربهم ، ثم يندمج معهم ويدخل فى حالتهم ممارسًا تجربتهم – دون مقدمات من جانبه – ويبدأ فى مخاطبة الحق تعالى ومناجاته بضمير جماعة المتكلمين "ما" ، مما يوحى بأنه اندمج معهم وانخرط فى تجربتهم ... ويظل الشاعر على هذه الحالة من المناجاة حتى يصل إلى مرحلة الكشف والتجلى ، فيتجلى الحق ببهائه وجماله أمامه فيتغنى الشاعر بذلك :

---

(١) الديوان ص ٦٠٥ والأبيات :

سالها انتظار او برديم — جان درين انتظار بسربرديم

چشم خود حلقهٔ درش كرديم — روى خود سوى منظرش كرديم

در ر هش مست بى خبر رفتيم — گه بپاو گهى بسر رفتيم

برامیدی که روی بنماید — پرده از روی خویش بگشاید

" فنظر على غرّة إلى مذلتنا ، ورحم عجزنا وأنيننا ".

" وفجأة أزال ذلك الوشاح عن جماله ، فسلبنا الصبر والراحة والعقل ".

" واستقر فى العين كالشمس ، ورفع الوشاح واستوى بلا حجب ".

" وسكرنا من رؤية عذاره ، وغبنا عن وعينا من طرّته المجعّدة " .

" وثملنا من مشاهدة جماله ، ولا ندرى ألنا كيان أم نحن عدم ".

" ومن سلافة العشق غبنا من الأمس عن أنفسنا ، وإلى الأبد نحن والهون مدهوشون ".

" فنينا فى وصاله ، وسقطنا فى بحر الحيرة " [1] .

ثم يحادث الشاعر من يرغب فى الوصول والمشاهدة ، متبعًا الطريق الإرشادى التعليمى .

وكنا نتوقع من مقدمة الشاعر أنه سوف يصطحبنا معه إلى تجربة حقيقية مثيرة خاضها ثم يعرفنا الطريق الصحيح لمن يرغب منا فى سلوكها ، ولكنه يهمل هذا مكتفيًا بالحديث – دون ربط – عن الفناء والبقاء وعن التجلى وعن الاتحاد ... إلخ ؛ مما يبرز تقليديته لمن سبقه فى هذا المجال – كما سيأتى .

---

(١) السابق ص ٦٠٥ ، ٦٠٦ والأبيات :

ديدنـــا كـــه بخاكسارى ما	رحمـــش آمـــد بآه وزارى ما
ناگه آن بـــرقع از جمال گشود	صبرو آرام وهوش وعقل ربود
در نظـــر همچو آفتاب نشست	پرده برداشت بيحجاب نشست
مســت از ديـــدن عذار وييم	بيخود از زلـــف تا بدار وييم
در شهود جمـــال او مستيـــم	مى ندانيـــم نيســت يا هستيم
از مى عشق دوش بيهو شيـــم	تا ابد واليهم ومد هـــو شيـــم
گشتــه اندر وصـــال او فانى	او فتـــاده ببحـــر حيـــرانى

وفي صدد حديث الشاعر لمن يرغب في الوصول ، يبين لهم الأداة التي ينبغي أن تستخدم في عملية الفناء كي يروا بها الذات الإلهية ، وهذه الأداة هي " العين البصيرة لا الباصرة "؛ أي يرونه بقلوبهم وليس بأعينهم :

" أظهر العين التي ترى الروح ، وليست تلك التي ترى هذه الساحة الدنيوية ".

" اجْعل العين في وجه الحبيب بصيرة ، وشاهدْ بها وجهه ".

" فتكون عين الروح كعين القلب ، لا تلك التي هي نقش الماء والطين " [1].

وهذه فكرة متداولة وسبق الشاعر فيها، ولم يأت الشاعر فيها بجديد .

ويستمر الشاعر في إرشاده وتعليمه فيشير إلى السالك – أو من يرغب في أن يكون سالكًا – بالمجاهدة التي تكمن في التخلص من الوجود المادي وشهواته ، وفي الانغماس في الغيبوبة عن النفس وفي الدخول إلى الرحلة الروحية حتى يتم الفناء :

" إذا كنت تهوى وصاله ، وترغب في جماله ".

" امحُ صورتك من لوح الوجود ، حتى تشاهد جماله ".

" طالما أنت موجود أنَّى لك أن ترى الجمال ، وتجلس في محفل الوصال "[2] .

---

(1) الديوان ص ٦٠٧ والأبيات

دیده پیدا بکن که جان بیند — نه که اینعرصهٔ جهان بیند
دیده در روی دوست بیناکن — روی او رابه او تماشا کن
چشم جان بین چوچشم دل باشد — نه که این نقش آب وگل باشد

(2) الديوان ص ٦٠٧ والأبيات :

گر هوای وصال او داری — آرزوی جمال او داری
نقش خودرا بشو زلوح وجود — تاتو بینی جمال او بشهود
تاتو هستی جمال کی بینی — کی ببزم وصال بنشینی

ويركز الشاعر على أن يفرق بين نوعين من الناس : الرجل العـادي والرجل السالك وموقف الحق تعالى منهما :

" حبيبنا هو نفسه أمير السوق ، يشترى بنفسه وهو محجب ".

" كل من يشتريه بروحه ، سيجده على ناصية سوقه ".

" يحتضن واحدًا بيده ، وينظر إلى الآخر فى خفية ".

" يرفع رأسه من جيب واحد ، ويطرد الآخر من الباب " [1] .

وما كانت هذه التفرقة من الشاعر إلا ليشير إلى أنه من النوع الثـانى أى من المريدين السالكين ، ويبين الأسباب أو الطريقة التى من شأنها جعلته مـن هذا النوع وهيأته إلى أن يصل إلى الذات الإلهية ويفنى فيها :

" نحن فى اضطراب حيثما نكون ، ونحن ثملى تلك العـين المملـوءة بالسكر ".

" لا شىء غيره فى نظرنا ، وليس ثمة شخص آخر غيره ".

" نحن من قاطنى دياره الدائمين ، وننتظره ليل نهار ".

" تارة نجلس فى الصومعة باكين منه ، وتارة فى الحان نتألم بسببه ".

" وطورًا فى المدرسة بالبحث والجدل ، وطورًا فى الخانقـاه بالـشعر والغزل ".

---

(١) السابق ص ٦٠٩ والأبيات :

يا رمـاخود اميـر بازارست	زيـر پـرده بخـود خريدارست
هـركـه از جان بود خريدارش	يا بـداورا بـروى بـازارش
بايكـى دسـت در كمـر كـرده	وان دگـر رانهـان نظر كرده
سـر زجيـب يكـى بر آورده	وانـد گـر را زدر بدر كـرده

" تارة كالناي نئن ألمًا له ، وتارة كالخمر نغلى شوقًا له ".[(١)]

ولهذا فهو لا يتخلى عنّا مطلقًا ويتعرف على غيرنا :

" لحبيبنا خلقٌ عجيب ، الذى يؤلم قلب العشاق".

" لا ينفصل عنّا مطلقًا ، ولا يتعرف على آخر ".

" وإذا ما نُجافيه بكثرة ، إلا أن الوفاء يأتى منه دائمًا " [(٢)] .

لهذا عليك يا من ترغب فى أن تكون سالكًا - عليك - أن تسلك ما سلكنا وتصنع ما صنعنا .

ثم يختم الشاعر مثنويته بأنه فى حالة وجد، وحديثه هذا ليس حديثًا لسانيًا - كما قال فى بدئها - بل هو مجرد إشارات ، ولأنه لا يستطيع أن يفصح وإلا احترق ، ورغم أنه جاهد فى كتمان نار العشق ، فإن الشعلة فرَّت من يديه؛ فماذا يفعل ؟

" لا تعتقد أننا نملك لسانًا ، فإنَّ جذوةً من النار فى أفواهنا ".

---

(١) السابق والصفحة نفسها والأبيات :

هر كجاايم بى قرار وييم   مست آن چشم پر خمار وييم
غير او نيست در نظر مارا   نيست چزوى كس دگر مارا
دايم از ساكنان كوى وييم   روز وشب منتظر بروى وييم
گاه در صومعه ازو گريان   گاه در ميكده ازو نالان
گاه در مدرسه ببحث وجدل   گاه در خانقه بشعر وغزل
گاه چون نى زدرد او نالان   گاه چون مى ز شوق او جوشان

(٢) الديوان ص ٦١٠ والأبيات :

يار ما خوى بو العجب دارد   كه دل عاشقان بيازارد
هرگز اوراز ما جدائى نيست   باكس ديگر آشنائى نيست
گرچه از مابسى جفا آيد   ليكن ازوى همه وفا آيد

" إذ نتحدث فإننا نحرق روحنا ، ونضرم النار فى الكبد " [1]

ويقول :

" ولكن النار التى نشعلها فى داخلنا ، تَخرُج شعلتها ، فماذا نفعل ؟"[2]

أما المثنوية الأخرى " مثنوى ديگر" – وهى أقل حجمًا من الأولى بكثير – فدارت أبياتها حول " فكرة المجاهدة" على أنها خير وسيلة للوصول إلى الله ، واعتمد الشاعر فيها على مقام "الطلب" :

" اطلب حتى تصير محرم الأسرار، وتصبح بذلك الصديق المخلص ".

" اطلب حتى تظفر بأخبار عن الحبيب ، وتدرك وجـود الحبيـب دون حاجة إلى الجلد".

"اطلب حتى تظفر بأخبار عن الكنز ، ولَنّى يتأتى لك هذا الكنز بلا ألم".

" الطلب حينما يتخلص من أسباب الوجود يوصل الشخص إلى مكانه ".

" الطلب هو البراق لعشق الأحبة ، الطلب هو كعبة الروح ".

"الطلب رأس مال كنز الوجود ، الطلب زينة أصل الشهود" [3].

---

(١) السابق ص ٦١٠ – ٦١١ والبيتان :

تـــو مپندار ما زبان داريم ... پاره آتش درون دهان داريم

گـــربگوئيم جان خود سوزيم ... آتش در جگر برا فرو زيم

(٢) السابق ص ٦١١ والبيت :

ليـــك آتش كـــه در درون بز نيم ... شعله بيرون زند چه حيله كنيم

(٣) الديوان ص ٦١١ والأبيات :

طـلب تا محـرم اسرار كردى ... بآن مطلوب يا رغار كـردى

طلب كن تا خبر ازد وست يابى ... وجود دوست رابى پوست يابى

طـلب كن تا خبراز گنج يابى ... توكى اين گنج رابى رنج يابى

طلب چون رخت هستى مير هلد ... طلب كسى را بمنزل مير ساند

طـلب باشد براق عشق جانان ... طلب باشد سواد أعظم جـان

طـلب سرمايه" گنج وجود ست ... طلب پيرايه" اصل شهود است

وبعد الطلب والمجاهدة ، ينصح الشاعر السالك بأنه إذا وصل إلى المحبوب وظفر به؛ فعليه أن يصير له عاشقًا في الحال ولا يخشى أن يصير مقتولاً؛ ففي هذا القتل حياة خالدة وهو الفناء :

" حينما تظفر به صِرْ له عاشقًا في الحال ، وصِرْ جديرًا بوصل المعشوق ".

" لا تخش أن تصير مقتولاً، وأن تتخضب بدمك ".

" أي قتل هذا ؟ إنه في حد ذاته حياة ، إنه بقايا حياة الخلود".

"الفناء ضروري لي بغير قتلك ؛ لأن فناء القتل ضروري للعاشق ".[1]

وتدور باقي أبيات هذه المثنوية حول هذه الفكرة دون جديد ؛ فعلى السالك أن يصلح نفسه ويتخلص من الماديات حتى يصل :

"املأ وجودك من ذلك الكنز ، واملأ كلَّ حافظتك بالياقوت والدّر" [2] .

ويقول :

" هذا الكنز الثمين مختفٍ فيك ، ابحث فيك جيدًا أيها الرجل الحزين "

" ما أعجب الكنز الذي في خرابتك ، وما أعجب روح محبوبك " [3]

---

(١) السابق ص ٦١٢ والأبيات :

چو او را يافتى عاشق شو اكنون	بوصل دلبرى لا يق شواكنون
نترس زانكه خواهى كشته گشتن	بخون خويشتن آغشته گشتن
چه كشتن باشد اين خود زند گانيست	بقاهاى حيات جاود انيست
مراجز كشتنت لفنا ضروريست	كه عاشق رالفنا كشتن ضر وريست

(٢) الديوان ص ٦١٣ والبيت :

وجود خويش رازا نگنج پرساز	همه انبان خود را لعل ودر ساز

(٣) السابق والصفحة نفسها والبيتان :

نهان درتست اين گنج گرانسنگ	توخود رانيك كاوا يمرد دلتنگ
عجب گنجيست در ويرانهٔ تو	عجب جانى بود جانانهٔ تو

نظرة على تصوف الشاعر :

لم يصل "ابن يمين" في أشعاره الصوفية إلى المرتبة العظيمة التى وصل إليها بأشعاره الأخلاقية الاجتماعية ؛ فشاعرنا لم يتعد مرحلة التقليد لسابقيه من المتصوفة العظام دون طرافة وجدّة فى الأفكار أو الصياغة أو غير ذلك من السمات التى من شأنها أن تميز شاعرًا عن آخر ؛ فلقد طرق شاعرنا المعانى التى طرقها الصوفية من قبله ، وعبر عن هذه المعانى التى استقرت عند الشعراء السابقين بتعبيرات تكاد تكون منقولة بنصها من هؤلاء الشعراء وإن استخدم فى ذلك براعة التصرف .

وهذه التقليدية وإن أثبتت لنا أنه لم يكن صوفيًّا يعتد بأشعاره الصوفية، فإنها نأت بجانبه – إلى حد ما – عن المذاهب والتيارات التى سادت عصره كما سيأتى فى حينه .

لقد اتخذ الشاعر من "العشق" – دون العقل – وسيلة للوصول إلى الحضرة وإدراك الله ، وتفضيل الشاعر للعشق للوصول دون العقل هو عين ما سلكه السابقون ، وبخاصة " فريد الدين العطار " ت ٦١٨ هـ [١] فى منظومته الرائعة " منطق الطير " ، وإن كان " العطار " قد قسم طريق الوصول إلى منازل أو مقامات [٢] ، وقد أطلق على هذه المقامات اسم أودية ، وهى الأودية السبعة : الطلب ، و العشق ، و المعرفة ، و الاستغناء ، و التوحيد ، و الحيرة، و الفقر والفناء .

---

(١) هو الشيخ فريد الدين أبو حامد محمد بن أبى بكر إبراهيم بن مصطفى : أحد الشعراء المتصوفة العظام ولقب بالعطار؛ لأنه ورث هذه الحرفة عن أبيه ".

(٢) د. بديع جمعة : منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابورى ص٥٠ ، نشر دار الرائد العربى ، ط ١ سنة ١٩٧٥ م.

وتكاد توجد هذه المقامات عند " ابن يمين" ، بيد أنه لم يقم بتقسيمها وترتيبها مثلما فعل العطار ، بل هى متناثرة فى أبياته، وكان استخراجها قائمًا على مجهودنا الشخصى وحده ، وهذه المقامات هى :

مقام الطلب :

طلب تا محرم اسرار كردى	بآن مطلوب يار غار كردى
طلب كن تا خبرا زدوست يابى	وجود دوست رابى پوست يابى
طلب كن تا خبرا زگنج يابى	توكى اين گنج رابى رنج يابى
طلب چون رخت هستى مير هاند	طلب كس را بمنزل ميرساند
طلب باشد براق عشق جانان	طلب باشد سواد اعظم جان
طلب سرماية گنج وجود ست	طلب پيرايهٔ اصل شهود است [(١)]

مقام العشق :

عشق مارا شراب خاص دهد	عشق مارا زغم خلاص دهد
عشق مارا كشد بسوى ودود	عشق مارا برد بملك شهود
عشق پيرايهء جمال بود	عشق سرمايهء وصال بود
عشق مارا ازخون شراب دهد	عشق مرا زدل كباب دهد [(٢)]

مقام الاستغناء :

غير او نيست در نظر مارا	نيست جزوى كس دگر مارا [(٣)]
در نظر غير دوست هيج نماند	همه شد مغزو پوست هيچ نماند [(٤)]

---

(١) الديوان ص ٦١١ وسبق ذكر ترجمة هذه الأبيات .

(٢) السابق ص ٦٠٢ والترجمة :

" العشق يعطينا شرابا خاصا ، ويخلصنا من الحزن ".

" العشق يسحبنا صوب "الودود" ، ويحملنا الى ملك الشهود ".

" العشق زينة الجمال ، ورأس مال الوصال ".

" العشق يترعنا شرابا من الدم ، ويمنحنا شواء من القلب ".

(٣) السابق ص ٦٠٩ وسبق ترجمة البيت .

(٤) السابق ص ٦٠٦ وترجمة البيت :

"لم يبق أمام العين سوى الحبيب ، وصار الكل روحا ولم يبق أثر للجلد ".

مقام الحيرة :

در بـــــدر براى اوشده أيـــم — كـــو بكو در هواى او شده ايم

بعد ازين عجز وبيـــقرارى ها — آمـــــده در مقـــام زار يها [1]

هر كجـــــــائيم بى قرار وييم — مست آن چشم پر خمار وييم [2]

جمع مدهـــــوش بيسرو پائيم — شـــام يكجا وصبح يكجائيـــم [3]

مقام الفقر والفناء :

عشق مارا چو شـــمع بگدازد — همچـــــو پروانه بيـــخبر سازد [4]

گشته اندر وصال اوفـــــانى — او فتـــــــاده ببحر حيرانى [5]

أضف إلى هذا أننا لو بحثنا عن صور الفناء عند الشاعر لوجدناها ثلاثة هى :

(أ) الصورة الأولى وهى (فناء القطرة فى البحر)".

همه همچون جمـــال او گشتيم — غرق بحـــــر وصـــال او گشتيم

قطره در بحر رفت وپنهان شد — ذرة هـــــم آفتاب تابان شد [6]

---

(١) السابق ص ٦٠٥ وترجمة البيتين :

" لقد صرنا مشردين من أجله ، وننتقل من حى الى حى فى هواه ".

" وبعد هذا العجز والاضطراب ، وصلنا الى مقام النواح والبكاء ".

(٢) السابق ص ٦٠٩ وترجمة البيت :

" نحن فى اضطراب حيثما نكون ، ونحن ثملى تلك العين المملوءة بالسكْر".

(٣) الديوان ص ٦٠٤ وترجمة البيت سبق ذكرها .

(٤) السابق ص ٦٠٢ وترجمة البيت :

"العشق يذيبنا مثل الشمع ، ويجعلنا بلا وعى كفراشة".

(٥) السابق ص ٦٠٦ وترجمة البيت سبق ذكرها .

(٦) السابق ص ٦٠٦ وترجمة البيتين :

" صرنا جميعا مثل جماله ، وغرقنا فى بحر وصاله ".

" ومضت قطرة فى البحر واختفت ، وصارت الذّرة نفس الشمس المشرقة ".

(ب) الصورة الثانية وهى " فناء الظل فى الشمس ".

او چو خورشيد وماهمه سايـــه ســــــايه با آفتــــاب همسايه

سايه راچون بخود وجودى نيست هســـتى او بجز نمودى نيست

تابش خــور چو بيشـــــتر گردد ســــــايه بـــا آفتـــاب برگردد

همــــــه از نور خـــود فروگيرد برود ســـــايه رنگ او گيرد [1]

(ج) الصورة الثالثة وهى " فناء الفراشة فى الشمعة ".

عشق مارا چو شـــمع بگدازد همچـــــو پروانه بيخبر سازد [2]

وقوله :

تاتو پروانه سان نميســوزى وصــــــل شـــمعت كجابود روزى [3]

شمع حسن جمال جـــانانـــه تـــــابر افروخت سوخت پروانـــه [4]

وهذه الصور الثلاث هى نفسها صور الفناء لدى "العطار" فـــى " منطـــق الطير" – مع اختلاف النظم بين الشاعرين – وإن زاد " العطار" عليهن صورة رابعة، وهى " فناء الشعرة فى ذؤابة المحبوب".

---

(١) السابق ص ٦٠٨ والترجمة :

" هو الشمس ونحن الظل ، والظل جارٌ للشمس "

" وحيث إن الظل ليس له وجود بذاته فإن وجوده غير كائن بلا ظهور ".

" وحينما يشتد سطوع الشمس ، يفنى الظل فى الشمس ".

" ويغوص بأجمعه فى نورها ، ويمضى متخذا لونها ".

(٢) السابق ص ٦٠٢ وترجمة البيت سبق ذكرها .

(٣) هنا إشارة واضحة للفراشتين الأوليين – لدى العطار – اللتين لم تفنيا بسبب عدم احتراقهما فى الشمعة – كما سيأتى –.

(٤) الديوان ص ٦٠٧ وترجمة البيتين :

" طالما لم تحترق مثل الفراشة ، كيف تحظى بوصل الشمعة ذات يوم".

" الشمع حسن جمال الأحبة ، متى اشتعل أحرق الفراشة".

فالصورة الأولى التى هى" فناء القطرة فى البحر" تتضح لدى " العطـــار" فـــى المقالة الرابعة والأربعين، وبخاصة فى قوله معبرًا عـــن فنـــاء القطـــرة (أى الإنسان) فى البحر (قاصدًا به الحق تعالى):

گر بليـــدى گم شود در بحر كل	در صفـــــــات خود فروماند بذل
ليــــك گرپاكى درين دريا رود	از وجـــــود خويش ناپيدا رود
جنبش او جنــــبش دريا بــود	او چـــو نبود در ميان زيبا بود
نبود او واو بود چون باشداين	از خيال عقل بيرون باشداين [1]

والصورة الثانية " فناء الظل فى الشمس" نجدها لدى " العطار" فى قوله:

محواو گشتند آخر بردوام	سايه در خورشيد گم شدو السلام [2]

والصورة الثالثة " فناء الفراشة فى الشمعة " تظهر لدى العطـــار فـــى حكاية كاملة ، ولعل أهم ما فى هذه الحكاية هو الفناء التام الـــذى قامـــت بـــه الفراشة الثالثة التى استقرت فى النار، فاحترقت كلها، وأفنـــت نفـــسها كليـــة ، واحمرت أعضاؤها فأخذت لون النار :

ديگرى برخاست ولى شد مست مست

پاى كوبـــــان برسر آتش نشست

---

(١) كتاب منطق الطير من تصنيف شيخ فريد الدين عطار ، ص ١٥٦، طبع شد باهتمام خدا گرسين دطاس مطبعة خانه' پادشاهانه ١٨٥٧ عيسوى ١٢٧٣ هجرى ز والترجمة :

" وإن يفن نجس فى بحر الكل ، يسقط إلى القاع ذليلاً بصفاته ".

" ولكن أن ينزل إلى هذا البحر رجل طاهر ، فسيفنى فناءً حقيقيًا، ولن يبقى له أثر"

"حيث تصبح حركته هى حركة البحر، وعندما يفنى يكون غارقًا فى مجال الحسن والطهر"

" وإن يحدث هذا يكن فانيًا وهو موجود ، وهذا يخرج عن نطاق الخيال والعقل ".

د. بديع جمعة : منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابورى ص ٢٨٨.

(٢) كتاب منطق الطير من تصنيف شيخ فريد الدين عطار ص ١٣٨ والترجمة :

" وهكذا انمحوا فيه على الدوام ، كما يتمحى الظل فى الشمس والسلام ".

(د. بديع جمعة : منطق الطير ص ٣٠٣)

دســـــت در كـــش كرد با آتش بهم

خــــويش راگم كرد باد خــــوش بهم

چـــــــون گرفت آتش ز سر تاپاى او

سرخ شـــــد چون آتش اعضاى او[1]

ولم تقف تقليدية الشاعر " العطار" عند هذا الحد ، بل تجاوزته إلى فكرة رددها " العطار" ورددها بعض الشعراء المتصوفة السابقين، وإن كان تـــأثر " ابن يمين" فيها "بالعطار" أكثر ، وهى فكرة " القتل والدية" القتل الصوفى الذى تمــوت به النفس طبقًا للحديث الصوفى " موتوا قبل أن تموتوا "، وطبقًا للآية الكريمة :

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [2] ،

فيقول " ابن يمين ":

بگفتاعا شقا نرا ميكـشـــم من   پس از كشـــتن ديت هم ميكشم من

براى يك ديت صد بار كشـــــتن   مراخو شـــتر بوداز زنده گشتن [3]

ويرى الشاعر أن القتل ضرورى للفناء بعد أن يفسره موضحًا معناه الـــصوفى – مثلما يتضح من أبيات العطار – فيقول " ابن يمين":

چه كشــــتن باشد اين خود زند گانيست

بقـــــاهاى حيــــــات جـاودا نيست

---

(١) كتاب منطق الطير من تصنيف شيخ فريد الدين العطار ص ١٥٨ والترجمة :

" نهضت ثالثة وأسرعت ثملة نشوانة وعلى وهج النار استقرت ولهانة" ،

" فاحترقت كلها فى النار ، وأفنت نفسها كلية ، وهى غاية فى السرور" ،

" وما إن احتوتها النار ، حتى احمرت أعضاؤها وتلونت بلون النار ".

(د. بديع جمعة : منطق الطير ص ٢٩٠)

(٢) سورة آل عمران آية "١٦٩" .

(٣) الديوان ص ٦١١-٦١٢ والترجمة :

"قال اقتل العاشقين ، وادفع الدِّية أيضا بعد القتل "

" ومن أجل دية واحدة فالموت مائة مرة أحب الىّ من ان أصير حيا ".

مراجز كشـــــتنت افنـا ضروريست

كه عـــاشق را فنا كشتن ضروريست [1]

وعندما نقرأ ما كتبه "العطار" عن "القتل والدية " نلحظ تأثر شاعرنا الواضـــح به، وإن كان "العطار" قد ذكر فكرته على شكل حكاية، إلا أن المعنـــى واحـــد لـــدى الشاعرين :

گفــت ذو النون مى شدم دربادیه	برتو كل بى عصا وراويــــــه
چـل مرقــع بــوش راد يدم براه	جان بداده حمله بريك جايگــاه
شورشــــــى در عقل بيهوشم فتاد	آتشى درجان پر جوشم فتـــاد
گفتم آخر اين چه كارست اى خداى	سروران راچند اندازى زپـــاى
هاتفــــى گفتـــا كزين كار آگهيم	خود كشيم وخود ديتشان ميدهيم
گفتـم آخر چند خواهى گشت زار	گفت تاد ارم ديت اينست كـــار
در خـــزانه تاديــت مى ماندم	مى كسم تاتعزيت مى ما نـــدم [2]

ولا أكون مغاليًا فى قولى بأن تقليدية شاعرنا لم تقــف "عنــد العطـــار" فحسب بل امتدت خيوطها إلى "جلال الدين الرومى ت ٦٧٢هـ" أيضًا ؛ ففكرة " القتل والدية" واضحة لدى " جلال الدين" فى "المثنوى" :

"عود إلى قصة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وصفحه عن قاتله" ،

---

(١) السابق ص ٦١٢ وسبقت ترجمة البيتين .

(٢) كتاب منطق الطير من تصنيف شيخ فريد الدين عطار ص ١٠٠- ١٠١ ، والترجمة :" قـال ذو النـون : كنت أتجول فى البادية أتجول متوكلاً بلا عصا ولا راوية "

" فرأيت فى الطريق أربعين من لابسى الخرقة ، وقد أسلم الجميع أرواحهم فى بقعة واحدة ".

" فثار الاضطراب فى عقلى الولهان ، وثارت النار فى روحى المضطربة "،

" فقلت إلهى ما نهاية هـذه الحال ؟ وما أكثر ما جندلت العظماء .

" فقال هاتف : إننا ندرك الأمر ، فنحن نقتلهم وندفع ما يستحقون من دية ".

" فقلت وكم ستقتل فى النهاية ؟ قال ما دمت أملك دية فسأفعل هذا الأمر " .

" وما بقينا بقيت فى خزانتى دية ، حتى تبقى لى التعزية ".

(د. بديع جمعة : منطق الطير ص ٢٠٨)

كما أن صورة الفناء الأولى لدى شاعرنا، والتى احتوت على فنائين هما : فناء القطرة فى البحر والذرة فى الشمس نجدهما لدى " جلال الدين" أيضا فى قوليه :

باز از فرشـــتگى هم بگذر برودر آن يم

تا قطرهء توبحرى گردد كه صد عمانســت [1]

چـــــراچو ذره نيـــايد برقص هر صوفى

در آفتـــاب بقـــــــا ، تا رهاندش ززوال [2]

ويدعم ما نقول ما أثبتناه آنفًا [3] من التأثر الواضح لـشاعرنا بفكـرة التكامل الروحى للإنسان أو ما يسمى برحلة الروح وسعيها إلى الكمال اللانهائى متعدية عدة مراحل فى ذلك منها المرحلة الجمادية والنباتية ثم الحيوانية ليصير إنسانًا يمكنه تجاوز هذه المرحلة إلى الملكية ثم الفناء فى الذات الإلهية ، ورغم أن بعض الباحثين [4] يرون أن أرسطو هو أول من قال بهذه الفكرة ، وأن أول من قال بها فى الأدب الفارسى هو ناصر خسرو وتبعه سنائى ثم الرومى ، إلا أن شاعرنا يبدو أكثر تأثرًا بجلال الدين – بصفة خاصة – وذلك مـن ناحيـة الصياغة وطريقة العرض ، وربما عاد السبب فى ذلك إلى أن هذه الفكرة أخذت لدى جلال الدين طابعًا أكثر شاعرية عن سابقيه .

---

(١) نقلاً عن كتاب جلال الدين الرومى فى حياته وشعره : محمد عبد السلام كفافى ص ٤٢٤ ، بيـروت ط ١ سنة ١٩٧١م ، وقد ترجم صاحب هذا الكتاب هذا البيت فى ص ٤٢٥ كالتالى :
" فلنترك – بعد ذلك – طبيعة الملك ولتدخل فى ذلك اليم ، حتى تصبح قطرتك بحرًا يفوق مائة مـــن بحر عمان ".

(٢) كليات ديوان شمس تبريزى . باهتمـــام فروزا نفر چاپ چهارم ص ٥٢٥ غزلية ١٣٥٣ ١٣٥١ هــ ش وترجمة البيت :
ولماذا لا يرقص كل صـــوفى فى شمس البقـــاء – كأنه ذرة – حتى تخلصه من الزوال ؟
(محمد عبد السلام كفافى : جلال الدين الرومى فى حياته وشعره ص ٤١٣) .

(٣) ارجع إلى الفصل الخاص بثقافة الشاعر فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

(٤) د. رجاء عبد المنعم جبر : رحلة الروح بين ابن سينا وسنائى ودانتى ص ٤١ ، مكتبة الشباب .

ويتمادى الشاعر فى تقليديته للسابقين ، فيأتى بصورة ما انفك شـــعراء التصوف السابقون يستخدمونها، ويرمزون بها إلى تخلص الصوفى من الماديات والانغماس فى الروحانيات حتى يتم الفناء :

گرترا ميل صحبت ليلى است　　　مست وديوانه بودنت اولى است

اتكه مجنون نبود وديوانـــه　　　كـــى بليلى بگشت همخانه [1]

كذلك يُضَمِّن فى شعره التصوفى حديثين ، كثيرًا مايعتمـــد عليهمـــا الـــصوفية لإثبات أصولهم ، أحدهما حديث موضوع - كما ذكرنا - وهو " كنت كنـــزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فعرفتهم بى فعرفونى " فيقول :

حديث كنت كنزا را شنيدى　　　ازين گنج نهان برگوچه ديدى[2]

والثانى صحيح وهو حديث قدسى عن رب العزة " أن العبـــد لا يـــزال يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى به يسمع وبـــصره الذى به يبصر "[3].

فيقول :

كسى داند كه او معشو قبازست　　　وبى يسمع وبى يبصر چه راز ست [4]

على أننا لو نظرنا نظرة متفحصة للتصوف فى شعر الشاعر لنعرف

---

(١) الديوان ص ٦٠٧ وترجمة البيتين :

" إذا كنت تهوى فى محادثة ليلى ، الأولى بك أن تكون ثملاً ومجنونًا ".

" وذلك الذى لا يكون مجنونا ، كيف يصبح مع ليلى فى منزل واحد ".

(٢) السابق ص ٦١٣ سبق ترجمته .

(٣) نقلاً عن أخبار الحلاج ، تصحيح : عبد الحفيظ بن محمد مدنى هاشم ص ١٦ هامش (أ) مطبعة عطايا باب الخلق .

(٤) الديوان ص ٦١٣ والترجمة :

" يعلم الشخص أنه المعشوق ، أى سر - يخفى عليه - وهو بالله يسمع ويبصر "

كنهه وطبيعته [1] لوجدنا – شاعرنا – بناء على ما كتبه وعلى من تأثر بهم من المتصوفة وقلدهم – معتدلاً – إلى حد كبير – أى عاطفى وجدانى ، أو بصورة أخرى كانت الفائدة التى جناها الشاعر بتقليديته للمتصوفة السابقين أصحاب الوجد، والذين نسميهم بالمعتدلين وبترديده لأفكارهم هى أن هذا التقليد نأى بالشاعر جانبًا – إلى حد ما – عن تيار صوفى ساد عصره وشمل أرجاءه ألا وهو التصوف الفلسفى الكلامى أو التصوف الذى قد صبغ بالصبغة الفلسفية نظرًا لانتشار علم الكلام وذيوعه فى تلك الفترة ودخوله مجال التصوف ، فتردد فى هذا العصر وفى العصر الذى سبقه القول بوحدة الوجود [2] ، والحلول [3] ،

---

(1) نذكر هنا بما كتبناه فى الفصل الثالث من الباب الأول فى هذا الكتاب من أن التصوف قد انقسم فى هذه الفترة إلى قسمين : تصوف فلسفى كلامى ، وتصوف عاطفى وجدانى معتدل بالنسبة للنوع الأول .

(2) مذهب الذين يوحدون الله والعالم ويزعمون أن كل شيء هو الله ، وهو مذهب قديم أخذت به البراهماتية والرواقية والأفلاطونية المحدثة والصوفية د. جميل صليبا :" المعجم الفلسفى مجلد ٢ ص ٥٦٩ ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧١ ط١" ، ومن أبرز من اشتهر بالقول بوحدة الوجود " ابن عربى ت ٦٣٨ هـ"، وهى عنده" اذا نظرت إلى الحقيقة الوجودية من حيث ذاتها قلت هى " الحق" ، وإذا نظرت إليها من حيث صفاتها وأسماؤها : أى من حيث ظهورها فى أعيان الممكنات قلت هى "الخلق" أو العالم ، فهى الحق والخلق " (أبو العلا عفيفى : مقدمة فصوص الحكم ص ٢٤-٢٥ ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ط دار إحياء الكتب العربية) ويقول المتصوفة " إن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق ، أما العالم فهو مظهر الذات الالهية ، وليس له وجود فى ذاته لأنه صادر عن الله بالتجلى (د. جميل صليبا : المعجم الفلسفى مجلد ٢ ص ٥٦٩).

(3) تقوم هذه الفكرة أساسًا على حلول الله (روح) فى الإنسان (جسد) أو ما يعبر عنه الحلاج بحلول اللاهوت فى الناسوت كما جاء فى أحد أدعيته حين قال :" بحق قيامك بحقى وبحق قيامى بحقك وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى، فإن قيامى بحقك ناسوتية ، وقيامك بحقى لاهوتية ، وكما أن ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيتك غير ممازجة إياها فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتى غير مماسة لها (أخبار الحلاج ص ١٠) ولا يخفى علينا أن " الناسوتية " كلمة سريانة تعنى : الجسد واللاهوتيه من اللاهوت : الروح .
(أخبار الحلاج ص ١٠ هامش ٢، ٣) .

وغيرها من الأفكار الغريبة عن الإسلام بمعناه الحقيقي والآتية – أي هذه الأفكار – من الفلسفة الهندية والأفلاطونية المحدثة، والتي عدها المسلمون خطرًا على دينهم، واضطهدوا القائلين بها، وقتلوا الحلاج من أجلها.

لهذا نجد الشاعر قد سيطرت عليه فكرة الحب الخالص لله تعالى، ودار حول فلكها جلة أشعاره ، ولقد ظهرت هذه الفكرة بصورة واضحة لدى " رابعة العدوية ت ١٨٥هـ " [١] ، واكتملت لدى " ابن الفارض ت ٦٣٢ هـ" الذى " ملك عليه الحب كل قلبه وغيبه عن كل شيء إلا عن محبوبه الذى لاقى– في سبيل الاتصال به والاتحاد معه – ما يحتمل وما لا يحتمل من أهوال وتباريح" [٢] . ومن أشعار " ابن يمين" ما تدل على سيطرة هذه الفكرة عليه :

او از ملاحظه نى جدا نشود	بجفا هيچ بيوفا نشود
همره وهمنشين بهرجا اوست	همدم وهمنفس چو با ما اوست
هركجائى رويم همدم ماست	درهمه راز ها چو محرم ماست
چه عجب دلبرى وفادارست	چه نكو خوى ومهربان يارست
پس چرلخود وفاى او نشويم	خاك راه وفناى او نشويم
عمر خود صرف آن نگار كنيم	نقد جا نرا به او نثار كنيم
جان خودرا فداى او سازيم	سر خود رابپاى او بازيم [٣]

---

(١) إحدى العابدات المتبتلات " أخرجت الحياة الروحية الإسلامية عن الزهد الذى كان قوامه الخوف من النار والشوق إلى الجنة وأخضعتها لنوع آخر من الزهد دعامته حب الله وطاعته والإنس به والإقبال عليه والشوق إليه (د. محمد مصطفى حلمى : الحياة الروحية فى الإسلام ص ٧٩).

(٢) السابق ص ١٥٢ .

(٣) الديوان ص ٦٠٨ والترجمة :

" وهو لم ينفصل عنا لحظة ، ولم يصر إطلاقًا مجافيًا غير وفى "

" وهو الرفيق الجليس فى كل موضع ، وحينما يكون معنا فهو الرفيق الجليس ".

" أينما توجهنا فهو رفيقنا ، وهو محرم كل أسرارنا ".

" ما أعجب هذا المحبوب الوفى ، ويا له من حبيب حسن الطبع عطوف ".

" إذن لماذا لا نصير أوفياء له ، ولماذا لا نصير تراب طريقه وفناء له ".

" نصرف عمرنا لذلك المحبوب ، وننثر نقد الروح لأجله".

" ونفديه بروحنا ، ونضحى برأسنا تحت أقدامه ".

ونفسر القول السابق بأن شاعرنا ـ كما نعلم ـ عاصر أواخر القرن السابع الهجرى وغالبية القرن الثامن ، وكان " التصوف الفلسفى " قد انتشر في القرنين السادس و السابع انتشارًا عظيمًا ، وانتشرت المؤلفات الصوفية التعليمية ـ كما أسلفنا في الباب الأول ـ مثل كتب " محيى الدين بن عربى ت ٦٣٨ هـ"، وصار لهذه الكتب صدى كبير لدى متصوفة العرب والفرس و للترك، " وليس ما خلفة شعراء الفرس من تراث شعرى صوفى رائع سوى صدى لتلك المعانى التى ابتكرها صاحب الفصوص وورثتها عنه العبقرية الفارسية فأبدعت فى تصويرها وفى أساليب التعبير عنها . فاضت قلوب شعراء الفرس والترك بمعانى الوحدة الوجودية الشاملة وبالحب الإلهى القاهر القائم علية كل شىء"[١] ، كما أن " تصوف هذين القرنين قد تأثر بمذاهب الإسماعيلية الباطنية "، وكما قال قوم من الصوفية بالكشف والتجلي ، فقد قال آخرون بالوحدة المطلقة، وقال فريق ثالث بالحلول والاتحاد ، وجاء كلام فريق رابع مزيجًا من هذا كله ، ومن عناصر أخرى استمدت من عقائد الشيعة و الإسماعيلية الباطنية ، وغير ذلك من العناصر الدينية و الفلسفية المختلفة التى عرفت فى ذلك الوقت " [٢].

غير أن هذا التيار الصوفى الفلسفى خاصة والتصوف عامة بدأ فى الانحدار فى القرن الثامن الهجرى بعد أن وصل إلى أعلى مرحلة فى القرنين السادس والسابع ، والذين جاءوا من الصوفية بعد القرن السابع ، لا يكادون

---

(١) أبو العلا عفيفى : مقدمة فصوص الحكم ص ٨ .

(٢) د. محمد مصطفى حلمى : الحياة الروحية فى الإسلام ص ١٣٨ .

يضيفون شيئًا جديدًا إلى ما قاله المتقدمون ، ومصنفاتهم لا تكاد تزيد على أنها إما شروح وملخصات على كتب الأقدمين ومذاهبهم ، وإما ترديد لتعاليم السلف وأقواله دون أن يكون في ذلك الترديد شيء من الابتكار والتجديد " [1].

ومعنى هذا أن التقليد لم يكن سمة الشاعر وحده بل سمة القرن الذي عاش فيه الشاعر ، ورغم أن التقليد أبعد الشاعر عن هذا التيار ، فإنه لم يبعده تمامًا، فغالبية أشعار الشاعر تنحو نحو التيار العاطفي الوجداني أو المعتدل ، ولكن للشعر بعض أبيات – وإن كانت قلة – يحس من لفظها ومضمونها تأثر واضح بفكرة وحدة الوجود وبالفكر الحلاجي ؛ فالشاعر حين يقول :

همه ما صورتيم ومعنى اوست　　　بلكه ما هيج وحرجه هموست[2]

يعبر تعبيرًا واضحًا عن فكرة وحدة الوجود مذهب الذين يوحدون بين الحق والخلق وأن ليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق ، وما العالم إلا مظهر أو صورة له ؛ فالشاعر يقصد بالبيت السابق أننا مجرد أشكال وصور متعددة ، والحق – وهو المعنى – ظاهر فينا، وأننا فنينا في معناه، وقد فنى في أشكالنا وصورنا، وأصبحنا وجودًا واحدًا، ونحن لا شيء في هذا العالم، وكلنا الله وهو كل شيء .

والأبيات التالية تكاد تؤدى المعنى نفسه ، ويتضح من ثناياها نفس الفكرة :

حسن معنى شد از صور تابان　　　عقل ما شد در اين صور حيران[3]

وقوله :

---

(١) المرجع السابق ص ١٦١ .

(٢) الديوان ص ٦٠٦ والترجمة :

" نحن الصورة وهو المعنى ، بل نحن لا شيء وهو كل شيء "

(٣) الديوان ص ٦٠٦ والترجمة :

" اشرق حسن المعنى من الصور ، واحتار العقل في هذه الصور ".

صورت هرد وكون پر توا وست گرچه اين هرد وپرتو آن روست [١]

وقوله :

توئى باغ وبهار ولا له زارم بـــه آئينهاى تو كارى ندارم

تــوئى آئينهء حسن جما لم توئى نوشندهء بزم وصالم [٢]

وهنا نعرض لقضية ... فبعد أن شرحنا معنى فكرة وحــدة الوجــود، وذكرنا الأبيات التى تتضح من خلالها تلك الفكرة ، فإننا لا نقبل ما قــال بــه البعض[٣] من أن القطعة الآتية " لابن يمين" تعبر عن فلسفة وحدة الوجود :

خلـــــق خداكه خدمت داد ار ميكنند

هســتند برسه قسم كه اين كار ميكنند

قســمى شد ند ازپى جنت خدا پرست

وآن رسم وعاد تيست كه تجار ميكنند

قوم دگر كننـــــد پرســـــــتش زبيم او

واينكار بنـــــد گانست كه احرار ميكنند

جمعى نظر ازين دوجهت قطع كرده اند

بركار هرد وطــــــايفه انكار ميكــنند

---

(١) السابق ص ٦٠٩ والترجمة :

" صورة كلا العالمين شعاعة ، إذا ما كان هذا الوجه انعكاس هذين الشعاعين".

(٢) السابق ص ٦١٢ والترجمة :

" أنت بستان الربيع وأنا حديقة الشقائق ، ولا قبل لى بكل مذاهبك ".

" أنت مرآة حسن جمالى ، وأنت الشارب لمحفل وصالى ".

(٣) السابق ص ٦١٢ والترجمة :

د. عليرضا حكمت : مقال له بمجلة مجموعه خطابه هاى ... ص ١٤٢ .

چون غير خويش مركز هستى نيا فتند

برگرد خــــويش دور چـــوپرگار ميكنند

اينست راه حق كه سوم فرقه ميروند

ســــــير وسلوك راه بهنجار ميكنند [١]

فهذه القطعة لا تمت لوحدة الوجود بصلة ، بل من الفهاهة ومن قبيـل تحميل النصوص فوق طاقتها أن يقال عليها ذلك ، فهذه القطعة تعبير واضـح لفكرة الحب الخالص للحق تعالى ، وهى تجسيد لمعنى الحب للحب نفسه للحق تعالى وليس طمعًا فى ثوابه أو خشية من عقابه ، وشتان بين هذه الفكرة وفكرة وحدة الوجود .

وكان للفكر الحلاجى [٢] تأثير – إلى حد ما – فى بعض أبيات شاعرنا، ولا غرابة فى هذا فان هذا التأثير لا يختص بالشاعر فحسب ؛ فالفكر الحلاجى دخل فى كل الأعمال الصوفية الإسلامية ، ورغم أن بحثنا لا يعنيه هذا ، فـإن الذى يعنيه هو أن شاعرنا لم يصل فى تأثره إلى القول بفكرة الحلول الحلاجية رغم أن شاعرنا شيعى، والشيعة – وبخاصة الغلاة منهم مثل السبئية – أول من نادوا بحلول الحق تعالى فى " على كرم الله وجهه "، ورغم أن شاعرنا قد ردد فكرة شائعة لدى الشيعة – كما ذكرنا – وهى فكرة القول بعصمة الأئمـة مـن الخطأ وهى فكرة غريبة على الدين ، فإن هذا كله لا يدفعنا إلـى القـول بـأن الشاعر كان مرددًا لفكرة الحلول الحلاجية، بل إن الأمر لا يعد سوى الترديـد لبعض أخبار الحلاج والتقليد – ولو فى القليل – لظروف العصر ومواكبتـه ،

---

(١) سبق ذكر هذه القطعة وذكر ترجمتها فى الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا الكتاب .

(٢) نسبة إلى " الحلاج" وهو الحسين بن منصور، ولقب بالحلاج؛ لأنه كان عند صاحب قطن، وعنـدما رجـع الأخير وجد القطن محلوجًا ، (أخبار الحلاج ص ٣) . والحلاج من المتصوفة الذين اختلـف العلمـاء فـى أمرهم وأقوالهم إما بالتأييد وإما بالرفض.

مما أظهر الشاعر فى تصوفه بالمتخبط وغير القادر على الركون إلـــى مبــدأ معين يسير عليه ويهتدى بهديه ؛ فقول الشاعر :

عشق افشاى ســــريار كنـــــد   عشـــق منصــور رابدار كند [١]

تعبير واضح لما جاء فى روايتين رويتا عن " الحلاج " ٣٠٩ هـــــ ، وفى الأولى مر الخضر على الحلاج أثناء شنقه وسأله الأخير : هــذا جــزاء أولياء الله ؟ فقال الخضر : نحن كتمنا فسلمنا وأنت بحت فمت ، وفى الروايـــة الثانية يروى أحمد بن فاتك أن ربّ العزة أوحى له فى المنام – حين سأله أحمد عن تلك البلية التى أصيب بها الحلاج : إنى كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فإنزلت به ما رأيت [٢].

وقول الشاعر :

يا الهى مراز من بســـــــتان   تا نبـــاشم حجاب چهرة جان [٣]

تعبير واضح لدعاء الحلاج الذى يقول " أسألك بـــــ ... أن لا تردنـــى إلى، بعد ما اختطفتنى منى ، ولا ترينى نفسى بعد ما حجبتها عنى " [٤]، وتعبير عن قوله أيضًا " يا أهل الإسلام أغيثونى ، فليس يتركنى ونفسى فـآنس بهــا ، وليس يأخذنى من نفسى فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيقه " [٥].

---

(١) الديوان ص ٦٠٣ والترجمة :

" العشق يفشى سر الحبيب ، العشق صنع للمنصور المشنقة ".

(٢) أخبار الحلاج : الرواية الأولى ص ٢٠ هامش (١) والرواية ص٤٨.

(٣) الديوان ص ٦٠١ والترجمة :

" يا إلهى انتزعنى منّى ، كى لا أكون حجابًا لوجه الروح ".

(٤) أخبار الحلاّج ص ١٥ .

(٥) السابق ص ٩٣.

وقول الشاعر :

همه آفاق عكس طلعت اوســت   دوجهان پرزنور وحدت اوست [1]

فكرته تكاد تكون فكرة قــول الحلاج " ما رأيت شــيئًا إلا ورأيــت الله فيــه " [2] . وأميل إلى أن فكرة وحدة الوجود تعلو برأسها من بيــت الــشاعر هذا، ومن ذلك القول الحلاجى .

ومع هذا كله، ورغم سيادة التصوف الفلسفى على هذا العصر ، فــإننى أميل إلى إيجاد العذر للشاعر فيما انزلق إليه – فى بعض الاحــايين – متــأثرًا بوحدة الوجود وبالحلاج ومرددًا لذلك ، يحدونى فى هذا علمنــا أن الــصوفية يرون أن أرقى أنواع العبادات هو " التحقق بالوحدة الذاتية بين العابد والمعبود ذوقًا بأنك هو وهو أنت " [3] ؛ " فالعبادة الحقة – لديهم – هو ما تحقــق فيهــا الافتقار المطلق من جانب العبد والغنى المطلق من جانب الحق والله وحده هــو المفتقر اليه ، بل إن الافتقار إلى الأسباب افتقار فى الحقيقة إلى الله وحده" [4].

وللشاعر أشعار يمكن أن نستشف منها مدى افتقاره إلى الحق تعالى :

اى شفاى قلوب بيمــــاران   مرهـــم سينهء دل افكاران

درد مارا دوا دهى چه شــود   رنج ما راشفا دهى چه شود

چند بر در گه تــودر بزنيــم   تابــكى بردر توسر بزنيم [5]

---

(1) الديوان ص ٦٠٦ والترجمة :

" كل الآفاق صورة طلعته ، وكلا العالمين مليء من نور وحدته ".

(2) أخبار الحلاج ص ١٤ .

(3) أبو العلا عفيفى : مقدمة فصوص الحكم ص ٣٣ .

(4) السابق ص ٣٤ .

(5) الديوان ص ٦٠٥ والترجمة :

" يا شفاء قلوب المرضى ، وبلسم صدور المكلومين ".

" ما الذى يحدث لو داويت آلامنا ، وطببت جراحنا ".

" ما أكثر أن طرقنا بابك ، حتام نضع رءوسنا على أعتابك ".

گذری جانب غریبــــان کن　　نظری سوی این اسیران کن [١]

وقوله :

غیر اونیست در نظر مــارا　　نیست جزوی کس دگر مـــــارا

دایم از ساکنان کوی ویـیـم　　روزو شب منتظر بوی ویـیـــم

گاه در صومعه از وگریـــان　　گـــاه میکـــــده ازونـــــا لان

گاه در مدرسه ببحث وجدل　　گاه در خانقاه بشـــعر وغـــزل

گاه چون نی زدرد او نالان　　گاه چون می ز شوق او جوشان[٢]

وإذا كان الشاعر قد سلك فى تصوفه طريق التقليد وأودع جانبًا طريق الابتكار والتجديد ، فإنه لم يرق إلى مستوى من قلدهم . وهذا شــىء طبيعــى وربما عاد سبب هذا الضعف الظاهر فى الشعر التصوفى لدى الــشاعر إلـــى انحدار التصوف فى القرن الثامن – كما ذكرنا – هذا من ناحية ، ومن ناحيـــة أخرى ، فعندى أن الشاعر لم يصل فى أشعاره الصوفية إلى ما وصل إليه فى أشعاره الأخلاقية والاجتماعية التى هى – أى الأخيرة – تعبير لتجربة عاشــها الشاعر وأثرت فيه – وقد سبق أن فصلنا ذلك – هذا على النقيض من أشــعاره الصوفية التى لم يتضح فيها عمق التجربة بقدر ما اتضح التقليد والترديد ، مما يدفعنى إلى القول بأن الشاعر لم يكتب هذه الأشعار إلا ليساير عصره ، ويسير فى نفس ركبه مواكبًا لهم ذلك ؛ فما كان الأمر – فى رأيى– سوى رغبة مـــن الشاعر فى خوض غمار غرض من الأغراض الشعرية يثبت به مقدرته علـــى الكتابة فى الأغراض كافة ، ويرد به على حساده مفحمًا من يحاول الحط مـــن قدره ومن شأنه كما يقول عن نفسه مفتخرًا بقدرته علـــى القـــرض فـــى كـــل الأغراض :

منم ابن یمین کالماس فکر من　　نکو داند زهر نوعی گهر سفتن [٣]

---

(١) الديوان ص ٦٠٥ والترجمة :
" امض ناحية الغرباء ، وتعطف بنظرة صوب هؤلاء الأسرى ".
(٢) سبق ذكر هذه الأبيات وترجمتها فى هذا الفصل نفسه .
(٣) الديوان ص ٤٩٧ والترجمة :
" أنا " ابن يمين " الذى يجيد ماس فكرى نظم الجوهر من كل نوع ".

أغراض أخرى

لعل الأغراض الثلاثة – سالفة الذكر والدراسة – هى أهم ما أنشد الشاعر ، وبالإضافة إليها ، كان له غرضان آخران لم يرقيا إلى مستوى هذه الأغراض ، وهما " الغزل " و" الفخر" .

الغزل :

لم تلق الغزليات عناية الشاعر ، وما كان هذا منه إلا لأنه صب اهتمامه على النواحى الأخلاقية والاجتماعية مستنفدًا طاقته فيها ، فجاءت غزلياته أقل شأنًا ، ولهذا يقول آربرى إن" ابن يمين" لم يكن شاعرًا من الصنف الأول فى موضوعات الغزل " [1] ، وربما لأن الشاعر لم يأت بجديد فى غزلياته من الناحية الكيفية رغم ما أتى به من كثرة عددية ، فمعانيه تقليدية وصوره متداولة ، وإن تميز الشاعر برقة الشعور وعذوبة اللفظ .

وينقسم الغزل لدى الشاعر إلى قسمين :

(أ) غزل مستخدم مقدمة لقصائد الشاعر المدحية ، وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا .

(ب) قصائد غزلية قائمة بذاتها ، دار الغزل فيها حول العشق والخمر والتغنى بجمال الحبيب.

نموذج :

" ليس ثمة ألم فى العشق يتساوى بألم الحبيب ، ولا يكون دواء ألم العشق لدى الطبيب ".

---

(٢) A.J . Arberry . Classical . Persian. Literature . P . 311.

" يا من زوائبك المليئة بالتصفيف هى مساء قلب الغريب ، أتعلم أن لا مساء مثل مساء الغريب؟ ".

" أدركنى فلا تمر لحظة واحدة لا يكون فيها وجهى الأصفر الشاحب مخضبا بدواء نتيجة لفراقك ".

" تجب الزكاة فى الشرع من كل نصاب ، ولكن ليس لى نصيب من نصاب حسنك ".

" إذا صحت مستغيثًا من عشق محياك ، فلا يكون الورد بغير صياح العندليب وصدحه ".

" صار لقلبي المعنَّى شفاء من شفتك الياقوتية ، فلا عجب حقًّا أن تكون منفعة القلب من الياقوت ".

" أيها الساقى أحضر الخمر لأننى جليس الحبيب على الأعداء ، ولا تخش الرقيب".

" ألقى ابن يمين برأسه عند أقدامك لهفة ، فقال له العقل إن هذه الرأس غير جديرة بأقدام الحبيب" [1] .

---

(١) الديوان ص ١٩٨ غزلية ٤٧ والنص :

در عشق هيج درد چو درد حبيب نيست
درمان درد عشق بدست طبيب نيست
اى زلف پرزچين تـوام دل غريب
دلى كه هيج شام چوشام غريب نيست
در ياب كز فراق تويك لحظة نگذرد
كز خون ديده چهره زردم خضيب نيست
در شرع واجبست زكاتى زهر نصاب
ليك از نصاب حسن تومارا نصيب نيست
گرمن زعشق روى توافغان كنم رواست
گل بى فغان ومشغله عند ليب نيست
درد دلم ز لعل تودرمان پذ يرشد
آرى ز لعل منفعت دل عجيب نيست
ساقى بيار باده كه بر رغم دشمنان
با دوست همنشينم وترس از رقيب نيست
ابن يمين بپات در افكند سر زمهر
گفتش خرد كه در خور پاى حبيب نيست

الفخر :

أكثر الشاعر من القول فيه ، وإن لم يصب هذا الغرض فى شكل معين أو قالب محدد ، بل هو أبيات متناثرة فى قصائد أو مقطعات ، وقد بالغ الشاعر فيه مبالغة يفضل نفسه فيه على سابقيه من الشعراء حتى العنصرى والأنورى، " وهذا هو مركب النقص الذى يبتلى به الشعراء دائمًا إذا لم يجدوا من يقدرهم حق قدرهم ويثيبهم على شعرهم " (١) .

فيقول مفضلاً نفسه على العنصرى والأنورى :

مربى چو محمـــــود باشــد گــرم	چه سنجد بميزان من عنصرى
چو سنجر هنر پـــرورى كومــرا	كه تا بشكنـــــم رونق انورى
بزرگى اين هرد وشاعر زچيســـت	ز اكرام محمـــودى وسنجرى
وگرنــه نه اينســت ابن يميـــن	چه دارند ايشان ازو برتـــرى
زد وران چنانم من اكنون كه نيست	زفكر شعيرم سر شاعــرى (٢)

ويبالغ فى أشعاره مفتخرًا :

" إذا جاء بعد المصطفى نبى إلـــى الخلــق ، فهــو أنـــا بمعجـــزة الــشعر والشاعـــرية " (٣) .

ويقول :

" أستاذ الشعراء اليوم هو "ابن يمين" الذى يسعد عطارد بأن يصير تلميذه" (٤)

ويقول مفتخرًا بشعره :

---

(١) د. عبد النعيم محمد حسنين : نظامى الگنجوى ص ٤٤٥ .

(٢) الديوان ص ٥٤٥ قطعة ٨٨٣ . والنص سبقت ترجمته.

(٣) السابق ص ٥١٩ قطعة ٧٨٣ والبيت :

گرامدى نبى زپس مصطفى بخلق	من بود مى بمعجزه شعر وشاعرى

(٤) السابق ص ٥٢٤ قطعة ٧٩٧ ، والبيت:

اوستاد شعرا ابن يمينست امروز	كه بشاگردى اوكشته عطارد راضى

" إذا رغبت فى السهل الممتنع ، ستجدنى المخبر عن ذلك ".

" أحضرْ شعر ابن يمين ، ستجده كله سهلاً وممتنعًا " (١)

ويفضل نفسه على " حسان بن ثابت" شاعر الرسول ﷺ :

شـــــهريارا كمترين بندگان ابن يمين

چون بدرگاه توروزبار مدحت خوان شود

گرنســـــيم شعرا وبرخاك حسّان بگذرد

جان حسّان تاقيامت واله وحيران شود (٢)

---

(١) السابق ص ٥٤١ قطعه ٨٧٠ ، والبيتان :

گر توبر سهل وممتنع خواهى خويشـــــتن راكـــــه مطلع يابى

شعر ابن يمين بدســـــت آرو كان همه سهل وممتنـــــــع يابى

(٢) الديوان ص ٧٤ ، وقد سبقت ترجمة البيتين .

ثانيا : قسم الترجمة

كليات ديوان ابن يمين (ص ١-٦)

الحمد لله الذى خلق بقدرته الغالبة من الماء كل شىء حى، وأنطق بحكمته البالغة فى الأرض والسماء كل شىء، وفصل فهرست الموجودات بالمعادن والنّبات و الحيوان، وانتخب للفلك جامع حسابها الإنسان، وفضّله على كثير ممن خلقه تفضيلاً، وعلّم القرآن فرتله ترتيلا، ولم يزل يختار منه بالرسالة والنبوة غير معتبر فيه الأبوة والبنوّة، بيده المنع والإعطاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء حتى انتهت نوبة إظهار المعجزات الزاهرة وإقامة البيّنات الباهرة إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغرّ المحجلين محمّد الذى كان نبيّا وآدم بين الماء والطين فارتفع بيمن دولته ألوية الفصاحة إلى السماء من الأرض، وارتدى بغرارة فضله البلاغة أردية الكرامة إلى يوم العرض؛ فمن الصلوة أزكاها ومن التحيّات أزكاها ماتلالآ القفر بآله .[١]

أما بعد ؛ فهكذا يقول كاتب هذه الكلمات ، العبد الواثق باللطف الصمدى محمود بن يمين المستوفى الفريومدى – أصلح الله أحواله ، وأنجح فى الدارين آماله : إن هذا الضعيف قد كان منذ أيام الصبى إلى يومنا هذا يميـــل خـــاطره دائمًا إلى مؤانسة أرباب إخاء الفضائل ، ومصاحبة أصحاب أحانين الـــشمائل ، وكان يغترف من تيار بحار فوائدهم ، ويقتبس من أشعة أنوار عوائدهم ، ولقد وجد سببين داعيين إلى هذه الطريقة ومبيِّنين لهذه الحقيقة : الأول ما (يكـــون)

(١) الفقرة السابقة كتبها المؤلف باللغة العربية فى هـــذه المقدمة النثرية الفارسية للديوان الشعرى ، ونقلتها كما هى دون تدخل .

مثل آبائي وأجدادي المتصلين المرتبطين بالفضائل (هنا شيء ناقص ربما يمكـــن أن يكون ورقة واحدة ، وبعدها المطلب ممزق ، وهكذا ورد في أول الـــصفحة التي بقيت)، ولقد استعجلت المقصود ؛ لأنّ البيت (يقول):

"احتواني العشقُ من الأخمص إلى المفرق ، وأنا أسير في إثره حتى آخر يوم في عمري".

حتى جاد مفتّحُ الأبواب ومسبّب الأسباب بالهداية في لطف شامل وحفظ كامل ، وكلُّ ما طلبتُه من الله ، أنعم به عليّ ؛ فوهبني النظرةَ البصيرةَ بعواقب أمور المعاني بشرط التقديم الواضح ، وصار نقدُ الأصحاب على المحك موضع اختبار :

" مِنْ كل صفة يتصف بها الإنسان ، لم تصل إليّ صفةٌ أحسن من الكـــلام ".

" مِنْ كل ما يغذون به ببغاء الروح ، لم يصل راعي القول مرة إلى سُكْرِ الروح".

وبهذه الواسطة قد أسرع فرسان ميدان الفصاحة والمبارزون في مضمار البلاغة إلى مركب الكلام السريع في أطراف العالم وأكنافه ، وانقسموا في إظهار الإعجاز العيسوي ، واليد البيضاء الجلية لموسى ، والكلمات المهذبة والعبارات المستعذبة إلى قسمين منثور ومنظوم ، وحيث يكون الكلام المنثور في نداوة وحلاوة كالورد النديِّ والدرِّ النثريِّ ؛ فإما مرعى ولا كسعدان .

" لو كانت حبّاتُ الدرِّ منثورةً ، فهذا طيب أيضًا ، لكن أنّى لأحدٍ أن يصل إلى الجوهر المنظوم ".

وكذلك كشف أرباب الفراسة وأصحاب الكياسة المستور عن رأى زينة العالم والضمير من يحلُّ العقد ؛ لأن للعروس الأسرة دائمًا معاني ألطف كسوة

وأشرف حلية ، يبدى أصحاب العقول السليمة وأرباب الطبائع المستقيمة فى مواصلتها رغبة كثيرة ، ويستقبلون لقاءها بأحسن قبول ، وإذا كان النبى صلوات الله عليه وعلى آله قد لوى عنان الهمة عن الشعر امتثالاً للقول الربانى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ ؛ (فإنه) لم يجز عدم الهمة فى إظهار تلك الفضيلة ؛ لأنه لايمكن أن يكون الإعراض بناء على الأغراض سبب انحطاط درجة الشعر وموجب نقصان منزلة الشعراء ؛ لأن مشرِّع الدين الإسلامى ومبيِّن الحلال والحرام يصنع الواجب كذلك ؛ لأنه يضع بناء الأعمال على اليقينيات ، ويوصل بالتقديم شروط الأحكام فى تبيين الأحكام ، حتى تبقى مواردها مصونة من شائبة الاختلال ، ومصادرها محروسة من عيوب الاعتلال .

أما أصحاب الطباع القويمة ومالكو الخواطر الخالية من القلة والنقيصة الذين يملكون طريقة النظم المسلوك ، ويعتبرونها من النثر الأكثر محبة حين لا يكون واضع الدين والملة ومبين البرهان والحجة ، ويريدون أن يعرضوا فكرهم البكر على نظر علماء حقائق العلوم ، وعارفى رقائق المنثور والمنظوم فى أحسن شعار وأجمل دثار ، ويزينوه بكل ما يستطيعون من زينة ، واعلم أنهم لا يلتفتون إلى القول غير المطابق للفعل ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ولقد كان سبب هذا أن صاحب الشرع قد أبدى الامتناع عن الشعر ، فما أكثر أن سمع حضرة الرسول الكثيرَ من مدائح الشعراء ، وخلع عليهم الخلع وشرفهم بقول :" إن لله خزائن الحكم ، وألسنة الشعراء مفاتيحها "، وأيضًا قد ورد على لسان النبى :" إن من البيان لسحرًا ، وإنَّ من الشعر لحكمة "،و: " الشعرُ فى داخلى ليس أمرًا سيئًا، فهو أنينى من خسة الشركاء".

ولما كان حالُ النظم والنثر على هذه الجملة فقد أباح بشيء من التقرير، وكان لأكثر أصحاب المعانى مع الشعر مؤانسة ، ومع الشعراء حبُّ المجالسة.
وما كان هذا الضعيف أيضًا عاطلاً عن الدُرِّ المنثور أو غافلاً عن فضائله قط ، وكـــان فى كل وقت يحيل الأمثلة إلى رقم القلم المرقوم بإشارة الملوك والســـلاطين ، وكان يعـــين الأصحاب والأحبـــاب بإتحافهم فى كتابة الكتب والرسائل، وكان يفتح أبواب المراسلات والمكاتبات مع السادة والأحباب ، وسيكتب سواد بعضٍ من ذلك فى آخر هذا الذكر على بياض ورق كثير ، أحيانًا امتحانًا للسوس ، لا لإدراك المطعوم والملبوس كان يقال بيت ، لقد مضى الزمان ، ووصل حدُّ الشعر إلى درجة التدوين . ولقد كان يحوز نسخته معه فى السفر والحضر صاحبًا ورفيقًا ، ولو كان كلام آخـــر يقال لكان ينقش (إياه) عليها .

وفجأة وبقضاء السماء وتقدير الله وقع فى الحرب شيخ الإسلام سلطان أولياء الله العظام مرشد السالكين إلى الثواب منقذ الهالكين من العقاب الشيخ حسن – قدس الله نفسه، وجعل حظيرة القدس رمسه – وسلطان الإسلام ملك ملوك الأقاليم السبعة المؤيد من السماء المظفر على الأعداء وجيه الحق والدين مسعود – صبَّ الله عليه سجال رضوانه، وأسكنه بحبوحة جنانه – مع عسكر هراة فى ولاية خواف فى الثالث عشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ؛ (فوقع فى قبضة المغيرين ، ولم يعط أحدٌ عنه أثرًا بعدها) وفى شرح التأسف والتلهف على فقدانه قيلت قطعة ، هى هذه :

القطعة

١- إذا أخذ الفلكُ ديوانى من يدى ، شكرًا لله أنْ جعل الديوانَ فى داخلى .

٢- وإذا سلب الزمانُ منى عقدًا من الدّر النفيس ، فأىُّ غمٍّ لهذا ولى طبعٌ ناثر للجوهر .

٣- وإذا أطاحت الرياحُ وردةً من غصن شجرة فضلى ، فلىَ روضة مليئة بالشقائق والنسرين والريحان .

٤- وإنْ خلت صدفةٌ لىَ من اللؤلؤ المتلألئ ، فلىَ خاطرٌ حافلٌ ملىء بالجوهر كبحر عمان .

٥- ماذا حدث إذا فقدتُ بضعَ قطرات من رذاذ قلمى ، لىَ خاطرٌ فياضٌ مثل سحاب نيسان .

٦- وإذا أذرت الرياحُ ماءَ شعرى العذب كالتراب ، فأمرٌ يسير ، فلى موطنُ ينابيع ماء الحياة .

٧- وإذا كان الألمُ قد أصاب القلبَ لفقدان الديوان ، لكنّى غيرُ قلق لألمه فالدواءُ معى .

٨- وإذا كانت الأعراضُ النفسية قد انفصلت عن ذاتى ، فللجوهر منجمٌ لىَ منه قسم البشر .

٩- وإن كان مدحُ ملك العالم قد انتشر فى الدنيا كصيت عدله ، فلى الطبعُ المدّاح .

١٠- وإذا كنتُ أستطيع نظمَ ديوان آخر ، لكنَّ حاصل عمرى ضاع هباءً ولىَ منه الألم .

١١- وإذا كان الفلكُ السافلُ يعاملني بإهمال ؛ فأىُّ خوف من ذلك طالما إن مليكَ إيران يولينى أفضاله.

١٢- الملكُ العادلُ " معز الدين" الذى يقول قدره إن لى من الجلال ما يشمله الإمكان .

١٣- معظمُ الإنعامات التى لملك العهد فى كل حال لىَ دون الإقران .
١٤- يكون حرًّا مَنْ يقول لىَ من حكمه اسعدْ يا " ابن يمين" فأجزاءُ الديوان معى .
١٥- العمرُ انقضى فى نجاح فليكنْ وردى أنا العبد إلى الأبد وهو كذلك دعاء للمليك طالما روحى معه .

وحيث لم يكن نقد الديوان وكلماته فى منأى عن سوق نقَّاد العبارة ومقدرى مقدار الاستعارة (خلال) زيادة التقدير ، وكثرة المقدار ؛ فإنه حين وجد الخلاص من ورطة استنزاف الدماء تلك بفضل الخالق – عمَّ إحسانه – استرجع بيت الأحزان (القائل) تبعًا للواقع : المرءُ مشغوف بابنه وشِعره ؛ فقلتُ للقلب :

شعر

" الذى يُشغل فكرى الآن صار أمرًا بعيد المنال ، وإنْ لم يبتعد الفلكُ عن أمرى ".

" فأشعارى المنثورة باقية مثل الأفلاك السبعة ، أستطيع أن أنظمها ثانية".

ولقد كانت القصة بطولها بضعة أبيات قد قيلت من قبل ، قد التقطت من جرائد الأفاضل الشهيرة ، وسفن الدهر الشريفة ، وذلك الذى حدث بعد ذلك قد ألحق به ، وهكذا يتكون ديوان آخر ليس مثل ما يجب ، قد انتظم فى سلك الكتابة ، ويغوص النظر على ذلك الذى (يكون) مع ما (يكون) فى بحر الأشعار هذا محبًّا للدرِّ النفيس فيظفر بالمطلوب مع قليل السعى ، ويحظى بالمحبوب ، ولقد وُضع أساس ذلك على سياق الاستيفاء ، كما تراه – إن شاء الله وحده – متوقعًا بفضل الكرم العميم واللطف الجسيم لأكابر العصر ومفاخر الدهر أولئك الذين حولوا مثل هذه المطولات عديمة الطائل إلى تشريف المطالعة المشرِّف ،

(ومثل) هذه العروس عديمة الجهاز إلى جمال الملاحظة المشنّف ، وأقرُّوها على روح العبد بإصلاح معايبها والإفصاح عن أطايبها (فى) غاية بلا نهاية ، وأمدوها بدعاء الخير ، وجرى ذلك فى غرة شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

فهرس [١]

مقالات الصاحب السعيد الفاضل الكامل مجمع الأفاضل كريم الأخلاق والشمايل أمير فخر الملّة والدين محمود اليمين طيب الله ثراه وجعل الجنة منقلبه ومثواه من المنظومات وما يقرأ نظمًا ونثرًا والمنثورات كما يأتى تفصيلها انشاء[٢] الله تعالى - أول - من الجديّات والهزليات - ثانى - من القصائد والمقطعات والغزليات و الرباعيات والمثنويات والمراثى - ثالث - والمقطعات والغزليات والرباعيات - والمقطعات - وهى مشتملة على التوحيد والنعت والمناقب والمواعظ والمدايح والمتفرقات .

---

(١) هكذا وردت فى المقدمة . والفقرة التالية أيضًا كتبها المؤلف باللغة العربية، ونقلتها كما هى فى الديوان تمامًا دون تدخل أو تصحيح.

(١) كذا والأولى أن تكتب : [إن شاء] .

القصـــــائد (ص٧)

١- يا من نظّم كرمُك أمرَ العالم ، ونصّب الروحَ واليًا على إقليم الجسد .

٢- وهيأت قدرتُك الأرضَ والزمان، وأعطتها السرعةَ والثبات عن طريق الحكمة .

٣- فأنت بطبعك أكرم من سحب الربيع ورياح الخريف فى وهب الجوهر ونثر الدُّر.

٤- لقد وهبتَ كلَّ حسناء سهمًا (أهدابًا) وقوسًا (حاجبًا) لصيد العقل بغمزة ودلال .

٥- وأجريتَ أنهارًا عديدةً متدفقةً فى خمائل رياض وجود الخلق .

٦- احتوى علمُك ما ظهر وما بطن لكل ما كان وسوف يكون .

٧- لم تصلْ قدمٌ إلى أعتاب جلالك ، لا فى الخيال ولا الوهم والظن .

٨- لطفُك مطّلعٌ على معانى القلوب الخفية ، وحكمتُك أجرت البيانَ على اللسان .

٩- قدرتُك أعطت اللسانَ منذ بدء الخليقة قدرة التعبير عن الفكر .

١٠- عطفُك جعل الدُّرَّ البدخشى علاجًا لخفقان القلوب .

١١- وأعطيتَ الأصابعَ قوةَ الإعطاء والمنع لأجل تنظيم أمور عالم الوجود .

١٢- وجعل صنعُك للطيور وهى من الجمادات أجنحةً للطيران .

١٣- لطفُك الذى لا نهاية له ، نظّم لخلق العالم سُبلَ الحياة والمعاد .

١٤- واخترتَ لأجل الرسالة من بين العالم كله مرشد قاطنى الكون والمكان .

١٥- هو شمعُ النبوّة مصباحُ أسرة آدم ، وأحمد المرسل مثل الأقمار .

١٦- فليكنْ "ابن يمين" يوم الحشر عنانه وركابه حتى يلوى العنان صوب الجنّة.

وله (ص٨)

١- ياقلبُ ، لو رغبتَ فى أن تعبُر على روضة دار البقاء ، فاسعَ إلى أن تنتزع شوكَ الهواء من قدمك .

٢- وإن لم ترغبْ ، فاسلكْ طريقَ الحق من جانب واحد وتمسكْ فـــى العــروة الوثقى بشرع المصطفى .

٣- وطريق شرع المصطفى لا يكون بغير " المرتضى" ، فليس لمدينة العلــم بابٌ سوى المرتضى .[1]

٤- فاعلمْ أن المرتضى هو ولىّ أهل الإيمان إلى الأبد ، حينما يكون من ديوان الأبد مثال " إنما".[2]

٥- لا يليق لأحد غيرُه الحديث عن " سلونى" [3]؛ ذلك لأنه عـــالم مـــا فـــوق السموات العلى .

٦- لم يظفر أحد بخلعة " أنت منىّ " [4] السنية من النبى سوى " علىّ" لأنه لـــه عظمة الأنبياء .

---

(١) إشارة إلى حديث " أنا مدينة العلم وعلىٌّ بابها " الذى رواه الترمذى فى المناقب ص ٢٠ برواية " أنـــا دار الحكمة وعلىٌّ بابها ".

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (سورة المائدة آية ٥٥).

(٣) إشارة إلى حديث على بن أبى طالب المشهور : " سلونى قبل أن تفقدونى " (تعليقات منطـــق الطيـــر ص ٣٢٦) وروى هذا الحديث برواية أخرى هى :" سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار فى سهل أم فى جبل "(تاريخ الخلفاء ص ٢١٤).

(٤) إشارة إلى الحديث الصحيح أن الرسول قد قال :" علىٌّ منى بمنزلة هـــارون من موسى، إلا أنـــه لا نبـــى بعدى " رواه .أحمد والشيخان .

٧- يخجل البحرُ والجبلُ في مجال السخاء من قلبه ويده ، ويصدّق هذا القول كلُّ من يقرأ " هل أتى".[1]

٨- لو تتخذ لنفسك قدوةً بعده في طريق الدين ، فلن تجد قدوةً أفضل من أولاده المعصومين .

٩- من هم أولاده ؟ إن أولهم " الحسن " ثم " الحسين"، وهما بأمر النبى الإمام المقتدى.

١٠- وأنا خادمهما في ديوان الشرع ، وأثبت هذا الادعاء بحكم المصطفى.

١١- حينما تشرّف "عليٌّ" من النبيِّ بقول " من كنت مولاه "[2] ، يكفى أن نكون مجرد عبيد في طريق إرثهم .

١٢- بعدهما " المقتدى السجّاد" ثم " الباقر" ، وحين تتجاوزهما فـ " الجعفر" و"موسى"وسبطه " الرضا".

١٣- ثم " التقى" ، "فالنقى" ، " فالإمام العسكرى " ، وبعدهم "المهدى" الذى تستمد الدنيا منه النور والصفاء.

١٤- أيها الخالقُ، اجعلْ الروحَ الطاهرةَ لكل واحد من هذا الجمع مُتَّكَأً لنا في صدر الفردوس بكرم منك .

١٥- يا قلبُ ، حينما يكون عطاءُ كل واحد من هؤلاء العظماء هو درُّ بحار الفتوة وجوهر منجم السخاء .

---

(١) يربط الشاعر هنا بين سخاء على بن أبى طالب وما جاء في سورة الإنسان التى تبدأ بـ ﴿هل أتى﴾ إلى الآية ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ (آية ٨) التى يقال إنها نزلت بشأن الأرغفة الثلاثة التى تصدق بها على بن أبى طالب للمسكين واليتيم والأسير ولم يكن في بيته سواها .

(٢) إشارة إلى حديث "من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " رواه الطبرانى وصاحب الجامع الصغير وقال " العجلونى" عنه في كشف الخفاء إنه متواتر .

١٦- فاقتدِ بهؤلاء المخلصين إنْ كانت لك رغبةٌ فى النجاة ، فقد جاءت "أنتما" [1]عصمةً لكل واحد من هذه الأسرة.

١٧- ليس لكل شخص ثقافةُ الاقتداء فى طريق الدين ، فلو تقتدى ياقلبُ مرةً فاقتدِ بالمعصومين.

١٨- مع أننى " ابنُ يمين" قد اقترفتُ العديد من المعاصى ، ولأننى صادقٌ فأنا أتوقع .

١٩- إنَّ الله بلطفه وكرمه سيحشرنى مع هؤلاء الأطهار ، فأنا حبيب أسرة المصطفى والمرتضى.

وله فى مدح علاء الدين محمد (ص٨-١٠)

١- لو تزهو بقامةٍ سامقةٍ تشبه شجرةَ الطوبى ، فلن يعرفوا دارَ الدنيا من الخلد مرة أخرى .

٢- ولو تُحرك طرَّتك المجعدة ، يصير الجنونُ أمنيةً لأولى النُّهى .

٣- لمْ يَرَ وَثَنىٌّ محيَّاك ولورآه ، فلا تظننَّ أن سيسجد للاَّت والعزّى ثانية .

٤- من تلك اللحظة التى تفتحت فى الدنيا وردةٌ مثلك ، وضعت يدُ القضاء نهايةً للرياض الأربع .

---

(١) أعتقد أنها إشارة إلى قوله تعالى عن موسى وهارون : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ (سورة القصص آية ٣٥) وهنا مماثلة " من الشاعر إلى أنّ مابين سيدنا محمد ووصيه علىّ – حسب الفكر الشيعى – يماثل ما بين موسى ورفيقه هارون . ويؤكد ذلك اعتماد الفكر الشيعى دائمًا على قول سيدنا محمد ﷺ عن سيدنا على بن أبى طالب :" علىٌّ منىّ بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ".

٥- وطوت شفاهُك الياقوتيةُ المنعشةُ للروح فى لحظةِ العهدَ الذى يذكر نَفَسَ "عيسى" واهب الروح .

٦- تبدو حلكةُ طرَّتك وضياءُ وجنتك فى أعين الخلق ليلاً يتجلى شعاعُه.

٧- حطَّمتْ طرَّتُك المشبَّعةُ بالعنبر السوقَ ، وأجلستْ وجنتُك روحَ [1] " مانى" على النار .

٨- فعلامَ تلومنى أيها الرقيبُ فى عشقه ، طالعْ جمالَ "ليلى" بعين " المجنون ".

٩- أقامتْ شفاهُك الدعوى فترة على دماء قلبى ، فمرحى أن أحضر خطُّك الآن صدقَ الدعوى .

١٠- لقد غمستَ إصبَعك فى دماء المفعمين واتهمتَ ورق " الحنَّاء" بالعبث.

١١- وإلا كانت هيبةُ وزير الملك ، فقد وضع طرَّتيك الاثنين زُنَّارًا [2] لأهل التقوى .

١٢- محيطُ مركز الهمَّة الذى يسحق رأىُ رفعته مفرقَ رأس الأفلاك التسعة فى الملأ الأعلى .

١٣- عالمُ الجود الذى وضع الإلهُ قاعدة الهيولى محددة من أجل صورته.

١٤- علاء الدولة والدين مقتدى أهل الكرم الذى يكون الاعتصامُ بحبله أمنيةً.

١٥- سجَّلتْ كفُّه فى ديوان الهمَّة العالى براءةَ الأجر لأجل رزق الخلق .

١٦- دائمًا ما يرافق التعبُ أوجَ إيوان كسرى من فرط غيرته من بلاطه .

١٧- يأخذ قاضى عدله من الذئب لأجل القطيع سجلَّ البراءة مبرهنًا على شدة حزمه .

---

(١) مانى هذا كان مصورًا وقائدًا للمذهب المانوى ، وقد ادعى النبوة فى عهد " شابور الأول "، وأحضر كتابًا باسم " ارتنك"، وكان مذهبه خليطًا من العقائد الزرادشتية واليهودية والمسيحية . (براون : تاريخ ادبى ايرانى ترجمة على أصغر حكمت جلد سوم ص ٢٥٤) .

(٢) الزُّنَّار : حزام يشده النصرانىُ على وسطه .. المعجم الوسيط ، ص ٤٠٤ .

١٨- يتخذ العقابُ زاويةً مثل زاوية القوس مأوًى له خوفًا من سهام عدله .

١٩- فى كل ما يحكم به قدرُ قدرته ، يؤمن عليه القضاءُ بالموافقة .

٢٠- أنت الذى أمام يدك وقلمك يوبّخ الفلكُ يدَ موسى وعصاه .

٢١- ويُبيِّن سنُّ قلمك دائما للعدو وللصديق معنى الحُسن والبشرى .

٢٢- لم يبقَ فى ستر الغيب أىُّ سرٍّ محجوب ، يعجز عن كشفه قلمُ قدرتك .

٢٣- ويهبط ، إلى الأرض كاتبُ الفلك من الغيرة حين يخفق لواءُ إنشائك فوق الفلك .

٢٤- فى كلِّ قضية يقف مفتى الشرع أمامها يلجأ إلى لوح رأيك يأخذ منه الفتوى .

٢٥-لو كحلّوا عينَ الأعمى بتراب أعتابك ، فإنها تهب النورَ مثل الشمس .

٢٦-ويصنع نسيمُ لطفك من العشب الندىِّ زمردةً كى تجلب النورَ لعين الأفعى.

٢٧-وتجعل سمومُ قهرك الماءَ الآسنَ فى عين العدو الكسيرة مثل النيران الملتهبة .

٢٨- الشخص الذى يرى فيضَ كفِّك ناثرة الدُّر ، أنىَّ له أن ينكر جود "معن" و"يحيى" (١) .

٢٩- يسقط البحرُ فى الحمى والارتعاد غيرةً من كفِّك ، ويكفى ما أصاب طبعه وفمه دليلا على الحمىّ .

٣٠- هيهات أن يتشابه سحبُ الفلك مع كفك ، أليس ثمة فرقٌ بين نبات الكرات والمنّ والسلوى .

٣١- يا قرينَ الفلك ، حين يطلق " ابنُ يمين " لسان قلمه لمديحك فكلُّه أملٌ .

---

(١) هما معن بن زائدة ويحيى البرمكى ، ويضرب بهما المثل فى الكرم والجود .

٣٢- أن يهدف بشِعره العالى فى جعل مفرق كوكب الشعرى تحت تراب أعتابك ذليلاً .

٣٣- فحين تتوهج نيرانُ طبعى ، تحترق من حرارتها روحا " جرير" و"الأعشى" .

٣٤- بماذا أدعو لجاهك ؟ الأولى أن أتسم الآن بصدق طريق الأول .

٣٥- فلتنظرْ بعين الرضا إلى ملكه تعالى طالما تكون الدنيا فى بلاط جلالك .

وله أيضًا فى مدح حضرة المولى "علىّ"
(عليه الصلاة والسلام)[١] (ص١٠-١١)

١- اعلمْ أنّ " عليًا " المرتضى ابن عم المصطفى هو مقتدى أهل العلم حين توفى المصطفى .

٢- ذلك " علىّ " الاسم والمسمىّ ، فمن علوّ قدره يكون أوجُ الفلك بالنسبة لجنابه كالأرض بالنسبة للسماء .

٣- ذلك الذى رجعتْ الشمسُ من المغرب إلى المشرق حين تضرَّع حتى لا تقع صلاتُه فى قضاء .

٤- وذلك الذى حمل سالكو طريق الحقّ من الأولياء والأتقياء كلهم نسبة الخرقة إلى بلاطة .

٥- وذلك الذى يزهو بأن روح الله عيسى يضرب مفتخرًا فوق السماوات العلى نوبة شهرته .

---

(١) هكذا ورد فى الديوان الفارسى ، وهو تعبير متداول لدى الشيعة حين يذكر على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) . ولعل دليلهم على ذلك ذكر لفظ الصلاة على آل محمد (صلى الله عليه وسلم) فى التشهد ، فى كل صلاة .

٦- هو مولانا بالأمر الصادر من الحقّ ، وكيف يمكن إنكار ما قيل فى شأنه " من كنت " .

٧- شمل جاهُه كالشمس كلَّ أرجاء الدنيا ، وهو قابعٌ فى تواضعٍ تحت عباءته.

٨- وحين يمتطى المرتضى يوم الوغى صهوةَ فرسته الدلدل ، فهو الشمسُ قد امتطتْ صهوةَ أسد الفلك .

٩- أنَّى له بغير القوى الروحانية أن يقتلع باب خيبر ، ويمزق ثعابينهم .

١٠- من بين الكرامات التى صنعها اللهُ وسوف يصنعها أيضًا ، أن أوصل إلى "علىٍّ" الآن بشارة " " هل أتى " [١] .

١١- إن كان ثمة قاضٍ عادلٌ لأجل إثبات الإمامة ، يكفيه شاهدًا على ذلك علمُه وجودُه وعفتُه وشجاعته .

١٢- لو لم يكن نبىُّ الله الخاتمَ فى النبوَّة ، لكان "علىٌّ" المرسل أفضل من كل الأنبياء .

١٣- ذلك الذى لا أعلم أحدًا قد أدى الزكاةَ من ماله وقتَ الصلاة سوى "علىٍّ" بنص "إنما " [٢]

١٤- ذلك الذى يكون له من الفضائل مالا تجده عند أقرانه ، فمن الجهل طلبُ الإنسانية من ملوك الشعب .

---

(١) سبق الإشارة إليها والربط بينها وبين كرم على بن أبى طالب .

(٢) هناك رواية وردت فى " مظهر العجايب " للعطار ص ٩٠ تنص على أن سيدنا على بن أبى طالب قد أتاه سائل فجأة أثناء استغراقه فى صلاته وطلب منه المساعدة، ويقال إن هذا السائل كان " جبريل " عليه السلام ، وما كان من علىّ إلا أن أعطاه خاتمه أثناء ركوعه ، ثم نزل جبريل عليه السلام على الرسول وقال له الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾.

١٥- وإن لم تكن الأفضليةُ وصفًا له ، فكيف وصل إليه من حضرة المصطفى قولُ " سلونى " .

١٦- فلتطلبْ الإرشادَ منه لأنه يعرف الطريقَ ، وأنّى لأحد مطلقًا أن يسلك هذا الطريقَ بغير مرشد .

١٧- اعلمْ أن تركَ الأفضل من أجل المفضول يعد من فضول النفس ، فلا تهتدِ فى طريق الحق إلا بنور العصمة .

١٨- ولذلك لا أعلم أنّ أىّ شخص أحقُّ بالخلافة بعد وفاة النبى مِنْ علىٍّ المرتضى .

١٩- أنا معه فى " تولى " و " تبرا " من الغير ، حينما لا يجد القلبُ صفاءً من " تولى " بدون " تبرأ " [1].

٢٠- أنا أظهر مثل القطب ثباتًا فى الولاء له ، ولو دار الفلكُ على رأسى طاحونةً دامية .

٢١- وحين يعدد " ابنُ يمين " مناقبَه بروحه وبقلبه ، فذلك إظهارٌ للخضوع وليس إنشاءً لمديح .

٢٢- فأنا حين أثنى عليه ، فإنّ مقصودى منه أن يعدَّنى يوم الحساب من عداد خدامه .

٢٣- أيها الخالقُ ، أنا عاصٍ ، وأنت شاهدٌ على أننى خادمُه ، فما ضرٌ لو عفوتَ عنّى لأجله .

وله أيضًا فى مدح علاء الدين محمد (ص ١١ - ١٢)

١- حيَّرنى الفلكُ من الحسد فترة ، حينما وجدنى قد فُقتُ الأترابَ علمًا .

---

(١) المقصود من التبرؤ والتولى: تبرؤ المتعصبين من الخلفاء الثلاثة الأول وتوليهم بعيدًا عنهم .

٢- المنّةُ لله ، فقد - أنقذنى - أيضًا مثل " الخضر " من ظلمة الحرمان ، وأرشدنى الحظُ صوب عين الحياة .

٣- مكثتُ فترةً فى تيه الحيرة مثل الكليم " موسى "، وحملنى شعاعُ الله صوبَ طور الهمّة .

٤- ورغم أننى قطنتُ بيتَ الحزن مثل " يعقوب " ، فإن الطالعَ قد حملنى منه إلى " يوسف " .

٥- الصاحبُ الذى أنوارُ رأيه، والتى هى زينةُ المملكة، تخلصنى من المشكلات الصعبة بسهولة ويسر .

٦- ظللتُ حائرًا لفترة فى حساب أمره ، ثم وجهنى الإقبالُ صوب صاحب الديوان :

٧- الصاحبُ الأعظم " علاء الملة والدين "، ذلك الذى يُعد مرهمُ لطفه الدواءَ لداء قلبى.

٨- ذلك الذى خُلُقُه " محمد " ونَفَسُه " عيسى " والذى عنّى وصفُ ذاته مشهورًا مثل " حسّان "[1] فى حسن القول .

٩- إذا ما صرتُ ذليلاً مثل التراب فى حضيض المحنة ، فإن عظمَتَه ترفعنى فوق قمة " زحل " .

١٠-ومع أن قانونَ المنجم هو وهبُ الفضة والذهب ، فإن المنجمَ يبدو لى ممسكًا أمام بحار كفِّه .

١١-طالما أرى الجوهرَ ثمرةَ سخاء يده ، فإن العار يأتى لىَ من جود السحب فى الربيع .

---

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

١٢- حينما ينزل إلى الميدان يوم الحفيظة هائجا ، تبدو لىَ حملاتُ "رستم"[1] كلُّها خرافة .

١٣- وحينما تتجه الحربةُ التى فى كفِّه صوب قلب الأعداء ، تبدو لىَ صورةُ الحيَّة فى اليد البيضاء " يد موسى " .

١٤- حقًّا... عقودى الجوهريةُ الموزونةُ ، تبدو لىَ فى حضرته رخيصة .

١٥- يبدو لىَ الشعرُ المعروض عليه حقًّا مثل سحر " السامرى "[2] مع " موسى بن عمران " .

١٦- والحقُّ أنه مع كمال فضله من فصاحة القول يتأتى نطقى " الباقلى " فى حضرته كفصاحة " سحبان " .

١٧- أيها الصاحبُ ، أتعلم أن من يُمن مدحك أن أطاع " عطارد " أوامرى فترة .

١٨- صار بلبلُ طبعى العذب القول مسحوقًا فى القفص ، لكنَّهُ وقت التحليق يكون سعيدًا على الورد والريحان .

١٩- إنْ لم يكن جوهرُ بحر " عمان " فى متناولى ، فمن المستساغ أن تكون الزينةُ والحسنُ من الشبه .

٢٠- إذا لم يكن عهدُ محنتى مثل الثوابت الخالدة ، فكيف جعلتنى أيها الفلكُ حائرًا مثل النجوم الدائرة .

٢١- لو تصبح شفتى الضاحكة مثل البرعومة ، رغم كل هذا الضيق ؛ فإنه يبدو على الوجه صفرة من خواص الزعفران .

---

(٢) رستم أحد أبطال الفرس القدماء الذين خلدتهم الشاهنامه .

(١) السامرى : رجل من أتباع موسى ، صنع فى غيبته عجلاً من الذهب ونثر عليه ترابًا فتحرك العجل وشرد به بنى إسرائيل، فعاد موسى وأنقذ قومه وقتل عجل السامرى .

٢٢-كنت أفكر من قبل مع نفسى فى كل آونة - وأتساءل - علام يكون شأنى مشتتًا دائمًا ؟!

٢٣-حتى إننى سألتُ الشيخَ العاقلَ فى هذا المعنى : لماذا يضعنى الفلكُ فى حيِّز الخذلان ؟

٢٤-فأجاب العقلُ : الفضلُ الآن عيبٌ - حقًا - لقد أصاب ، وإلا فما سبب حرمانى هذا كله ؟!!

٢٥-وحينما رأيتُ دائمًا أن الفلكَ السافل سوف يقذف بى حسداً فى حلقة الصولجان مثل الكرة .

٢٦-وأن الفلكَ الجاحدَ يعلم عيدَه فيقدمنى قربانًا لرزقه بسبب جفائه وسوء مسلكه .

٢٧-تمنطقتُ بمَحْرم جنابك السعيد ، لأنّ ألطافَك تجتهد كى تبعدنى عن السقوط فى مصائب الزمان .

٢٨-وإذا كانت نارُ سقر تبدو فى صورة السفر[1] ، فإن هذا السفر يفتح لىَ بابًا فى روضة " رضوان " .

٢٩- أنا خادمُك الخاص ، وينبغى أن يعلم رأيك أنّ الأمر سهلٌ إذْ يعلم العامة والخاصة .

٣٠- لا تبقى الروحُ فى جسد " ابن يمين " بدون شكرك ، فشكرُك فرضٌ طالما أنّ فى جسدى روحًا .

٣١-فلتبقَ دولتُك خالدةً وإلى الأبد ، لأنّ لىَ من وجودك كلّ ما تراه من أثاث ومتاع .

---

(١) إشارة إلى القول المأثور " السفر قطعة من سقر " .

وله أيضًا فى مدح الأمير شيخ حسن (ص١٢ – ١٣)

١- يجب على الناس التضرعُ فى الطلب من الحقِّ بدعاء الشيخ حسن .

٢- هو ظلُّ الله الذى يزيِّن رأيُه وجهَ الأرض والعهد بصفاء مثل الشمس .

٣- اشترى المُلكَ من سوق الفضل بحرية وأدى الثمنَ من جوهر سيفه .

٤- لو تتصدق همّةُ كرمه على العالم كلِّه ، لاتضحتْ آثارُه على الدنيا بغير مَنّ أو أذى .

٥- يزيل مرهمُ جوده من القلب ألمَ الفقر ، مثلما يزيل الصابونُ الدَّرنَ من الثياب .

٦-حينما يسخِّر قلمَه المحمّلَ بالجوهر لأجل الكتابة ، فإنَّ قيمةَ الدُّر العدنى تذهب هباء .

٧- ولأجل مديح جاهه يفتح سهمُه فمًا كالثقب على الفلك الذى يشبه القوس.

٨- وفى يوم الوغى يطعم من أجساد الأعداء المجندلة الغربانَ والحدأةَ طيلة مائة عام ويزيد .

٩- وحين يلتقى الصفَّان يحصد بسيفه الصقيل أرواحَ سيِّئ الطوية.

١٠- وذلك الذى احتمى من سهمه بالدرع قد أودع الأمانَ بجهله .

١١- وذلك الذى يُخرج رأسَه عن ربقة أوامره ، فقد أعدَّها وجبةً للسيف والكفن.

١٢-وذلك الذى يحيد عن بلاطه إلى غيره ، كمن استعاض جهلاً عن المَنّ والسلوى بنبات الكرَّات .

١٣- يا مَنْ قلبُك الطاهرُ مظهر الألطاف الإلهية ، وهو فن واحد يعرفه الناسُ من كل فنونك .

١٤- دائمًا ما يجذب نورُ رأيك شمعَ هذا الشمعدان الفيروزى المذهب (الشمس) من الفراشة .

١٥- ليس لنافجة غزال "الختن"[1] من خطأ واضح سوى التفاخر بأنها نكهة خُلقك.

١٦- تهبُّ نسمةُ ربيع من روضة خُلقك فى الحديقة ، فتنشر فى صحن الخميلة رائحةً عبقة .

١٧- حينما استولى جيشُك على الآفاق كلِّها ، ما كان أمام العدو إلاَّ أن يستوطن الهاوية .

١٨- سيفُك فى قلب عدوك الذى يشبه الحجر مثل الرمح الذى يقرُّ حجَر المَسنّ.

١٩ - تارة يجعل سيفُك من جسد العدو الواحد جسدين اثنين ، وتارة يجمع سهمُك جسدَىْ عدوَّيك معًا .

٢٠ - حين يحكم الأجلُ قبضتَه على عنق خصمك ، فإنه يجد من حبل وريده حبلاً مناسبًا لهذا العنق .

٢١ - حظُّك اليقظُ والنابهُ قد سلب الوسنَ من عين حاسد جاهك الرديئة.

٢٢- يكون "ابنُ يمين" وسوف يكون داعيًا لجاهك ، وشاهدًا على أنك واقفٌ على كل سرٍّ وعلن .

٢٣- طالما ثنياتُ وتجعيداتُ ذوائب الحسناوات تزداد حسناً وبهاء فى أعين الناظرين .

٢٤- فليكنْ قلبُ عدوك من رياح قهرك ملتفًّا ومجعَّدًا مثل ذوائب الحسناوات .

---

(١) هى ولاية فى التركستان أو الصين ، مشهورة بمسك الغزلان وبالحسناوات .

قصيدة فى مدح طغايتمورخان (ص ١٣-١٥)

١- يامَنْ صنعتَ للنهار نقابًا من الليل الغربيب ، أى أسقطتَ ظلَّ السنبل (الطرة) على الشمس (الوجه) .

٢- أتدرى كيف يكون العرقُ على عِذاره ؟ مثلُ قطرة ماء الورد على صحيفة وردٍ ندية .

٣- لا ينمو السَّرْوُ والوردُ فى أىِّ فصل مثل قدك وخدك مطلقًا فى روضة الوجود .

٤- حينما أظهر ياقوتُك الغضُّ (شفاهك) العقدَ الجوهرى (أسنانك) نثر جزعى (إنسان عينى) الفضةَ المذابةَ (دمعى) على الذهب الندى (وجهى الشاحب) .

٥- ثنَت ذوائبُك المجعدةُ يدَ قلبى ، فلا تُشحْ الوجهَ عنِّى بلا ذنب مرةً .

٦- يشكو القلبُ من هجوم عينك ولأىِّ سبب ذوائبُك السوداءُ غاضبةً .

٧- عشقُك نارٌ لأنه حينما حلَّ فى الفؤاد شقَّ من مقلتى منابعَ ماء .

٨- يصير مُلكُ الحُسن بسعى من وجهك معمورًا ، وخربتْ دموعُ العين إقليمَ صبرى.

٩- بالأمس حلَّ خيلُ طيفك ضيفًا لدىَّ فصنعتْ الدمعَ حلوى "الفالوذج "، وهيأت من القلب شواء .

١٠- آتى إلى كنفك مباشرة وأعزف كالرباب ، حتى تعلمنى مثل الرباب .

١١- حتامَ تجافينى؟ ألا تعلم من أنا؟ أنا العبدُ الخاضعُ للسلطان الموفق.

١٢- مالك الدين "طغايتمور" الذى يصنع سيفُه يوم الوغى من رقاب العدوِّ له جرابًا .

١٣- يصير عدوُه فى مواجهته مثل الثور أمام الأسد ، لا ..لا .. بل مثل الصعوة فى كفاحها للخلاص من قبضة الصقر.

١٤- أعطانى ويعطينى متاعبَ كالسماء والأرض فى كثرتها ثباتُ لجامه الخفيف وإحكامُ ركابه الثقيل .

١٥- أيعلم كلُ مَنْ هو صائبُ الفكر ما سببُ حمرةِ الصباح والمساء على زُرقه السماء ؟

١٦- هي - وكفى - أن خنجَر الشمس يخضّب وجهَ الفلك بدماء قلب عدوّه .

١٧- كلُ مَنْ يصير عبدًا للغير فى عهد الملَك ، مسكينٌ لا يعرف أسدَ الغاب منَ الأسد المستأنس.

١٨- لو يرى شخصٌ فى منامه ذات ليلة طوال عمره خيال كفّه الجواد، فإنه يصبح فى غنى "قارون".

١٩- يا مَنْ ظلُ رأيك ملجأ للشمس وبلاطُك قِبلةُ آمال الشيخ والشاب .

٢٠- أثيرُ الفلك شرارةٌ واحدةٌ من نار غضبك ، والكوثرُ رشحُ نبعك الصافى .

٢١- لا يأتى من السُحب الداكنة ما يكفى كفّك ، ولا يمكن لماء الحياة أن تأتى من السراب .

٢٢- يدُ الحظ لم تكن قد صنعت من قبل - معى - مثلما فعلت الآن حينما كحّلت عينى بتراب ذلك الجناب .

٢٣- كنتُ آملا وواثقًا وصادقَ الظنّ من أنَّ الحظَّ سيوصلنى إلى جناب راعى الفضل.

٢٤- المنّةُ لله لأننى الآن فى حماك ، أختمُ النظمَ الطيب بالدعاء .

٢٥- طالما أنَّ خيمةَ السموات التسع لا عمود لها ، أقبلْ لتكنْ كالحباب على قبة الخمر.

٢٦- فليغصْ عدوك مثل المسمار فى الأرض ، وليصرْ حبلُ الوريد فى عنقه خبلاً .

٢٧- الوِرْدُ المفضّلُ للملائكة فى الليل والنهار هو : يارب ليَكنْ دعاءُ "ابن يمين" مستجابًا .

ولـه (ص١٥ - ١٦)

١- يا مَن مدارُ الشمس تحت ظلٍّ لطفك ، ويامن غبارُ الشمس من خطِّك الذى يشبه الريحان .

٢- وحينما يلقى وجهُك الصافى بظلّه على الفلك ، تنبعث نارُ الغيرة من عين الشمس .

٣- ما إن يسقط ظلٌّ من غصنِ سُنبلك (طرّتك) على ورقة وَرْدك (صفحة وجهك) تخال إنّ شعَرك المسكى قد صار شعاراً للشمس .

٤- تأملْ قطراتِ العرق اللامعة على وجهك الناصع ، إذا لم ترَ قطراتِ الثريا التى نثرتها الشمسُ .

٥- أتيتَ بحاجبك وشعرك حراسًا للعشاق ، إذا ما كان لك هلالٌ من المسك (الحاجب) على حافة الشمس (العين) .

٦- لماذا الجوهرُ النفيسُ (القرط) على شحمة أذنك التى هى بلون الفضّة ، فتقول إن الزهرةَ الزهراءَ هى قرطٌ للشمس.

٧- حينما يأتى إلى عينى النرجسية التى تشبه البيلوفر تذكرُ وجهك ، فإنها تقضى عمرًا ساهدة فى انتظار طلعة الشمس .

٨- حينئذ يكون قد جاء هذا التشنيفُ إلى "ابن يمين" فيجعل له مكانًا عاليًا فى جوار الشمس.

٩- فأبدأ فى مديح الملَك الذى من قدره يكون للشمس قُدرةٌ على غزو العالم .

١٠- تاجُ الملوك ذلك الذى يكون للشمس حقًا افتخارٌ بأنها خادمةُ رأيه الساطع.

١١- وذلك الذى بلغت شهرتُه فى نثر الذهب فى أرجاء العالم أنْ صارت الشمسُ شعارًا فى صياغة المعادن .

١٢- وذلك الذى تسحب يدُه الناثرة للدُر الجوهرَ من سيف الشمس المذهَّب لأجل نثره .

١٣- فينتسب من أجل هذا إلى الشمس فى الزعامة مما يجعل للشمس شهرةً أمام الخاصة والعامة .

١٤- يوم العريكة لو ارتدى عدوُّه ثوبَ النَّمر ، فإنه يأتى لدىَّ فأرًا أعمى يواجه شمساً ساطعة .

١٥- تُمنطق شمسُه الجوزاءَ بنطاق العبودية، وهكذا يفعل بالملوك ما تفعله الشمسُ .

١٦- لا يأتى الفلكُ فى الحساب أمام علّوُ قَدْره ، أنَّى للعقل أنْ يساوى الشمسَ فى الحساب بالذرة .

١٧- فى جدال الأصدقاء تأخذ السماءُ برأيه الصائب فى جدالها مع الشمس .

١٨- إنْ لم تصرْ شمسُه مثل الذَّرة نصيرةً ، فأنَّى لكتف الفلك أن يحمل أحمال الشمس ؟

١٩- ولو تصادقَ مع الشمس ولو لذرَّةٍ واحدةٍ ، لاحتجبتْ عن الظهور فى زاوية مثل الظِّل بسبب شدة وقاره .

٢٠- وإن لم تكن حيرةُ الشمس ودورانُها غيرةً من قدره ، فلماذا إذن لم يهدأ دورانُها لحظة واحدة .

٢١- ولو ارتفع دخانٌ من نيران قهره إلى الفلك ، لصار عذارُ الشمس أسود مثل صفحة الضباب .

٢٢- لو انكشحت الظلمةُ عن الليل من نور رأيه ، سوف تجد الفراشةُ الشمسَ الساطعةَ شمعةً لها.

٢٣- تتوقد شمسُ خاطرى فى وصف رأيه ، ومن هذا السبب ترى انسيابَ الشمس فى شِعرى .

٢٤- طالما لا ترى مدارَ أمر العالم منقطعًا ، والشمس تدور حائرةً حول البسيطة .

٢٥- فليكنْ أمرُ العالم ثابتًا من تأثير عدله ، وليكنْ مدارُ الشمس على مدار رأيه .

وله أيضًا (ص ١٦)

١- مرحى لقصرٍ يكون أساسُه على الماء ، وتُطاول هامتُه أوجَ الشمس رفعةً.

٢- ومن انعكاس ضياءِ زجاجه على شرفاته ، أخفتْ الشمسُ وجهَها عن طيب خاطر حتى توارت بالحجاب .

٣- ومن نقوشه الأسرة ، تبقى روحُ "مانى" فى عذاب حتى يوم القيامة من فرط الخجل.

٤- مرحى ليد الأستاذ المبدع الذى أبدع نقشها ، فهل يتسنى لأحد مطلقًا الرسم على الماء بهذه الشاكلة ؟

٥- فلقد ثبَّت ذلك المبدعُ وضعَه عاليًا ، حتى صار مثلَ البيت المعمور لا يراه أحدٌ خربًا .

٦- وحين تصدَّر مجلسَه وزيرُ الملك الشهير ، صارت أعتابُه لخلق العالم حُسنَ المآب .

٧- كيف أصف بِركتَه ؟ إنها حوضُ الكوثر حقًا ، إذا كان الماءُ الذى فى حوض الكوثر يضاحك ماءَ الورد.

٨- على ضفافها آجرٌ مطبوخٌ يغار منه الياقوتُ واللَّعلُ ، وفى أعماقها حصىً هى موضعُ حسد الدُرّ الخشابى .

٩- فساءلتُ عقلى : أيوجد مكانٌ له مثلُ هذا البهاء ؟ قال : الفردوسُ وكفى، والله أعلم بالصواب.

١٠- وسألتهُ ثانيةً : مَنْ له عرشُ الصدارة فيه حقًا ؟ قال: أحسنتَ القولَ فاستمعْ منّى الجوابَ لسؤلك .

١١- إنه آصفُ [1] الثانى علاءُ المُلك الذى من عظمته يكون روضُ قصره مستطابًا مثل حدائق الجنّة.

١٢- ذلك الذى حين يجمعُ حظُّه اليقظُ فى الدنيا ، تذهب فتنةُ "يأجوج" فى سبات عميق حتى الأبد .

١٣- وذلك الذى حين يلوى عزمُه العنانَ فى كلّ ناحية ، لا يقوى البرقُ علـــى المكوث أمامه .

١٤- فلتبقَ دولتُه موطَّدةَ الأركان رغم الأعداء ، ويظلُّ يترع فيها مع أحبابـــه كئوسَ الشراب قرونًا عديدة .

١٥- ويصبُ جرعةً منها أحيانًا صواب " ابن يمين " ، حتى يصير بها مُنعَّمًـــا فى يُمن دولته .

أيضًا قصيدة فى مديح الأمير يحيى والتهنئة بوصوله (ص ١٧)

١-فليكنْ مقدمُ الوزير الموفق الذى يشبه الشمسَ على عهد دولته مقدملهميمونًا.

٢-سلطانُ المشرقين الذى من أوج عظمته ينشر رأيُه ظلَّ الرفعة على الشمس.

٣-ذلك الذى تحظى مسامعُ السائلين من صرير قلمه أطيبَ جواب لسؤلهم .

---

(١) آصف وزير الملك سليمان عليه السلام .

٤- الأمير يحيى واهبُ التاج الذى طالما له رسمُ الملوكية فإنَّ عرشَ الملوكية لا يحظى بملك موفق مثله .

٥- ومن فرط خجلها من رأيه الساطع ، تصفَرُّ الشمسُ ثم تتوارى آخر النهار خلف هذا الحجاب الأزرق .

٦- طالما يعمرُ عدلُه العالمَ ، لم يبق فيه مكانٌ خربٌ سوى قلب أعدائه .

٧- أيها المليكُ الذى لو حمل فصلُ الربيع قطرةً من بحر همَّتك صوب هواء السحاب .

٨- ولو ينثر قطراتِه على الأرض البوار تصير زهرةُ الشقائق فى خضرتها لؤلؤًا خشابيًا .

٩- ولو تعبر على غابة الأسود رائحةٌ من خُلقه محملة بالمسك الصافى .

١٠- تصير الرائحةُ الفائحةُ من فك أسد الغاب مضمخةً بالمسك مثل نافجة غزلان التتر .

١١- ولو ينظر عزمُ عنانك المحكم وحزمُ ركابك الثقيل صوبَ الأرض والزمان .

١٢- يصير طبعُ الزمان طالبًا السكينة كالأرض ، ويصير حزمُ الأرض وثّابًا كالزمان .

١٣- أيها الملكُ ، عندى أملٌ أنه عن قريب سينهض حظى من غفوته فى عهدك .

١٤- وفى عام القحط سوف يأتى كرمُك بها مر الماء من سحاب رأفتك على صفحة حياتى .

١٥- وحين يسلك " ابنُ يمين " طريقَ الإخلاص فلأنَّه ينتسب إلى عبيد حضرتك الميمونة .

١٦- ومهما يُقلِّب الفلكُ أحوالَه ، فإنه لن يبتعد مطلقًا عن طريق إخلاصك .

١٧- حقًّا ، فأنا مع المدائح التى اخترتها من ديوان طبعى مفاخرًا بها الفلكَ .
١٨- لم أطرق أىَّ باب فى أى فصل سوى باب حضرتك أيها الملك .
١٩- فأنا لا أفرغ فى الغيبة والحضور من أمرين وضعهما فكرى، وكلاهما على صواب .
٢٠- إذا كنتُ حاضرًا فأنشغل بذكر الثناء المستطاب ، وإذا غبتُ أعملتُ فكرى فى الدعاء المستجاب .
٢١- فذلك الذى لا يعرف سوى بابك مرجعًا له ومآبًا على وجه البسيطة يستحقُ رعايتك .
٢٢- وله أن يطلب يوم المحفل من السقاة الشرابَ ومن الطهاة الشواءَ .
٢٣- وكلُّ مَنْ لا يكون وفق مُرادك ، فليكنْ قلبُه شواءً ودماءُ كبده شرابًا .

وله أيضًا فى مدح الأمير ستلمش بيك (من ١٨ - ١٩)

١- بالأمس اختفتْ وقت الغروب حتى توارت بالحجاب السيمرغُ [١] ذهبية الذيل (أى الشمس) .
٢- وصار الفلكُ الأزرقُ الناثرُ العقيق فى الشفق مثل خنجر " كيخسرو " مخضَّبا بدماء قلب " أفراسياب " [٢] .
٣- وجاء الأرغوانُ - الأحمر - فى الروضة محملاً بالنيلوفر - الأزرق - مثل أشعة الشمس - الضوء - وقد هبطت على الورد المورق .

---

(١) طائر وهمى لا وجود له إلا فى القصص الفارسى، وهو يشبه العنقاء فى أدبنا العربى، وقد اتخذه " العطار " فى " منطق الطير " رمزًا للحق تعالى وللسالك الذى يسعى للفناء فيه والبقاء به .
(٢) كيخسرو وأفراسياب من ملوك الفرس القدماء الذين خلَّدتهم شاهنامة الفردوسى .

٤- وبدا الهلالُ على بساط الفلك الأزرق مثل شخص عليل ينام على بساط أزرق اللون .

٥- والنجومُ حوله مثل الأصدقاء العطوفين يعودونه باضطراب جَمٍّ .

٦- والليلُ على سطح هذا الفلك غرابٌ مسكيُّ الذيل ، يأتى منه ألفُ بيضة من الكافور الصافى[(١)].

٧- وكان لمرج الفلك فى المجرَّة جدولٌ هو جدولٌ من الزبرجد ماؤه فضةٌ مذابة.

٨- والسماءُ مثل نهر النيل والنجومُ متناثرةٌ فيها مثل عيون السماء على سطح الماء فى حلكة الليل .

٩- ويتلألأ عقد " الثريا " فى الفلك الأزرق كأنه درٌّ صافٍ فى أذن زنجية سوداء .

١٠- والنجم قد عقد معجرًا - نقابًا - على صفحته النحاسية اللون ، مثل الشرر الذى يعقد نقابًا من الدخان على صفحته .

١١- وحين رأيتُ بنات النعش [(٢)] ظننتُ أن رياحَ فصل الربيع قد نثرت أوراق النرجس على شجرة السذاب [(٣)].

١٢- فى كل لحظة ينطلق من قوس الفلك سهمٌ ذهبيٌّ (أى الشهاب) صوب هذا الجنىِّ الأسود (أى الليل) .

١٣- فى ليلة كهذه التى وصفتُها وحتى الصباح كانت دموعُ عينى تضرم نيرانَ قلبى المشتعل بسبب بعاد الفلك .

---

(١) أى النجوم الزاهرة .

(٢) أى الكواكب السبعة .

(٣) هى شجرة سامقة مورقة مثمرة وورودها صفراء اللون .

١٤- فجأةً أتى من هاتف الغيب إلى مسامع روحي هذا الخطابُ العذبُ وأنا بين اليقظة والنوم .

١٥- متى صارت حديقةُ الفضل عامرةً من معمار الطبيعة ؟ وحتَّامَ تظلُّ في زاوية الغمّ مثل كنز مدفون فى أرض خربة ؟

١٦- انهضْ واعقدْ الإحرامَ لأجل كعبة أرباب الفضل ، واقصدْ بابَ حرمٍ مبهجٍ باسلٍ وموفق .

١٧- فقلتُ : أتوجد كعبةٌ على هذه الشاكلة ؟ قال : بلى ، إنها مجلسُ حامى حمى الدين والله أعلم بالصواب .

١٨- الملكُ العادل " ستلمش بيـــگك " ملكُ العالم ، فلتكنْ السعادةُ خطَّه وتبقى دولتُه دائمًا مستقرةً .

١٩- فقلتُ في النهاية : كيف السبيلُ إلى بلاطه ؟ قال : اخترْ من بحار خاطرك جوهرًا .

٢٠- وانثرْه فى مجلس ذلك العالى قرين الفلك حين يجلس على عرشه فى الصباح الباكر بفألِ سعد .

٢١- أيها الملكُ ، إن لم يُصبْ خاطرُك العطرُ بالملل ، طالما أتلو عليك مدائحَ تشبه خطابَك العذبَ .

٢٢- يا مَنْ يجد الفلكُ فى خيمة جاهك من الصباح عمودًا فضيًّا، وينسج من الشمس طنابًا ذهبيًّا .

٢٣- إن لم يكن لك فى الأرض والسماء شَمَّةٌ من الحزم والعزم ، فكيف كان للأولى الثبات وللأخرى السرعة .

٢٤- إنْ لم تفتح يدُك بابَ المكرمة على فلك الجود سيهاب الناسُ بعام القحط .

٢٥- لا يأتى من سحب الربيع أمرُ يدك ناثرة الدر ، فإذا ما بقى السَّرابُ مـــاءً ما دلَّ على الظمأ .

٢٦- لو هبَّ نسيمُ خُلدك على غابة الأسود فإن نافجةَ غزلان الصين ســتنبعث من فكِّ أسد الغاب .

٢٧- طالما يبسط " هُما " [١]عدلك ظلَّه على العالم ، فإنَّ الصعوةَ ستتخذ بكـــل جسارة عينَ العقاب لها عُشًا .

٢٨- مع وجود حزمك النابه سوف يأتينى العجبُ إذا ما صار أحدٌ بعد هذا ثملاً فى الدنيا من الشراب .

٢٩- ليس ثمة عجبٌ كثيرٌ فى طالع عهدك الفتىِّ ، لو تأخذ الدنيا الهرمةُ طريقًا آخر من صدر الشباب .

٣٠- صار ظهرُ خصمك منحنيًا مثل الحمار من حمل الفسق ، وربمـــا تـــئن عروقُه مثل الرباب على جسده .

٣١- لا تكترثْ لكل سؤال يأتى مشكلا من أسرار الغيب ؛ لأن قلمَـــك ســـوف يهيئ له الجوابَ الناصع .

٣٢- الغائبُ عن جنابك العالى خائبٌ عن رغبة القلب ، وقد قالوا فى هذا مثلاً " من غاب خاب " .

٣٣- أيها الصاحبُ ، استلَّ " ابنُ يمين " فى ساحة ميدان الفضل سيفَ الفصاحة من الجراب فى مجال الدعاء .

٣٤- فلتبقَ شمسُ دولتك كوكبًا ساطعًا من برج الشرف ، حتى تسطع كلُّ شمس عظمى من برج آخر .

---

[١] طائر الهُما هو طائر وهمى يشبه العنقاء ، ويقال إنه لو سقط ظلُّ جناحه على إنسان صار ملكًا .

٣٥- حينما تُطلق سهمَ عزمك من شصِّ الاقتدار ، فلينطلقْ على ساحةٍ تـشبه الدعاءَ المستجاب .

٣٦- حيثما تذهب فليكن الإقبالُ والسعادةُ هما عنانُك ، وحينَ تثوب فليكنْ الفتحُ والنصرُ هما ركابُك .

أيضًا قصيدة فى مدح أمير تاج الدين على سر بدارى (ص١٩ - ٢٠)

١- المنَّةُ لله أن نشرت الشمسُ ظلَّها مرة أخرى على أهل خراسان وهى آمنةٌ مستقرة .

٢- وأداءُ الشكر حتى الأبد لا يكفى ، لأن عرشَ العزَّة قد تشرَّف ثانيةً بالملَـك الموفق .

٣- ملكُ الآفاق تاجُ الملك والدين الذى أمام رأيه تصير الشمسُ الساطعةُ مجرَّد ذرَّةٍ هابطة .

٤- هو إسكندرُ المملكة الذى لو وَجَبَ أن يصير نبعُ ماء الخضر شرابًا لأجله ؛ فذلك من لطف الحقِّ .

٥- هو ذلك الذى فى ليلة القدر يغمس قلمه فى المسك (الدواة)، وينقش علــى الياقوت الصافى (الورق) نقشَ السعادة ليوم العيد .

٦- حين تنشر شمسُ عَدْله ظلَّها على العالم ، تقصر يدُ ضوء القمر الظالمة عن علق الكتّان .

٧- وأرى أيضًا من تأثير عدله الشامل على الفلك أن الأسدَ يتحاشى الثورَ عن عمد .

٨- ومن فرط كرمه فإنَّ لكفّه فى كل فصل فى عام القحط فتحَ باب الخــزائن لأجل الخلق كافة .

٩- لو وجد السحابُ مددًا من بحر يده الفيَّاض ، فإن كلَّ قطـرة واحـدة منـه تصير جوهرا نفيسًا .

١٠- حين استيقظت عينُ حزمه من نوم العدم ، لم تعد تَرَى الفتنةُ اليقظةَ فـي الوجود إلا فى النوم فقط .

١١- وحين أطاح حزمُه فى الدنيا بعادة الطُّفح هكذا ، فإن أهـلَ الفطنـة الآن يشربون لأجل اليقظة .

١٢- فى يوم الوغى يتعامل رمحُه مع روح الأعداء ، ذلك الذى يتعامـل بـه الشهابُ فى الليل مع تماثيل الديوان .

١٣- ما أن يراه عدوُّه حتى يئنُّ من حمل الغم على قلبه ويصيح : ويلى مـن هذا الموقف الصعب ؟ أى خراج لى من هذا الخراب ؟

١٤- طالما يغطى حاسدُه وجهَه بصفرة اللون ، فإنّه يخضّب وجنتَهـه دائمًـا بدماء قلبه .

١٥- حينما رأى " ابنُ يمين " لطفَه وعنفَه فى يوم التريكة ويوم العريكة ، وأنه للأولى بالروح والراحة وللثانية بالحرقة والانصهار .

١٦- حتى اختار خاطرُه الوقّادُ من بين أشعاره هـذين البيتـين علـى سـبيل التضمين مطابقةً لحاله :

١٧- لو هبَّ نسيمُ لطفه على غابة الأسود ، تنبعث نافجةُ غزلان الصين مـن فك أسد الغاب .

١٨- ولو عبرت سمومُ قهره على صفحة البحر ، فإنَّ زعانفَ السمكة المدرَّعة تنصهر فى الماء .

١٩- أيها الملكُ ، منذ بدء الخليقة جاءت الشمسُ مثل العنان فى قبضتك وجاء الفلكُ مثل الركاب لاصقًا بقدمك .

٢٠- ما إنْ رأت الشمسُ نورَ رأيك الذى هو زينةُ العالم ، حتى أخفتْ وجههَا حياءً وتوارت بالحجاب .

٢١- كى لا يملُّ خاطرك العَطِرُ هذا المديح ، فأنا أبادر بأن أختمه بالدعاء المستجاب .

٢٢- طالما يشرق الصبحُ الفضىُّ الشكل من مشرق الجمال ، وطالما تسرع الشمسُ الذهبيةُ الهيئة صوب المغرب .

٢٣- ليكنْ مستعدًّا لأجل خيمة جاهك ، من ذلك الأول - الصبح - عمودٌ فضىٌّ، ومن هذه الأخرى - الشمس - طنابٌ ذهبىٌّ .

وله أيضًا فى التوحيد (ص ٢٠-٢١)

١- يا قلبُ ، إنْ كان لك شوقٌ إلى معرفة طريق الحقِّ ، فاعرفْ نفسك - أولاً - لأنَّ مَنْ عرف نفسَه عرف ربَّه .

٢- إنْ لم يبقَ وقتٌ للسعادة فلا تجعلْ للحزن طريقًا إلى نفسك ، ذلك لأنَّ الوقتَ يمضى والسعادةُ هى الباقية .

٣- إنه يطلُّ علينا برأسه من النافذة كلَّ لحظة بشكل آخر ، فهو تارةً الماء وتارة النار وتارةً التراب وتارةً الهواء [١] .

٤- تارةً ملاكٌ وتارةً جنىٌّ وتارة آدمىٌّ ، وتارة شيطان دميم الهيئة وتارة حوراء عذبة اللقاء .

٥- فمنه أيضًا النور والظلمة، ومنه أيضًا الكفر والدين ، ومنه أيضًا الحوادث، ومنه أيضًا درجة الصفاء .

---

(١) أعتقد أنَّ الشاعر فى القصيدة كلها يعبر عن فكرة وحدة الوجود، وأن الوجود، إذا نظرت إليه من حيث الذات، فهو الله الخالق، ومن حيث الصفات فهو المخلوقات على اختلاف أشكالها، كما ورد فى القصيدة كلها .

٦- كلُّ لحظة يصنع مثل العروس البضّة جلوةً أخرى ، فتــارة هــو علــى الأرض شجرةُ السَّرو وعلى الفلك نجمُ السُّها .

٧- المعنى واحد لدى أهل العقل والبصيرة ، مع أنّه عن طريق الصورة لاحدٌ له ولا نهاية .

٨- إنْ كان له فى الحقيقة مائةُ اسم ، فهذا جائزٌ على اتفاق مذهب أهل النهى.

٩- فالشيء الذى يكون يكون بلا نقص أو زيادة ، وذلك نفسه الذى لا يكون لا يكون مثل السيمرغ والكيمياء .

١٠- تتعاقب الحقبُ وما فى هذه الجُعبة المذهَّبة لم يزدْ حجــرًا واحــدًا، ولــم تنقص منه جوهرةً واحدةً .

١١- لو اختفى صقرُ النهار الأبيض تحت جُنح غراب الليل الغربيب فلا تظننَّ أنّه الفناء .

١٢- المكانُ الذى يكون حالكًا من غيبته هو الدنيا ، والمكانُ الآخر المــضىء من شعاعه هو الآفاق .

١٣- بالأمس مضى زاهدًا فى خِرقة ، واليوم هو عابدٌ فى قباء .

١٤- أنت المقصود بهذين الكونين فلا تخشَ " الفناء " ، فلــك " البقــاءُ " مــن المنبع مثل ماء الحياة .

١٥- يا قلبُ ، لقد أظهر " ابنُ يمين " لك طريقَ الحق ، لو تأتىَّ لك صــوابٌ غير هذا الطريق فهو الخطأ بعينه .

وله أيضًا (ص ٢١- ٢٢)

١- أيها المتأملُ فى معرفة حال الكائنات ، يتحتَّم أن يكون لك نظرٌ فى ســرِّ الأنات .

٢- اعلمْ أنْ أساسَ الأمور كلّها على سبعة وأربعة [١] ، وهذا الرأى ثابتٌ وليس ادعاءً .

٣- من تلك السبعة ومن هذه الأربعة التى مجموعها إحدى عشرة يكون الآباء السبعة والأمهات الأربع .

٤- ويأتى من الآباء والأمهات ثلاثة أبناء هى الحيوان والمعادن وثالثُ ثلاثتهم هو النبات .

٥- ويأتى نتاجُ هذه الدنيا كله من هذه الأبناء الثلاثة ، فارقبْه فى البحر إنْ شئتَ أو اطلبْه فى الفلاة .

٦- وانظرْ هناك صوب ديوان النجوم ، فالمكتوب يجرى فيه بغير قلم ولا دواة .

٧- فتارة يصل أمثالُ النابهين إلى خيبة الأمل ، وتارة تكون البراءةُ من نصيب المجانين .

٨- وتارة يذهب " البيدقُ " من " الرخ " فى رقعة الفلك ، ، فألقِ " بالفيل " أمام الملك وقلْ : مات الملكُ [٢] .

٩- يا قلبُ ، فى الطريق رموزٌ وإشاراتٌ عديدة ، فالزمْ قانونَ العقل واسلكْ طريقَ النجاة .

١٠- لو تعتقد أنَّ هذا كلَّه موجودٌ بنفسه ، فلماذا - إذن - صار ذلك جمادًا وصار هذا ذا حياة .

---

(١) أى السموات السبع والنجوم السبعة والعناصر الأربعة التى هى أصل الخليقة .

(٢) هنا إشارة إلى رقعة الشطرنج وأدواتها فى الفارسية ، والتى تقابل فى العربية الحصان والطابية والفيل ، وجملة : " كِش ملك "

١١- مَنْ ذلك الذى جعل البحرَ فى مكان واحد ، ومن حكَمَ على دجلة والفرات بالجريان .

١٢- لو ذهبتَ إلى أنَّ كلَّ صورة موجودةٌ بنفسها ، لما أتيتَ أقلَّ من وَعْلٍ جَبَلى ومن شاة صحراوية .

١٣- مع أنَّ صورَ الأجرام بلا عدد ، فإنها على الجملة ليس لها ثباتٌ غير واحد .

١٤- كلٌّ واحد يقبل الفيضَ دائما مثل الآخر ، ومع أنَّ الناى يئن فإنَّ الفتاتَ لا يصير مثل الناى .

١٥- الخلقُ كلُّه معترفٌ أنه الخالق ، حتى هؤلاء الذين يسجدون لـ " العزَّى" و " اللَّات " .

١٦- كلُّ جوهرٍ وَعَرضٍ تراه مثلَ الممكن ، يعدُّه العقلاءُ واجبًا بذاته .

١٧- الذاتُ التى لا ترى فى مبادئ إيجاد جوده للبنين فضلاً على البنات فى أىَ الأفضال .

١٨- لهى لذلك الحىُّ الذى لا ينام ؛ لأنَّ ذاتَه قد فرغتْ من الأزل حتى الأبد من النوم ومن السبات .

١٩- يعبده ذلك الذى يكون العقلُ مرشدَه ، سواء من مكة أو من سومنات .

٢٠- حيثما يمضِ أحدٌ فلن يخرج من ملكه ، سواء أكانت " مرو " و " بلخ " منزلَهُ أم " هرات " .

٢١- حينما يكون اتِّباعُ واضع الدين واجبًا عليك ، وأنه فرضٌ على كل إنسان حتى الموت .

٢٢- فحين تتبع سلطانًا مرةً فتسلحْ بالشرع ، حتى تقطع الطريقَ إلى روضة رضوان بعد الممات .

٢٣- واحفظْ دينَ محمد المرسل الذى يقترن اسمُه فى الصلاة باسم ذى الجلال.

٢٤- كلُّ مَنْ لا يطلب الشفاءَ لآلامه عن طريق حبّه ، لا أملَ له فى النجاة حين تدركه الوفاة .

٢٥- لو كنتَ منكرًا لكلام " ابن يمين " ، هات الذى عرى بـك يـا منكـرى وهـات [1].

٢٦- كنتُ أريد أن تكون القافيةُ واحدةً ، حتى لا يختلط معا الحنظـلُ وسـكّرُ النبات .

٢٧- فنظرتُ إليها لأنَّ طبعى ضعيفٌ فى تكرارها ، ويحدث التفاتٌ مـرة أو اثنتين عن طريق الغفلة .

٢٨- حقًّا يليق ألاَّ يشربوا من ذلك الماء ؛ لأنَّ العذبَ والمالحَ ينبعان من قنـاة واحدة .

٢٩- ياربُّ ، بحق نور محمد الطاهر ، اعفُ عن ذنوب " ابن يمين " لأنه كان عاصيًا حتى الوفاة .

٣٠- لا تطلبْ الطاعةَ من المفلسين الآثمين ، فحسَب الشرع لا يطلـب أحـدٌ الزكاةَ من المفلسين .

أيضًا فى التوحيد (ص ٢٢ - ٢٣)

١- أيها القلبُ الغافلُ ، اعلمْ أن أحوالَ العالم سيئةٌ ، وليس لجـرح حادثـات الدهر أىُّ علاج مطلقًا .

٢- حينما لا يجد أحدٌ السعادةَ فى كلِّ أنحاء البسيطة ، تقول : إنه ليس تحـت قبة السماء شىء مطلقًا سوى الغمِّ .

(١) هذا البيت من الملمع أى شطره الأول من الفارسية وشطره الثانى من العربية ونقلته كما هو فى الديوان .

٣- مع خريف العمر وبرودة أنفاس رياح الفناء ، فإذا ما وُجد ربيعُ العمر فلا سعادةَ فيه مطلقًا .

٤- عُرسُ أيام الولادة وتلك السعادةُ والتبخترُ ، أمامك هذا الغَمُّ الذى يعقبه المأتمُ ليس بشىء مطلقًا .

٥- مادام الإنسانُ مجرد حفنة تراب على طريق رياح الفناء ، فاعلمْ بعد ذلك هذه الحقيقة ؛ إنَّ ما بينه حتى آدم ليس بشىء مطلقًا .

٦- لا أحدَ يعلم ما أحوال الفلك الأعلى ، فعلى الأقل ما تحت جُنح الفلك الأعظم ليس بشىء مطلقًا .

٧- ألا تعلم أنَّ الدنيا من الظاهر ملساءُ خادعةٌ ، ومن الباطن ليس بها شىء مطلقا سوى السم النافع .

٨- حتَّامَ تصير دورةُ الأرض فى مدار الفلك ، فهى مثل الفلك ليست بشىء مطلقًا بسبب هذا البعد .

٩- لقد أخذنى خضمُ دوامة اليمّ من بعد يُسر ، فلو تعلم أنه لم يعد فى كفّ اليمّ شىء سوى الرياح .

١٠- السحابُ مع ضخامته وكنوز جواهره ، لا يتأتى منه شىء مطلقًا سوى قلب ملتهب – البرق – وعين ندية – المطر .

١١- إذا كان لسليمان بالخاتم مُلكُ الجنِ والإنس ، فقد ذهب المُلكُ أدراجَ الرياح، ولم يعد للخاتم أىُّ نفع مطلقًا .

١٢- كانت فترةٌ استولى فيها "جم"[1] على كأس المُلك ، والآن لم يعد من الكأس ومن " جم " علاقةٌ مطلقًا سوى الاسم .

---

(١) مرخَّم " جمشيد " وهو – بناءً على قصص " الشاهنامه " – الملك الرابع فى أسرة البيشداديين ، وتعنى الملك العظيم عالى القدر (فرهنگ عميد) .

١٣- لا يتفق التدبيرُ مع تقدير الحقِّ ، فإذا ما حُمَّ القضاءُ فلا جـدوى لـنفس عيسى ابن مريم مطلقًا .

١٤- الحيلةُ في معضلات الأمور هي تركُ الحيلة ، حينما لا يكون هناك مفـرٌّ مطلقا بغير الامتثال للحُكم المبرم .

١٥- قبل هذا لم يأتِ منك أمرٌ له قيمة مطلقًا ، وذلك الذى تتوهمه الآن لـيس بشيء مطلقًا .

١٦- اقتدِ بالشرع، فهذا هو ديدنُ " ابن يمين " ، وما تفعله خلاف ذلك زيـادةً ونقصًا ليس بشيء مطلقًا .

١٧- فلتكنْ العروةُ الوثقى آمنةً دائمًا من الانفصام ، فليس غيرَ شرع المصطفى في كلِّ العالم أيُّ شيء مطلقًا .

وله أيضًا في تعريف بناءٍ ومدح بانيه حكيم الدين (ص ٢٣- ٢٤)

١- هذا المنزلُ المبارك هو واهبُ الروح حقًّا ، بل إنَّه من الحبـور وطيـب النفس خلدٌ آخر .

٢- هواؤه يحرق مثل النارغمَّ القلوب ، وتقول إنَّ ترابَه من " إرم" [1] وماءَه من " الكوثر " .

٣- إنَّ وضعَه جدُّ آسر للخلق ، فعسى أن تكون حجارتُه من الجوهر وآجرُه من الذهب .

٤- لا يضاهيه في النزهة واللطافة والرِّفعة مكانٌ آخرٌ ولو كانت الروضة.

---

(١) حديقة "إرم" بناها " شداد " لقوم " عاد " بديلاً عن الجنة . وقد هدمها الله تعالى طبقًا لقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ (سورة الفجر آية ٦،٧) .

٥- الكأسُ المظهرةُ للعالم التى يدعونها بالشمس ، تبدو مكدَّرةً أمام صفاء ظلِّ كئوسه .

٦- حينما تسقط على الأرض صورُ كئوسه ، فإن ساحتَها تبدو مثل سقف السماء الملبَّدة بالنجوم .

٧- إذا لم يجعل بانيه أىَّ صور فيه فذلك حتى لا يخالف شرعَ النبى .

٨- فخرُ الرسل محمد المرسل الذى يتقدم ركبَ الأنبياء، ويكون على رأسهم مثل التاج .

٩- ذلك السيد الذى يعدُّ جبريلُ خادمَه ، فما أحقر هذا الجاه أمام جلاله .

١٠- لا تطلبْ الشهرةَ يا " ابنَ يمين " بغير نعته ؛ ذلك لأنَّ ظهورَ الذرَّة يكون أكثر نورًا بالشمس .

١١- لقد مضينا إلى تخلص هذا الشعر المونق ؛ لأننا إذا مضينا هكذا يكون أكثر صفاءً .

١٢- لا .. لا ، فحينما لا تكون المرآةُ المظهرةُ لصفاتك مثل صفاء آجره فتقول إنَّ المصوِّر .

١٣- هو حضرةُ حكيم الملَّة والدين الذى تكون ذاتُه الشريفةُ مقتديةً بلطف الحقِّ لأجل أهل الفضل .

١٤- كلُّ حقيقة كانت خفيةً على الكتب السبعة هذه ، تبدو لرأيه الأنور واضحةً كالشمس .

١٥- يا أفصحَ زمانه ، إنَّ ألفاظَك العذبةَ بمثابة اللبن والسُّكَّر لببغاء الروح .

١٦- ويكون خصمُك ذليلاً كالرياح ، ولهذا السبب تمتلئ عينُه وقلبُه دائمًا بالدَّمع والحرقة .

١٧- فليكنْ حظُّك خالدًا مثل القطب ، وتعلو شمسُك على الرءوس حقًّـا مثـل الظِّل .

١٨- يا علاءَ الدولة والدين شمسَ الملك ، الذى تكون الأقاليمُ السبعةُ فى حمى ظلِّه .

١٩- وتتمنطق النجومُ بمنطاق خدمته ، انظرْ إلىَّ بصدق لأننى واحدٌ من تلـك النجوم .

٢٠- فلتكنْ خالدَ العمر حتى تبقى فى هذا البناء الذى هو أفضلُ مقام تمَّ تشييده.

وله أيضًا فى مدح الوزير علاء الدين محمد (ص ٢٤ – ٢٥)

١- سعد اليوم قلبى وابتهج ، وذلك لمقدم الوزير الأعظم .

٢- الوزيرُ ملاذُ الروح الذى مع دولته الفتيَّة ، يكون العقلُ الحصيفُ رفيقًـا لطبعه من البداية .

٣- صاحبُ المُلك والدين الذى يصير أساسُ الدين وقاعدةُ المُلك محكمين من يُمنه وجوده .

٤- رفيعُ الشرف علاءُ الدولة والملَّة محمد ذلك الذى خُلُقُه متـصفٌ بـنفس عيسى ابن مريم .

٥- روحُ الكرم ودنياه ذلك الذى تُعد ذاتُه هى شكل الروح المجـسمة بـسبب لطفه .

٦- لطفُه الشاملُ يجعل تلك القطرةَ التى لِثَة الأرقم ترياقًا منعشًا للروح .

٧- سيفُه من شُعَل النار مثل البرق يجعل حمًّى دائمةً تنخـر فـى أعـضاء الضيغم .

٨- خوفاً من أسد راية عدله يكون الذئبُ دائمًا مثل الكلب المدرب على الحفاظ على القطيع .

٩- دائمًا طرّةُ الليل الحالكة من أجل رايته مثل علم على سنان الشهاب .

١٠- السحابُ دائمًا ذو صدرٍ مضطرم بالنار وعين دامعة غيرةً وحسدًا من كفّه ناثرة الجوهر .

١١- بلاطُه قبلةُ آمال أهل الفضل؛ لذا فهو منيع ومكرم مثل حرم الكعبة .

١٢- أيها الصاحبُ الذى حُكْمُ قَدْر اقتداره مبرمٌ مثل قضاء الفلك الدائر .

١٣- كشف رأيُه الحجابَ عن رسول الغيب ولا عجب فى هذا ، فالدنيا أيضًا محرمٌ له .

١٤- يرى النرجسُ أثرَ العظمة فى جبينك على الرغم من أنَّه كفيف البصر .

١٥- إذ يصير السوسنُ رطبَ اللّسان بمدحك ، فيقول : أعطهِ لسانًا متحدثًا رغم أنَّه أبكم .

١٦- تحسد روحا " حاتم الطائى " و " رستم " وجودك وقت العطاء ووقت النزال .

١٧- ذاتُك عالمٍ مبرأ من الفساد ، لا .. لا.. بل ذاتُك الطاهرةُ موضعُ إقبال العالم .

١٨- خمَّروا ذلك الطينَ الذى هو خلقُ حواء وآدم فى الأزل من تراب بلاطك.

١٩- إذا كانت ذاتُك قد تأخرت فى الزمن عن الفلك، لكنها مقدمةٌ عليه من حيث الدرجة والمرتبة .

٢٠- الهلالُ نعلُ جوادك، ولهذا الشرف علَّقه الفلكُ قرطًا فى أذنه .

٢١- رأى العدو فى خشيةٍ من سيفك الصقيل دليلاً قاطعًا؛ فهو لهذا خاضعٌ له.

٢٢- أيها العظيمُ ، يا مَنْ قلمُك آيةُ العدل ، وعندئذ فإنَّ الآيةَ المدغمةَ فيه هـي المُلكُ .

٢٣- ولعلَّ العقلاءَ يقولون إن الغزالَ كان توأمًا للشبل فى دنيا عدلك .

٢٤- حينما يكون " ابنُ يمين " مادحَ تراب جنابك ، فتأملْ نظمَه لأنَّه فى لطف ماء زمزم .

٢٥- وأنا ألحقُ الآن مع مدحك دعاءَ الخير ؛ إذْ يطيب مع المديح إلحاقُ الدعاء أيضًا .

٢٦- فليكنْ جوادُ الأيام سلسَ القياد لك طالما يتعاقب جوادُ النهار وجوادُ الليل.

٢٧- أنت مثلُ " جشميد " فى الطلعة ومثلُ كأس جمشيد فى الـرأى ، عنـدما يكون للخلق حديثٌ عن الكأس وعن جمشيد .

قصيدة أيضًا له (ص ٢٥ - ٢٦)

١- أنت يا مَنْ رأيُك المنيرُ كاشفٌ أسرار الفلك ، يا مَنْ ضـميرُك مظهـرٌ لأنوار السعود .

٢- أنت يوسفُ مصر ، وقد نصبك عزيزُ الآفاق كلِّها أميرًا على كل الخزائن فى الدنيا .

٣- أيها الأميرُ محمد أنت ذلك الشبيه بـ " علىٍّ " شجاعةً ، وليس لك نظيـرٌ فى عهدك .

٤- يصير خصمُك - وليبقَ ضائعًا فى دنياه - مثلَ الغراب فـى المعركـة حينما يستقر سهمُك فى القوس .

٥- كلُّ وقت تصوِّب فيه سنانَك على قلب العدو، ولو كان حديـدًا أو حجـرًا يبدو لك مثل الحرير .

٦- درُّ أنوارك المنثورُ خارجٌ عن الوصف ، ويتقاماً الكرمُ أمام فيض كفِّك.

٧- اجلسْ سعيدًا مثل رضوان فى المحفل الشبيه بالجنَّة ؛ لأنَّ الحورَ يحرقون عبيرك فى المسك .

٨- لا عجب أن يحضروا لك العصيرَ أثناء المحفل من عنقود العنب الملقب بالثريا .

٩- حينما يقع بصرُ الشاب والشيخ على وجهك ، يريان لك حظَّ الشباب مع علم الشيخ .

١٠- اجتهدْ فى العناية بخادمك " ابن يمين "؛ ذلك لأنَّه لن يكون لك غنى عن مثلى .

١١- لتبقَ بك دنيا الكرم عامرةً ، ولتبقَ مالكًا لهذه الدنيا طالما هى نصيرُك.

أيضًا له فى مدح تاج الدين على (ص ٢٦ – ٢٧)

١- ذلك الذى يدُه وقلبُه مظهران للجود والكرم ، وذلك الذى فى الجود والعطاء مثل " أفريدون " و " جم " .

٢- هو "خواجه على" قدوةُ ملوك العالم وقِبلتُهم ، هوعونٌ لمُلك العرب ومَلِكٌ لمُلكِ العجم .

٣- وذلك الذى فى وقت الوغى يهيئ سيفَه من دماء قلب خصمه نهرًا للنيل؛ لأنَّ سيلَه كلَّه ماءٌ أحمر [١] .

٤- ماذا عن فكره الصائب ورؤيته الثاقبة ؟ إنه رأى وعلم كلَّ ما خُطَّ على لوحة التقدير الإلهى .

---

(١) حرفيًا : ماء بقم ، وهى شجرة لونها أحمر (فرهنگك عميد) .

٥- هو من حيث الذات مثل "عيسى" و "الخضر"، ومن حيث السيرة مثل "محمد" ، فهو سعيدُ الخطو ومباركُ النفس وميمونُ القدم .

٦- كلُّ مَنْ أعطاه الحمايةَ فى بلاطه من حادثات الدهر ، صار آمنًا من ذلك مثل صيد حرم الحرم .

٧- وإذا لم تضمنْ همَّته الرزقَ، فإنَّ ذلك القابعَ فى العدم لن يقصد صحراءَ الوجود .

٨- مع أنَّ مناجمَ الفضّة والذهب أكثر من ذى قبل ، فإنها فى وقت العطاء تتقاما أمام كفِّه ناثرةِ الدُّر .

٩- لا يتشابه السحابُ فى العطاء مع فيض كفِّه ، ذلك لأنَّ عطاءَ السَّحاب متفاوتٌ وعطاءُ كفِّه متدفقٌ كلَّ لحظة.

١٠- كلمةُ " لا " تأتى فى كلامه أثناء التشهد فقط ، وحين يفرغ منه فإنَّ صيغةَ لفظه هى " نعم "[١] .

١١- سحبُ الربيع منافستُه ولكن ليس فى الجود ، بل من ناحية الحرُقه والدمع فى قلبها وفى عينها .

١٢- ليس لسهم عدله انحرافٌ إذا ما صُوِّب باستقامة ، مع ما فى ظهر القوس من اعوجاج والتواء وانحناءة .

١٣- أيها الملكُ كلُّ مَنْ ينصرف عن بابك لحظةً ، يظلُّ حتى القيامة أسيرَ الندم من هذا الغبن .

١٤- تصير الزوايا الأربعُ لمائدتك مثلَ وعاء الحساء ، ولو رغب الطامعُ تصير كلُّ أعضائها مثل جوف الكأس .

---

(١) فى هذا البيت تأثر واضح بقول الفرزدق فى مدح الحسين بن على رضى الله عنهما :

ما قال (لا) قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نَعمُ

١٥- كلُّ مَنْ يراك مع جيشك العرم يقول إنك شمسٌ وسط حشم من النجوم .

١٦- استوليتَ مثل الشمس على كلِّ الآفاق بسيفك ، ومن ذلك تكون طرةُ ظفرك علمًا خفاقًا .

١٧- من فرط عَدْلك ، صار المظلومُ يمضغ الظالمَ ، مثلما صار طعامُ النمل من قلب أسد الغاب .

١٨- كلُّ مَنْ لا ينصهر مثلَ الذهب في بوتقة إخلاصك ، يكون مضروبًا مثل العُملة ومطحونًا مثل الدرهم .

١٩- يكون قلبُ عدوك دواةً فى طريق معتم ، لكنَّه مقلوبٌ جدًّا ومقصوفُ الرأس والقدم مثل القلم .

٢٠- أيها الملكُ ، سالكُ الطريق القاصدُ بلاط جلالك ، أحبُّ إليك من كافة العبيد والحشم .

٢١- فخاطبَ ابنُ يمين " عقلَه قائلاً : أتعرفُ ما عيبُ " ابن يمين " هذا المجروحُ بسهم الظلم المنطلق من قوس الفلك ؟

٢٢- فسحب العقلُ آهةً من القلب وقال بألم : عيبُه أنَّه فقيرٌ ومتَّهمٌ بالحصافة والتعقل .

٢٣- ياحامى حمى الدين ، حينما سعد بك قلبُ أهل الفضل ، فلا تسعدْ كثيرًا لأنَّ نصيبَهم من الفلك كلُّ الأحزان .

٢٤- إذا لم تفكِّر فى شأنهم فماذا يفعلون بعد ؟ أين فى كلِّ العالم ملكٌ مثلك عالى الهمم ؟

٢٥- طلبُ رغبة القلب من الآخرين مع وجود كريم مثلك ، يشبه طلبَ اللَّحم والدَّسم من عصفور .

٢٦- دائمًا ما يكون حديثُ أهل الفضل نابعًا من رأس الحكمة والمعرفة ؛ لأنَّ معطى الرزقَ للخلق هو كرمُ ذى النعم .

٢٧- فليكنْ كرمُك ضامنًا لأرزاق الخلق ، ذلك لأنَّ كفَّك المعطاء هــى مــنجمُ الكرم .

٢٨- فليكنْ مجلسُ أنسك ذا بهجة دائمًا مثل حديقة " إرم " ، فالعالمُ ينعم بعَدْلِك مثلما ينعم بـــ " إرم " .

أيضًا له (ص ٢٧ – ٢٨)

١- يا مَنْ أنت ظلُّ الله ، أنت كالشمس تنشر التربيـــةَ علـــى رأس الخاصـــة والعامة .

٢- طالما تدور دوراتُ الفلك حول البسيطة ، فلن يقوى أحدٌ مثلَك على أمـــر التربية .

٣- فإنَّ مهندسَ فكرك قد حاك لك الشمسَ على كلِّ قلب بإبرة التربية .

٤- أنا العبدُ الذليلُ لأننى لم أتغنَّ بلطفك مدةً بلفظٍ محمَّلٍ بجوهر التربية .

٥- فإذا لم أغادرْ المنزلَ مثل الذرَّة فترةً، فلأنَّ أنوارَ التربية تسطع من شمس رأيك .

٦- ولو صار حاسدٌ مانعًا لذلك فسوف أعاجله من بحر جودك بجوهر التربية النفيس .

٧- الشكرُ لله أن انكشف أمامك ثانية أمرُ ذلك الذى أنكر التربيةَ فى حقى

٨- بالأمس قال فخرُ الملة والدين، ذلك الذى يدرك عقلُه جيدًا طريقةَ التربية وأسلوبَها .

٩- لأننى سمعتُ من " آصف " زمانه بعد هذا أنْ قال : إنَّ " ابـنَ يمـين " جديرٌ بالتربية .

١٠- فقلت : بلى . وليس فى قولى هذا شبهةٌ ، ذلك لأنَّه يصل إلىَّ دائما آثـارُ التربية .

١١- فإنَّ أخبارَ التربية فى حقِّى قد شملت مثل صيت عدله الشامل كلَّ أرجاء البسيطة .

١٢- ولو أدخلنى فترةً إلى ظلِّ لطفه فى تلك الدوحة المباركة المحمَّلة بثمـار التربية .

١٣- فلن يأسف فى النهاية؛ لأنَّ بلبلاً صدَّاحًا مثلى محرومٌ، ولا حظَّ لـه مـن روضة التربية .

١٤- طالما عادةُ أهل الكرم أن يضعوا على كتف فضلاء العالم حملَ التربية.

١٥- فلتكنْ أدرارُ التربية متدفقةً من عامل ديوان لطفه على أهل الفضل بصفة متصلة .

قصيدة (ص ٢٨)

١- لأنَّ "ارغو نشاه " هو ملكُ العالم " ، فقد صارت للعالم الكهل دولةٌ فتية .

٢- ملاذُ المُلك " ارغو نشاه " العادل ،الذى هو للمُلك بمثابة الروح للجسد .

٣- من يُمن عدله صار " سيمرغُ " الفتنة منزويًا فى زاوية القوس

٤- وصار " عقابُ " رايته مثل " الهُما " علامةً خاصةً بالسلطان .

٥- طالما تجد الدنيا النفعَ من عَدْله ، فإنَّها فى أمان من حادثات يأجوج .

٦- إنْ تسـلْ عن العـدل والعطـاء ، فمـاذا أقـول ؟ وأىُّ مكان لـ "حـاتم" و "أنوشيروان" ؟

٧- انظرْ إليه في وقت العريكة ، ولا تتحدثْ عن ابن دستان [١] ؛ لأنّه صار خرافةً باليةً .

٨- وتأمّله في وقت التريكة ، ولا تتحدث عن الربيع؛ لأنه صارَ في نثر الذهب [٢] مثل الخريف .

٩- أنا لا أدرى أذاك خريفٌ أم ربيع ، أنا لا أعلم أهذا ربيعٌ أم خريف .

١٠- مرحى لـ " ابن يمين " حين يقول : ألا أقبلْ أيها الساقى بالصبوح لأنّ الروحَ تهنأ فى مَحْفله .

١١- ألا يا خفيفَ الروح ألا اذهبْ وقدّمْ القدحَ الثقيلَ ، لأنّ المساءَ قد حلّ وهذا موعدُ الشراب .

أيضًا له قصيدة (ص ٢٨ – ٣٠)

١- ما إنْ أشْعلَ الفلكُ من الشمس شُعلةً ، حتى شملت النارُ كلَّ الآفاق [٣] .

٢- وما إن استلّتْ الشمسُ سيفَ الضياء حتى حطّمت جيشَ الظُلْمة، واستولتْ على إقليم النجوم .

٣- وأظهر صائغُ الفطرة صُنْعَه بلطف ، وغلّف قصرُ الزمرد أساسَه بغلاف ذهبى .

٤- وحلّق صقرُ الفلك الأبيض (النهار) فى الأفق ، وأخذ فى كنفه بيضةَ الغراب الأسود (الليل) .

---

(١) أى رستم بطل الشاهنامة .

(٢) أى المطر .

(٣) البيت كله كناية عن ظهور النهار .

٥- وأقبل الضحى من ناحية المشرق متوّجًا ورافعًا علمًا مـذهبًا، واسـتولى على المشرق .

٦- وأزاح الصبحُ الوضّاءُ بكل صفاءٍ طرّةَ اللّيل البهيم عـن وجنـة النهـار المشرقة .

٧- الضحكةُ خاصّيّةٌ للصبح الصادق ، ذلك لأنّه أخذ فى فمه مـن الـشمس قرصًا مزعفرًا .

٨- وحين أطلّ النهارُ برأسه من جيب الليل اللازوردى ، كانت الـسماءُ قـد أخذت زينتَها وزُخرفَها .

٩- فدلفَ من باب الحجرة معشوقى بكل دلال ، وأخذ مجلسى مائةَ صفاء من وَجْنةٍ تشبه الشمس .

١٠- وما إن وقع لــ " ابن يمين" نظرٌ على وجنته ، حتى انساب الغزلُ الندىُّ منه متدفقًا .

١١- يا قمرىَّ الوجه أخذت شمسُك (صفحة وجهك) بزمام قلبى ، فأىُّ سعادةٍ وتبخترٍ لقلبٍ استولى عليه آسرٌ مثلك .

١٢- وكيف لمَنْ اتّخذ خلافَ ثنية حاجبك قِبلةً أخرى أن يكون عارفاً بالمُلـك والدين ؟

١٣- وإذا ما تباهى القمرُ المنيرُ مع وجنتك فى أمر الصفاء ، حمل أهلُ الفطنة على القمر المنير .

١٤- عجز " آزرُ " الوثنىُّ عن أن يشكِّل صنمًا يشبهك ، مما دفع " الخليلَ " بلا شك إلى أن يستصغر شأنَه .

١٥- وإذا ما أصابنى جفاؤك فلن يكون مُرًّا علقمًا ؛ لأنّه حين عبر مـن بـين شفتيك أخذ طعم السُكَّر .

١٦- فلا تَجُرْ كثيرًا على القلب الذى سلك بروحه طريقَ العبودية للملك المظفَّر.

١٧- الملكُ الذى له عرشُ الإسكندر وتاجُ ملوك العالم ، ذلك الذى استولى مثل الإسكندر على كلِّ الدنيا .

١٨- وذلك الذى فى يوم الوغى صار لقوة الخنجر فى كفِّه لقتل أعدائه نغمةُ الناى .

١٩- هكذا لوَتْ قبضةُ عَدْله يدَ الظُّلم ، وفى إثر ذلك أخذت البقرةُ الوحشيةُ مكانَ الغضنفر .

٢٠- أيها الملكُ ، استولى على قلب " الفلك " ورأسه رغبةُ العبودية لحضرتك طمعًا فى نيل الشرف .

٢١- ورغبتْ " الجوزاءُ " فى أن تتمنطق بنطاق العبودية على بابه الميمون مثل باقى العبيد .

٢٢- أيها الملكُ الموفَّقُ ، يصفرُّ وجهُ شمس الظلم حسدًا من رأيك الساطع .

٢٣- حزمُك وقت الثبات وعزمُك وقت السرعة أصاب الجبلَ بالخجل، واستولى على سرعة ريح صرصر .

٢٤- تصل دعوى الإعجاز إلى قلمك ، ذلك لأنه قللَّ قيمةَ الجوهر وقت المشابهة به .

٢٥- لم يرَ أحدٌ مليكًا متوَّجًا مثلَك فى أىِّ عصر ، طالما شمسُ السماء تدور.

٢٦- كلُّ مَنْ اتبع " أبا جهل " فيما مضى ، قد سلك الآن طريقَ النبى طالما اشتد بك أزرُه .

٢٧- لقد أنشدتُ المديحَ طبقا لأوامرك ، فنال كاتبُ الفلك من ذلك فوائد جمَّة.

٢٨- لقد هبّتْ نسائمُ قبولك على شعرى المتدفق كالماء ، فانتشر بصيتك فـــى أرجاء البلاد .

٢٩- مع أنَّ لطيفَ الدنيا وشمسَ الأرض والزمان قد أثنى عليه أمامى عـــاطر الثناء .

٣٠- لكنك تعلم جيدًا حالَ شعرى فاشهدْ بذلك ، طالما أنَّ رديفَ القول ينشدون وينالون استحسانًا أفضل .

٣١- فأنا سأتوب عن قرض الشعر إنْ يكن فى كلِّ الدنيا ، مَنْ هو أكثر بلاغةً من شعرى حقًّا .

٣٢- وطالما كان واضحا فى كلِّ الدنيا عونُ " خالد "[١] ومساندةُ " قنبـــر " [٢] اللا محدودة لـــ " علىٍّ " فى فتح " خيبر " .

٣٣- فلتكنْ الروحُ عوناً لك فى الدنيا والدين ؛لأنها أطاحت برأس "عنتر " [٣]، واستولت على قلعة خيبر .

قصيدة فى تعريف بناء المسجد الجامع فى سبزوار ومدح بانيه " تاج الدين " (ص ٣٠-٣١)

١- حبذا بناءٌ هو قرينُ هذا الرواق الأخضر ، وهو فى عُلوِّه ســـماءٌ أخـــرى للأرض .

---

(١) هو خالد بن الوليد .

(٢) هو قنبر عتيق سيدنا على بن أبى طالب وغلامه .

(٣) أحد القادة اليهود من ذوى الأجساد الضخمة الذين تصدوا لعلى بن أبى طالب فى فتح خيبر، وتمكّن علـــىٌّ منه وقتله .

٢- لا يعلم أحدٌ إلى أين تنتهي قمتُه ، بل يعلمون قدرَه الذي يعلو علـــى إيـــوان زحل .

٣- القبّةُ الزرقاءُ (السماء) مع ما لها من علوٍّ تطلُّ به على عالم آخر ، فإنهـــا في غيرة من أعلاه وأسفله .

٤- حين يصعد المؤذّنُ إلى قمة إيوانه ، فله أن يحني قامتَه مثل الحلقة كـــي لا يصطدم باستدارة الفلك .

٥- لا يصل " جبريلُ " في تحليقه إلى قمّته ، مع أنّه وقت طيرانه يكون العرشُ تحت أجنحته .

٦- سقفُ هذه المقصورة ، ولتكنْ عينُ السوء بعيدةً عنها ، تناطحُ سقفَ السماء الرحيب من الرِّفعة .

٧- ليس لهذا البناء أيُّ قرين في الدنيا ، فهو نفسُه البناءُ الذي يحمل اسمَ الحاكم.

٨- مع أنّ بناءً على هذه الشاكلة يكون مُحكمَ الغلق ، فإنه يكون سهلاً ميـــسورًا لمن هو عونٌ للدولة .

٩- لا يأتي من الحجارة والجَصّ والتراب بناءٌ مثله ، وربما لأنّ ترابَـــه مـــن المسك وجصُّه من الكافور وحجارتَه من الذهب

١٠- يسمونه المسجدَ الجامعَ ولكنّه الجنّةُ ، والفوارةُ التي به إنْ هي إلا حـــوضُ الكوثر .

١١- ما إنْ يندفع ماءُ تلك الفوارة من فتحه الأرض إلى أعلى حتى يصير الهواءُ من قطراته رطبًا نديًّا دائمًا .

١٢- يظلُّ المعتكفُ فيه خالدًا مثل الخضر ، ذلك لأنّ ماءَه واهبٌ للروح مثل ماء الحياة .

١٣- إذا كانت الجمعةُ هي حجُّ المساكين في كلّ جامع ، فإنها في هذا الجامع لها رتبةُ الحج الأكبر .

١٤- لا يمكن أن يوجد فيه منزلٌ واحدٌ غير معمور ، وياللعجب فى ذلك لأنَّ بناءَ سطحه على هيئة كرة غبراء .

١٥- سقفُه من حرارة شُعل قناديله يشبه سقفَ هذا الــرواق الأزرق (الــسماء) الملبَّد بالنجوم .

١٦- حيثما تشاهد بابًا فيه ، فعلى ذلك الباب على سبيل الحشمة رداءٌ عن أطلس الفلك .

١٧- كلُّ من كان عارفًا فإنَّه يستحسن هذه الستائرَ المذهَّبةَ حتى يجعل منها حجابَ القلب .

١٨- وحيثما تشاهد فيه آجرًا أبيضَ وأحمرَ ، لا يأتى فى خيالك آجرًا بــل مــن الفضَّة والذهب .

١٩- أنا لم أخطئ ، فماذا تكون الفضةُ والذهبُ وآجرةُ القمرُ والشمسُ حَسْبَ رأى وزير العالم الصافى .

٢٠- آصفُ الأيام تاجُ الملَّة والدين الذى تتشرف الشمسُ بأن تجعل ترابَ أعتابه تاجًا لرأسها .

٢١- ولأنَّ العَرضَ لا يقوم بغير ذات الجوهر ، فإنَّ الدولةَ هى ذلك العَرض، لأنَّ وجودَه هو الجوهر .

٢٢- يكون " رستمُ دستان " من عبيده وقت العريكة ، و " حاتمُ الطــائى " مثــل الخادم له وقت التريكة .

٢٣- وقت السخاء لا تقارَنُ سحبُ الربيع بمنجم كفِّه ، ويأتى هذا القــولُ مقبــولاً لدى أصحاب الفطنة .

٢٤- يعلم العقلُ أنَّه فى العطاء منجمُ الفضة والذهب ، وما عطاءُ سحب الربيــع سوى الماء وشرر البرق .

•

٢٥- لا يتجاوز القمرُ خَطَّه على بياض وجهه ، ويصير فى ذلك مرشدًا للمنازل فى الليل البهيم .

٢٦- فى يوم الوغى تصبح البرعومةُ فى قبضته فى عين حُسَّاد الملَك مثلَ النصل، وورقُ الصفصاف مثلَ الخنجر .

٢٧- حينما يتخذ سيفُه البتارُ رقابَ الأعداء جرابًا له ، فإنَّه فى وقت الغزو يكون مثل شمس المشرق إشراقةً .

٢٨- وحين يتحدث فإنَّ ببغاءَ قلمه يمضغ السُّكَّر ، مع أنَّ فى منقاره دائمًا المسكَ والعنبرَ .

٢٩- مع أنَّ قلمَه المحلَّى بالجواهر أصفرُ اللون ناحلٌ ، فإنه يجعل وجهَ المُلك وظهرَ الدين أحمرَ وسمينًا .

٣٠- غُصنُ الأمل الذى لا يجد عنايةً من ماء دواته مثل القلم ، صار جافًّا مثل غُصن الغزال (قرن الغزال) .

٣١- أيها الصاحبُ ، إنَّ " ابنَ يمين " له مدةٌ فى يُمن مدحك ، حتى صار بشعره ونثره فيك صاحبَ شاعرية وكتابة .

٣٢- وصار فكرُه البكر يأخذ بألباب أهل الفطنة ، خاصةً الآن لأنُه لاقى قبولاً مستحبًا لديك أيها المرشد .

٣٣- إذا كان ببغاءُ طبعه عذبَ اللِّسان فى القول ؛ ذلك لأنَّ السُّكَّرَ الذى فى فمه يكون من شُكرك .

٣٤- حتى لا يقول أهلُ العلم عن طريق الاعتقاد إنَّ الشمسَ الساطعةَ تكشح ظلٌ الظلام .

٣٥- فلتكنْ خالدًا فى الدنيا بآلاف العزّ والدولة ؛ لأنَّ شمسَ الإقليم ظلٌ لذاتك الشريفة .

قصيدة فى المنقبة (ص ٣١ - ٣٢)

١- ما أسعد القلبَ الذى يكون مجمعًا لعشق حيدر ، ما أبهى الــرأسَ التــى تكون ترابًا لكفّ قدم حيدر .

٢- المكانُ الذى لم يتسنّ لـــ " جبرائيل " الوصولُ إليه ، الأعلى منه بـــألف مرتبة هو مكانُ حيدر .

٣- فى دعوة الملائكة فإنّ كلَّ نعمة تكون على مائدة الرغبة هى نعمةُ حيدر .

٤- الدرُّ الخطيرُ لمعرفة سرِّ الكائنات هو قطرةٌ واحدةٌ حقيرةٌ من بحر حيدر .

٥- العلم الذى يكون فوق علم الأفلاك ، هو انعكاسٌ من نور خـــاطر العـــالم حيدر .

٦- لم يرَ أحدٌ حالَ الكائنات بعلم اليقين ، ولو رآه فإنه يراه بالعين البـــصيرة لحيدر .

٧- مع أن العقلَ حَاملٌ فى ممالك الوجود ، فإنّه والهٌ ومجنونٌ ومدلّـــهٌ فـــى عشق حيدر .

٨- الشمعُ المضىءُ للعالم والذى يدعونه الشمسَ ، مجردُ ومَضَةٍ من حـــرارة قنديل رأى حيدر .

٩- لو أمكن وجودُ معجزة بعد النبى ، لكانت الألفاظ المنعشة للمحبوب حيدر.

١٠- أتعلم ما العرشُ على أهل المعرفة ، إنّه أولُ خطو مـــن منبـــر حـــضرة حيدر.

١١- إنْ لم تكنْ هناك معرفةٌ يقينيةٌ عن صبغة الله[1] ، فهى حسب اتفاق أهـل العقل سيما حيدر .

١٢- السببُ الذى جعل الأسدَ أميرًا على وحوش العالم ، أنَّ واحدًا من جملـة أسمائه هو حيدر .

١٣- اللطفُ المدَّخَرُ فى خزانة الغيب ، يكون إظهارُه بالسيرة العطرة لحيدر.

١٤- كلُّ ما يكون لعلماء عالم الغيب من أسرار خفية ، هى كُلُّها واضحةٌ جلية لحيدر .

١٥- لم يضعوا بين يدى " جبريل " أيضا سرًّا ، إلا كان فى صـميم سـويداء حيدر .

١٦- مع أنَّ لـ " ابن يمين " جُـرمًا لا يحصى ، فإنَّه مطهَّرٌ منـه لأنَّ مـولاه حيدر .

١٧- وبهذه الوسيلة لاشك أنَّ مقامى يوم الحساب سيكون فى الحضرة العليـا لحيدر .

١٨- أنا لا أفكر فى زلزلة الأقدام ، لأنَّ اعتصامى أنا العبد سيكون بحبل محبَّة حيدر .

١٩- غدًا حين يُخيِّروننى قائلين : اخترْ مكانًا لك ، فسوف أتَّخذُ مكانًا فى الخلد لأنه مأوى حيدر .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٣٨) وهنا إشارة إلى قضية جمع القرآن فى عهد سيدنا عثمان بن عفان ومساندة سيدنا على بن أبى طالب له فى ذلك.

قصيدة (ص ٣٢ - ٣٣)

١- يومان آخران أو ثلاثةٌ لضيافة الروح على الجسد ، يحين بعدها للروح وقتُ الانفصال والوداع .

٢- الوقتُ الذى أرْخَتْ فيه الروحُ قبضتَها عن الجسد ، هو وقتُ غمٍّ الهجر بينى وبين الروح .

٣- ليس للجسد حزنٌ لأنَّه باق فى وطنه ، الحزنُ للروح لأنَّ طريقَها سرمدى وبلا نهاية .

٤- آه من ذلك اليوم الذى يتحتم عليَّ فيه الرحيلُ ، لأنَّ أولَ منزل فيه هو ساحةُ القبر .

٥- حينما يحملوننى إلى حافة القبر ويوارووننى الثَّرى ، على ما تعوَّدوا عليه أبد الدَّهر .

٦- فإنهم يتركون الجسدَ فقط ، ولا يبقى معى سوى أعمالى إنْ كفرًا أو إيمانًا.

٧- ولن يجيرنى مالٌ وزوجة وابنٌ سوى أعمالى تلك التى يعتدُّ بها الرحمنُ .

٨- وهى الصدقُ والكرمُ واللُّطفُ وقلَّةُ الإيذاء والإنصافُ ، وكلُّ ما كان مِن هذا النوع متصلٌ بالإنسان .

٩- السفرُ بعيدٌ وطويلٌ عن ذى قبل ، وما أمتطيه من مركب واهٍ وضعيفٌ .

١٠- ابكِ بحرقةٍ أيها الحبيبُ على جسدى الضعيف ؛ لأنَّ الطريقَ ملىءٌ بالأخطار ومن قبله وبعده الطوفان .

١١- الروحُ تشبه طائرًا حبيسَ القفص مهيضَ الجناح والذيل ، أو تشبه غريبًا فى غياهب السجن لا حول له ولا قوة .

١٢- ليس فى عملها ما يكون عونًا لها ، فطاعتُها كانت لكلِّ الذنوب وعملُها كان العصيان .

١٣- ضاع العمرُ وأسلم الشباب أدراج الرياح ، فكلُّ ما صنعه طوال عمره كان وبالاً عليه .

١٤- سعيدُ الحظ ذلك الذى اتَّجه صوبَ الحقِّ من الباطل ، وموفقٌ ذلك الذى امتلأ قلبه بمعرفة الحقِّ سبحانه .

١٥- الكمالُ لكلِّ شخص هو الحاصلُ من ذكر الله ، والنقصانُ كلُّه لمن تجرَّد من ذكر الله .

١٦- ياربُّ ، لا تحجبْ عنَّا نظرَ رحمتك ؛ لأنَّ رحمتَك هى الدواءُ لدائنا فى هذا.

١٧- فاعفُ مرةً يا إلهى عن ذنوبى ؛ لأنَّ كبدى أصابه الشُّواءُ من نيران الخجل .

١٨- مع أنَّ الطاعةَ قلَّت أو كثرت لم تكنْ بين أعمالى ، لكن فى كرمه يكون الإحسانُ أكثر من ذى قبل .

١٩- "محمودُ بن يمين" العاصى والمفلسُ قد صار شيخًا آملاً فى كرم الله فى كلا العالمين .

وله أيضًا قصيدة فى مدح علاء الدين محمد (ص ٣٣ - ٣٤)

١- ألا أيها الساقى أقبلْ لأنَّ الموسمَ هو إترِاعُ الخمر ؛ فالحدائقُ مليئةٌ بالشقائق والبساتينُ تعجُّ بالورود .

٢- انهضْ ولا تعتكفْ بالمنزل لأنَّ الصحراءَ فى تبختر ، وحيثما تمضِ فإنَّ كلَّ مكان قد تغيرَّ وتبدَّل .

٣- افتحْ حلقَ الإبريق حتى يصدر من الخمر صوتُ القَلْقَل[١] ، خاصــةً أنَّ البلبلَ الثَّمل فى الحديقة ينبعث منه صوتُ الغُلْغُل [٢] .

٤- لا تَخْلُ من الراح لحظةً ؛ لأن أثناء فصل الربيع يكون الـوردُ معـشوقًا والبلبلُ مطربًا صدَّاحًا .

٥- البلبلُ يصدح لحنَ " بردة العشاق " [٣] ؛ فتأملْ شجرة " الـسرو " وهـى تتمايل طربًا من صوته الشجى .

٦- لو صار النرجسُ المخمورُ ثملاً من ماء السحاب ، فلا عجب فى ذلك لأنَّ السحابَ يتشابه مع لون الخمر .

٧- ياربُّ ، هذه الرياحُ عبقةُ النفس تتنفس من الخلد ، حينما يكـون تـرابُ طريقها كلُّه مسكًا وقرنفلاً .

٨- أيها المطربُ ، اعزفْ " بردة العشاق "، وأنشدْ هذا الغزلَ ، خاصــةً أنَّ جليسك اليوم هو الصلصل [٤].

٩- أيها المحبوبُ ، وجهُك قِبلةُ حسناوات كابل ، وطرتُك العنبرُ لأنَّ شعرَها الشقائقُ .

١٠- النرجس [٥] ثملٌ بطبعه فلا تسوِّده بكحل آخر ، فإنَّ عينَ الغزال سوداءُ بلا تكحيل .

١١- لو تحرَّك خطُّك المضمَّخُ بالمسك فى ثبات ، فإنَّ طرَّتك أيضًا تتحرك فى ثبات وتتابع .

---

(١) صوت الخمر وهو يصب فى الكأس .

(٢) صوت البلبل فى صدحه وغنائه .

(٣) أحد الألحان والمقامات الموسيقية الإيرانية .

(٤) هو طائر القُمرى .

(٥) أى عيون المحبوب الناعسة .

١٢- رأيتُ انبلاجَ النهار وسط ظلمة الليل ، فأكثرتُ من التأمُّل فيه وفى موضعه .

١٣- فقلتُ : ربَّما كان هالةً مسكيةً حول القمر ، أو خصلةَ شعرك على جبينك اليانع كالزهرة .

١٤- أنا فى حيرة من طرَّتك الهندية اللون التى فى رأسها تطاولٌ فى عهد عدل الصاحب الأعظم .

١٥- حضرة علاء الدولة والملة الذى ترتعد الشمسُ فرقًا مثل الذَّرة رعبًا منه .

١٦- الوزير محمد حامى حمى الدين الذى فى يوم الوغى تخاله " عليًا " على صهوة " الدلدل " .

١٧- يحدث للفلك اضطرابٌ من صوت " دلدله " ، وللأرض تزلزلٌ من وقع حوافرها .

١٨- أيها الصاحبُ ، إنَّ الهلالَ والأطلسَ والحريرَ ، صاروا لأجل حصانك نعلاً وسرجًا أيضًا .

١٩- ويا أيها القائدُ ، إنَّ حكمَك القاطعَ يقول للرياح طاعنًا ، علامَ هذا البطءُ والتكاسلُ ؟

٢٠- كاتبُ الفلك - مع كل ما لديه من علم - دائمُ الاستفادة من طبعك فى شعره ونثره .

٢١- إنْ تَخُطُّ بخطوطك على هامة الكواكب كلِّها ، فإذا ما كانت رغبتك فليس أمامها سوى التَّحمُّل .

٢٢- فى المنزل الذى ينزل فيه سايسُ عدلك ، قالت الفتنةُ لنفسها : حان وقتُ الرحيل .

٢٣- لا يتسنى للخيال إدراكُ عالم جاهك ؛ ذلك لأنَّ ذلكَ العالمَ لا يمكن تخيُّله .

٢٤- يكفيك عذرٌ واحدٌ لتجود بمائة خزانة ، وتُقدِّم مائةَ عِلَّةٍ وسبب فى العفو عن ذنب واحد .

٢٥- لـــ " ابن يمين " ذلك اليسارُ من يُمن مدحك ؛ لأنَّ له أعوامًا وشهورًا فى تنقيح جواهره الموزونة .

٢٦- فعُدَّه من رياح الصبا فى الربيع وفى الشتاء ؛ لأنَّه مكبلٌ بالسلاسل يومًا ومقيَّدٌ فى الأغلال آخر .

٢٧- فليكنْ خصمُك مثل الماء متأوِّها ، وليكن موطئًا كالجسر تحت أقدام حادثات الدهر .

وله أيضًا مُلَمَّع[1] فى مدح وجيه الدين مسعود شاه (ص ٣٤ – ٣٥)

١- "ساقى الأصحاب ماءً بارقًا كالنارِ هات
لا تدافعنى وسافحنى به واذكر ولات"

٢- يا مَنْ له وجنةٌ تشبه النارَ وشفاةٌ هى ماءُ الحياة ، لتدفع السفينةَ عن بحر الغم إنْ أردتَ النجاة .

٣- " راحتى لا تهجريها ساعة من راحتى
إنَّ فى التأخير آفات ووقتَ العيش فات "

٤- حتى يحقق " ابنُ يمين " رغبةَ الروح الحلوة ، فإنَّه يمزج المرارةَ بالألم ؛ لأنَّ أصل تلك المرارة يكون من البنات .

---

(١) الملمع هو : الشعر الذى يتكون من أبيات ومصاريع منظومة فى لغتين أو أكثر ؛ فلا يتقيد بصياغة خاصة (براون : تاريخ الأدب ح ٢ ص ٣٤ الترجمة العربية) . والأبيات العربية فى القصيدة ذكرتها كما هى فى كتابتها الشعرية من شطرين ووضعتها بين علامات تنصيص والقصيدة عمومًا عبارة عن بيت عربى يليه بيت فارسى وهكذا .

٥- " لو ترانى تاركًا تدبير أمرى لا تلم

واعلمن أن الذى آت من الحالات آت"

٦- اليومُ لاغتنام الفرصة ، فالأمسُ ولىّ والغـدُ لمّا يأتِ بعد ، فأدركْ الوقتَ ، ولا تقطعْ عن المساء عيشَ الغداة.

٧- " هات ساقينا شرابًا من رآه خاله

لمعة من رأى من فاز الورى بالمكرمات "

٨- الملكُ العادلُ وجيه المُلك والدين مسعود شاه ، ذلك الذى يكون الذئبُ فى عهده مولعًا بالحفاظ على الشاة ورعايتها .

٩- "مالك الأملاك بذّال يرى فى دينه

بذل ما فى راحتيه واجبًا مثل الزكات"

١٠- انتسابُ المُلك إلى غيره فى هـذا العصر ، مثلُ مَنْ يعتقـد الألوهية على " العزّى واللات " (١)

١١- " دائم فى عزٍّ منيع ثابت أركانه

لا يح ما لاح برق الآل من ظهر الفلات "

١٢- كلُّ من ليس له رأسٌ مثل القلم على خط أوامره ، فلتكنْ عينُه مثل الدواة نبعَ ماء سواده .

وله فى التهنئة بعيد الفطر المبارك (ص ٣٥)

١- أيها المليكُ ، ليكنْ شهرُ الصيام ميمونًا عليك ، ولتكنْ أيامُك مثل يوم العيد كلُّها مباركةً .

---

(١) أسماء أصنام كانت تعبد عند العرب قبل الإسلام .

٢- تاجُ المُلك والدين ، فليزدْ خطٌّ هذا اليوم لونَ وجنتك احمرارًا من صبغة الله حتى الأبد .

٣- لم ينهض زوجٌ مثلك لعروس المُلك البضّة أو يقدر عليها ، فلتكنْ مفتونةً بك .

٤- فليكنْ ترابُ أعتابك الذى هو تاجُ رءوس الملوك تشرفًا ، مخضبًا مثل الورد بدماء قلب أعدائك .

٥- حينما تتسَّم سيِّئ الصنع من حديقة مُلكك رائحةً عبقةً أصابه الغمُّ ، فليكنْ قلبُه مليئًا بقطرات الدّم مثل الرُّمّان .

٦- فلتكنْ كلُّ سعادة كانت من قبل ، وتكون حتى الأبد كلُّها الآن لأجل تنظيم أمورك .

٧- من ضياء جوهر تاج مُلكك النفيس ، لتكنْ عينُ حاسده مغلقةً ، مثل الصَّدف الملىء بالدُّر المكنون .

٨- ليكنْ للفتنة دائمًا من حانة إنصافك غذاءٌ دائمٌ من شراب الخشخاش والأفيون [١] .

٩- من لطف الله في الدنيا عليك أنك لا ينقصك شىءٌ مطلقا ، فليكنْ عمرُك زائدًا عن كلِّ شىء .

١٠- وليكنْ حظُّك النضرُ الفتيُّ فى عصمة دائمًا بلا حدٍّ من أذى الدهر الكهل.

١١- طالما لا يظهر لأمر الفلك رأسٌ ولاقدمٌ ، فليكنْ أمرُ خصمك مثل الفلك بلا رأس ولا قدم .

١٢- طالما أنَّ بدايةَ الذهب والفضة هى الزئبق والكبريت ، فليكنْ خصمُك مدفونًا فى الثرى مثل الفضّة والذهب .

(١) نباتات مخدرة تذهب بالعقل وتساعد على النوم .

١٣- طالما تجعل حضرتُك الميمونةُ من الروح شيئًا منثورًا ، فليكنْ لـــ " ابنَ يمين " اليسارُ من الدُّر الموزون .

١٤- لا نقصَ عمرُك فى التوفيق عن عمر " نوح "، وليزدْ مالُك أكثر وأكثر عن مال " قارون" .

قصيدة فى مدح خواجه يحيى (ص ٣٥ – ٣٧)

١- لقد استقام بحمد اللّه أمرُ المُلك والدين ، منذ أن فتح "المصطفى" البطحاءَ واستولى "المرتضى" على خيبر .

٢- وخفقتْ بعون الله رايةُ المَلك المنصور ، ففى كلِّ لحظة كان يحطِّم جيشًا ويستولى على إقليم آخر .

٣- الملكُ جمشيد المعظَّم السلطانُ نظامُ المُلك والدين ، ذلك الذى ينال المُلكُ والدينُ منه كلَّ عزٍّ وسؤدد .

٤- مُخضِعُ العصاةَ "يحيى" الذى يشبه "إلياس" و "الخضر" ، الذى استولى على مُلك البحر والبر بعون اللّه ومدده .

٥- هو ظلُّ ألطاف الله ، الذى استولى مثل الشمس على المشرق من بدايته حتى نهاية المغرب .

٦- وهو ذلك الذى حين يضع قدمَه فى الركاب لأجل الصيد ، فهو المَلكُ مع الجيش والعرشُ مع التاج .

٧- أخذ صقرُ همَّته النجيبُ مثل سيمرغ الفلك كلَّ الآفاق تحت جناحيه .

٨- ومن ذلك تسيطر الشمسُ على العالم كلَّ صباح لأنَّها تأخذ فَألها من وجنته التى تشبه البدرَ الساطع .

٩- ثمَّ تتجه كلَّ سحَر صوبَ السماء لمشاهدة رأى همَّته العالى .

١٠- ثمّ تزيّنُ حسبَ الطبيعية الجهاتِ الأربعَ بالمناظر السبعة احتفاءً بمقدمه المبارك .

١١- ثمّ تقتبسُ من شمع رأيه ذرّةً تشعل من ضيائها مصباحها المنير .

١٢- لا يشتاق قلمُ كاتب الفلك إلا لمديحه ، ولا تترنم الزهرةُ الزهراءُ إلا بتذكر محفله .

١٣- ومن أجل محفله العام فإن الشمسَ تصنع لنفسها حُلّةً مذهَّبةً ترفل بها حتى الآفاق .

١٤- إذا لم تحمل سحبُ الربيع فضلاً من بحر طبعه ، فلماذا إذن أمام فيضه تخفى الصُّدَفُ الجواهرَ فى جوفها .

١٥- فى تعداد صفاته بألفاظ عذبة ، يكون " ابنُ يمين " مثل ببغاء فى منقاره السُّكَّر .

١٦- لو اغتصب عدوُّه جزءًا من اليابس والأخضر فى الدنيا فإنّه يعرف ، فيكفى أنّ عقلَه يعلم حتى ما بين الشفة والعين .

١٧- حَزْمُه وقت الثبات وعَزْمُه وقت السرعة ، للأول رسمُ الأرض وللثانى عادةُ ريح صرصر .

١٨- العروسُ البضّةُ التى تخطر بحلّة مذهّبة أى الشمسُ ، تأخذ رأيه فى تشوير رأسها بالحجاب الأزرق ، السماءِ.

١٩- تحسبًا لشدة الخوف من حَزْمه يرى العقلُ أنّ الذى يتقاطر من الصراح هو دمٌ فيجعل القاع كأسًا له .

٢٠- وتجمحُ من نيران غضبه إلى الفلك شعلةٌ ، فيصير سطحُ الفلك كلُّه من شررها قطعة من الجمر .

٢١- كلُّ مَنْ يخطو على أعتابه ولا يقبّل مكانَه ، يعلق على المشنقة كالحلقة ويرحل عن الدنيا سريعًا .

٢٢- ليس بين الملوك سواء أكان ملكًا أم بطلاً أحدٌ غيره مجندِلاً للأعداء مثله.

٢٣- يتساوى لديه مَلِكُ مازندران مثـــل حاكم طـــوس ، فمن يرى نقضَ عهده لا جرم أن صار في محنة .

٢٤- طالما قد صار عدوُّه مجروحًا في النوم من هراوته ، فحيثما يكون ملكًا فإنه لفرط رعبه يهجر النومَ والطعامَ .

٢٥- الكفارُ يطلبون الطريق هربًا من المؤمنين ، وهو لا ييسر للمؤمن طريق الكافر .

٢٦- لو انطبقت الدنيا على بعضها فإنَّه يعلم سرَّها ، فأنَّى للصغار أن يصلوا إلى مرتبة العظماء .

٢٧- قلْ لكل ما يكون بعد هذا : كُنْ. فإنه سيكون حسنًا ؛ لأنَّ المَلكَ قد استولى هذه اللحظة على الإقليم بتوفيقه .

٢٨- فليكنْ عملُ الملك هو الاستيلاء على أقاليم الملوك ، حتى يبسط رديفُ الشعر كلَّ كلام لديهم عليه .

٢٩- كلُّ مَنْ رأى ذلك الحالَ أو سمع به من آخر قال : بحمد اللّه استقام أمرُ المُلك والدين .

قصيدة في مدح حضرة علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء والتعريف بمرقده (ص٣٧-٣٨)

١- أيها القلبُ ، انثرْ الجواهرَ من الروح ، ألا تعلم أيَّ موضع هذا ؟ إنَّه مهبطُ النور الإلهي والروضةُ الطاهرةُ للإمام " الرضا " .

٢- هو درٌّ بحار الفتوة وجوهرُ منجم الكرم ، ذلك الذى نزلت "هل أتى"[١] تعبيرًا عن وجود آبائه الكرام .

٣- ظلمةُ الدنيا ونورُها انعكاسا شَعره ووجهه ، فقوله تعالى "والليل إذا يغشى"[٢] تعبير لشَعره ، و "الضحى"[٣] تعبير لوجهه.

٤- ليس لقبة الفلك قدرُ تراب أعتابه ، ياربُّ ، أهذا هو الفردوس الأعلى أم مقامُ الكبرياء .

٥- تتخذ الشمسُ كُحلَها من تراب أعتابه ، وأنا أعلم أنَّ سببَ هذا هو أنَّ عينَه منبعُ النور والضياء .

٦- وهذا له بعضٌ من الحقيقة ؛ ذلك لأنَّ الروحَ الأمينَ فى معراج القدس قد جعل ترابَ نعل مركبه توتيًا له.

٧- ويخفق القلبُ من رائحة التراب فى بلاطه ، ولم يستطعْ الترابُ أنْ يقول له عن طريق العزّة إنَّها الكيمياء .

٨- له قبةٌ مليئةٌ بالنور من رفعة الفلك الآخر ، وفيها ذاتُه المشعَّةُ نورًا كأنها الشمسُ فى السماء .

٩- له رفعةُ الفلك الدائر ؛ ذلك لأنَّ على قمته مجمعَ التقوى والعصمة ومركز الصدق والصفاء.

١٠- إن لم يعرفْ حاسدُه مَنْ هو عن طريق الرِّفعة ، فإنَّه ملكُ الأتقياء والأذكياء والأصفياء .

---

(١) إشارة إلى سورة الإنسان آية (١) وسبق الحديث عنها والربط بينها وجود على بن أبى طالب .

(٢) إشارة إلى سورة الليل آية (١) والربط بين الليل وسواد شعره .

(٣) إشارة إلى سورة الضحى آية (١) والربط بين الضحى وإشراقة وجهه .

١١- قرةُ عين للنبى والابنُ الأثير للوصى ، مظهرُ ألطاف الإله وفخر أصحاب العباءات .

١٢- قدوةُ الشرق والغرب وإمام البر والبحر ، وهو الذى يكون له نور المصطفى الطاهر .

١٣- هو مخدومُ أهل الدنيا بحقٍّ ، ذلك لأنَّه هو الوارثُ لحق الولاية على الدنيا.

١٤- هو وارثُ المُلك الذى جعل له المصطفى كسوةَ " من كنت مولاه "[1] مناسبةً لقدِّه تشريفًا خاصًّا لَهُ .

١٥- لو كانت طاعةُ مائة عام بوزن جبل الطور ، فحين يتجلى اللّٰه بدون حُبِّه يكون هباء .

١٦- هو كوكبٌ درّيٌّ ، وتاجُ ملوك العالم لا وزنَ له أمام وجود نصف ذرَّة من تراب أعتابه .

١٧- إنَّه سلطانُ خراسان ، لا... ماذا قلتُ ؟ احترسْ ، إنَّه القائدُ لكل الأقاليم السبعة وملكُ كلا العالمين .

١٨- صيتُ إقباله الذى ينجو قبل الماء من النار ، ينتشر على وجه البسيطة كأنه ريحُ الصبا .

١٩- الذى يهب أصلَ العلم الإيمانَ من المهلكات ، هو انتماؤه فى الحقيقة إلى العلوم المنجيات .

٢٠- أنَّى للحاسد أن يجد النجاة مطلقًا من ألم الحسد ؛ فهل لكليات القانون شفاءٌ بدون إشاراته .

---

(١) إشارة إلى حديث " من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه "، وسبقت الإشارة إليه.

٢١- يهيئ صقرُ هِمّته النجيبُ مكانًا على اللامكان ، كى لا تعتقد أنّ له غصنًا في سدرة المنتهى [1] .

٢٢- فإنّ همّته لا تهبط إلى "الطوبى"و"الكوثر" [2] ، وأنّى لهمّته أن تهبط ومعها الماءُ والخضرة .

٢٣- ولا يأتى العجبُ كثيرًا لنعيم الخلد إنْ لم يستسغْ ماءَها، فكيف وهو فى ضيافة منزل القدس أبًا عن أب.

٢٤- يتوارى خصمُه تحت الثرى رعبًا منه ، فقَدْرُه يعلو فوق السماوات العُلا.

٢٥- يتساوى لدى همّته العالية الترابُ والذهب ، وذلك الذهبُ المغطى بالتراب شاهدٌ على ذلك .

٢٦- قبةُ الفلك الدائر (السماء) حلقةٌ فى بلاطه ، ولهذا السبب فإنّ قامتَها مثلُ الحلقة فى انحناء دائم .

٢٧- كلُّ مَنْ لا يحفظ حُبَّه فى أعماق روحه مثل الألف ، فإنّ قامتَه ستكون يوم الحساب من فرط الغمّ منحنيةً مثل الجيم والنون .

٢٨- يا مَنْ جنابُك قِبلةُ حاجات أرباب الحاجة ، الحاجةُ التى تُعرض هنا مقبولةٌ بلا شبهة .

٢٩- فاقبلْ أيضًا حاجةَ "ابن يمين"؛ ذلك لأنّ قبولَ حاجة الخلق من شيمكم .

٣٠- ليس لى شىء مطلقًا فى طريق الإخلاص لك سوى الافتقار إليك ، وذلك الذى لا يكون الفقرُ زادَه هو فى هذا الطريق عاجزٌ .

---

(١) هنا يشير إلى تفسير أبى الفتوح الرازى الذى يقول عنها إنها شجرة فى أصل العرش وفروعها وورقها على رأس حاملى العرش (تعليقات الهى نامه، ص ٣٣٠) .

(٢) الطوبى : شجرة سامقة فى الجنة . والكوثر : نهر بها .

٣١- لستُ محتاجًا إلى الدنيا ما دام الفناءُ فى عقبها ، اعملْ للآخرة ولحالها؛ لأنَّ فيها دارَ البقاء .

٣٢- اطلبْ الغفرانَ من الحقِّ يوم الحشر عن جرم هذا المجرم العاصى ، فلك من الله استغفارٌ زائد وطلبٌ للغفران .

٣٣- اقبلْ من هذا المسكين عدة أبيات مكسورة مستغلقة ، فمديحُك هذا ليس لطلب الشهرة، بل هو إخلاصٌ لنا .

٣٤- أىُّ مديح أقرضه يكون بك لائقًا ، حينما تكون صفاتُ ذاتك الطاهرة أعلى من حدِّ الثناء .

٣٥- أيها الخالقُ ، محرابُ هذا القصر الفيروزى المذهَّب قِبلةُ أهل الدعاء حتى بحكم الشريعة .

٣٦- لحضرته العالية بيتٌ مفتوحٌ لأهل الحاجات ؛ لأنَّ الطالبَ يجد من جنابه كلَّ رغبات القلب التى يطلبها .

قصيدة فى مدح خاتم الأنبياء على المرتضى[١]
وبقية أئمة الهدى (من٣٨ - ٣٩)

١- مظهرُ النور الإلهى الأول[٢] ، الذاتُ الطاهرةُ ، المصطفى ، هو المصطفى لأنَّه أولُ الأنبياء وآخرُهم .

---

(١) هكذا وردت فى النص الفارسى ، وهو فكر شيعى خالص وتزيُّد من المحقق ؛ لأنه لم يرد فى نص الشاعر " ابن يمين " ما يشير إلى ذلك مطلقًا .

(٢) إشارة إلى فكرة النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية التى ترى أسبقية سيدنا محمد - كنور - فى الخلق لدى الصوفية .

٢- ذلك الذى يكون للكون وجودٌ متطفلٌ عليه ولستُ أنا فقط الذى أقول هذا بل هو كلامُ الله .

٣- ليس ثمة مشقةٌ فى الإطناب حول ذاته الطاهرة ، فحين تتحدث عن المصطفى فالحديثُ عن أوصافه واحدٌ لا يتغير .

٤- حين تُوفى النبىُ وجبَ للأمة إمامٌ ، وهذا ليس أمرًا سهلاً فله شروط.

٥- الحكمةُ والعصمةُ من الخطأ ، والعفو والمروءةُ ، اجلسْ معوجًا وتحدثْ مستقيمًا ليكون ذلك لدى الأصدقاء مقبولاً .

٦- هذه الصفاتُ بل والآلافُ منها - وعلى رأسها العصمةُ - تتوافر لدى وصىِّ المصطفى أى "علىّ" المرتضى .

٧- لم ينهض فى بلاط المصطفى أىُ شخص آخر سوى "علىّ" المرتضى إلى دعوى "سلونى" [1].

٨- فالمصطفى وكلُ أصحابه قد سلَّموا جميعًا بهذه الدعوة حين عرفوا موضعَ الرمز فيها .

٩- تكون " لو كشف" [2] حجةً كاملةً لإثبات علمه ، وماذا أقول عن فتوّته ؟ فقائل ذلك "هل أتى" .

١٠- هو مستحقٌ للإمامة بنصِّ المصطفى ، وعلى رأس هذا النصّ الموجب يأتى أيضًا حكم "إنما" .

١١- مع هذا الفاضل من المفضول ، لو يأتى محوُ الإمام لديك صوابًا ، فهذا خطأٌ على الأقل عندى .

---

(١) سبقت الإشارة إليه .

(٢) إشارة إلى ما نسب إلى سيدنا علىٌ من قــول : لو كُشف الغطـــاء ما ازددتُ يقينًا " (تعليقات الهى نامـــه، ص ٣٣٧) .

١٢- حينما توفى المرتضى ، فاعلمْ أنَّ الإمامَ بعده من أولاده ، أولهم الحسن ثم شهيد كربلاء .

١٣- وبعده السجاد والباقر والصادق ، وبعده موسى نجيُّ الله ثم الرضا .

١٤- حينما توفى فاعلمْ أنَّ الإمامَ بعده هو التقى ثم النقى بعد ذلك الإمام العسكرى الذى هو قدوةٌ لأهل الهدى .

١٥- وبعده صاحبُ الزمان الذى تترقب الأعينُ طلعةَ ذلك السعيد اللقاء منذ أعوام مضت .

١٦- حينما يجعل نورُ حضوره الدنيا صافيةً، فإنَّ كلَّ معوج فى العالم يصبح مستقيمًا دفعةً واحدة .

١٧- يصير كلُّ واحد من هؤلاء العظماء بسبب عظمتهم فوق السماوات العُلا فى جوار ذى الجلال .

١٨- ولو أنهم يعرفون قدرى ، فإننى دائمًا أنظم فى الثناء على أعمالهم إخلاصًا لهم .

١٩- على أمل أن يقول واحدٌ يوم الحشر : هذا " ابنُ يمين " من خاصة أتباعنا.

٢٠- وتكون هذه العنايةُ كافيةً لـــ " ابن يمين "؛ لأنَّ كلَّ مَنْ يكون عبدًا لهم يكون فى كلا العالمين ملكًا .

٢١- لقد أقامت الروحُ الطاهرةُ لكل واحد منهم فى جنَّة المأوى وسوف تقيم ، لأنَّها مقامُ الأتقياء والأصفياء.

قصيدة فى مدح صاحب الولاية (ص ٣٩ - ٤٠)

١- النورُ الذى يكون مطلعُه " هل أتى " هو علىٌّ ، معتكفُ صومعة الاصطفاء هو علىٌّ .

٢- شمسُ مُلك الحكمة وروحُ الفضل ودنياه ، عنوانُ بيان أهل الصفاء هو عليٌّ.

٣- ذلك الذى لم يعبد صنمًا أو يعاقر خمرًا ، ويكونَ سلطان الأولياء وملكَ الأصفياء هو عليٌّ .

٤- ذلك الذى لا مجال للزيادة فى يقينه ولو كشف الغطاء[١] من أمامه مائة مرة هو عليٌّ.

٥- ذلك الطفلُ قلبُ الأسد الذى بتوفيق الله كان يصطاد الأفاعى وهو مازال فى المهد صبيًا هو عليٌّ.

٦- ذلك الذى حينما كان فى خلوة مع النبى ، جعل من عباءته سرادقًا حول حضرته هو عليٌّ.

٧- وذلك الذى فى يوم الوغى هبَّت صاعقةٌ من ضباب سيفه على رأس الكفر لأجل الدين هو عليٌّ.

٨- فجاء نداءٌ من الحقِّ إلى النبى فى مضيق الحرب بأنَّ ذلك الذى يقتلع الشخصَ من مكانه فى خيبر هو عليٌّ.

٩- لو كان هناك واحدٌ يستحق الوجودَ من السلف لأنَّه بحقِّ الوصىُّ المخلف للمصطفى هو عليّ .

١٠- منْ صحة إمامة النبوةِ العدالةُ ، مع العفة والشجاعة والجود والسخاء هى عليٌّ.

١١- حين تطلب علمَ النبىِّ اطلبْه من عليٍّ ؛ لأنَّ للعلم مدينةً، وبابُ تلك المدينة هو عليٌّ.

---

(١) إشارة إلى ما ورد أو نسب إلى سيدنا عليٍّ من قول " لو كشف الغطاء ما ازددتُ يقينًا " .

١٢- ليس ثمة عجبٌ إنْ اقتدت به الملائكةُ ؛ ذلك لأنَّ المقتدَى فى مناهج الحقِّ هو علىٌّ .

١٣- لا كانت الدنيا مطلقًا إنْ لم يكن فيها علىٌّ ، فهى علىٌّ بلا بداية، وهى بلا نهاية علىٌّ.

١٤- لقد كانت وتكون وستكون والتصديقُ واجبٌ ؛ ذلك لأنَّ النورَ الساطعَ لذات الله هو علىٌّ.

١٥- ما الحاجةُ لبيان رفعة قَدْره، فأهلُ النهى يعلمون أنَّ السماءَ فوقها علىٌّ.

١٦- نحن لا نعرف فى الدنيا عَمْرًا ولا زيدًا ، فكلُّ ما لنا من معرفة هى أنَّ مولانا علىٌّ.

١٧- اتركْ حَسَبَه هـذا ، فيكفى فى مجـال النسب أنَّ صهرَ ملك الأنبيـاء وابنَ عمه هو علىٌّ .

١٨- مِنْ كلِّ عطية وهبها اللّهُ لـ " ابن يمين " ، أنَّ أفضلَها محبةُ المرتضى وهو علىٌّ.

١٩- إنْ كثرت علىَّ ذنوبى فأنا آملُ فى العفو ، اعتمادًا على أنَّ مولاى هو علىٌّ.

٢٠- ياقلبُ ، لاتخشَ ظمأ يوم القيامة ، ذلك لأنَّ ساقى حوض الكوثر فى دار البقاء هو علىٌّ.

٢١- أنا أعلم جيدًا أنَّ شربةَ ماء واحدة لن تُمنع عنك مطلقًا من ذلك الذى هو سيد الأسخياء علىٌّ.

قصيدة (ص ٤٠ – ٤١)

١- كلُّ مَنْ توفيقُ اللّه له حليفًا ومساندًا لدولته ، يكون ترابُ أعتابك الساحق للسماء تاجًا على رأسه .

٢- هذا أنا ياربُّ ، مثل الكليم [1] فى صحراء الحيرة ، يكون نورُ التجلى مرشدًا لى صوب طور العزّة .

٣- لو أمتثل أمام ملكٍ فلن يأتى العجبُ للعقل ، ذلك لأنَّ ترابَ أعتاب المُلك والدين إكليلٌ على رأسى .

٤- ذلك الذى له تدبيرُ " الخضر "؛ لأنَّ قاعدةَ عدله حلّت محلَّ سدِّ المَلك الإسكندر فى دفع ظلم يأجوج .

٥- عرشُ قدره هو مسندُ الفلك الفيروزى (السماء) ، ولذلك السبب فإنَّ تاجَ الملوك يتّخذ منه حليتَه وزينتَه.

٦- تقتبس الشمسُ من نور رأيه ذرةً ، ومن فرط سعادتها لذلك صارت زعيمةَ العالم .

٧- أمام حلمه فإن الجبلَ مع ثقل حجارته قد صار فى خفّةٍ تشبه خفةَ ورق العلف الجافة أمام ريح صرصر عاتية .

٨- ورياحُ قهره تضرم النيرانَ فى روح الخصم ، وترابُ أعتابه فى لطافته صار موضع غيرة ماء الكوثر .

٩- السمُّ الزعافُ على سبيل المثال لو شربه الخَلْقُ من حانة خُلقه لكان واهبًا للروح .

١٠- يليق لعدوّه تاجٌ من اللجام مثل الحمار ، وإلا صار عرشُ السماء موضعَه مثل " عيسى " .

---

(١) سيدنا موسى عليه السلام .

١١- لو شطّت شعلةٌ من نيران قهره صوب الفلك ، لصار كلُّ شرر منها مهما كان مواجها للنجوم .

١٢- سنُّ رمحه الحاد فى قلب أعدائه ، هو نورُ جذوة فحم فى جوف الظلام .

١٣- وجهُه حين تنعكس عليه كلُّ الأنوار مرةً ، هو خطُّ الترقيم الذى يبدو على صفحة القمر المنير .

١٤- طائرُ القدُس [١] الذى يكون العرشُ تحت إبطه لا يعلو فى تحليقه على قصر حضرته العالى .

١٥- يقارَنُ سيفُه حين يفتح حصنَ العدو بسيف "ذو الفقارِ" فى تسخير "خيبر" .

١٦- ومن ذلك فإنَّ سيفَه فى غزو العالم يشبه سيفَ الشمس ، ولأنه من الفرند فإنَّ الفتحَ والنصرَ أعطيا له شكلَ الجوهر .

١٧- هو فى أعين الناس بسبب طيب خُلُقه وحُسن خَلْقه حسنٌ مثل المنظرَ الحسن ، فمظهرُه مثل مخبره .

١٨- فلتهنأ أيها الملكُ راعى الدين ؛ لأنَّ حدَّ ملكك يكون من بداية المشرق حتى نهاية المغرب .

١٩- يوم الوغى ، يكون الخاقان والمهراجا والقيصر من بلاد الترك والهند والروم من عداد العبيد الواقفين أمام بلاطك .

٢٠- يُسلم سيفُك روحَ خصمك أدراجَ الرياح مثل تراب الطريق ، فسيفُك بتَّارٌ وخصمُك أسيرُ لهيبه . .

٢١- وأنا حين أتفوَّه بلفظ واحد يكون موجزًا ومضمرًا مثل مائة معنى سواء فى الدنيا أو ما هو أكثر من الدنيا .

---

(١) أى جبريل عليه السلام .

٢٢- حينما انغمس ببغاءُ طبعى فى أوصاف ألطافك ، فصار لنطقه من خواص ذلك طعمُ السُّكَّر .

٢٣- فى يوم الدعوة العامة ، ما إنْ عرضَ "ابنُ يمين" مديحك حتى قال العقلُ : هو "الأنورى" مداح السلطان "سنجر" .

٢٤- حقا، فكلُّ مَنْ رأى عظمة الملك وعظمة شعرى، فإن كان ذا فراسة لقال إنه صاحبُ عقل وفطنة .

٢٥- أيها الملك ، لى شكواةٌ من دورة الأيام، ولكن ماذا يقول عنها لمثلك خادمٌ مثلى .

٢٦- ماذا أقول لك عن حالى ، والرأى والمشورةُ لقلمك ؛ ذلك لأنه الحاكمُ الأزلى عليها .

٢٧- فعندما تعلم يقينًا أنَّ مالىَ من الدنيا كثر أو قلَّ هو خَرْجٌ أكثر فى كل لحظة ودَخْلٌ أقل .

٢٨- فلتأمرْ بنفسك بما يجب صُنْعُه ، خاصةً أنَّ همَّتك العالية هى بلطف الحقّ شفوقةٌ على خلق الله .

٢٩- أنصفْ مدّاحًا مثلى لممدوح مثلك ، أيليق لغصن الأمل أن يكون هكذا جافًّا بلا ثمر ؟

٣٠- طالما يقال إنَّ للربيع وللخريف سُحبًا ورياحًا ، والأول بائعُ الجوهر والثانى صائغُ الذهب .

٣١- فلقد ذهب الربيعُ وذهب الخريفُ ، وليصرف اللّهُ حادثاتِ الدهر عن محفلك ؛ لأنَّ فى محفلك الطيب ربيعًا آخر .

أيضًا قصيدة فى مدح الملك أبى نصر (ص٤٢-٤٣)

١- يا إلهى ، هذه النكهةُ المنعشةُ للروح أهى مسكٌ من الختن ؟ أم عبقُ غالية طرة معشوقى ؟

٢- أم أنفاسٌ عطرةٌ تنبعث من أطراف الخميلة ؟ أم عطـرُ ورد وياسمين هفهفته رياحُ الصبا ؟

٣- أىُّ رياحٍ هذه التى هبَّت إلى البستانى الذى يملأ بساطَ الخميلة بالورد والنسرين ؟

٤- ما أجمل صورة زهرة الشقائق وعليها قطراتُ أمطار الربيع ! فكأنها كأسٌ من العقيق اليمنى المرصَّع بالجوهر .

٥- والأوراقُ والأغصانُ التى تنبت فى صفصاف " طبرية "[1] ، كأنها رماحٌ من الفيروز أو رحى من المرجان .

٦- ترى ماذا قال كلُّ من ألقى نظرةً على الخضرة والنرجس ؟ قال : إنهما نموذجان للحرير وللأطلس .

٧- طالما وصل إلى الخميلة صدحٌ وغناءٌ من الورد ومن البلبل ، فإنَّ الخميلةَ فى بهائها الآن قد أثارت غيرةَ حديقة "إرم" .

٨- كلُّ مَنْ يرى الخميلةَ وما بها من شدو وغناء ، ينبسط الديباجُ على قلبه لو كان من أهل الفطن .

٩- إنْ لم يكن للخميلة الآن شبيهٌ فى هذا الحُسن والبهاء ، فربما كان هذا محفلَ ملك الأرض والعصر .

١٠- ناصرُ الدولة والدين الملك "أبو نصر على" ، ذلك الذى يشبه "عليًّا" فى الجسارة والإقدام .

---

(١) منطقة طبرية أو طبرستان فى مازندران .

١١- وذلك الذى استولى مثل الشمس على العالم بسيفه ، وإن كان بعون ذى المنن وليس بالعتاد والعدّة .

١٢- حيثما يكتفى فى الخميلة بأهل القول ، تكون صفةُ مكرمته هى زينة ذلك المحفل .

١٣- حينما يدلف ميدانَ السَّخاء فيقلب "حاتم" ، وحين يخوض غمارَ الوغى فيكبد "تهتمن" [1] .

١٤- لو رغبتَ فى أنْ تعرف صفةَ ميدان قتاله ، فاستمعْ إلى هذا البيت من أشعار "سيد حسن" [2] .

١٥- " السماءُ عند النزال جيشٌ له قاذفٌ للسهام ، الشمسُ من أجل الفتح درعٌ له ضد ضاربى السيوف " .

١٦- ذلك الذى يكون لخاطرى ألفاظُهُ ومعانيه من فكرك مثل صدف المعدن لدرِّ عدن .

١٧- لعلَّ ريحَ الصبا قد حملتْ إلى الحديقة شمَّةً من خُلقك ؛ لأنَّ الوردَ قد شقَّ قميصَه من فرط غيرته لذلك .

١٨- بسبب مشعلة رأيك ، فإنَّ حرارةَ هذا الشمع ناثر الذهب (الشمس) فى الشمعدان الزمرُّدِىِّ (السماء) لم تعد تعطى نورًا .

١٩- الملكةُ عروسٌ لكنَّها لم ترَ صهرًا آخر لها مثلك ، ولهذا هى بك هكذا مفتتنةٌ .

٢٠- إذا لم يأتِ التقبيلُ لأجل أعتابك ، فلأىِّ سبب يكون للطفل عادةُ الوفاة فى الرحم ؟

---

(١) أحد أبطال الفرس القدماء الذين خلدتهم شاهنامة الفردوسى .

(٢) هو سيد حسن الغزنوى ، أحد شعراء العصر الغزنوى ت ٥٥٧هـ .

٢١- عرشُ الملكة وفيه ذاتُك الشريفة مثل ضياء العين والروح والجسد .

٢٢- لو يتخذ خصمُك لباسَه من أطلس الفلك النيلى (السماء) ، فإنَّ أولَ كسوة ستكون كفنًا مثلما دودة القزّ .

٢٣- يتخذ خصمُك من صدره المليء بالحقد درعًا واقيًا له من سهامك ؛ ذلك لأن " أهرمن "[1] يليق به الشهاب.

٢٤- يتخذ خصمُك طوال الدهر تاجاً يشبه زمام الحمار ، مع أنَّ مستقرَّه مثل عيسى على هذا العرش الزمردى (السماء) .

٢٥- كلٌّ من استمع إلى قصة فضلك ومروءتك ، فإنَّ قصةَ " رستم " كلها لديه مجرد خرافة وفن .

٢٦- ما إنْ رأى غلامٌ وجهك الميمونَ حتى ردَّد ورِدَه بسعادة : " الحمد لمن أذهب عنَّا الحزن " .

٢٧- أيها الملكُ ، لـ " ابن يمين" فى فمه دائما سُكَّرُ شكرك ، ولهذا فإنَّ كلامهَ عذبٌ .

٢٨- فليلهج اللسانُ بشكرك أبد الدَّهر ، لكل مَنْ له لسانٌ فى فمه فى كلِّ الآفاق.

فى تعريف شادياخ (ص ٤٣)

١- يا إلهى ، أهذه حديقةُ " إرم " أم إنها " شادياخ " السعيدة ؟ يا إلهى ، أهذه بحيرةٌ أم بئرُ زمزم ؟

٢- تأملْ صورةَ غصن الياسمين على ماء بحيرتها ، فتقول حقًّا إنها معلَّمٌ يوشِّى حريرًا طيبًا بالجوهر .

---

(١) " أهرمن " : هو إله الشر أو الظلام عند ما يسمى بالديانة الزرادشتية .

٣- كلُّ نسيم يهبُّ من رياضها المنعشة ، يشبه نفسَ روح الله المسيح ابن مريمَ واهب الروح .

٤- كلُّ ورد ينال عنايةً من مائها وترابها ، هو مَرْهمٌ للمكلومين من مصائب الفلك الدون .

٥- أمورُ القلب مضمَرةٌ فى أرضها مثلما الروح فى الجسد ، مثل النشوة فى الخمر المدغم فى مائه راحة الروح .

٦- العينُ مضيئةٌ من رؤيتها مثل العالم من الشمس ، والقلبُ منتشٍ من مُنتزهها مثل الروح من العلم .

٧- من مائها وهوائها ربما صار النرجسُ كثيرُ السقوط بصيرًا والسوسنُ الأبكمُ ناطقًا.

٨- علامَ يكون نسيمُها منعشًا للروح كأنفاس عيسى إذا لم يكن رائحةَ خُلُق تاج الملك والدين ورفيقًا له؟ .

٩- ذلك الذى يكون الفلكُ المسيطرُ على العالم مثلَ حلقةٍ على بابه، وتكون قامتُهُ فى انحناء لخدمته .

١٠- فليكنْ " ابنُ يمين" رفيقاً لندمائه فى قصر " شادياخ" حتى الأبد ، والحقُّ أنه نديمٌ مُحرمٌ.

١١- ولتبتعدْ عن ساحتها رياحُ خريف مصائب الدهر، حتى تظلَّ مباركةً فى متنزه ربيع العالم .

قصيدة (ص ٤٣-٤٤)

١- الوداع يا قلبُ ، لأننا سنرحل عن هذا المكان ، وسوف نتخذ مكانًا آخر منزلاً أصليًا لنا .

٢- فما الدنيا فى الحقيقة سوى مَعْبر الآخرة ، ونحن راحلون سوف نعبر هذا المَعْبرَ بلا شك .

٣- حتَّامَ نرى الألمَ فى طبعها ، ونتنفس الغمَّ منها ؟

٤- نحن فى سجنها أسرى بالإكراه مثل "يوسف" ، وسوف نتخذ مثل "العزيز" مصرَ للعزَّة مستقرًا لنا .

٥- لقد ظللنا مثل "البوص" أسرى السُكَّر ، حتى ننطلق مثل "السرو" فسوف نترك السُكَّر.

٦- ليس حاصلُ الدنيا هو المتاع لأنَّه قيمتُها ، وسف نقطع النظرَ عنها مثل أصحاب الهمم.

٧- لقد رأينا أمورَ الدنيا وعلمنا حالَها ، فلو لم نصرفْ عنًّا رغباتها فسيكون ذلك جهلاً منًّا.

٨- نحن سنمضى عنها فى سعادة وحبور، لأننا سوف ننزل منزلاً فى بقعة أفضل منها .

٩- نحن نريد حجرًا لإخماد مصباح ليل العالم ؛ لأننا سوف نوارى الجسدَ مثل الذهب فى التراب.

١٠- لو سلب القضاءُ قلنسوةَ العمر من فوق رأسنا ، فما الضير ؟ ما دامت يدُ الهمَّة ستعقدنا مع الفلك فى منطاق.

١١- كلُّ من عزم على مشاهدة رياض القدس ، قلْ له : تهيأ، لأننا سنرحل على حين غِرَّة.

١٢- سنمضى إلى هناك حيث نلاقى الحقَّ ، فحتَّامَ نقضى العمرَ مثل " ابن يمين" فى عسى ولعلَّ؟!

١٣- انقطعنا الآن عن العالم كلّه ؛ لأنَّ مثوانا سيكون في جناب حضرة خير البشر .

١٤- المصطفى مرشدُ أولاد آدم ، الذى سوف نترك النجومَ ونحتمى بهدايته.

١٥- اقتدينا بشرع المصطفى ، والشكر لله أننا سوف ينقضى عمرُنا الآن ونحن على ذلك .

أيضًا قصيدة فى منقبة حضرة على المرتضى عليه السلام والصلاة [١]

(ص ٤٤ - ٤٥)

١- ذلك الذى هو قدوةٌ لكلا العالمين هو علىٌّ ، كفى عند الله منزلةً تكون لعلىٍّ.

٢- ينال الإقبالَ ذلك الذى يتحدث عن محبته، ويكون سعيدَ الحظِّ ذلك الخادمُ لقبره .

٣- كلُّ قلب يخلو اليوم من الولاء له ، سيفعم بنار سقر يوم الحساب .

٤- هو على الاتفاق مرشدُ الأولياء وهاديهم ، فذلك الذى يكون وليًّا ؛ فلأنَّه يقتبس من نوره .

٥- يُشترط الإمامُ فى صلاة الجماعة ، وما كان ذلك إلا لأنَّها الصفةُ الفضلى له من بين تلك الصفات .

٦- الفاضلُ يبقى مكانَه والمفضولُ هو الإمام ، وغيرُ ذلك يكون فى طريق الحقِّ باطلاً.

٧- كلُّ شخص يكون مؤمنًا بأمر المصطفى ، فما لم يكن مكابرًا فإنَّ مولاه علىٌّ.

---

(١) هكذا وردت فى الديوان .

٨- إنْ لم يمدُ فيضُه خاطرى ، فقلْ لى فى النهاية إنّ هذه شجاعةٌ منك .

٩- إنّ ممدوحًا قد تحدثتُ عن فضائله بهذه الشاكلة ، يكون المديحُ لغيره هو الجهلُ بعينه.

١٠- طالما يظلُّ "ابنُ يمين" حيًّا، فإنّ أفضلَ أعماله أن يكون بُلبلاً فى روضة مدائحه .

قصيدة فى النصيحة (ص٤٥)

١- أيها الناسُ أبعدوا القلبَ عن أمور الدنيا ، اطلبوا العدلَ واسلكوا طريقَ العادل.

٢- طالما تنجذبون مثل الفراشة من الظلمات إلى النور ، فانتزعوا من رءوسكم كلَّ لحظةٍ صفة الشمع المذيب للقلب .

٣- واصهروا الوجهَ فى الذهب فى بوتقة الإخلاص على قاعدة الخلاص من حرارة نيران القلب فى وقت واحد .

٤- وأبعدوا الشرَّ عن رءوسكم حين لا يكون خيرٌ بينكم ، فالخيرُ كثيرٌ فخذوه لأنّ الشرَّ قليل.

٥- يُستخرج جوهرُ العيش من بحر المعاصى، ولكن كى لا تغرقوا فيه – أى البحر – أقللوا من هذا الجوهر .

٦- كلُّ ما تخفونه اليوم من طيب وخبيث سوف يظهر غدًا على الجملة وتندمون عليه .

٧- وفى النهاية ، حينما لا يشق هذا الطريقَ بدرٌ فاتركوا هذا الطريقَ واسلكوا طريقًا آخر .

٨- احترفوا الدهقنةَ (الزراعة) بصفة أهل الصفاء، حتى تحصدوا نتاج زرعكم رويدًا رويدًا.

٩- لا تسلكوا الطريقَ إلى الهدف بغير مرشد ، وطالما يصل الطريقُ إلى الهدف لابد من تتبع المرشد.

١٠- اتبعوا المصطفى لأنه على تربة يثرب مثل شمع الصفاء ، فاحترقوا بمصباح قلبه.

١١- المرشدُ الذى يكون آمنًا من الخطأ فى طريق الحقِّ ليس سوى النبى ، فاسلكوا طريقَ النبى.

١٢- وذلك الذى تكون ذاتُه فى صفاء ؛ لأنَّه وحده مدينةُ العلم ، حتى تدخلوا تلك المدينة فاسلكوا طريقَه.

١٣- وفى تلك المدينة تعرفون "المرتضى"؛ لأنَّه ذلك الذى يكون منه رسمُ الشرع المطهَّر وطريقُهُ فاتبعوه.

١٤- إنْ لم تعرفوا بيقين رفعةَ منبره، فعدُّوا السماءَ أوَّلَ درجة له .

١٥- اعلموا غزارةَ علمه من لفظ "سلونى"، وخذوا القياسَ لقوة ساعده من باب خيبر.

١٦- ما أكثر فضائله حين تعدُّون، فأقل منقبة له هى قتلُ عنتر.

١٧- أيها الأعزاءُ ، استمعوا إلى حديث "ابن يمين" الذى ليس وراءه غرض، وخذوه كلَّه على الخاطر الأنور.

١٨- إنْ خفتم ظمأ يوم القيامة ، فخذوا بتلابيب مرحمة ساقى الكوثر.

١٩- ازرعوا بذرةَ حُبِّه فى تربة القلب والروح ، كى تحصدوا من زَرْعكم كلَّ ما هو طيب .

ولـه قصيدة فى مدح أمير معز الدين حسين آل كرت (ص٤٦)

١- هذا أنا ياربُ ، حيث يقودنى حظى ، ويعرف طبعى طعمَ الغُربة[١].

٢- فذلك الذى يعد محبوبا يطلب ودّى ، وذلك الذى ينفر قلبُه منّى يبتعد عنى.

٣- فى ليل الفكر الحالك ، يسطع كوكبُ نهارى السعيدُ رغم أنف الدهر.

٤- فبلا شك إنّ كلَّ مَنْ يهتدى بصبح السعادة سوف يتحرر من مساء النكبة.

٥- يا "ابنَ يمين" لا تغادرْ مركزَ توفيق الحقّ ، فهو مرشدى صوب الملك حامى حمى الدين.

٦- سيد العالم "معزّ الدين" الذى تتخذ النجومُ ترابَ أعتابه توتيا لأعينها على سبيل الشرف.

٧- ذلك الذى يوم الوغى يكون الرمحُ الذى يشبه الأفعى فى كفّه مثلَ العصا التى تكون فى يد "موسى" حيّةً تسعى.

٨- حامى حمى الدين الذى خشيةً من عدله يصبح الفاجرُ زاهدًا رغم أنفه.

٩- فى حساب الهندسة يساوى عدوُه فى المعركة صفرا ، ولأنه لاشىء فإنه يختال بنفسه كثيرًا.

١٠- صار لونُ وجه خصمه لعلاً أحمرَ من دماء قلبه ، فقد لوّنه بالحمرة سيفُ الملك الأزرق.

١١- يوم العريكة ويوم الأريكة يُسلم عنفُه ولطفُه كلَّ خبيث وطيب إلى الحزن وإلى السعادة.

١٢- يقوم لطفهُ المنعشُ للروح بعمل المومياء فى علاج المكلومين من فعل الفلك الدُّون .

---

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة وهو أسير لدى الممدوح فى معركة زاوة ، إذ حمله معه إلى كرت حيث عـاش معه فترة مادحا له، وسبق أن أشرنا إلى المعركة وأحداثها فى قسم الدراسة .

١٣- وبسبب حصاره يتجه خصمُه كلٌ سحر صوبَ السماء متأوهًا بقلب أشد حلكةً من الليل الغربيب .

١٤- لو تتحدث السحبُ عن السخاء فى وجود جوده ، فهى بلا حياء إنْ لم يأتِ منها سوى الحيا (المطر).

١٥- ترغب السحبُ فى مدد من سحب يده الفيَّاضة ، وتفعل ذلك كلَّه بمذلَّة ولوعة بسبب عجزها وقلة حيلتها .

١٦- أيها الملكُ ، مادام "ابنُ يمين" فى هذا الجوار المبارك ، فإنَّه على ورد مديحك مثل البلبل الصدَّاح.

١٧- فالعقلُ المطَّلعُ على فكره الثاقب ربما يقول : إنَّ الفلكَ الهرمَ يجعله مدَّاحًا للقمر.

١٨- إذا ما وجد فكرى البكر زينةً من قبولك ، فسوف يستولى على العالم ، وأنَّى له ذلك بدون ذلك المحرك له.

١٩- ولو سقطتْ على سبيل الخطأ نفايةٌ من عظيم مثلك على أحـــد الغلمان ، فلا تأخذْها منه لأنَّه سيختال بدعوى القرب منك.

٢٠- أمام صيارفة المعنى ، سوف يتجه قلبى صوب الطلاء؛ لأن لطفك يصنع الكيمياء.

٢١- طالما يهبُّ من الروضة نسيمُ فصل الربيع ، فإنَّه مثل خلقه ينشر عطرًا منعشًا للروح.

٢٢- فلتكنْ روضةُ خلقه الطيب نضرةً ؛ لأنَّ أنفاسَه مثل نسيم فصل الربيع تنعش الروح.

أيضًا قصيدة له فى مدح علاء الدين محمد (ص٤٧-٤٨)

١- تأملْ هذه السعادةَ التى حظى بها أهلُ خراسان ثانيةً، وشاهدْ هذه الكرامةَ التى نالوها من تأييد الله تعالى .

٢- لقد كانت لهم أكبادٌ متفحمة من لظى المحنة ، فوجدوا - الآن - مثل "الخضر" ماءَ الحياة فى ظلمة الغمّ.

٣- مع مثل هذه النكبة التى غرق فيها هذا الجمعُ ، أصابتنى الحيرةُ من تلك السعادة التى شملتهم.

٤- فساءلتُ العقلَ : أيها الشيخُ الحكيمُ الحاذقُ ، من أين ظفر أهلُ الحرمان بحظِّ الشباب؟

٥- فأجاب : من ذلك الموضع الذى وجدوا فيه شمسَ المُلك قد بسطت بلطف الحقّ ظلَّها على رأس أهل خراسان .

٦- ووجدوا للدنيا سيدًا ، أمام بطولاته تعد قصةُ "رستم" مجرد أسطورة وخرافة.

٧- وجدوا المَلكَ راعى الدين علاء المِلَّة والدين الذى من قَدْر شرفه وصلت أعتابُ قَدره أوجَ كوكب زحل.

٨- وجدوا ذلك المسيحَ النَّفس الذى تشبه يدُه فى حلِّ أمور الدين والمُلك كفَّ " موسى بن عمران " .

٩- وجدوا ذلك المَلك الذى كان أمرُ الدين والمُلك قبله بلا قرار، والمجتمعُ مشتتًا بل وأكثر من هذا .

١٠- ثم وجدوا - الآن - فى عهده ، من يُمن عدله قد توفر للجميع كلُّ أسباب الحياة الطيبة بما لا يمكن وصفه.

١١- ووجدوا الجنَّ والإنسَ قد فتحوا أعينَهم لمشاهدة "آصف" والِيًا لمُلك "سليمان".

١٢- وأنَّ سالكى منهج الأمل أى الحرص والطمع وجدوا من قلبه ومن يده البحرَ وأيضًا المنجمَ.

١٣- وحين يعزم فارسُ همَّته على الإغارة، فإنَّ ميدانه يخرج إلى ساحة اللامكان.

١٤- وأن يدَه يوم الهجاء ورمحَه الذى يشبه الثعبان يكونان لدى أهل المعنى مثل اليد البيضاء والأفعى .

١٥- وأنَّ الناسَ فى عام القحط قد وجدوا أنَّ يدَه ناثرةَ الدُّرِّ قد فتحت بابَ الجود على الفلك تكرما منه .

١٦- وأنَّ لسحب الربيع قلبًا ملتاعًا وعينًا باكيةً بسبب الغيرة من يده حاملة الجوهر .

١٧- وأنَّ قدَره قد صار ضيفَ الفلك ، وأنَّ الموجودَ على هذه المائدة المزينة هو قرصا القمر والشمس .

١٨- وأنَّ على مائدة محفلة كلَّ نهار حَمَلاً مشويًّا على حرارة تنور الشمس .

١٩- وأنَّه مثلُ "يوسف" عزيز مصر الدنيا، وأنه يا للعجب مثلُ "سليمان" جيشُه كلُّه من الجان.

٢٠- وأنَّ ذرةً من نور رأيه ألقت صورتَها على الفلك ، فسطع نورُ الشمس من شعاعها.

٢١- وأنَّ أقلَّ فراشة على مصباح دولته، شمعٌ ذهبى (الشمس) على هذا الإيوان الفيروزى (السماء).

٢٢- وأنَّ عدوَّه قد هرب من ماء السُّحب الداكنة لسيفه المتوهج، ليرى فى البحرين الدُّرَّ والمرجان.

٢٣- وأنَّ أعداءَه الذين تمردوا على ربقة أمره ، صاروا جميعًا لأمره وفق هوى أحبابه.

٢٤- أيها الملكُ ، أتعلم أنَّ أهلَ العلم قد وجدوا أنَّ فيضَ رياح "فروردين"[1] وسحب "نيسان"[2] من إحسانك.

٢٥- كلُّ مَنْ صار فى ظل شمسك واضحًا كالذَّرة ، وجد أمرَه خالى الوفاض قد صار مليئًا بأسباب الحياة.

٢٦- كنزُ مدحك أمرٌ واجب فى زاوية قلب "ابن يمين" ، فاطلبْه لأنَّه كنزٌ موجودٌ فى زاوية خربة.

٢٧- يجب للشاعر المادح طريقٌ إلى ممدوح مثلك، ذلك لأنَّ الذى يليق بمدح "محمد" هو نظمُ "حسَّان".

٢٨- فلتكنْ كلُّ رأس قد انحرفت عن خط أوامرك دائرةً مثل الكرة فى انحناءة صولجان حكمك.

أيضًا له (ص ٤٨-٤٩)

١- ذلك الملائكى الوجه الذى يتعلق مائةُ عاشقٍ والهٍ مثلى بشَعره الغزير.

٢- لقد أضرم قهرُك نيراناً فى قلبى، فما شعلةُ الصاعقة إلا برقٌ من شررها.

٣- ليس لدىَّ روضةٌ ولكنِّى أعشق الوردَ ، حتى إنَّ آلامَ شوكه تدمى أقدام قلبى .

---

(١) اسم الشهر الأول فى السنة الإيرانية ، وهو أول فصل الربيع.

(٢) اسم الشهر الثانى من فصل الربيع عند الإيرانيين .

٤- أنَّى لكنز الحُسن أن يصافح وجنتَه ، مع أن له من الغالية مائةَ حلقة ملتوية كالثعبان [١] ؟!

٥- له غمزةٌ وحاجبٌ لو يصيد بهما فإن عالمًا يتمنى أن يصيده مثلُ هذا السهم (الأهداب) والقوس (الحاجب).

٦- وحيثما يمرُّ فإنَّ روحَ خلق العالم وقلبَه سيسقطان جميعًا أسرى طريقه.

٧- صفحةُ وجهى أشد صفرةً من ورق الخريف فى كل فصل ، إلا أنها تكون في نضرة الربيع احمرارًا ، من عشق وجهه.

٨- كلُّ مَنْ يدفع مثلى سفينةَ العمرِ فى بحر غمِّه فيكون الساحلُ غايةَ أمله ومقصده.

٩- كلُّ ما يصل منكِ أيتها الروح والدنيا إلى رغبات "ابن يمين" ، فلو كان من إنعام الملك فإنه يكون يسارًا له.

١٠- حين أذكرك يأتى العيدُ والعرشُ إلى خاطرى ، فما أسعد ذلك الذى يكون مثلك منقوشًا على كفِّه!

١١- لو هبَّت ريحُ الصبا على تجعيدة طرَّتك ، فحين تفتحها لمرة يفوح منها المسكُ التترى.

١٢- فتأملْ ، إنَّ العالمَ ثملُ خمرة شفاهك الياقوتية، وهذا نادر، فتظلُّ عينُه ناعسةً فى السُّكْر طوال العام.

١٣- كلُّ مَنْ تحرر مثل شجر "السرو" من جورك ، فلماذا يظل عاقدًا يديه على أعلى صدره مثل شجر "السنار".

١٤- خاصة أنَّ فى عهد عدل ملك ملوك العالم ، يكون كلُّ ملك فى هذا العهد مجرد جابٍ لضرائبه.

---

(١) يقصد طرة المعشوق السوداء اللون والملتفة الشعر .

١٥- هو ذلك الذى لو تتواجه الشمسُ مع رأيه الساطع، فإنها ترغب مثل القمر فى الفرار كسوفًا منه وخجلاً.

١٦- صار الفلكُ فى اضطراب حسدًا لمرتبته العالية ، إلى الحدّ الذى يظلُّ فى دوران ليلاً ونهارًا .

١٧- أيها الملكُ ، إنَّ همتَك لم تسعد بذلك ؛ لأنَّ نثارَهَا من الفلك هو النجوم والكواكب .

١٨- لو كان لخصمك طموحٌ إلى قدرك العالى ، فإنَّ قمةَ المشنقة هى أعلى درجة له وأنسب .

١٩- حيثما تتجهْ رايتُك الخفاقةُ كالشمس يكن على يمينها ويسارها فتحٌ لك ونصر.

٢٠- يصير العدوُّ من كثرة سهامك عليه وقت الكريهة قنفذًا ، مع أن صدره مثل العريان.

٢١- أمام رأيك الساطع لو يوضع قرصُ الشمس الذهبى اللون على محك من العقل فلا عيارَ له .

٢٢- أيها الملكُ ،إنَّ "ابن يمين" عبدٌ لك بقلبه وروحه ، فلو يحالفه الحظُّ السعيد من لطفك .

٢٣- فإذا ما كانت السماءُ معاديةً لأرباب العقل ، فإنها تكون له محبةً لأجل رونق عمله.

٢٤- طالما أنَّ الفلكَ يدور متعاقبًا فَذلك من طبعه ، وحين يزيد أكثر عن ذلك الحدّ فإن هذا يحسب له .

٢٥- فليكن لك من عين عبدك المطيع وقلبه مثلما يكون مداره كله على قطب مرادك.

وله فى المدح (ص ٤٩-٥٠)

١- تأملْ هذه السعادةَ التى آبت الآن ثانيةً ، وشاهدْ هذه الكرامةَ التى طلَّت فجأة على الدنيا .

٢- فقد صار للقمر الآخر ضياءٌ من الفلك العظيم ، وصار لهذه الدنيا الهرمة حظُّ الشباب.

٣- وأطلَّ دُرُّ بحار الفتوة بوجهه من الصدف ، وخرج جوهرُ معدن الكرم فجأة من المنجم .

٤- وجمح نحو الفلك غصنٌ من على قمة شجرة "السرو" فنبتت فجأة فاكهةٌ من ذلك الغصن الجامح.

٥- يا ملكَ الملوك ، اعلمْ أنك صائنٌ لهذا "السرو" الطليق؛ لأنَّ منه ذلك الغصنَ الجامحَ.

٦- جاءت الفاكهةُ العذبةُ من ذلك الغصن طازجةً وفق هوى الأحباب ، وجاءت للأعداء مُرَّةَ الطعم.

٧- ولحسن حظِّ مَلك الملوك ، جاء مثلُ هذا الغصن طليقًا، ومثلُ هذه الثمار نضجةً .

٨- الملكُ العادلُ الذى يحترف الذئبُ الظالمُ فى عهده حِرفَة الرعى على الخراف .

٩- سيدُ العالم ، جمالُ المُلك والملَّه، الميمونُ الطالع، الذى جاءت الأيامُ من وجوده مثل الروح فى الجسد.

١٠- ذلك الذى يوم النزال يلين درعُ الفولاذ أمام سن رمحه كالحرير .

١١- ما فى طبع الأرض والسماء من ثبات وسرعة ، جاء أمام حزمه وعزمه مجردَ شمَّة.

١٢- وتوارت الشمسُ مثل الذرّة فى حلكة الليل وقالت كيف يتسنى لها السطوعُ أمام نور رأيه؟

١٣- ترابُ أعتاب لطفه المنعش للروح هو ماءُ الحياة ، ولذلك السبب جاءت منه حياةُ الخلود.

١٤- ما يُقدَّم عادة على سفرة إنعامه العامة هو القرصُ الذهبيُّ الشكل (الشمس) على هذا البساط الفيروزى (السماء).

١٥- لو طهى خصمُه معاملات المحال من نيَّته ، فأىُّ نفع له من ذلك ؟ ففى النهاية يأتى الضررُ لروحه.

١٦- أيها الملكُ ، طالما قد صار "ابنُ يمين" مادحًا لك ، فإنَّ خاطرَ الدُّر المنثور قد هبط عليه مثل سحب الربيع.

١٧- لقد ختمتُ بالدعاء الآن حتى لا يقول أحدٌ : يا فلان ، إنَّ علاماتِ الضجر قد انعقدت على جبين الملك.

١٨- فليكنْ لك البقاءُ ما بقى الزمانُ ؛ لأنَّ ذاتك الطاهرة قد جاءت لدفع فتنة آخر الزمان .

١٩- فليطُل عمرُك وعمرُ أبنائك أكثر ممالهم ، لأنَّ ذلك الذى تطلبه من السعادة قد جاءك أكثر منه .

قصيدة أيضًا له فى مدح طغايتمور خان والتهنئة بوصوله (ص٥٠-٥١).

١- يا قلبُ، ألا أحضرْ البشرى فقد وصل ملكُ العالم ، وصل الآمرُ لملوك الأرض والعصر .

٢- ملكُ العالم "طغايتَمُور خان" الذى ما إن وصل إلى المُلك حتى وصلت الروحُ إلى الجسد المعنًى.

٣- ما إن ظفر العرشُ بعزّ تقبيل أعتاب الملك ، حتى علت أقدامُه هامةَ السماوات السبع قدرًا.

٤- لقد تفتح ورْد قلبى مثل قلب الورد سعادةً حين قَدِمَ مَلكُ الدنيا بأسرها .

٥- ونالت روحي المستكينةُ الخلاصَ من المحنة ، فقد وصل إلى قلبى العاجز مائةُ لون من الراحة .

٦- المنّةُ لله ؛ لأنّ الملكَ ملاذ العالم قد انطلق مثل "السرو" تجاه جدول المُلك.

٧- وصل إلى مسند الجلالة وعرش المُلك برأى الشيخ وقوة حظٍّ الشاب .

٨- هبتْ نسماتُ فصل الربيع من روضة مكارمه على أهل العصرِ فى عيد المهرجان .

٩- لقد كنت فى شدٍّ وجذب مع حادثات الدهر المتقلب حتى جاء المَلكُ وجاءت معه بشارةُ الأمن والأمان .

١٠- حين خطا بخطوه مثل القمر على أوج عرش العزّة ، فنقول إنّ الوردَ قد أقبل إلى الحديقة والجوهرَ إلى المنجم .

١١- أين المطربُ الذى كان يترنم أحيانًا بهذا الغزل العذب الصافى بسبب قدوم المَلك الموفق؟

١٢- أيها التركى الساقى أحضِرْ الراحَ فإنّ فصلَ الخريف قد حَلّ ، لا...لا...إنّ ربيعَ صحبة العارفين قد هَلّ.

١٣- هيا أطفئْ بعد هذا بماء الكَرْم نيرانَ قلبى ، فيكفى هذا الخبرُ السعيدُ أنّ الإمبراطورَ قد وصل .

١٤- لقد أشرقت شمسُ الطّلى من مشرق الدّن ، فوصل مائةُ ضياء إلى عالم العقل والروح.

١٥- وحين وصلت ثمالةُ الشراب إلى الحلق واللسان ، صار فى مذاق القلب حلاوةُ النشوى.

١٦- فوضعت الراحُ كنزَ الطرب فى القلب الطامح ، فتقول إنَّ مزتَّها قد وصلت من الزعفران.

١٧- ألا يا أيها التركى الطافحُ ألا اطلبْ رطلاً ثقيلا ، وهيئْ محفلَ الطرب فقد وصل ملكُ العالم .

١٨- فإنَّ ثمالةَ الخمر تضحك مثل فصل الربيع ، خاصةً الآن لأنَّ نوبةَ عيد الخريف (المهرجان) قد حلَّت .

١٩- هبَّت رياحُ الخريف على أوراق الغصن فى الحديقة ، مثل يد المَلك ناثرة الذهب فى محفل الروح .

٢٠- الملكُ الذى يتعاقب على مشارب جوده قوافلُ متعاقبةٌ من طالبى العطاء.

٢١- أيها الملكُ ، إذا كان " ابنُ يمين " قبل هذا متألمًا ، حتى وصلت استغاثةٌ منه إلى الفلك .

٢٢- فإنَّه الآن بفضل رونق المقدم الميمون للملك ، قد وصل إلى قلبه منه كلُّ ما يهفو إليه .

٢٣- أنا أعلم أنَّ الفلكَ السافلَ لم يعد ينظر إليه بحقد بعد هذا ؛ لأنَّ الملكَ العطوفَ قد وصل .

٢٤- فليطلْ عمُره وعمرُ أبنائه ؛ لأنَّ كلَّ رغبة قد تكون له ، قد تحققتْ بيُمن دولته .

قصيدة فى مدح محمد بيك أرغونشاه (ص٥١ – ٥٢)

١- الأمير الذى يوجد وقت المكافأة هو " محمد بيك أرغونشاه " .

٢- هو المَلكُ الذى يكون على عرش المُلك قمرًا على الفلك الدائر .

٣- إذا حاكوا له قباءً من أطلس الفلك ، فإنَّه يكون دون قامة همَّته .

٤- لو تكون عروسُ المملكة ذات يوم فى عقد مع غيره مكرَهَةً .

٥- فإنَّها حين تأتيها ذكرى مصاهرته لها ، يكون كلُّ حديثها : واشوقاه.

٦- لا يتشابه مع فيض كفِّه عطاءُ السُّحب ؛ لأنَّ الأولَ متصلٌ والآخرَ منقطعٌ.

٧- الجبلُ الثقيلُ حجارةً يكون إلى جانب حلمه أكثر خفةً من قشة التبن الجافة بكثير .

٨- ألطافُهُ العذبةُ تشبه الراحَ فى اللَّطافة ، فهو زائدُ البهجة نادرُ الوجوم.

٩- فى عهده يكون العدوُّ منصهرًا فى بوتقة قهره على قاعدة من ذهب.

١٠- فى يوم النزال، لو واجه أسدًا لصار الأسدُ أعجز من الثعلب بكثير.

١١- استمدت مرآة الفلك رونقها منه؛ لذا فهى متحدثة بذلك وليست طالبة مُلك.

١٢- وظيفةُ اللسان فى الأفواه هى الحديثُ عن صيت مكرماته التى جابت الآفاقَ شرقًا وغربًا.

١٣- ومهما قال العقلُ إنَّ هذا محال ، فأىُّ ملَك مثله فى مكانته؟

١٤- ولكنَّ المرآة تظهر له شبيهًا ، وهو ... الذى لا شبيه له[1].

١٥- يا صاحبَ الحظِّ الشاب، أنت ذلك الشخصُ الذى يكون رأيُك مطَّلعًا على مكنون الفلك الهَرِم.

١٦- أنت قمرٌ للمُلك ؛ لأن الفلكَ مجردُ خيمة واحدة له من منازله.

١٧- لستَ قمرًا فحسب بل أنت شمسُ الفلك، عندما تكون الشمسُ ظلالَه.

---

(١) فى هذه العبارة مبالغة مقيتة من الشاعر وتجاوز ، فقد ذكر فى النص لفظ الجلالة "الله" ، ولم نذكره اتقاءً لما لا يجوز.

١٨- حفىٌ بك التاجُ والعرشُ؛ لأنَّ أقلَّ ملَك يكون له جاهٌ مثلك.

١٩- ولكن ليس كلُّ ملَك يليق به التاجُ والعرشُ، فإنَّ رقعةَ الشطرنج أيضًا بها ملكٌ.

٢٠- أنت محمدُ السيرة، وطالما لـ "ابن يمين" ولو طريقٌ إلى بلاطك العالى.

٢١- فليس لقلبه أيَّةُ رغبـــة سوى أن يكون هذا البـــلاطُ له بمــثابة الروح لـ "حسَّان" .

٢٢- طالما تدور الأفلاكُ بصفة دائمة، فإنَّ كلَّ ثلاثين يومًا لها بمثابة شهر واحد .

٢٣- فليكنْ ملكُك مسلَّمًا من الدوران ؛ لأنَّه من أعلى القمر حتى قاع الجبِّ .

قصيدة (ص ٥٢ – ٥٣)

١- وهبنى الزمانُ مرادَ القلب دفعةً واحدةً ، وفكَّ الفلكُ الإسارَ عن أمرى المستغلق .

٢- مع أنَّه أبعدنى عدةَ أيام عن روضة المكرمة ووضع الأشواكَ حولها .

٣- فإنَّه أعادنى ثانيةً صوبَ مركز العزِّ والشرف ، أى إلى خضرة الملَك العادل وحامى الدين والحقِّ.

٤- ولىُّ العهد الملكُ العادل الذى بيَّن وصفُهُ وجهَ البسيطة كما تفعل الرياحُ .

٥- حضرةُ جلال الدولة والملَّة الذى وهب عدلُه المظلومَ رغبةَ قلب الأحرار.

٦- محت الدنيا فى عهد عدله وكرمه اسمَ "حاتم" و"أنوشيروان" ودليلهما من ذاكرتها .

٧- حين يحلِّقُ صقرُ همَّته النجيبُ ، فأمام جلاله يكون طائرُ "الهُما" مثل الحدأة بلا خطر.

٨- وحين يتنفس نفسًا من خلقه على الرياح وعلى الدنيا ، تصير الدنيا من فرط خجلها غارقةً تحت العرق المتساقط من الرياح.

٩- ما إنْ طالعتُ تلكَ الجلالة والرتبة التى تصير روحا الملك "جمشيد" و"كيقباد" خجلتين منها.

١٠- حتى خاطبتُ العقلَ ما دامت الدالُ هى القافية : اقرأ وتنفسْ من رأس الإخلاص "إن يكاد" [١] .

١١- أيها الزعيمُ الذى لم تنجب الدنيا على مدار القرون ابنًا مثلك فى السيرة وفى الهيئة.

١٢- ولن يستسيغ العقلُ أن يصف سُحبَ الربيع بالكرم أمام يدك ناثرة الدُر.

١٣- أنا المحبُ لك من أعماق الروح رغم الأعداء ، ما دامت الأمور قد صارت واضحة [٢].

١٤- حتامَ يصل غمُ السَّماء إلى "ابن يمين"، ولو يصل إليه فى عهدك سعادةٌ من الحظ فلفترة فقط .

١٥- طالما يكون رأى الشيخ موائمًا لحظ الشاب، فليكنْ لك حظُ الشاب ورأىُ الشيخ فى اللحظة نفسها .

١٦- وليكنْ القضاءُ المبرمُ للفلك مستفيدًا دائمًا من حُكمك كما يستفيد التلميذُ من الأستاذ .

وله (ص٥٣)

١- تأمل الملكَ فأىُ مرحمة هذه التى أظهرها الحقُ عليه ، كان قد وهبه الدنيا، والآن زاده الدينَ عليها.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ (سورة القلم آية ٥١) .

(٢) حرفيا : وهذا الطست له مدة وهو واقع من السقف . وهو مثل فارسى يكنى به عن افتضاح الأمر .

٢- أعطاه مثل "الكليم"(١) الخلاصَ من بيداء الشك ، فظهر لى نورُ اليقين من الوادى الأيمن .

٣- ووصل به الحالُ إلى أن سمع فجأة بمسامع العقل من شفاه الملائكة المقرَّبين إلى " توبوا إلى الله " (٢).

٤- ففتح المصحفَ لأجل الفأل والسعادة والإقبال، فكان فى السطر الأول آية "الصلح خير " (٣).

٥- فعلم مَلكُ العهد أن مَنْ زرع بذرةً فى مزرعة العُمر ، ينبغى له أن يكون حصادهُا الثناء عليه .

٦- فأشعل نارَ المحبة لخاصة فقراء المملكة ، فكانت فى باطنها شعلة نار وفى واقع الحال مثل الدخان .

٧- وأسرع(٤) صوبَ ذلك الذى فى ميدان المعرفة قد سلب قصب السبق من كافة الأولياء .

٨- أى إلى جناب حضرة الشيخ الذى سحقت أقدامُ همَّته مفرقَ نجم "الفرقد" رفعةً ومكانة.

٩- إلى الشيخ الذى جلى تكرمًا منه بصقيل نور يقينه صدأ الشكوك عن مرآة الملك.

١٠- إلى ذلك الشخص الذى لم يجد ضيرًا من هذه المصالحة ، فحلَّ النفعُ لدى الجانبين محلَّ آلام القلب العديدة .

---

(١) أى موسى عليه السلام . الذى كلمه الله من وراء حجاب.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ (سورة التحريم آية ٨) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ (سورة النساء آية ١٢٨)

(٤) أى الملك .

١١- إلى ذلك الشخص الذى سعى من وراء هذا الصلح إلى الصفاء ، فامتدحه جميعُ الخلق وتمنوا له الخلود .

١٢- من بعد العقدة التى سقطت فى أمور المُلك ، وصارت واضحةً جليَّةً لدى "ابن يمين" .

١٣- فتصير منفكَّةً فى الحال بيُمن همة قطب الأولياء هذا ، مثلما ينفتح طريقُ الصدق والصفاء.

١٤- فلتكن دولةُ الإسلام متيقظةً حتى الأبد ، وتكون موحدةً لأن الشركَ قد راح فى سُبات عميق فى الحال .

وله أيضًا (ص ٥٣-٥٤)

١- إنَّ معشوقى التركى قد سحب على صفحة القمر (الوجه) خطــًّا مدوَّرًا (الحاجب) ، فلتبتعدْ عينُ السوء عنه والحقُّ أنَّه جديرٌ بذلك .

٢- فحين يضع تجعيدةً (الطرَّة) على الخضرة (الوجنة) حول الورد (الخد)، فعسى أن تقول إنه يسحب شمس المشرق فى ثنية قوس قزح .

٣- ولك أن تقول عن خطِّه الأخضر (نَبْتُ شعره) إنَّه خضرٌ آخر ؛ لأنَّ "الخضرَ " يسحب ماءَ الحياة من حوض الكوثر .

٤- ولما وجده الأفضلَ فى محفل حسناوات العصر ، سحب خطَّ الترقيم على عذاره القمرى المنير .

٥- إنْ لم يعرف سحرًا لحرارة عشقى ، فلماذا إذن يسحب مثلَ الببغاء خطًّا حول السُّكَّر ؟

٦- حيثما يذهب فهو "يوسف" مصر لقلب مصر ، بل إنه يسحب خلفه مثل "سليمان" جيشًا من الجنّ.

٧- عندما يضع على جانب خدّه طرة ليل مجعّدة ، فإن الصبحَ الصادقَ يسحب آهةً باردةً من الروح والقلب .

٨- في عهد حسنه ، ينقش إنسانُ عيني مثل النَّقاش صورةً لحالي بماء الفضة والذهب .

٩- ويصل النهارَ بالليل في ذلك بكل سعادة وراحة ، أفلا يتحمل الخادمُ المشاقَ من الليل حتى النهار دون كلل ؟

١٠- حقًّا ما أطيب هواءَ المجلس من أنفاس العود ، فليس لأحد درايةٌ بحرقة من يحمل المبخرة .

١١- حينما تصدَّر عشقُه حجرةَ القلوب ، سواء أصبر أم لم يصبر فإن أسبابَ السفر على الباب.

١٢- تعكس المرآةُ من وجهك صورةَ الحبيب، وتغمس طرةٌ من شعره لسانَها في مسك أذفر .

١٣- ويرغب جَزْعي (إنسان عيني) في أن يسحب لعلّه الحاملَ للجوهر (الدموع) على بياضٍ (الأسنان) مغلَّفٍ بالياقوت الأحمر (الشفاه) .

١٤- طالما تكون الحبَّةُ اللطيفةُ (الخردل) خالَه ، فهي مثلُ طائر يسحب القلوب إلى فكّ طرَّة المعشوق .

١٥- حينما يدور نثارُ مقدمه الميمون ، فإنَّه يسحب إنسانَ عيني حيث الدُّر والجوهر .

١٦- في منزل وزير الإقليم تسحب رموشُ أهدابي من بحر القلب المتكدِّر الذي ليس به لعل (دماء) عُقَدَ الدُّر (الدموع).

١٧- هو ظلُّ ألطاف الحقِّ ، حضرةُ " غياث الملك والدين" ، ذلك الذي تعلو رايةُ رأيه على الشمس .

١٨- أصف الثانى "محمد" الذى له صفة "عيسى" شرفًا ، يجرُّ طرفَ ثوب الرفعة على هذه الفيروزية الشكل (السماء).

١٩- ذلك الذى له تدبيرُ " الخضر" ؛ لأنَّ عدلَه يشيد فى الدنيا سدَّ " الإسكندر" أمام جور"يأجوج" .

٢٠- ذلك حسنُ السيرة الذى يُظهر فى عين سيئ الطوية البرعومة نصلاً والصفصافَ خنجرًا .

٢١- ولأجل خدمته تجعل يدُ القدْرة من الهلال حلقةً فى أذن الفلك النيلى الهيئة (السماء).

٢٢- ويعكس نورُ رأيه الساطع الذى هو مرآةُ "الإسكندر" شمسًا أخرى على الفلك مثل "الخضر".

٢٣- وأمام صقر همَّته يتخضب " سيمرغُ" الفلك الذهبى فى دماء قلبه فى شفق آخر النهار .

٢٤- وتسحب الشمسُ مثل العرسان خمارًا مزركشًا على وجهها من فرط خجلها من نور رأيه الساطع .

٢٥- ويصنع الفلكُ لسيئى الطوية له دائرةً، ويسحبهم فجأة فى جوال إلى الدائرة التى تشبه حبل العنق .

٢٦- وحين ينشغل بأمر البرّ والبحر ، يقول العقلُ إنه يسحب البحرَ صوب البرّ.

٢٧- وحين يُجرى براءةَ الرزق للخلق ، فإنه يجعلها مقررًا عليه فى ديوان الكرم .

٢٨- ويسحب مروضُ القدرة جوادَ السماء الأخضر إلى الأرض لأجل فارس همَّته .

٢٩- ويسحب الهلالَ من المجرَّة أمامه رغم أنفه ، ويجعله طيِّعا تحت السرج الذهبى لحصانه (أى ركاباً له).

٣٠- أيها الصاحبُ ، أنت الذى يسحب مستوفى ديوان الفلك دفترَ الاستفادة إلى بلاطك.

٣١- وحين يسحب قلمُ "ابن يمين" العنبرَ فى سواد مدحك على بياض صفحة الكافور .

٣٢- فإنَّ فكرَةَ الذى يشبه الغواصَ يسحب الجوهرَ المنضودَ من بحر طبعه ناثر الدرّ على ناصية سوق العلم .

٣٣- ومع مثل هذا الطبع يتضح تمامًا ما يخص قصةَ تلك الغُصَّة التى أصابتنى من الفلك الظالم .

٣٤- يامَنْ لك خُلق "محمد" وكفُّ "موسى" أنصفنْى ، فكيف يليق أن يحمل "عيسى" حملَ كلِّ حمار ؟

٣٥- إذا كان الخلاصُ ممكنًا دائمًا، فالأملُ فيك فى أن يجرى لروحنا من الديوان ذلك الذى يكون من حظنا .

٣٦- طالما تسحب عروسُ السماء ذهبيةُ النقاب (الشمس) ، مثل الأمهات الفتيات الحسناواتِ تحت الحجاب .

٣٧- فليكنْ طبعُك صهرًا لعروس الفضل البضَّة ؛ ذلك لأنها لها مدة فى انتظار زوج مثلك .

وله أيضًا قصيدة فى مدح أمير محمد بيك (ص ٥٥-٥٦)

١- حين يجعل معشوقى من الغاليةِ صولجانًا والقمرَ كرةً ، فإنه يجعل قلوبَ العاشقين حائرةً مثل الكرة من الغم .

٢- ولو يعبر نسيمُ السَّحر على تراب حيِّه ، فإنَّه يجعل المسكَ الختنى فى الدنيا بلا قيمة أو ثمن .

٣- وكلٌ من جرحته أفعى طرَّته الملتوية ، فإنَّه يجعل فى التوِّ لَعْلَه (شفاهه) مثل الترياق علاجًا شافيًا .

٤- وإذا كان الهلالُ حاجبًا للشمس فهو الشمسُ ، وإذا اتخذ القمرُ من الثريا صفَّ أسنانه فهو القمرُ .

٥- الخطُّ السماوى اللون (نَبْت الشعر) حول لَعْله حامل السُّكَّر (الشفاه) ، يشبه " الخضر" الذى يقصد نبع ماء الحياة .

٦- له صورة ذلك الياقوت شارب السُّكَّر ناثر الجوهر ، فينثر جزعى حامل الدُّر (إنسان عينى) العقيقَ (الدمع) كلَّ لحظة.

٧- وأنا أبكى دائمًا مثل السحاب وهو يضحك دائمًا مثل الورد ، وأنَّى لصفحة الورد أن تضحك إن لم يبكِ السحاب ؟

٨- لقد ألقى بقلبى فى ثنية طرَّته المسكية ، ذلك لأنهم يُسلسون هذا المجنون أحيانا مع الإنسان .

٩- لمعشوقى التركى طرَّةٌ هندية كأنها فراشةٌ ، لأنها تحوم دائمًا حول شمع عارضه .

١٠- كُل من يشاهد قامتَه وقوامَه الفضى الذى يشبه الألف ، يجعل له مكانا مثل الألف فى أعماق روحه .

١١- سهمُ لحظ هذا التركى المعشوق المنطلقُ من ذلك الحاجب كالقوس يصيب قلبى بالبلاء ، فلا أحيد برأسى عن قدمه ، لو يجعل روحى قربانًا له.

١٢- إنَّه مستقرٌ كلَّ سحر فى هذا العُشِّ (أى قلبى)، فإنَّ ببغاءَ روحى يهوى سُكَّر الأحباب .

١٣- لقد سلبَ بِدونِ وعيٍ منّى القلبَ، اتخذه له وسادةً ، وهذا ظلمٌ فى عهد عدل ملك إيران .

١٤- الملك العادل "محمد بيك" ذلك الذى بقدره وبجاهه، يجعل ترابَ أعتابه تاجًا على مفرق كوكب "زحل" .

١٥- جوهَرُ المعنى الذى يأتى بمشقة فى سلك النظم ، فإنْ سنَّ قلمه المسكى يجعل نظمَه سهلاً ميسورًا .

١٦- دائمًا ما تُساوى نيرانُ قهره بسيفه الصقيل العدوَّ بتراب الطريق.

١٧- صورةُ الدمع بلون اللّعل خاصية لعدوه، فهو يجعل لون الكهرباء الأصفر لدمعه بحمرة المرجان.

١٨- حينما سطعت شمسُ عدله على العالم أخفت الفتنةُ وجهَها مثل الذرَّة فى الظِّل .

١٩- حينما يجول فارسُ همَّته بتصميم فإنَّه يتخذ من الساحة التى هى أعلى من اللامكان ميدانًا له .

٢٠- تصنع يدُ أستاذ الطبيعة كلَّ ربيع لأجل السحاب ، بينما هو يجعل من ورودها دروعًا ومن براعمها رماحًا .

٢١- فى وقت محفله وحين يشوى الحملَ فإنَّه يجعل الشمسَ طاهيًا والشهاب سيخًا.

٢٢- دفترُ إنفاق واحد لهمَّته التى لا حدَّ لها ، يصيب مستوفى الأفلاك بالحيرة أعوامًا.

٢٣- يرغب الهلالُ أن يقبّل قدمَه مثل الرِّكاب، ولأجل ذلك يجعل كلُّ قمر نفسه الرِّكاب .

٢٤- أيها الملكُ، صار خاطرُ "ابن يمين" بحرًا من يُمن مديحك ، ويرغب هذا الخاطرُ في نثر جواهره (مدائحه) .

٢٥- لو ينثر كفُّك عليه الذهبَ مثل رياح الخريف، فإنه سينثر درَّه (مدائحه) على نمط سحب الربيع.

٢٦- مع وجود مثل هذا النظم الذى يحطِّم فى سوق الفضل قيمةَ الدُّر ويجعل ثمنَ السكر زهيدًا.

٢٧- فحين يُحضِر النظمَ إلى بلاطك يبقى له أن يتّجه صوب عُمَان لأجل المتاجرة فيها بالجوهر.

٢٨- وبعد هذا حتى لا تزيد آلامُ رأسك، فالأفضل لطبعى أن يختم هذا المديح بالدعاء لدولتك .

٢٩- ويصبح كلُّ واحد من الآباء السبعة[1]هذه الأمهات الأربع[2] حتى تطفُن بكل مولود ثلاثًا ليبقى .

٣٠- وبمقتضى دوره فى الخير والشر والنفع والضر، فليكن كذلك لأنَّ رأيك الأنــور يأمر بذلك.

٣١- كلُّ من ينقص من رأسه شعرةُ عبوديةٍ لك، فليحنِ رأسَه دائمًا فى بطنه مثل البغل .

قصيدة (ص٥٦-٥٧)

١- مَنْ يحمل خبرًا من خراسان صوب محبوبى ؟ مَنْ يحمل قصةَ الذرَّة إلى بلاط الشبيه بالشمس[3] ؟

---

(١) أى السماوات السبع .

(٢) أى العناصر الأربعة أصل الخليقة : الماء والهواء والتراب والنار .

(٣) أرجح أن هذه القصيدة ليست للشاعر، بل هى لأبيه ، وقد أرسلها إليه من "خراسان" ووضعت فـى ديـوان الشاعر خطأً ونُسبت إليه؛ فالبيت الثانى مثلاً يؤكد أن المرسل هو الأب "يعقوب" إلى الابن "يوسف" القاطن فـى كنعان، كما أنه وصف المرسـل إليه بأنه عـزيز مثل الروح، وهو ما يصــف به الأبُ ابنه، وخاطبه فــى =

٢- مَنْ يحمل خبرًا من محترق منطقة كنعان صوب يوسف مصر العزيز مثل الروح؟

٣- مَنْ يستطيع أن يتلو عليه قصتى، ولو يقرأها فمن يحمل أوراقًا غزيرة تكفى النهاية؟

٤- أو مَنْ يحملها من تلك الشمس التى فى أعماق روحى صوب الحبيب، ممهورةً وموقعةً فى الوقت نفسه من الحبيب؟

٥- مَنْ يحمل خبرًا من الإسكندر صادى الكبد إلى الخضر على حافة نبع الحياة؟

٦- مَنْ يحمل الحديثَ إلى ذلك الذى تبقى له صفةُ النقطة فى مركز الحزن إلى المحيط الكائن بكوكب زحل؟

٧- مَنْ يحمل أنينَ البلبل الملتاع سَحَرَ موسم الورد فى أسر القفص صوب الحديقة ؟

٨- هذا ليس الدَّاء الذى يمكن له إخفاؤه، فلو يَعْبُر من هذا الطريق فمن يحمل إليه الدواء .

٩- ذلك الذى تُعد أقاليم العالم بدونك له سجنًا ، فحين يصير والهًا مضطربًا، فمَنْ يحمل المجنون إلى السجن؟

١٠- أنا المهمومُ، فمَنْ يحمل العشقَ الذى استوطن قلبى إلى ذلك الطريق الذى فيه مكانه ؟

= البيت الحادى عشر بـــ "قُرّة العين"، كما أنَّ الشاعر لم يختم القصيدة بتخلصه الشـــعرى الدائم فى كل قصائد "ابن يمين" .

١١- قرَّةَ عينى يا محمودَ الروح والدنيا ، مَنْ ينقاد إلى الصبر يوم الانفصال عنك ؟

١٢- لا كانت اللحظةُ التى لا يرافقنى فيها ذكرُك، فمَنْ يحمل اسمى الذى صار نسيًا منسيًّا لديك ؟

١٣- قال الفلكُ حين رأى حِملَ غمِّك على روحى : مَنْ يحمل سواك أيها الوالهُ هذا الحمل الزائد ؟

١٤- ولو أبكى بغزارة مِن الغَمِّ، فمَنْ يحمل إلى دعائى علامةَ السعادة من ذلك الوجه الضاحك ؟

١٥- مَنْ يحمل شهادةَ الفضل والفن من أهل خراسان غيرى وغيرك إلى رئيس وزراء العالم؟

قصيدة (ص ٥٧-٥٨)

١- بالأمس هفا نحوى نسيمُ السَّحر المضمَّخ بالمسك، ومنَحنى بشرى عطرة من الرياح.

٢- وقال إنَّ ملك المُلك الذى له عظمةُ جمشيد، ذلك الذى صارت قاعدةُ الدين والعدل مشيَّدةً منه.

٣- مُخضِعُ العُصاة "يحيى" علامةُ السلطان ، الذى تصير سعادةُ أحبابه من غمِّ أعدائه .

٤- ذلك الذى مثلما شيَّد قاعدة العدل، فإنَّه أزال عادةَ الظُّلم من الدنيا حتى الأبد.

٥- فى أىِّ ناحية تتجه إليها رايتُه بمشورته ، يحطِّم جيشًا آخر ويفتح إقليمًا آخر.

٦- طرَّته السوداءُ رايةُ رايات الفتح ومطلعُ أرباب النصر فى غرَّة كلِّ سحـــر .

٧- يأتى العقلُ تلميذًا لرأيه؛ ذلك لأنَّه صار خبيرًا فى كلِّ أمر ،أستاذًا لكلِّ فن.

٨- أمام أخبار عدله تأتى قصةُ "ابن قباد"[1] لدى أهل الفطنة مجرد خرافة.

٩- أيها الملكُ الموفق، بمثلك لم تلد النساءُ مطلقًا فى كلِّ أبواب الفضل .

١٠- إذا ما ساوَوا العدوَّ بك للحظة ، فمَنْ ذا الذى لا يفرِّق بين "السيمرغ" و"الحدأة" ؟

١١- كلُّ من يلثم يدك مثل الخاتم، فقد أقام تاجًا ذهبيًّا مثل فصِّ الخاتم على رأسه .

١٢- وإذا لم يقدِّر سيئُ الطوية شعرَ "ابن يمين" حقَّ قدرهِ، فمن ذا الذى يلوم ذلك الطبع الأصيل؟

١٣- ولكنْ ؛ لأنَّ ضميرك يذكره بأشعاره على هذا، فالثابت أنَّ قمةَ حظِّ الشاب تكون من الشيخ .

١٤- طالما كان الوجودُ تحت الفلك يستمد عونَه من النار والماء والتراب والرياح.

١٥- فليكنْ تحت خاتمك كلُّ ما يكون منتظمًا فى الوجود من هذه العناصر الأربعة حسنه وسيئه .

---

(١) يعنى "أنوشيروان" العادل أحد الحكام الساسانيين، والذى قضى على "مزدك" وأعوانه، وأصلح ما أفسده فـى البلاد عن طريق العدل .

قصيدة (ص ٥٨-٥٩)

١- وصل الملكُ العادلُ بطالع مسعود، إلى منتهى المراد وإلى غاية المقصود.

٢- قائدُ ملوك العصر ملكُ وجه البسيطة، سيدُ السلاطين "وجيه الدين مسعود".

٣- الزعيمُ المستولى مثل الشمس على العالم ، فليبقَ ظلُّه عاليًا حتى الأبد .

٤- إنْ لم يكن هناك جوازٌ لمرور خَطِّه على صفحة القمر (وجنته) ، فإنَّ الطريق للمنزل الأول يكون مسدودًا أمامه .

٥- الصحيفةُ التى لم تسوَّد فى مديحه ، تصير مثل حكم الحاكم المعزول مردودةً .

٦- وإنْ لم تضرب "الزهرةُ" على الرَّباب فى ذكرى مجلسه، لصارت "السماءُ" مطرودةً من محفله البهيج .

٧- ولواحتمت " الشمسُ " فى ظلِّ جاهه، فأين نقدُها؟ ، لقد صار فى وقت كسوفها مفقودًا.

٨- وصار "بهرامُ"[١] الخامسُ فارسُ ساحة الميدان فى يوم العريكة لجوجًا له وفى يوم الأريكة حقودًا عليه.

٩- ويطمع فى أن يتمنطق بمنطاق العبودية له ، عسى أن يصير فى عداد عبيده .

١٠- وتُكحِّل "المشترى" أمُّ السعود جفونَ عيونها بغبار جواده طلبًا للسعادة .

١١- ويكون "زحلُ" أحد السفلة المصطفين قعودًا على شرفة قصر جاهه الواسعة .

---

(١) اشتدت حيرتى هنا مع كلمة "بهرام" ؛ فهل يقصد الشاعر بها "بهرام گور" الخامس ابن يزدجر الساسانى؟ والقرينة على ذلك كلمة "پنجمين" أى الخامس، أو يقصد بها كوكب "المريخ"؟ والقرينة ذكره فى الأبيات لمجموعة الكواكب مثل الزهرة والسماء وزحل والمشترى؟ .

١٢- و"الفلكُ" إظهارًا لموهبته يكون شغوفا لجعل صميم صدره الذى هو بلون الياقوت حافظةً لنقوده.

١٣- إذا لم تَفُحْ روائحُ روضة خُلُقه، فإنَّه يضع نسيمَها الرطب فى مزاج الصندل والعود.

١٤- دنيا المكرمة عامرةٌ بوجوده ؛ لأنَّ عنصرَها الطاهرَ هو كلُّ سخائه وجوده.

١٥- يفتح ضميرُه بسرِّ خاتم فكره فى لحظة واحدة من أمر المُلك آلاف العقود.

١٦- فترى الوفودَ يعدون زرافات لتقبيل ثرى أعتابه اندفاعَ المسلمين صوبَ الكعبة .

١٧- يتابعه لأجل نصرة الإسلام المجوسى والراهب ذلك الذى ليس يهوديا.

١٨- أيها الأميرُ ملاذُ العالم، أنت الذى تكون طرَّةُ الفتح معقودةً فى ذيل طرَّة راياتك.

١٩- ويوم "ألستُ"[1] الذى هو واحدٌ مِن هذه الفتوحات كلها، قد صار لكوكبة الكبريات موعودًا .

٢٠- ما أكثر أن أظهر العدو بتراب الحيلة ، فلم يجد مفرًّا سوى المضى عن عالم الوجود.

٢١- وإذا كان الرَّفسُ والعقرُ سمةً للحمار الوحشى ، فما جدواه له فى مواجهة الأسود؟!

٢٢- صارت رأسُ عدوك مسحوقةً تحت أقدام هيبتك، فأىُّ مكان هنا لقوة "عاد" أو نبوة "هود" .

---

(١) يوم "ألستُ" إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ (سورة الأعراف آية ١٧٢) وهى آية العهد والميثاق الذى يترتب عليه العقاب.

٢٣- إذا ما أعدت محرقةً لخصمك، فالأفضل أن تكون بالنار التـــى وقودهـــا الناس والحجارة.

٢٤- عجز بيانُ العقل عن وصف كماله، بلى فكيف يمكن للمحيط أن تصير له حدود ؟

٢٥- مثلما لا يكون فى العالم ممدوحٌ مثلك ، فإنه يندر أيضًا وجودُ مدّاح مثلى.

٢٦- فلتَعْتَنِ بـــ "ابن يمين"ولتَبْقَ خالدًا ؛ لأنَّ خلـــودَ "محمـــود" مـــن مـــدائح "العنصرى".[1]

٢٧- طالما يزيد الطربُ دائمًا عن طريق تذوُّق أهل المعنى له، مـــع صـــوت الرباب ونغمات العود.

٢٨- فليكنْ جسدُ عدوك يابسًا، ويكون جلدُه مثل خشب الرباب، وليكنْ حسودُك على وهج النار مثل العود.

قصيدة فى مدح خواجه علاء الدين محمد (ص ٥٩-٦٠)

١- أجْمِلْ بحلقات طُرَّةٍ مسكيَّةٍ مجعَّدة، قيَّدت محطِّمًا مثلى بألف قيد .

٢- وسلَبْتَ بصولجان طُرَّتك كرة اللَّطافة من العشَّاق ذوى القدود المـــستقيمة والحسناوات ذوات الخدود الياسمينية .

٣- وفتَحتْ طرَّتُك الهنديةُ اللون يَد التطاول بقوة ، واستلَّتْ غمزتُك التركيـــةُ الشكل من الجفن سيفًا مهندًا.

٤- وحملت ريحُ الصبا نسخةً من وجهك ذاتَ سَحَرٍ إلى الخميلة، فأســـرعت عروسُ الورد من خدرها إلى رؤياك.

---

(١) أى مدائح الشاعر العنصرى أحد شعراء العصر الغزنوى للسطان محمود الغزنوى.

٥- وحملتْ رونقَ النرجس إلى هاتين الغمزتين الآسرتين، وحطَّمتْ بتلك الطرَّتين المجعدتين قيمةَ الطرَّة.

٦- فليس ثمة عجبٌ أنْ ينحنى إلى الطين حسدًا فرعُ شجرة "السرو" السامقة القدّ أمام قدّك السروى النافر.

٧- وسمعتُ من شفتيك العذبتين جوابًا علقمًا فقلتُ : لقد صار لسوء حظّى سُكَّرُ النبات حنظلاً.

٨- ما الذى يدل على الكيمياء سوى نيران عشقك ؛ لأنَّ دمعَ عين العاشق تشبه العسجدَ والبسدَ[1].

٩- أنا غلامُ تلك الشفة الياقوتية ؛ لأنَّها حين تضحك، فإنها تشير إلى الدُّر المنضود[2] مثل قلم الصاحب الأعظم .

١٠- أميرُ عالم الجود الذى يتخضب المنجمُ الناثرُ للياقوت فى دماء قلبه غيرةً من عطاء كفِّه .

١١- محيطُ مركز الرِّفعة ، فلكُ الجاه والجلالة ، علاءُ الدولة والملَّة محمدُ بن محمد .

١٢- الوزيرُ علامةُ الملُك ذلك الذى يكون جنابُه مرجعَ الكائنات ومقصدَها للسعادة الأبدية .

١٣- يأتى السائلون إلى حضرته على رائحة جوده، بلى ،لأنَّ المسكَ يفوح فى طريقه من أنفاس عوده .

١٤- يحارُ العقلُ من نموذج وَرْده ؛ لأنَّ صفحةَ وجه الملك قد توَّردت بالماء الأسود (الكحل) .

---

(١) كناية عن شدة الاحمرار ؛ لأن العسجد هو الياقوت ، والبسدُ هو المرجان .

(٢) كناية عن أسنان المعشوق .

١٥- لو ينظر بغيرة إلى عقد الثريا، تصير من غيرته مبعثـرةً مثـل بنـات النعش[١].

١٦- ولو يَعْبر نسيمُ لطفه على نار جهنم ، يصبح أهلُ النار مخلدين فى رياض الخُلد .

١٧- مَرْحى لصاحب الجناب الرفيع، الذى لوزها مفرقُ "الفرقـد" متفـاخرًا ؛ فلأنه يتَّخذ ترابَ أعتابك تاجًا له .

١٨- تجرى منك دائما براءةُ رزق الخلائق ؛ لأنها تصير مؤكـدة لعلامـات همَّتك.

١٩- فى عهد عدلك، هكذا تغطُّ الفتنةُ فى سبات النوم ؛ لأنها لن تـنهض مـن مرقدها بعد هذا فى أى وقت.

٢٠- لو تصير قامةُ حاسدك ممدودةً مثل الألف ، فإنها سوف تسحب المدَّ على رأسها حمايةً لها من سيف قهرك.

٢١- لا أعلم أنَّ حرفًا قد فرَّ من خشية سيفك ؛ لأنَّ المُلكَ المؤيَّدَ مـدغمٌ فـى معانيه .

٢٢- لو جمح الحسودُ السفيهُ عن حكمك النافذ ، فإنَّه - بذلك- يضع المنـشارَ على رأسه مثل الحرف المشدَّد .

٢٣- فلا تعجب فى أن يكون خصمُك أعمى عن وجهك ؛ لأنَّ الأفعى تكـون عمياءَ بخاصيةِ من الزمرد.

٢٤- لو أشحنُ ألفَ مجلد فى وصفك، فإنَّ ألفًا واحدة لا تكفـى مطلقًـا لـذكر صفاتك .

---

(١) بنات النعش هى الأنجم السبعة.

٢٥- إذا ما جاءت القافيةُ دالاً فى أكثر من موضع فى أشعارى هذه، فأنت تعلم أنَّ الغرضَ من الشعر ليس مجرد القافية .

٢٦- لقد ظفرتُ من مدح دولتك بالسعادة الباقية ؛ لأنَّ سعادةَ "حسَّان" كانت من يُمن دولة "أحمد" .

٢٧- ولكن حينماً شيَّد قبلى مهندسو الفصاحة بناءَ الشعر على هذا الأسلوب.

٢٨- فمن اللائق ألا يسير على نهجهم بالاقتداء عظماءُ الفضل، ولهذا فأنا مجدِّدٌ ولستُ صاحبَ مذهب.

٢٩- الدعاء لجاهك هو القول الأهمُّ لدى "ابن يمين" وقد مهَّد للقول بهذه الطريقة بسبب القافية.

٣٠- طالما تكون صفحةُ الشمس مثل صورة "بلقيس" مضيئةً العالم على قمة الصرح الممرَّد.

٣١- فليبق نظامُ أمرك هكذا "ياآصفَ" العهد ؛ لأنَّ روحَ "سليمان" تخجل منه خجلا لا يحدُّ.

وله قصيدة فى مدح طغايتَمُورخان (ص ٦٠-٦٢)

١- ما إن استقرت طرَّتك على بدر التِّم (وجهك)، حتى شمل الاضطرابُ القمرَ ودار مبتعدًا .

٢- وحين يكون وجهُك فاتحةَ السعادة لقلبى ، فإنَّ الإخلاص لخدمتك يعلو دائمًا ويزداد.

٣- لو كان ثمة طريقٌ لغلامك صوبك، فإنه يسلكه من إخمصه إلى مفرقه، ولو كان على حدِّ السيف وسنِّ الرمح .

٤- أتعلم لأىَّ سبب صرتُ هكذا مجنونًا ؟ مِنْ كلّ عاقل يمرُ علـــى ناصـــية حيّك.

٥- فى صفٍّ عاشقيك أتى على رأسهم مثل القلنسوة ، لوطوّق الحــظُّ يــدىَّ على خصرك .

٦- أنا لا أدرى حتامَ يضع المعشوقُ فضىُّ الصدر صفحةَ وجهى المصفرِّ فى بوتقة للفراق مثل الذهب؟

٧- ألا فلتخشَ آهةَ القلب التى تنبعث وقت السَّحر ، إذا ما ابتعدتُ عن وجهك الذى هو فى صفاء المرآة.

٨- أتعلم، ممَّ تنبت الخضرةُ (نَبْتُ الشعر) ، حول وَرْدك (الخد)؟ لأنَّ أمتـــى تؤثر فى مرآة كلٍّ مرآة لك (وجهك) .

٩- يصير لببغاء الروح "ابن يمين" حديثٌ عذبٌ حين يذكر تلك الشفاهَ التـــى تشبه السكر.

١٠- ذلك المعشوقُ الفضىُّ يطلب الذهبَ منِّى، وأنا ليس لى من الذهب مطلقًــا سوى وجه الذهب (شاحبًا).

١١- أيها الحبيب، لاتستسغْ أنْ تهدر عينُك الظالمةُ دمى بلا أىِّ سبب .

١٢- على هذه الشاكلة التى تغير عينُك الثملةُ كلَّ لحظة وبشكل مختلف علـــى إقليم قلبى .

١٣- أنا مسكين إنْ لم يلتفتْ إلىَّ بعين العناية ملكُ العالم "طغايْتَمُورخان" .

١٤- لو يرغب ، فإنه يجعل الشمسَ فى ظلٍّ ركابه من مشرق سفره صـــوب مغربه .

١٥- الملكُ الذى يكون له فى وقت اللطف ووقت العنف مع الولىِّ ومع العـــدو خلُق النبى وعدلُ عمر .

١٦- لا يجد مخالفُه مطلقا ثمرةً من حياته، فأنّى للعاقل أملُ النفع فى مخالفته؟

١٧- يخضّب سيفُه الذى هو على شاكلة الفيل ساحةَ النزال مثل البركة بـدماء قلب عدوّه .

١٨- أيها الملكُ ، أىُّ غمٍّ يصيبك من كثرة الأعداء ؟ فالأسدُ يشتد طربُـه مـع كثرة الوحوش أمامه .

١٩- يجعل قضاءُ هذا القدَرِ نَهْيَكَ على الفلك أمرًا واقعيًا لأجل طاعتك .

٢٠- جاب الفلك أرجاءَ البسيطة فلم يرَمثلكَ، مهما كثر تطوافُه حول العالم .

٢١- لوحاك الحظُّ كُسوةً من أطلس على قامة جلالك ، فإنَّ الفلكَ يتخذها بطانةً لثوبه .

٢٢- ينبغى للملك أن يدلِّل أهلَ الفضل مثلما يفعل أهلُ العقل والفطنة .

٢٣- فيعتنى بىَ العنايةَ الفائقة اقتداءً بسُنّة الملوك العظام مع شعرائهم .

٢٤- فلو ينظر الملكُ نظرةً واحدة كاملةً ، فسوف يكون منها صـلاحُ أمـرى وأمُر آلاف مثلى .

٢٥- فينتزع اسمى من دفتر العوام كليةً ، لأننى خادمُه الخاص .

٢٦- طالما يعلم أهلُ القدرَ منزلتى ؛ فلأن الملكَ العادل يرعانى .

٢٧- فهذا العبدُ حين يفرغ بالُه من بحر الفكر يجعل العالمَ بمدائحه للملك مثـل الصدف المليء بالجوهر.

٢٨- وهو لن يسبِّب للملك صداعًا أكثر من هذا، حيث سيتجه صوب الـدعاء والحديث المختصر .

٢٩- إن دورةَ السماء من خلال صنعة المهندس تجعل من القمر سهمًا أحيانًـا وأحيانًا درعًا .

٣٠- فليكنْ عدوُّ الملك درعًا واقيًا من سهم الحادثات، مثلما يجعل رأسَه سهمًا لأيّ درع يواجهه .

قصيدة فى مدح نظام الدين كرابى (ص ٦٢-٦٣)

١- حين واجه ملكُ العالم العدوَّ يوم الكريهة ، يجعل سيفُه من الجسد الواحد جسدين ورمحُه من الاثنين جسدًا واحدًا[١].

٢- ملكُ ملوكَ العالم ذلك الذى أثناء حملته يجعل أسدَ الرجال مثل المرأة بدبوس يشبه البقرة.

٣- مسخِّرُ العصاة سلطانُ نظام المُلك والدين ذلك الذى يتزيَّن المُلكُ والدين بجلاله.

٤- يسلم سيفُه البتَّارُ خصمَه مثل التراب أدراجَ الرياح، مع أنَّه كان يحصِّن نفسَه مثل النار بالحجارة والحديد .

٥- يوم الحفيظة، من كثرة ما يريق الملكُ من دماء سيِّئى الطوية ، فإنَّه يجعل الغصونَ والأوراق الخضراء مثل جذع الروناس[٢].

٦- لوكان للعدوّ عادةُ التدرُّع مثل القمر، وإذا كان يرتدى جلدًا مدرَّعا على جسده مثل السمكة.

٧- فإنَّ السهمَ المنطلقَ بعنف من جعبته يوم الكريهة ، يفعل معه - أى العدو - ما يفعله سنُّ الرمح مع البرد اليمانى .

٨- وسيفُه اللامعُ بجواهره المتنوعة يثقب فتحةً فى قلب خصمه الذى هو زاويةٌ حالكةٌ ضيقة.

---

(١) أى يشطر سيفُه جسد عدوٍّ واحد شطرين ، ويجمع رمحُه بين عدُوَّين اثنين فى ضربة واحدة.

(٢) نبات أحمر اللون ويُستخدم فى الصبغة.

٩- وخنجرُه يشق صدرَ العدو مثل حبة القمح ، ويجعل جودُه من كـل حَبَّـة شعير مائةَ حبَّة نَخَن.

١٠- كلُّ مَنْ يعيش مع الملك غلاماً له وبه صفةُ الذئب، فإنَّ غـضبَ الملـك يجعل الدنيا عليه مثل بئر "بيجن"[١].

١١- همَّتُه تجعل السائلين يوم المحفل في غنى "قارون" وحبورُه يجعل الأشرارَ يوم الوغى في راحة "قارن"[٢] الأبدية .

١٢- يظفر بلا شك بعنان مركب الدولة، ومَنْ يعزم على الرحيل ففي ركـاب عزّه .

١٣- الأبله الذي يقتلع الحسكَ من جذعه ، يجلب أيضًا لرأسه بيـده صـداعًا دائمًا.

١٤- من فرط لطفه يكون المحفلُ لصاحبه وقت الشدّة، ومن فرط عنفه تكـون الشدَّةُ لعدوّه وقت المحفل.

١٥- لو تحمل الرياحُ شمَّةً من خلُقه صوب جهنم، فإنها تجعل موقدَ الحمم مثل الجنَّة من لطف الحديقة.

١٦- أيها الملكُ، كلُّ مَنْ يرشده حظُّه إلى بلاطك، فإنَّه يجعله آمنًا من حادثات الدهر.

١٧- صارت المجرَّة في السماء مثل المقلاع تقـذف مـن الـشمس والقمـر بالحجارة لإصابة عدوّه.

---

(١) هو ابن أخي رستم البطل الفارسي القديم وابن الملك كيو ، وقد حبسه التورانيون في البئر ، وأنقذه رستم (فرهنك عميد ص ١١٥٣).

(٢) أحد أبطال الفرس القدماء في عهد رستم.

١٨- الحقيقةُ التى كانت خفيَّةً حتى الآن من سرِّ الغيب، يكشفها قلمُـك الثقيـلُ بحبره الأسود.

١٩- كلُّ مَنْ يشبِّه محفلَك بحديقة "إرم"، فإنَّه كمن ينسب روضةَ "الفردوس" إلى موقد الحمم.

٢٠- لو يهب الفلكُ إلى خصمك نعمةً لا تقلْ له شيئًا، أفلا يُـسمِّنون الطيـورَ لذبحها؟

٢١- أيها الملكُ، حين يبرهن خاطرُ "ابن يمين" على فصاحته بمائة برهان من مدحك.

٢٢- فكلُّ مَنْ له دائمًا مثل "السوسن" عشرةُ ألسن، يجعل كـلُّ جـسده مثـل "البنفسج" أذنًا صاغية له.

٢٣- طالما كان كاتبُ الفلك فى الدنيا من أرباب القول، فإنه يحدِّد لكل واحـد منصبًا ملائمًا له.

٢٤- فليكنْ لك المنصبُ الذى يدوِّن فيه "عطاردُ" مديحك دائمًا وحتـى الأبـد على بياض "الشمس" و"القمر" .

قصيدة فى مدح طغايتَمُورخان (ص ٦٣-٦٤)

١- حينما يطلق ملكُ العالم "الرَّخْشَ"[١] إلى الميدان، فهو يطلق القمَـرَ مثـل الكرة فى ثنية الصولجان.

٢- ذلك الملكُ ملاذُ العالم الذى يُدخل سيفُه أربابَ الكفر عَنْـوةً مـن بـاب الإيمان.

---

(١) الرخش : جواد رستم البطل الفارسى القديم ، وهنا كناية عن جواد الملك الذى يشبه جواد رستم .

٣- له عدلُ "أنوشيروان" وعطاءُ "حاتم" ولكنّه يوم الكريهة له رسمُ "رستم بن دستان" .

٤- الملكُ الذى يصيد صقرُ همّته "السيمرغ" من هواء العدم بلطمة واحدة وبكل يسر.

٥- وحين يدلف إلى ناصية الميدان ممتطيًا صهوةَ حصانه ، يترجل فارسُ فلك السماء الأبلق.

٦- ويُغرق أعداءَه كلَّ لحظة فى دوامة الدمع الدموى مثل قوم "نوح" مع الطوفان.

٧- ولوبَدَتْ عنايتُه، فإنّه يدخل العلفَ والحَبُّ من السنبلة إلى بيدر الدهقان.

٨- مع أنَّ نسرَ الفلك يكون محلقًا ، فإنَّ سهمَ الملك يصيده من الهواء بسنّه.

٩- الرسمُ الذى يأخذ الدينُ والمُلكُ رونقَه منه ، هو ذلك الذى يفعله ملكُ العالم "طغايتَمُورخان".

١٠- الملكُ الذى حين تكون الشمسُ على صهوة برج "الأسد" فى يوم الكريهة تكون قوتُه بلا حدود.

١١- أيها الملكُ ، نسيمُ روضة خلقك يحيى الموتى مثل أنفاس المسيح التى تهب الروحَ للجسد.

١٢- كفُه الباحثةُ عن الجوهر فى لجَّة عُمَان ، فكيف للسحب ناثرة الدُّر أن تنازلها؟

١٣- كلُّ مَنْ تصير رأسُه مثل "الطاوُس" متوَّجةً منك ، يدخل مثل "القُمرى" فى ربقة عبيدك.

١٤- خصمُك ولو كان عزيزَ مصر مثل "يوسف"، فسوف يُدخله قهرُك من باب السجن ذليلاً .

١٥- حَقِيٌّ بالشمس أن تكون مثل المطبخ ، وتأتى بالحَمل مشويًا إلى ناصية محفلك .

١٦- شمسُ رأيك التى فى ظلِّ الفلك تُدخل إلى أمور خراسان كلَّ ضياء وشعاع.

١٧- لو يدخل مثله – أى الملك- إلى حيِّز الإمكان يكون عقلُه فى رأسه مثل الحلقة على الباب ، أجوفَ .

١٨- اليوم الذى يدخل فيه "ابنُ يمين" بلاطَ جاهك ، فلأجل المديح على عادة المادحين.

١٩- ولو سمع كاتبُ الفلك اسمَه العذب ، ينخرط قلبُه المعنىُّ فى عويل ونواح.

٢٠- مع مثل هذا الشعر كلِّه الذى يعرضه عليك ، فيبقى كمن يحمل الكمونَ إلى كرمان [١].

٢١- فاقبلْ نقدَه مهما كان ، لأنَّ النملةَ انقلبت إلى ساق جرادة[٢] أمام "سليمان".

٢٢- بناء على أن الفلكَ طوال الدهر يُدخل الليلَ والنهارَ فى دوران لطىِّ السنين والشهور.

٢٣- فليكنْ مدارُ النهار والليل والسنين والشهور هكذا فى دوران إليك مثل رغبة القلب.

قصيدة فى مدح أميرتالش (ص٦٤-٦٥)

١- ألا فاسعدْ أيها القلبُ، لأنَّ الحظَّ لك قائدٌ، وهو يرشدك صوب أمير العالم.

---

(١) " زيره بكرمان در آورد" : مثَل شعبى فارسى معناه بلا جدوى أو فائدة .

(٢) أى أكلت منسأته .

٢- الملكُ ذو السِّمات الملكية "تالش" الذى يجعل أهلَ العلم سادةً بواسل فـــى سبيل الله.

٣- رفيعُ القدر ذلك الذى يجعل ترابَ أعتابه وعرقَه توتيا فى عـــين الـــنجم تشريفًا له.

٤- وذلك الذى يكون شمعُ الشرق فراشةً بسبب رأيه؛ لأنَّ رأيَه مصدرٌ إشعاع دائم فى هذا المنظر.

٥- الشمسُ من عبيد رأى زينة مُلكه، ومن ثمَّ فهى تجعله سلطانًا لهذا العرش الزمردى (السماء) .

٦- ولطفُه المنعشُ للروح يقوم بعمل المومياء فى داخل المكلومين من صدمة الفلك السافل.

٧- رياحُ الربيع شمَّةٌ من نسيم لطفه، ولهذا السبب فإنَّ عطرَه يفوح فى صحن البستان.

٨- ونفحةٌ من خُلُقة تهيئ المسكَ الختنىَّ فى بلاد الصين من الدماء المحروقة فى داخل النافجات.

٩- ومَلِكُ الحُسن يُسقط الشمسَ فى الزوال؛ لأنها تجرأتْ وأظهرتْ إعجابَهـــا بنفسها أمامه.

١٠- فى يوم الحفيظة يظهر مثل اليد البيضاء من الفنون ما يجعل لونَ الأعداء الياقوتى -الأحمر- بلون الكهرباء- الأصفر.

١١- وفى يوم الكريهة، حين يرى سيفَه وحيدًا فى جرابـــه، فيعرِّفُـــه برقـــاب الأعداء.

١٢- وفى يوم نزاله، يصير أسدًا هصورًا ساحقًا ، وفيه يجعل هراوته متمردة مثل الثور الهائج .

١٣- له سيفٌ أزرقُ اللون أصيلٌ، وفى وقت الوغى يجعل الحربةَ الصمَّاءَ فى يده حيَّةً تسعى.

١٤- لو تعبر سمومُ عنفه على ماء الحياة ، تجعل ماءَ الحياة مذيبًا للروح مثل النار.

١٥- ولو يهبُّ فى العالم نسيمٌ من رياض لطفه، فإنَّه يبعث الروحَ مثل أنفـاس عيسى ابن مريم.

١٦- يطلب السحابُ من بحار كفِّه عطاءً دائمًا ، ويثير الغوغاءَ والاضـطرابَ بسبب حاجته.

١٧- مع أنَّه لا ينساب من مسام السحاب سوى ماء الحياة ، فإنَّها أمام كفِّه بلا حياء ولو تقطر دُرًّا.

١٨- لو يصير للفلك مشترٍ لكوكب "المشترى" فلن يساوى شيئا مع وجود تراب أعتابه.

١٩- يرغب العدوُّ أن يصير مثله وفقَ هوى الأحباب، ولا يعلم أنَّ ذلك له من لطف الله.

٢٠- أيها الملكُ ، إنَّ "ابن يمين" مثل البلبل واقفٌ على شجرة وَرْد أوصـافك يشدو بمديحك.

٢١- لو ينال فكرى البكر من قبولك ما يليق ، ينال شهرةً من الحُسن، ويجعله الآن جذَّابًا.

٢٢- يكون سهمُ الفلك فى قوسه مصوَّبًا نحو خاطرى من فرط الغيرة، مع أنه يلاطفنى أحيانًا رياءً منه.

٢٣- يجلو صيقلُ ألطافه المحنةَ عن كلِّ مَنْ غلَّف صدأُ المحنة مرآةَ قلبه.

٢٤- على بابك الفلكُ متمنطقًا بمنطاق الغلام الأزرق، فاحملْ عليه؛ لأنَّه غيرُ وفيٍّ معى دائمًا.

٢٥- أيها الملكُ، فليكنْ عمرُك مخلَّدًا وأمرُك وفق المراد، وتكون نفسُك هكذا بحيث يكون الحظُّ لك قائدا.

وله أيضًا (ص ٦٥)

١- السعادةُ هى العيشُ ناحية البستان، وتبدل موسمَ الربيعِ بفصل الخريف.

٢- ففصلُ الربيع موسمُ الورود وزهور الشقائق، وفصلُ الخريف يكشف حقيقةَ ذلك.

٣- إذا ما يصير أطفالُ حديقة فصل الخريف شيوخاً، فإنَّ نسمةَ الربيع تعيدهم مرة أخرى إلى صدر الشباب.

٤- رأسُ مال السعادة تكون فى هذين الموسمينِ كليهما ، والسعادة هى أن تكون موائمةً لكليهما.

٥- لونُ الربيع يمدُّ الصبَّاغَ بلونه، وورقُ الخريف يعاون المذهِّب.

٦- حينما لا يرى أحدٌ أمرَ الدهر على حال واحد، يكون الشخصُ غافلاً عن فكرة تقلب الأيام.

٧- فهو يعلم أنَّ الربيع والخريفَ فى مجىء وذهاب دائم، وأنَّ الأيامَ تجعل اسمَها بلا علامة من الدنيا.

٨- وحين يتجاوز السعادةَ والغمَّ فذاك هو الأصوب ؛ لأنَّه يسعد بالانطلاقة وينحرف عن الغمِّ .

٩- الراحةُ هى تلك التى تكون راحةُ الروح من نسيمها، وتجعل الدماءَ تجرى فى عروق الخلق مثل الروح.

١٠- المخدِّرُ هو ذلك الذى تطويه فطرةُ الفلك، وتكشف سرائرَ الأنجم لخاطرك.

١١- يتعاطون المخدرَ والشرابَ معًا ، وسبب ذلك أنَّ هنــاك مَــنْ يريــد أن يتعاطى المخدَّر ويهضمه بالشراب.

١٢- كلُّ شخص يعرف أنَّ نفعَه في واحد من هذين الاثنين، فإنَّه يــسبب لرأس مال حياته ضررًا من هذا النفع.

١٣- ياقلبُ، إنَّ حديثَ "ابن يمين" محضُ حكمة، فأنصتْ إلى تحقيقه لأنَّه يكشف مابه من رمز.

١٤- فالبيت السابق على تخلّصي الشعرى، يذكر ذلك ويحذر الروحَ منه.

وله فى مدح طغايتَمُورخان (ص ٦٦-٦٧)

١- حين تقدَّم ملكُ العالم الصفَّ، جعل روحَ العدوِّ هدفاً لسهمه.

٢- حامى حمى الدين " طغايتَمُور خان " الذى وضع الإلهُ على قلبــه يــوم الكريهة رقْم "لا تخف" [١].

٣- جعل العدوَّ مثل "القنفذ" من كثرة سهامه الجارحة، وذلك حين أطلَّ برأسه من داخل صدره.

٤- سيفُه البتّارُ فى يوم النزال بصق بالحمم مثل النار فى قلب أعدائه.

٥- ذلك الذى يستمرئ الظلمَ فى عهده، قد وضع جسدَه مثل الكفِّ تحتَ عصا عدله.

٦- حارسُ إنصافه وعدله الذى وضع سمةَ الكلف[٢] على وجه القمــر عــالمٌ بأمور العسس.

---

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ لأبى بكر الصديق ﷺ وهما فى غار حراء: "لا تخف إن الله معنا".

(٢) هو اختلاط اللون الأسود باللون الأحمر، أو البقعة التى تظهر فى الشمس أو القمر.

٧- ربما كان حصنُ السماء قصرَ جلاله؛ لأنَّ أستاذَ الصُّنع شيَّده من القمــر ومن الشمس على سبيل الشرف.

٨- ذلك الشخص الذى وضع فى الجنَّة غرفًا على غرف[1]، أعطاه كلَّ يــوم رتبةً على رتبة.

٩- فطبعُه كريمٌ لأنه فرض على نفسه إحياء سُنَّة السلف الكرام.

١٠- حينما أُشبِّه السحابَ بكفِّه، فلأن السحابَ قد وضع بناء عطائه دفعةً واحدةً على الصلف.

١١- فقد وهبت كفُّه فى لحظة واحدة كلَّ ما لديه، ذلك لأنه وضع الفلــك فــى كنفه بمائة قران.

١٢- وربما وضع الفلكُ العاقُ دون وعى منه سيفَ الرغبة فــى كــفٍّ كــلِّ منحرف لفترة.

١٣- واليوم، جاء بكل عقل ووضع من حُبِّه على القلب مائةَ خاتمٍ من المحبَّــة ووسْم من الشغف.

١٤- ذلك الذى جعله زمانُه قائدًا وصاحبَ سطوة، قد لثم ترابَ كفٍّ قدمه شاء أو لم يشأ .

١٥- أيها الملكُ ، زاد كفُّك سعةً عن البحر فى وقت السخاء، ولأجل هذا كــفَّ العقلُ عن ذكر اسمه.

١٦- سمع البحُر بقصة كفِّك ناثر الدُّر ، فوضع كفَّه على وجهه خجــلاً مــن جودك.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (سورة الزمر آية ٢٠).

١٧-كلُّ قطرة وضعها السحابُ فى داخل الصدف ، صارت جــوهرًا نفيــسًا متلهفًا لتاجك.

١٨- الشخص الذى شبَّه الشمسَ برأيك، قد وضع قدحًا من الخزف بإزاء كأس جمشيد.

١٩-حينما صار نايُ خصمك يصدر أنينَه ؛ فذلك لأنَّ خصمَك هذا قد وضـــع عنقَه كالدُّف أمام لطمة القدر.

٢٠-لم يجد الفلكُ طوال العمر سمكًا وفيرًا ، فألقى بخصمك فى جوف النار .

٢١- إذا ما وضعت الأيامُ لفترةٍ على روح الخادم "ابن يمين" ألمَ الفُرقة ووســمَ الأسف .

٢٢-فإنَّ الحمدَ للحقِّ ، لأن القضاءَ قد وضع على رأسه ثانيةً تاجًا من تــراب أعتابك على سبيل الشرف .

٢٣-فإنْ لم يكنْ لديه ذهبٌ لينثره، فذلك لأنَّه قد أتلفه كلَّه من قبل مثل العربيد.

٢٤- لكنه وضع حبات الدُّر من بحر خاطره على هيئة التُحف فى خدمة الملك.

٢٥- حينما أعطى طبعُه الزينةَ لمحفل مدائحك، فقد وضع على كلِّ ناحية مــن صنعته مئات الطُّرف .

٢٦- طالما كان من بين الخلق "المصطفى" الذى وضع أحكامَ الأنبياء كلها على طرف الرفِّ .

٢٧- فليكنْ معينًا لك أمام سيد العرش، فهو الملَكُ الذى وضع قدمَه على ناصية تراب النجف .

قصيدة فى مدح الوزير علاء الدين محمد هندو (٦٧-٦٨)

١- ريحُ الصبا التى فتلتْ بكلٍّ ثنيَّة من طرَّته ، حطمــتْ زجاجــةَ عنبرهــا الخالص ونشرتْ مسكًا صافيًا.

٢- وحين هبَّ معشوقى صوبَ الصبوح، منح وجهُه شمسَ الفلك ضياءً طوال الدهر.

٣- وحين احتسى الراحَ تلألأ العرقُ على وجنته، فكان مثلَ الماء الذى أعطى الياسمين قطرات الندى .

٤- والعرقُ يتصبب حول وجهه مثل ماء الورد على الورد الندى ، بلى، فلا عجب أن يهبه الوردُ ماءَ الورد.

٥- وحين ينتقب وجهُه المضىءُ من الخجل، مع أنَّ وجنتَه هى التى تبعــث الضياءَ من خلف النقاب .

٦- وتصبح مشامُ الروح مضمَّخةً بالمسك من طرَّة الحبيب ، خاصةً أنَّ ريحَ الصبا قد منحتها القوة .

٧- أنا ذلك الذى يكون لى سُقيا عشقه فى كلِّ مجلس، فأهبه مــن دم العــين شرابًا ومن الكبد شواءً.

٨- صُداعُ سُكْر تلك الشفاه العذبة لا يزال حتى الآن فــى رأســنا، فيهبنــى الشرابَ عسى أن يكون فيه الخلاصُ منه.

٩- ويأتينى العجبُ من ماء حياته؛ ذلك لأنَّه يعطى وعودًا كلَّها على شــاكلة السراب .

١٠-لم يرَ أحدٌ عينى وقلبى بدون الماء (الدمع) والنار (الحرقة) ؛ لأنه يُلهــب أىَّ ماء (الدمع) بأية نار (الحرقة) .

١١- وحين يقوم ذلك الفضىُّ الصدر بالعتاب، فهو يعلم دائمًا أنَّ عقابَ قلوب العاشقين هو العتاب .

١٢- لا تطلب خراجَ الصبر من قلبى، لأننى لم أرَ فى العالم شخصا يعطى الخراجَ من الخراب .

١٣- يا ملائكىَّ الوجه ، الشمسُ لها منك تلك العين؛ لأنَّ وجهَك يمهِّد لها طريقَ الانتساب إليه .

١٤- ولكن حين تنتسب إلى وجهك، فإنها تطبع قبلةً على قدم جناب ذلك المَلك.

١٥- الوزيرُ علامةُ المُلك "آصفُ" سليمان المعظم ، الذى تلقبه السماءُ بلقب مالك الرقاب .

١٦- "علاءُ الدولة والدين هندو" المبارك الرأى ، الذى يهيئ سيفُه من رقاب العدو جرابًا له .

١٧- لو ينظر صوبَ الفلك بعين العدل ، يعطى الفلكُ رعايةَ علف الكتَّان إلى ضوء القمر .

١٨- حينما يبسط طائرُ "الهُما" رايةَ عدله مثل الجناح، فإنه يهب الغرابَ الطعامَ من صدر العقاب .

١٩- والآن، وصلت رعايةُ عدله إلى تلك الدرجة التى يعطى الشاةَ اللَّبنَ من ثدى أنثى أسد الغاب.

٢٠- لو تَعبر سمومُ هيبته على الماء، فإنَّه يجعل الصَّدفَ من سَوْرَتِه جوهرًا مذابًا.

٢١- الدنيا تسقيه فى وقت الهيجاء الحبابَ بمائه الزلال من كأس رأس حاسديه.

٢٢- يَعِنُّ له أن يعطى الحربةَ مكافأةً للعدو؛ ذلك لأنه يهب الشهابَ رصدًا للشيطان اللعين.

٢٣- ما أكثر أنْ وجد رأسَ عدوّه مدقوقةً مثل المسمار، وحريٌ بـه أن يـدفع عنقَه بعد هذا صوبَ الطناب.

٢٤- أيها الوزيرُ ملاذ العالم، أنت الذى تهب همتُك نصابًا من قلبك ويدك إلـى البحر والمنجم.

٢٥- العالمُ بالعرق من فرط خجله من سخائك يهب السحبَ فيضًا من مـسامه فى كلّ موسم.

٢٦- أيها السيد، أنت تعلم أنّ بحر خاطرى حينما يضرب موجَ الفكر فإنّه يهب اللؤلؤَ الندى.

٢٧- فإذا ما قال اللئيمُ غرورًا : ليس لى فى القول سوى الصدى فقد أجاب.

٢٨- ولكن لو يجد "ابنُ يمين" منك عنايةً، فسوف يعطيه الجـوابَ المـستطابَ مثل حديثك.

٢٩- دائمًا ما تحجب الشمسُ جمالَ وجهها فى هذه النيلية اللّون (السماء) لأجل زينة الدنيا.

٣٠- فليكنْ رأيُك ساطعا فى زينة الدنيا، مثلما أنّ ذرّةً تهب الشمسَ الضياءَ.

أيضًا له قصيدة فى مدح طغايتَمُورخان (ص٦٨-٦٩)

١- تنفّسَ صبحُ السعادة فى الأفق البهيج، فأحضرْ الراحَ أيها الساقى فقد حان وقتُ الطرب.

٢- ألا انهضْ واسكبْ النارَ المنصهرةَ فى الكأس، أى لوّنْ القارورةَ بالنبيذ.

٣- وقدّم الكأسَ سائغةً كى ينفتح الأمرُ، فليس لقفـل الهـوى مفتـاح مثـلُ الصبوح.

٤- أتعلم مَنْ ربح فى سوق الدّهر، إنّه من باع الأسى واشترى نشوةَ القلب.

٥- ألا فَضَعْ في يد "ابن يمين" الكأسَ الملكى، الذى تصير وجنتُــه الحمــراءُ كالشقائق منها فى صفرة زهرة الشنبليد.

٦- طالما قد تناولها ملكُ العالم بمتعة، فلا يتسنى لأحد آخر أن يفعل مثله.

٧- ملكُ العالم "طغايْتَمُورخان" الذى لم ترَ السماءُ مثيلاً له مهما طافت حــول الأرض.

٨- مَنْ تذوّق شربةً من ماء حياة رأفته، يظلُّ مثل "الخضر" حيًّا خالداً.

٩- لو ارتدى خصمُه لباسًا من أطلس الفلك، فقد نسج الكفنَ حول نفسه مثــل دودة حرير القزّ.

١٠- وحين يتفتح وَرْدُ إقباله فى روضة المُلك، انحنى ظهرُ العدوّ مثل البنفسج من رحم الغمّ.

١١- كلٌّ من لثم بساطَ حضرته الميمون، واستمع - أى الملك - إلــى سؤله وحاجته.

١٢- يحلّق ببغاءُ روحه خارجًا من قفص الجسد، شوقا إلى سُكّر حديثه الآسر.

١٣- بدأ خصمُه فى الخفقان فى لعبة نرد المراد، فقد قلّت فرصتُه فى البدايــة حين أعاد الملكُ تنظيمَ رقعته.

١٤- العدوُ الذى شاهد خفقانَ صقر رايته، تحتّم عليه أن ينزوى فــى زاويــة تشبه زاويةَ القوس.

١٥- ما إنْ طالع الصبحُ صفاءَ رأيه حتى أصدر آهةً باردةً من فــرط الحــسد ومزّقَ قميصَه.

١٦- جاشت دماءُ عدوِّه ولم تصل إلى رأسه، فتقول إنَّ شَعرَه قد امتصَّ دمَه مثل دودة البلهارسيا[١].

١٧- أيها الملكُ، من يُمن عدلك، صار الذئبُ اليومَ فى العالم يَعْدو هاربًا بمجرد رؤيته للشاة.

١٨- طالما أنت الملكُ المتيقظُ فى حمى دولتك، فإنَّ الفتنةَ قد غطَّت فى سُبات النوم وهدأ الاضطرابُ.

١٩- ما أكثر أن صار السحابُ خجلاً من بحر يدك؛ لأنَّه يتقاطر عنه ماءُ الحياء بديلا عن العرق كليةً.

٢٠- هبَّتْ رائحةُ البهاء من روضة المَلك، فلا جرم أنْ شقَّت قلبَ خصمك مثل حبَّة الرُّمان من الغمِّ.

٢١- أنَّى لأحد أن يقطع طرَّةَ عروس مُلكك التى اسمها اللواء، فهى حبلُ الله.

٢٢- بسبب دويِّ قرع طبلك، شاهدتُ يوم الوغى سيئَ الطويَّة، وقد اشتد خفقانُ قلبه مثل الراية.

٢٣- أيها الملكُ، إنَّ الخادم[٢] الخاضعَ لجنابك الميمون قد اختار حضرتَك العاليةَ من بين الكائنات.

٢٤- إنَّه لم يذق يومًا حلاوة العسل، فحتامَ تريد الدنيا أن تختار له صفةَ الذباب؟

٢٥- فلو رغب نسيمُ روضة ألطافه[٣] أن يهبَّ على هذا القلب النائح الضعيف، فهذا أوانه.

---

(١) يشير إلى أنَّ دودة البلهارسيا، وهى دودة سوداء تعيش فى البحار والمستنقعات ، تعيش على امتصاص دماء الإنسان والحيوان.

(٢) أى الشاعر نفسه.

(٣) أى الملك.

٢٦- طالما يرغب القمرُ والشمسُ فى التعاقب ليل نهار علــى هــذا القــصر المذهَّب.

٢٧- فليبدأ عمرُك مثل الهلال يا شمسَ المُلك، ولو أنَّ قافيةَ الدال تطلب المزيد.

أيضًا قصيدة فى مدح تاج الدين على (ص٦٩- ٧١)

١- حينما رفع الصبحُ الصادقُ بيرقَ النور فــى الأفــق، ســحبت الــشمسُ عساكرَها من الشرق.

٢- وقاد ملكُ الترك حملتَه من الشرق بسيف ذهبى، فسحب مهراچــا الهنــد بتدبيره الرايةَ صوب المغرب[1].

٣- وحين سحب ملاَّحُ الغيب شراعا من الحرير المذهَّب، انــدفعت الــسفينةُ صوب نهر النيل.

٤- وجنبت عروسُ السماء البضَّةُ ورديةُ الوجنة (الــشمسُ) علــى مفرقهــا عجارًا من الحرير المزركش.

٥- والحوريَّاتُ يخطرن بغطاء مزركش فى رداء فضىِّ اللون مثلما الأمهات تفعل.

٦- ومصوِّرُ الفكر يرسم كلَّ لحظة بريشة الصنعة على حرير أزرق الــشكل صورةً أخرى.

٧- فخاطبتُ العقلَ : ما خبر هذه الزينة اللطيفة التى زيَّنت قبةَ السماء بالذهب والجوهر؟

٨- فأجاب : إنها لأجل تفريج خاطر المَلك صاحب الهمَّة، ربما يرغب فى أن يخطر فوق هذا المنظر.

---

(١) البيت كله كناية عن سطوع الصباح.

٩- حينما تخطو همَّتُه فى العالم الأزرق (السماء) فسوف يُمَدُّ الديباجُ المذهَّبُ (أشعة الشمس) تحت أقدامه.

١٠- فأعدتُ القولَ : مَنْ اليوم على وجه البسيطة الذى يمكن لهمَّتـــه أن تعلـــو على السماء؟

١١- فأجاب : إنَّه الملكُ زينةُ العالم، ذلك الذى يسحب رأيُه خطَّ النـــسخ علـــى اللوح الفضىِّ للقمر المنير بغير قلم.

١٢- بحرُ الجود ومنجمُ الإحسان تاجُ المُلك والدين علىّ، ذلك الذى له شـــهرةُ "حيدر" فى المروءة والكرم.

١٣- ذلك الذى يوم الكريهة يقتل الأعداءَ برمحه، ويمنع النجمُ شيطانَ الليل عن المسير بأمره.

١٤- ولأجل القضاء على حاسديه، يطوِّع البرعومةَ رمحًا والصفصاف خنجرًا.

١٥- يسحب العدوَّ ولو كان محصَّنًا فى حصن كواكب الأفلاك الـــسبعة مثلمـــا سحبت يدُ "حيدر" مالكَ خيبر.

١٦- حيثما يفعل أحدٌ فى عهده فعل "النمرود" ، فله هدوءُ "خليـــل الله" محطِّـــم الصنم "آذر".

١٧- لا يصدر عصيانٌ من خصمه؛ ذلك لأنَّ الفلكَ الدوَّارَ يسحب عنقَه مثـــل الحبل فى حلَقة الفلك.

١٨- يصير لحافظ المُلك والدين - عن طريق الخاصية له - أن يسحب كـــلَّ خط من العنبر (الحاجب) فوق وجه الكافور (الوجنة).

١٩- ويصير الذئبُ محافظًا على الشاة مثل الكلب الحارس، فقد رفـــع عدلُـــه الظلمَ إلى درجة البطلان.

٢٠- وتسحب عينُ خصمه مثل الغوّاص من البحرين الجوهرَ كي تنثره تحت ثرى أعتابه.

٢١- وبطل السعيُ ما بين "مصر" و"سبزوار" طلبًا للسُّكّر مع وجود لفظه العذب.

٢٢- أيها الملكُ، إنَّ كاتبَ الفلك يستفيد من هذا الخطِّ الذي يخطُّه "ابنُ يمين" لأجلك في الدفتر.

٢٣- مع أنَّ العقلَ يقول : إنه ليس له وحده حملُ القلب هذا؛ لأنَّه يحمله إلى بلاط ملك البحر والبر العالي.

٢٤- لكن ينبغي لك أن تحمل عنه، لأنَّ راعي الفنون يخفِّف دائمًا آلام أرباب الفن.

٢٥- ولسوف أختم المديحَ بعد هذا بالدعاء؛ ذلك لأنَّ إصراري قد جاوز الحدَّ وابتعد.

٢٦- طالما يفعل الإنسانُ في دار الدنيا كلَّ ما هو خير وشر، فإنَّ الجزاءَ له في حجرة بستاني الآخرة أمرٌ حتمي.

٢٧- فلتسعدْ في حجرة بستاني الدنيا وفقًا لهوى الأحباب؛ ذلك لأنَّ العدوَّ قد رفع متاعَ الوجود من هذه الدنيا.

قصيدة في مدح معز الدين حسين كرت والتهنئة بالعيد (ص٧١)

١- فليكنْ العيدُ الجديدُ سعيدًا على المَلك الشهير، ولتكنْ الشمسُ خادمةً لرأيه المزيَّن للمُلك.

٢- "الملك حسين" الذى هو الملك "جمشيد" رتبةً وهو ظلُّ الله، فلتكن شمسُ قَدْره مشرقةً من برج الشرف.

٣- فليبقَ قصرُ جاهه الذى يجدر "بزحل" أن يكون حارسًا لبابه مستحكمًا مثل السماء.

٤- ولترغبْ كلُّ سعادة تفيض من وجود "المشترى" فى ذاته مثلما ترغب الروحُ فى العقل.

٥- ولتكنْ "الزهرةُ" الزهراءُ التى يسعد بها محفلُ السماء عودًا فى محفله محترقًا ومؤثرًا.

٦- كلُّ خطأ وكلُّ عطاء يتصورهما العقلُ، فلتكنْ همَّةُ الأولى مستترةً عن الأصدقاء وهمَّةُ الثانية منثورةً عليهم.

٧- ولْيَحِكْ خياطُ اللطف الإلهى وإلى الأبد كسوةَ السعادة على قوامه المستقيم.

٨- ليحرق ماءُ حياة جاهه كالنار فى مزاج سيئ الطوية عن طريق خاصيتها.

٩- فلتنبت الحرابُ السالبةُ للروح كقصب البوص دائما فى نهر عين من يريد بك سوءًا.

١٠- فليُلْقِ اللهُ الحاسدَ على صفحة الماء مثل مجنّ النيلوفر طالما أنَّ طينَ وجهه مبلل الأطراف.

١١- وليقتلعْ خصمُه الذى هو غصنٌ غيرُ مثمر فى رياض مُلكه من الجذر بواسطة ريح صرصرٍ عاتية.

١٢- فلْيُغِرْ فارسُ همَّته وقد اعتلى جوادَ المراد فى أعلى ميدان الرفعة إلى الأبد.

١٣- وليبقَ وجهُ فكره البكر مضيئًا لامعًا تحت نقاب الحاجب الأسود مثل لمعة ماء الحياة فى حلكة الظلام.

١٤- طالما يضحك الوردُ من لطف بكاء أهــداب الــسحاب، فليمتلــئ فمُــه البرعومى الشكل ضحكًا من سعادة القلب.

١٥- وطالما أنَّ للصيتَ يبقى ببقاء مكارم أهل الجود والكرم، فليبــقَ بكرمــه صيتُ المكارم فى الدنيا حيًّا.

١٦- كلُّ دعــاء ينبعث من روح "ابن يمين" وقلبه، فليردِّدْ الروحُ الأمينُ فــى إثره : آمين.

أيضًا له قصيدة فى مدح طغايتَمُورخان (ص٧١-٧٢)

١- أضاء شعاعُ صبح السعادة أرجاءَ الدنيا، وعطَّر نسيمُ نصير الحــقِّ مُلــكَ الروح.

٢- ودانت للملك أمورُ الخلق حسنها وسيئها؛ لأنَّ الله جعله مخيَّرًا فــى أمــور الدنيا.

٣- الملكُ الذى فعل خنجرُه فى داخل الخصم ما فعله "ذو الفقار" سيفُ "علــىٍّ" فى حصار خيبر.

٤- محيطُ مركز المُلك "طغايتَمُور" ، الذى يسَّر له الإلهُ مشكلات العالم.

٥- ملكُ المشرق والمغرب الذى سخَّر مُلكَ الأقاليم السبعة برأى الشيخ وخــط الشاب.

٦- وظفر رسَّامُ القضاء فى مصنع التقدير فى الأزل بطراز رايته .

٧- والذى لم يجعل خدمتَه مثل القلم على مفرق رأسه، يصير جوفُه مثلَ الدواة مفعمًا بالحُلكة والعتمة.

٨- خمَّر اللهُ عزَّ وجلَّ ذاتَه بالنور بيده مثلما خمَّر طينَ أبى البشر (آدم).

٩- فى وقت تقسيم الأعمال، قرر الإلهُ المتعالى عليه خلافتَه فى الدنيا.

١٠- مرحى للجناب المبارك الذى جعل الفلكُ ترابَ أعتابه فى عينيه مثل كحل الجواهر.

١١- ومن فرط خجلها من سطوع رأيك، وضعت شمسُ الفلك على صـــدرها حريرًا أزرقَ مطرزًا بالجواهر (السماء).

١٢- وفى يوم المعركة، يُصوِّر رسَّامُ الأجل خيالَ سيفك فى خاطر عدوك.

١٣- الشخصُ الذى لم يلثمْ ترابَ أعتابك، جعله الفلكُ مثل الحلقة على بابٍ من أبواب دار البقاء.

١٤- فى الموسم الذى كدَّر فيه الفلكُ صفاءَ مشرب أهل الفن بحادثات الــدهر التى لا تحصى.

١٥- وصلت "الزهرةُ" إلى الموضع الذى سلبتْ فيه من "المــشترى" طيلــسانًا وألقته على رأسها واتخذته رداءً لها.

١٦- وصَبَّ رأيُك الحكيمُ الأمرَ كلَّه بكيمياء العقل مثل الذهب فِى بوتقة هــوان الدنيا.

١٧- وحطَّم مثلَ "الخليل" صنمَ أهل الشرك، وقرَّرَ الأنصبةَ بقدر مرتبَــة كــلِّ شخص.

١٨- وألقى نظرةً بعين العناية صوب أهل الفن، وهيَّأ العنايةَ المناســبةَ لكــلِّ شخص.

١٩- واختار "ابنَ يمين" ونصبَّه بقصيدته الغرَّاء العذبــة هــذه أميــرًا علـــى الشعراء.

٢٠- فلتكنْ الدنيا وفقَ رغبة قلبك، ويكون هو[1] هكذا؛ لأنَّ الإله العادل قــد حقق له كلَّ ما أراد بحسن رأيه.

---

(١) أى الملك نفسه ، على سبيل الالتفات من المخاطب إلى الغائب.

له قصيدة فى مدح تاج الدين على سربدارى (ص٧٢-٧٣)

١- حان ذلك الوقتُ الذى يُسلمون فيه الكأسَ كفَّ السُّقاة، ويترك فيه فارغو البال متاعَ الغمِّ خارج الباب.

٢- ويهيِّئون من السعادة مجلسًا للطرب يشبه الجنَّة، ويبدِّلون فيه الكأسَ بنبع الكوثر.

٣- ويشيِّد المطربون الصادحون بنيانَ العيش والحبور على المديح لحضرة الملِك الذى له جاه "أفريدون".

٤- ملِكُ الشرق والغرب تاجُ الدولة والملَّة "علىٌّ" ، ذلك الذى يضعون قوائم عرشه على مفرق النجم.

٥- وذلك "خضرُ" التدبير الذى شيدت أفكارُه الصائبةُ سدَّ "الإسكندر" أمام شرور "يأجوج".

٦- وذلك فلكُ الرفعة الذى يتوِّج الملوكُ رءوسَهم بتراب أعتابه دائمًا على سبيل الافتخار.

٧- له سطوةُ "الفيل" ، والملوكُ أصحابُ التيجان يضعون قدرتَه سرجًا كالشمس على ظهر "الأسد".

٨- كلُّ ليلة، الفلكُ يطحن مئات الآلاف من الدُّر بهذا الصحن الزمردى (السماء) لينثره تحت أقدامه.

٩- والصبحُ حين يظهر شعاعًا من رأيه المنير، فإنَّ الشمسَ من هذا المنطلق تخفى ذهبَها الخالص (أشعتها) فى ثقب.

١٠- والشمسُ لا تكاد تستقر مكانَها مثل الذرَّة طربًا، إذا ما وضعوها موضعَ المقارنة مع رأى زينة المُلك الصافى.

١١- له محلٌ من الرفعة؛ ذلك لأنَّ عمالَ المصنع يضعون مسندَ جاهه على السماء .

١٢- تأملْ مُلكَه، فإنَّ مسَّاحى الفلك قد حدَّدوه ببداية المشرق حتى نهاية المغرب.

١٣- يوم العطاء لا يهتمُ بأنْ يأتى وعلى كفِّه أىُ مثقال، لأنَّ كلَّ ما هو أخضر ويابس فى البر والبحر يحمل اسمه.

١٤- يضع أهلُ العلم قلمَه وسيفَه مظهرًا لآثار النفع والضُّرُ لأجل الأعداء والأصدقاء.

١٥- أتعلم لماذا يجذب قلمُه النقشَ الذى على القرطاس؟ فهو مثل المعشوق الذى يجذب من الكافور (العطر) ويضع على العنبر (الشعر).

١٦- يوم الهيجاء، لو يأخذ بيده ورقةً فى الميدان، فإنَّه يرشق فيها خنجرًا قاطعًا بقوة ساعده.

١٧- ولو استضاف قَدْرُه الفلكَ، فإنَّ الموجودَ على بساطه قرصا القمر والشمس.

١٨- وقت الجهاد ينزل الميدانَ مثل الأشاوس بعنان خفيف وبقدم فى الركاب ثقيل.

١٩- لو كان خصومُه "تماسيحَ"، فإنَّهم يتوسَّدون أقدامَه أمام الصفِّ مثل حيوان "السرطان" كلَّ لحظة رعبًا منه.

٢٠- أيها الفاضلُ أنت الذى يستفاد من طبعك فى وضع الفن؛ لأنَّ الملوكَ هم رعاةُ الفن.

٢١- لو وضعوا باسمك بيضةً تحت جناح دجاجة، يكون صقرًا محترفًا مَنْ يخرج منها فرخًا.

٢٢- أيها الملكُ، حين يصف "ابنُ يمين" ألطافَك، فإنَّهم يفضلون نَظْمَه في اللُّطف عن الجوهر.

٢٣- ولو يتحدث ببغاءُ نطقه بذكرى خلقك، فإنَّ أهلَ الذوق يستسيغون ألفاظَه عن السُّكَّر .

٢٤- والآن آتي من المديح إلى الدعاء ؛ لأن في سفينة النظم يرفعون الشراعَ بالمديح ثم يثبتون الخطَّافَ بالدعاء.

٢٥- طالما يضعون أساسَ المُلك والدين على القلم من بداية ملوك العصر، ويقيمونه على السيف الفرند.

٢٦- فليكنْ نظمُ أمرك هكذا؛ لأنَّ الملوك يحنون رءوسَهم مثل القلم على خطِّ الطاعة خشيةَ سيفك.

٢٧- وليكنْ أمرُ الدين والمُلك مثل القطب على قرار منك، طالما يضعون أساسًا لمدار الفلك على المحور.

أيضًا في مدح نظام الدين يحيى كرابي (ص٧٤-٧٥)

١- حان ذلك الوقتُ الذي يصبح العَالمُ كله بستانًا، ويصير صحنُ البستان مثل جنَّة رضوان حُسنًا وبهاءً.

٢- ويتوسَّد "النرجسُ" الأرعنُ أقدامَ "السرو" ويصير للبرعومة من خواص "الزعفران" شفاهٌ ضاحكةٌ.

٣- وتبعثر ريحُ الصبا مثل الماشطة طرَّة المعشوق، ويصير نسيمُها من أنفاس عنبرها ظلاًّ وارفًا.

٤- ويصبح سحابُ الربيع كلُّه ثديًا لإدرار اللَّبن لطفل الحديقة على نحـــو مــا تفعل المربية.

٥- وتتوهج نارُ وَجْنة الورد بفعل ماء السماء، ويصبح طبعُ الرياح الممتـــزج بالتراب ناثرًا للمسك.

٦- لو تهبُّ على الفور ريحُ الصَّبا فإنها تسرع فى هذا؛ لأنَّ ساحةَ الروضـــة تصير مثل محفل ملك إيران فى الحُسن والبهاء.

٧- الملكُ الذى له عظمةُ "جمشيد" حضرةُ نظام المُلك والدين، ذلك الذى يصير منه للدين رونقٌ وللمُلك أساسٌ.

٨- وذلك الذى فى كلِّ ربيع تنمو السيوفُ من الصفصاف، وتـصبح البـــراعمُ رماحًا أسلحةً لجيشه المنصور.

٩- وذلك الذى فى الهيجاء حين يغوص سهمُه فى قوسه، يصير لروح أعدائـــه ولجسده التَّركُ للأول والقربانُ للآخر.

١٠- فى يوم الكريهة، كلُّ مَنْ يشاهد صولاته فى المعركة، تصير لديه قـــصةُ "ابن داستان"[1] مجرَّد خرافة.

١١- وفى وقت نثر الذهب ونثر الدُّر، تصبح يدُه موضعَ حـــسد الريـــاح فـــى الخريف والسحاب فى الربيع.

١٢- ولو قلتُ إنَّ كفَّه السحابُ، يكون قولى هذا أنا الخادمُ موجبَ نقصان أمام كلِّ صاحب كمال.

١٣- فيضُ كفِّه هذا الذى منه حياةُ العالم، مجرد رشحة سحاب ذلك؛ لأنه أساس الطوفان.

---

(١) هو رستم بن داستان البطل الفارس القديم.

١٤- سيفُه المحلى بالجوهر يخشى أنْ يهبه الجوهرَ فيختفى لذلك فى قلب العدو الحالك.

١٥- لو تجد الأرضُ أثرًا على خفّة عزمه، فإنّه يبعث علـــى دورانهـــا مثـــل السحاب بثقل.

١٦- فى يوم حزمه، فمع تواضعه المشهود له، فإنَّ السماءَ تجد حملَها من الثقل ما يعادل الأرض.

١٧- في مكارم كلِّ بناء تقيمه همّةُ كرمه، فإنَّ العناصرَ الأربعة[1] هى التـــى تشيد أركانه الأربعة.

١٨- لو تستطيع الشمسُ أن تغزو العالمَ، يكون ذلك اليوم الذى تصير فيه خادمًا طائعا لأوامره.

١٩- أيها الملك، حين يقرأ خادمُك "ابنُ يمين" مدحك فى بـــلاط يـــوم الـــدعوة العامة.

٢٠- فلو هبَّ نسيمُ شعره على قبر "حسَّان" ، فإنَّ روحَ "حسَّان" تظل حتّى يوم القيامة والهةً حائرة.

٢١- ولو يتسنى لـــ "عطارد" أن يردد شعرَه، يرتفع مقامُه إلى ذروة كوكـــب "زحل".

٢٢- مع أنهم يسمُّونه شعرًا فإنه جوهرٌ؛ لأنَّ مئات الجواهر العمانية تصير فى خجل من لطفه.

٢٣- خاصةً أنَّ العقلَ لا يستحسن مثل هذا الجوهر فى مديح مثلك، إذْ يـــصير على هذه الشاكلة كاسدًا ورخيصًا.

---

(١) العناصر الأربعة هى : الماء والهواء والتراب والنار، ويُقال إنها أصل الخليقة.

٢٤- طالما تصير الشمسُ من دوران السماء فى قرب وفى بعد، فهى تارة مثل الكرة وأخرى مثل الصولجان.

٢٥- فلتكنْ كلُّ رأس تحيد عن وسادة أوامرك دائرةً مثل الكرة فى ثنية صولجان حُكمك.

قصيدة فى مدح طغايْتَمُور خان (ص٧٥-٧٦)

١- لو يهبنى الإلهُ عمرًا خالدًا، ويبَدّل لى مائتى لسان بكل رأس شعرة.

٢- وينطق كلُّ لسان منها بمائة ألف لغة، مثلما يعطى البيانُ أحيانًا حقَّ الفصاحة.

٣- ولو يرغب قلبى فى أنْ يعطى بتلك اللغات فى هذه المُدة حقَّ البيان للملك الموفَّق.

٤- فلن يتسنى له أن يعطى بيانَ عُشر عُشير واحد من تلك الصفات التى له مع أنها تزيد عن مائة ألف صفة.

٥- ملاذُ أهل الأرض والعصر "طغايْتَمُور خان" الذى يهب فى لحظة واحدة نقدَ الأرضين السبعة.

٦- ما أكثر القُرَاضة[1] لدن همَّته الكريمة؛ لأنَّ فرعَ الكَرْم يعطى ذهبًا (العنب) فى فصل الخريف.

٧- يختفى رمحُه فى قلب عدوّه خوفًا من كفِّه التى تهب جواهرَ الرماح.

٨- وبسبب عنايته، تهب الشاةُ الذئبَ فى عهد عدله شفقةَ الراعى زمنًا.

---

(١) هى ما سقط بالقَرْض كقُرَاضة الذهب والثوب.

٩- ولأجل خاتمه طالما يحكم بفصّه، فإنّ العدوّ يعطيه عن طيب خاطر من عينيه اليواقيتَ والبهرمَ.

١٠- لا تعجبْ أن يكون للفلك قَضِيمُ دابته[1] ؛ لأنها تنثر الحبَّ من السنبلة فى طريق المجرّة.

١١- ومن ذلك فإن الشمسَ التى تشبهه فى الإفراد والكرم تفيض على الفلك من مشرقها حتى مغربها.

١٢- أيها الملكُ، أنت ذلك الناثِر للذهب؛ لأنَّ همَّتك تهب أفضلَ الخبز دون أن تريق ماءَ الوجه.

١٣- فى عهد عدلك، ليس ثمة عجبٌ فى أن يجعل الصقرُ جفونَ عينيه أوكًا للعصفور.

١٤- كلُّ ذرّة من نور رأيك على وجه البسيطة تهب شمسَ السماء خواصَ هيئتها.

١٥- الآن، صار عدلُك واليًا على الدنيا، وحفىٌّ به أن يعطى أهلَها خطَّ الأمان.

١٦- لو أعطى الزمانُ حُبَّ التوأمة، ربما أعطاها بسبب عدلك للشاة ولصغير الذئب معًا.

١٧- من حزمك، يعطى الفلكُ دليلَ طريق القافلة ليحميها من قاطع الطريق الذى يدعى بهرام (كوكب المريخ).

١٨- فى ذلك الوقت الذى يعطى الفلكُ وجهَ عدوّك ماءَ الزعفران من صفرة قلمك.

١٩- فإنّ العدوَّ يعالج تلك الصفرةَ فى عينيه من ثقب العنب بعصير الرُّمان الأحمر.

٢٠- فى الوقت الذى يتخذ "ابنُ يمين" فى سواد مدحك من قلمك الأصفر اللون مركبًا لبنانه.

---

(١) القَضيم هو ما تقضمه الدواب وهو أيضًا شعير الدابة.

٢١- فلا تعجبْ، إذا ما أعطتْ دورةُ الأيام من فرط غيرتها منه لسهم الفلك وطنا فى منزل قوسها[1] .

٢٢- وطالما تكون عادةُ الدهر هكذا دائمًا بأن تنتزع الروحَ من هذه الدنيا وتسلمها إلى العالم الآخر.

٢٣- فلتمضِ الدنيا دائما وفقَ رغبة قلب أحبابك، بأنْ تهبك الروحَ من غصّة هذا العدوّ.

أيضًا له فى التهنئة بقدوم أرغونشاه (٧٦ - ٧٧)

١- فليهنأْ أميرُ العالم بمقدَمه الميمون، وليخلدْ عمُره فى التوفيق حتى الأبد.

٢- ملكُ الآفاق "أرغونشاه" ليقفْ على بابه مثل الشمس آلافُ العبيد بسبب تأييد الحقّ له.

٣- ولتضربْ "الزهرةُ" الزهراءُ فى ذكرى محفله الشبيه بالفردوس العودَ على نغمات "خسروانى"[2] .

٤- وليسطعْ نجمُ برج السعادة بآلاف الضياء على طالعه الميمون طلبًا للشرف.

٥- ولتتلألأْ رايةُ الفتح والظفر فى جيشه المنصور، مثلما يتلألأُ الجوهرُ فى بطن سيفه ورمحه.

٦- وليكنْ سيفُه البتَّارُ مثل القلم باحثًا عن الأحكام فى ضبط أمور المُلك والدين طبقًا لأوامره.

٧- ولتُجتثَّ دوحةُ إقبال خصمه المجرَّدة من الورق والثمار من جذورها بريح صرصر عاتية.

---

(١) أى أعدته لإطلاقه نحو الشاعر نفسه "ابن يمين".

(٢) أحد المقامات الموسيقية الإيرانية.

٨- ولتَتمْ الرماحُ المنتزعةُ للروح مثل الغاب فى نهر عين حاسديه.

٩- وليُنظِّفْ الأجلُ مثل الفرّاشين منزلَ عُمْر أعدائه الخرب بمكنسة الفناء.

١٠- وليقطَعْ سيفُه الذى يشبه الماسَ فى يوم الكريهة مثل سيف الأجـــل جـــذرَ الأمل فى قلب عدوّه.

١١- وليُغِرْ حتى الأبد فارسُ همَّته الممتطى جوادَ المراد على ناصية ميـــدان السعادة والإقبال.

١٢- وليطُفْ دائما القمرُ الساطعُ مثل حامل الخبز السعيد حول العالم وفى كفِّه كتابُ فَتْحِه وظفره.

١٣- وليبحثْ "الإسكندرُ" عن تراب أعتابه لأجل تـــاج رأســـه مثلمـــا يبحـــث "الخضرُ" عن ماء الحياة لأجل روحه.

١٤- عدوُه المصفرُ اللَّون مثل زهرة الشنبليد من نيران قلبه، فليغْسِلْ عارضَه بدمع كبده الدموى الذى يشبه زهرةَ الشقائق.

١٥- أيها الملكُ، صار السحابُ كلُّه حياءً خجلاً منك، طالما قيل له ليكنْ خجلاً من بحر كفِّك.

١٦- لتسعدْ نرجسُك (عينك) مثل قلبك بكنز الفضة والذهب، وليـــضحكْ فمُـــك مثل البرعومة بقلبك السعيد.

١٧- وليحلِّقْ صقرُ الفلك الذهبى (الشمس) مثل الحمامة فى فضاء المملكة لأجل إسعاد خاطرك.

١٨- فلتكنْ عقودُ الجوهر الموزون (الشعر) الذى نظمه طبعى لائقةً للزينة على عروس مدحك البضَّة.

١٩- وليكنْ اسمُ المكارم حيًّا من وجودك فى الدنيا، طالما يبقى اسمُ أهل الجود حيًّا بالمكارم.

٢٠- ولتجدْ أيضًا فى الدنيا كلَّ ما يتمناه خاطرُك، طالما يوجد المثل القائل : مَنْ جدَّ وجَدَ.

٢١- كلُّ دعاء يقول به "ابنُ يمين" من قلب مخلص، فليرددْ الروحُ الأمين بروحه فى إثره : آمين.

قصيدة (ص٧٧-٧٨)

١- يا إلهى، مِن أين تأتى رائحةُ العنبر هذه، إذ تحملُها ريحُ الصَّبا من صحن الخميلة؟

٢- صار الجوُّ مُعتدلاً، ومن أثره يأتى العالَمُ الهَرِمُ أكثر طيبًا ونضارةً من عهد الصِّبا.

٣- يُطل الوردُ بوجنته من البرعومة بمائة دلال، ويصدح البلبلُ الصدَّاحُ بـ "النوا" من فرط الطرب.

٤- ما أكثر ما تنثره السُّحبُ على أشجار الخميلة، فتأملْ الغصنَ وهو يميل على نغمات الـ "بركه و "النوا"[1] .

٥- أخذت زهرةُ الشقائق حمرتَها من وهج نيران الشمس، ويأتى للتراب صفاؤه من الهواء العليل.

٦- حينما يهبُّ نسيمُ زهرة الياسمين من الحديقة وقت السحر، يأتى الهواءُ إلى طائر الروح من منبت الياسمين.

٧- وهيَّأتْ يدُ فرَّاش الصَّبا مسندًا فيروزيًّا؛ ذلك لأنَّ سلطانَ الورد قد أطلَّ برأسه بخجل وحياء.

---

(١) أسماء نغمات ومقامات موسيقية إيرانية.

٨- وتُخرجُ البرعومةُ من قلبها ذهبًا خالصًا وفيرًا كى تنثره على كلِّ طائر يأتى إليها مادحًا.

٩- وينهض النرجسُ البصيرُ من مكانه متكئًا على العصى، ولو أنه يأتى كالملوك متوَّجًا.

١٠- وتُدِرُّ السُّحبُ مثل المربية اللَّبنَ على طفل الحديقة، فتأملْ ولا جرم فى أنْ يظهر فيها النشوءُ والنَّماء.

١١- ربما سقطت نافجةٌ من قمَّة شجرة الصفصاف؛ لأنَّ رائحةَ مسك "الخطا" تهبُّ من الخميلة مرة أخرى.

١٢- الحياةُ وقت الربيع بغير السلاف والمعشوق، هى عندى عينُ الخطأ ولو كانت صوابًا.

١٣- أيها الساقى، اسكبْ الرَّاحَ المشعَّةَ فى القدح، لأنَّ صورةَ رأى الملك الموفَّق تبدو فيها.

١٤- الصاحبُ الأعظم العادلُ الذى يأتى مِن ماء كرمه فى وجه الكرم والجود بما يليق.

١٥- سيدُ الشرق علاء الدولة والدين الذى تُقدِّر الدنيا أمام جوده وكرمه بقيمة التراب.

١٦- وذلك الذى تأتى صفحةُ المُلك من خطِّه بمائة حُسن وبهاء مثل وَجْنة المحبوب بخطِّها الأخضر (نبت الشعر).

١٧- تأتى لدى العقل كفُّه المعطاءُ وقلمُه الثمينُ مثل يد "موسى" البيضاء وعصاه.

١٨- ولأنَّ "آدمَ" قد قفز عليه متقدمًا فى الزمن، فلا جرم أن نزلت فى حقِّه آيةُ "عصى"[١].

١٩- أيها الصاحب، طالما أسَّس سيفُك قاعدةَ العدل، فإنَّ الغرم[٢] يأتى إلى غابة الأشبال.

٢٠- وذلك الذى تقول به لا يعترض عليه غيرُك، وذلك الذى تفعله لا يخضع لـــ "كيف ولماذا".

٢١- حتى إنَّ الفلكَ العالى يأتى تحت قدم همَّتك مثـــل تـــراب الفنـــاء حقيـــرًا ومسحوقًا.

٢٢- يسيل ماءُ وجه خصمك على التراب من الغيرة والحـــسد، فتلقـــى ريـــحُ الصبا بشمع روحه إلى عرض الطريق.

٢٣- مع أنَّ الغبارَ قد استقر على صفحة الدنيا من الظلم، فإنَّ عدلَك الراعـــى للدين يأتى ليجلوه عنها.

٢٤- حين شمل حكمُك القاطعُ كلَّ الآفاق، أجلى خصمَكَ عن هذه الدنيا.

٢٥- وحين يلقى طائرُ "هُما" كرمِك بظلِّه على الآفاق، يأتى "الصقرُ" متبختـــرًا مع "الكبك" فى الصفاء.

٢٦- يأتى بلاطُكَ فى أعين أرباب الفن أفضل من "المروة" وأطيب من "الصفا".

٢٧- السحابُ مع كلِّ هذا العطاء الذى يجود به فى فصل الربيع، يأتيه حياءٌ من جودك فى وجودك.

٢٨- ويتغلب الحياءُ عليه منك إلى درجة أن يسيل الحياءُ مـــن مـــسامه مثـــل العرق.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [سورة طه ، آية : ١٢١] .

(٢) طائر يشبه الحمام وقد يكون اليمام.

٢٩- مع أن الشمسَ تضع منجمًا في داخلها من مائة قرن، فإنها أمـــام كفِّــك المعطاء تفدى بهذا المنجم صومَ يوم واحد فقط.

٣٠- كلُّ غصن يستقر عليه أملُ "ابن يمين" يأتي عليه الندى من سحب نثارك.

٣١- أختم بالدعاء مديحَ جاهك، فإنَّ الدعاءَ لمثلك سُنَّةٌ علينا.

٣٢- فليكنْ وجهُ البسيطة كلُّه عامرًا من إقبالك، حتى يحول الهواء بيننا وبـــين النار.

له أيضًا (ص٧٨-٧٩)

١- يا ربُّ، مَنْ يحمل خبرًا صوب "خراسان" ، مَنْ يحمل قصةَ القلب المعنَّى صوب العلاج؟

٢- مَنْ يحكى حديثَ الذرَّة على شمس الفلك، مَنْ يحمل أنينَ البلبـــل العاشـــق صوب الروضة؟

٣- لا أحدَ يعرف مَنْ يوصل حديثي إلى الأحباب، مَنْ يحمل حديثًا من شـــحاذ على باب السلطان؟

٤- حين تُسبِّب لي طرَّتُه كلَّ المتاعب، مَنْ يحمل أمامه اســمَ القلـــب المعنَّـــى الواله؟

٥- روحي صاديةٌ ولَعَلُّ شفاهه ماءُ الحياة، مَنْ يحمل الصادى إلى حافة نبـــع الحياة؟

٦- هو "يوسفُ" وأنا في الحزن عليه "يعقوب" ، مَنْ يحمل لوعةَ يعقوب صوب يوسف في كنعان؟

٧- أرسلُ الروحَ يا ليتَ أحدًا يحملها، مَنْ يحمل هديـــةً بالغـــة الحقـــارة إلـــى الأحباب؟

٨- لملمتُ أحوالَ قلبى العاشق لتصل إلى الأحباب، مَنْ يحمل وصفَ شوقى إلى منبع الحياة ذلك؟

٩- حين سأل العقلُ "روحَ القدس" فى خلوة : مَنْ يتشرف بقطع الطريق صوب ذُروة "زحل" ؟

١٠- فأجابه "روحُ القدس" من رأس الحيرة والمعرفة : مَنْ يقطع ذلكَ الطريقَ هو آصفُ العهد يمينُ الدولة؟

١١- هو ذلك الذى لا أعرفُ لثناء الجود والكرم مَنْ يحمل ماءَ اليَمِّ والمنجم إلى العالم سوى كفِّه وقلبه؟

١٢- إن لم يكنْ حاملاً دفترَ ديوان الوجود، فمَنْ يقطع الطريقَ إلى الديوان دون أن يذكر دفتره؟

١٣- وحين يقطع خاطرُه طريقَ الفكر إلى الغيب، فمَنْ يقطع طريقًا شاقًا بسهولة سوى خاطره؟

١٤- أيها الصاحبُ، حين يعلو قصرُك شامخًا، فمَنْ يحمل له اسمَ هذا الفلك؟

١٥- أرسلتُ إليك شعرى وعقلى يقول : مَنْ يحمل رشحةَ الكوز صوب لجَّة عُمَان؟

١٦- كنتُ أرفع إليك هذا المديحَ وعقلى يقول : ألا يا بنىَّ فاخجلْ، مَنْ يحمل ما لا جدوى منه؟

١٧- مع ما لأزاهير الجنَّة كلِّها من نُضرةٍ ونَدى، مَنْ يحمل غصنَ خضراء الدِّمن[1] هديةً إلى "رضوان" ؟

---

(١) هنا توظيف من الشاعر لقول النبى صلى الله عليه وسلم : "إياكم وخضراء الدمن" قالوا من هى يا رسول الله؟ قال : "المرأة الحسناء فى المنبت السوء" ، حيث شبهها بالشجرة يشتد اخضرارها بسبب كثرة إخراج الحيوانات فضلاتها عليها.

١٨- أنت "سليمانُ" وأنا "النملةُ"، ومَنْ يحمل إلى سليمانَ نزل ساق جرادة سوى نملة ضعيفة؟

١٩- أنا بدونك فى سجن ولو كان كلُّه حديقةَ "إرم" ، مَنْ يقطع الطريقَ صوب البستان إنْ لم يكن لأجل الورد؟

٢٠- أيها السيدُ، إذا ما كنتُ فى السجن ذليلاً فأنا فى نخوة، فمَنْ يحمل مفلسا مثلى إلى السجن؟

٢١- لو تمضى لى روحٌ وقلبٌ فى سبيلكم، فمَنْ يحمل إليك اسمَ القلب والروح يا مَنْ أنت روحى وقلبى؟

٢٢- ألا اختمْ بالدعاء يا "ابنَ يمين" ولا تكثرْ من القول، مَنْ يحمل نطقَ "باقل" بالفصاحة إلى "سحبان" ؟

٢٣- أنا فى نخوةٍ فحديثُك كلُّه سحرٌ حلالٌ، مَنْ يحمل سحرًا آخر صوب "موسى بن عمران" ؟

٢٤- فليكنْ لك فى دوران الفلك عمرٌ مديدٌ فى الإقبال، فمَنْ يقطع الطريقَ إلى دوران الفلك دون تذكُرك؟

أيضًا فى مدح الأمير يحيى (ص٧٩-٨٠)

١- أسلَمَنى الدهرُ إلى رغبة القلب فترةً محدودةً، وفى النهاية أرشدنى إلى قِبلة الإقبال.

٢- المنَّةُ لله أنْ وهبنى اللُّطفُ الأزلىُّ مرة أخرى حظَّ الشاب فى فترة الشيخوخة.

٣- هذا هو طالعى السعيد؛ لأنَّ هذا الفلكَ الشيخَ قد وفَّقنى إلى تقبيل تراب عظيم الدنيا.

٤- الأمير "يحيى" الذى لم يستطع سلطانُ الفلك مع رفعة حاله أن يستدلَّ على مرتبته.

٥- فهو أعلى من الفلك رتبةً ، والفلكُ مع كثرة أسفاره لم يتسنَّ له فى النهاية معرفةُ درجة قَدْره.

٦- فطبعُه فى الكرم سحبُ الربيع، ولكنَّه وقت السخاء يهب الذَّهبَ على هيئة رياح الخريف.

٧- وعدلُه قد أعطى إلى قلب الذئب الظالم الحقود محبةَ الحارس فى رعايته للخريف.

٨- الملكُ الذى من فرط عدله وهبَ "سيمرغَ" الفلك رُكنًا فى زاوية القوس ليستوطنه.

٩- حاسدُه صادى الكبد من الغَمِّ، فأنعَمَ الفلكُ عليه بماءٍ يتقاطر من سيفه ورمحه[1] .

١٠- يا سيِّدَ العالم بمعاليك وجلالك، أىُّ رتبةٍ تطلبها من الله تعالى أكثر من ذلك؟!

١١- السرُّ الخبىءُ خلف ستارة الفلك الصدئة، تكشف مرآةُ رأيك خَبرَه كليةً.

١٢- ذلك الشخصُ الآمنُ دائمًا من خطأ الفلك؛ فلأنَّ كرمك قد منحه خطَّ الأمان ضد حادثات الدهر.

١٣- ليس ثمة عجبٌ أمام تربية عدلك أن يقال : إن ضوءَ القمر قد أعطى علفَ الكتَّان والقصب اللُّمعةَ والبأسَ.

١٤- سيفُك جعل سيفَ الأجل بتَّارًا، فنقول إنَّ الطبيعةَ قد صقلته من المُدْبِرين أمامه.

---

(١) أى سيف الملك ورمحه.

١٥- ولذا فهو قاطعٌ هكذا؛ لأنَّ الفلكَ قد سنَّه على الحجر الأسود لقلب أعدائك.

١٦- ولشدَّة حدَّته، فإنَّه في المعركة يجعل قلبَ الخصم يخفق رهبةً مثل خفقات رايتك.

١٧- أعطى السيَّافُ لسيفك صفةَ الماء المتدفق في معبد النــار لخـصمك، أي كبده.

١٨- يا ظلَّ الحقِّ، كلُّ نقد تنفقه الشمسُ في منجمها طول العمر لا يعادل لحظة إنعام واحدة لك.

١٩- كلُّ شخص يلثم يدك مثل الخاتم ، يهبه الحظُّ مكانًا مثل مكان الفَصِّ على عرش الذهب.

٢٠- ما أكثر الخلقَ اليوم في الآفاق الذين أعطاهم رمزُ المُلك شــهرةً عاليــةً بمدائحهم لك .

٢١- ولكنْ انظرْ بعين الإنصاف ؛ لأنَّ من منهم سوى " ابن يمين " قد أعطاك حقَّ البيان .

٢٢- فأعْطِه أنت أيضًا حقَّه ؛ لأنَّ فهرستَ السعادات هو أن يقــال : إنَّ فلانًــا أعطى فلانًا حقَّه .

٢٣- تجدَّدت الروحُ لأهل الدنيا من عطائك ، أي من تلك اللحظةَ التي منحــك خالقُ الروح فيها مُلكَ العالم .

٢٤- فلتدمْ روحُك طالما بقي العالمُ ويبقى ؛ ذلك لأنَّ الحقَّ قد وهبــك الــروحَ لأجل إنقاذ العالم .

قصيدة فى مدح الملك عالى المقدار تاج الدين على (ص٨٠ – ٨١)

١- يالإلهى ، هذا النسيمُ العليلُ ، أيهبُ من عالم الروح ، أم من حديقة "إرم"، أم من روضة " رضوان " ؟!

٢- أم إنَّه رائحةُ " يوسف" حملها رفيقُه إلى شيخ كعنان (يعقوب) ليرتدَّ بصيرًا ؟

٣- أم إنَّه أنفاسُ " الرحمن " تصل إلى روح "المصطفى" الطاهر من يُمن تابعه فى العشق " أويس " [1] ؟

٤- أم إنَّه مسكُ الأحباب المنثورُ يهبُّ من الثنية المجعَّدة لأجل سعادة قلوب الممحوقين ؟

٥- أم إنَّه مثلُ نفَس "روح القدس" يصل مع الروح والريحان لأجل راحة أرواح المكلومين ؟

٦- أم إنَّه يعطى البشارةَ بأنَّ راياتِ السلطان تهلُّ من ميدان قتال الأعداء وفق هوى الأحباب ؟!

٧- تاجُ الملك والدين "علىٌّ" ذلك الذى يكون من مطالب رغباته الحصول عليها الآن[2] وأكثر منها .

٨- لدى العاشقين فداءُ الروح لهذه البشارة هو الأطيب ؛ لأنَّ هذه البشارةَ تصل من ريح الصَّبا إلى " سليمان" .

٩- فينثر أحبابُه الذهبَ على المبشِّر؛ لأنها تحمل السعادةَ على مَلك إيران .

---

(١) هو أويس القَرَنى ، عاصر النبى ولم يره، وقال الرسول عنه : أويس القرنى خير التابعين بإحسان وعطف (تذكرة الأولياء للعطار ج١ ص١٤)

(٢) أى البشارة .

١٠- وأيضًا ، ينثر إنسانُ عين العـــدوّ جوهرًا (دموعًا)، ولا عجب فى هـــذا منه؛ لأنّه يصل من بحر عُمَان .

١١- فى ميدان القتال يصل إلى جيشه لحظة بلحظة تأييدُ الإلـــه لأجـــل قهـــر حاسديه .

١٢- ومع أنّ وجهَ خصمه قد "اصفرّ" مثل الذهب من سيفه "الأخضر" ، فـــإنّ دمعَه يصل فى "حُمرته" إلى لون المرجان .

١٣- حينما يقسِّمون سعدَ السماء ونحسَها إلى خير وشرّ ، فله قسمٌ ولخـــصمه قسمٌ بصورة متماثلة .

١٤- فله من السعد التاج والعرش ، ولخصمه من النحس الأسْرُ والحَبْس .

١٥- يصل من رُمحه الحادّ إلى العدوّ ذلك الذى يصل إلى الشيطان من الشهب النارية .

١٦- لحاسده رغبةٌ فى مكانته ولكن أنّى لماء المستنقع الآسن أنْ يصل إلى ماء الحياة .

١٧- شمل عدلُه خلقَ العالم ، ولكن يصل من قلبه ويده ظلمٌ على البحر وعلى المنجم فى العطاء .

١٨- وذلك الذى يأتى للعالم من فيض سحب الربيع ، إنْ هو إلا قطـــرةٌ أمـــام عطاء بحر كفّه ناثرة الدُّر .

١٩- كان خصمُه يسعى إلى مرتبته ، فقال له العقلُ تَمهّلْ ، فما أكثـــر آهاتِـــك التى تصل فى النهاية إلى الفلك الدائر .

٢٠- طالما أسوق القولَ دائمًا عن علوّ قدره ، فإنّ شعرى من علوّه يصل إلى أوج " زحل " .

٢١- مع ما يصل إلى أهل الفضل من جراح بلا قدر وآلام بلا حدٍّ من صدمات الفلك السافل .

٢٢- فإنَّ شمسَ لطفه حين تظلّلُ رأسي ، يصل الدواءُ والعلاجُ إلى دائي لحظةً بلحظة .

٢٣- مع هذه الألطاف السرمدية ، ولتكنْ في ازدياد ، والتي تصل إلــيَّ مــن الملك بصورة متواترة .

٢٤- يسرع أهلُ "فريومد"(١) إلى القول : إن "ابنَ يمين" يصل بتكليف الديوان له إلى مرتبة "الطرخان" (٢) .

٢٥- أيها الملكُ ، مع أنَّ خاطري للوقّاد يصل من خلال مــدائحك إلــى لــبِّ المعنى المشْكل بسهولة ويسر .

٢٦- فإنني أرغب له أن يتجه من المديح إلى الدعاء ، ولكنَّ هذا ليس مستطاعًا بسبب انتهاء ذلك الدفتر .

٢٧- طالما يكون الفلكُ دائرًا فليكنْ بمقتضى بعدك هكذا أن يصل إليك مُلكٌ في كلِّ لحظة من دورانه .

قصيدة في مدح نظام الدين يحيى (ص٨١ - ٨٢)

١- مرحى ثم مرحى يا مَنْ لك خنجرُ "حيدر" ؛ لأنَّ من سيفك الناصع جــاء قضاءُ الأمر للمُلك .

---

(١) فريومد قرية الشاعر نفسه التي عاش ومات فيها .

(٢) في النص الفارسي " ترخان " ، وعُرِّبت " طرخان" ، وتعني الرئيس أو القائد ، وهو لقــب تركــي قــديم (فرهنك عميد) .

٢- خصمُك له مدةٌ وهو يضحك كالوَرْد على نفسه ، إلا أنَّ يدَ التقدير وضعتْ له الشوكَ من خنجرك على حين غرَّة .

٣- ما أطيب أسلوبَك فى قتال الأعداء ، فمثل هذا يصدر من الرجال وقت الخصومة .

٤- انتظر الخلقُ هذا الفتحَ فترةً ، فوهبتَهم الخلاصَ من هذا الانتظار فى لحظة واحدة .

٥- وحين تغلَّب الحرصُ والطمعُ كالنمل على عدوِّك ، صار مسحوقًا أبد الدهر كالحيَّة الرقطاء بسبب هذا الفتح .

٦- وحين أشعلتْ رياحُ قهرك السامةُ نيرانَ الحقد فيه ، جاش الماءُ المندفعُ من عين الخصم الكسيرة .

٧- وصار للأحباب تفتُّحُ برعومة القلوب ، فما الضير ؟ وصار للأعداء عينٌ هطَّالةٌ مثل سحب الربيع فى فصل الربيع .

٨- طالما كان الوجودُ ويكون لم يأت ولن يأتى مرة أخرى على ناصية الميدان فارسٌ مغوارٌ مثلك .

٩- لم ترَ السماءُ غيرك مطلقاً تحت ظلِّها ؛ لأنها تسيطر على العالم وحدها كالشمس .

١٠- فلتبتعدْ عينُ السوء عن بطلٍ يذكره أهلُ العلم مثلما يذكرون "رستم" .

١١- يخلع الفلكُ المحاربُ مِغْفَرَهُ حين تواتيه الفرصةُ ليصبح أقلَّ خادم هندى لك وهو بذلك فخور .

١٢- حين تلوى عِنانَ العزم صوب الميدان فى يوم الوغى ، لا يثبت معك آنذاك أحدٌ سوى ركابك .

١٣- مع أن سيفَك رطبٌ رفيعٌ ، فإنَّ ما أمامه يصير هباءً كالشرر ولو كان جبلاً من نار .

١٤- أطاح حزمُك النابهُ بعادة الطفح ، فلم يعد النرجسُ يرغب حقًّا فى نعاس السُكْرِ حتى يوم القيامة . .

١٥- فى عهد حظِّك اليقظ أعطى الدهرُ الفتنةَ من حديقة عدلك نباتَ الخشخاش لأجل نوم هنيء .

١٦- جاءت أربعةُ أشياء مرافقةً لك منذ بدء الخليقة : السعادةُ والسخاءُ والشجاعةُ والوقارُ .

١٧- تحمل رياحُ الخريف من كفِّك ونسيمُ الربيع من نَفَسك خجلاً زائدًا فى نثر الدُّر وإنفاق الذهب .

١٨- لاطفِ الأحبابَ فهم يَفْدونك بالروح ، واعرفْ صقْركَ جيدًا ؛ لأنَّه يعرف الصيدَ من تلقاء نفسه .

١٩- واسعدْ ؛ لأنَّ الغمَّ صار نصيبًا للأعداء ، واهنأ بأصدقاء العمر حتى الأزل.

٢٠- حين تتذكر خادمَك " ابنَ يمين " من بين خدمك ، فعدَّه منهم أيضًا .

٢١- فهو غصنُ الأمل الذى يصير نضرًا من ماء عطائك ، وظلاًّ لله من شمس المُلك والملَّة .

٢٢- أيها الصاحبُ الأعظمُ نظامُ الدين الذى عُنيت الشمسُ برأيه لأجل الصيت والشهرة .

٢٣- ملكُ المُلك والدين "يحيى" الذى لا كان أحدٌ غيره ملكًا ما بقى المُلك والدين .

قصيدة (ص٨٣ – ٨٤)

١- تهبُّ نسمةُ الربيع من ناحية المَرْج ، وتنعش أنفاسُها الروحَ وتجددها .

٢- فإنها تشبه رائحةَ العنبر فى هواء تراب البستان ، وتشبه رائحـةَ شـجر الصندل بلون ماء الجدول الصافى .

٣- إنْ لم تقعْ صورةُ السماء على الأرض ، فبأى وجه تصير الأرضُ مَرْجًا مثل السماء ؟

٤- على هذه الشاكلة التى يمرُّ فيها السحابُ فى الهواء على الورد ، فأعلمُ أنَّه سينثر على رأسه الدُّرَّ (المطر) ، من جفونه .

٥- تأملْ رياحَ الربيع وقد هبَّتْ على الصحراء والجبل، كأنَّها فراشٌ قد هـبَّ فى الصباح مسرعًا موطئًا بالنِّعال .

٦- فكسَتْ الصحراءَ بديباج الكواكب السبعة ، وغطَّت الجبالَ بأطلس الحرير.

٧- وصارت زهرةُ الشقائقِ تحت قطرات الندى كأنها كـأسٌ مـن العقيـق الصافى المليئةُ بالدُّر النفيس .

٨- وأقبل شجرُ الصفصاف يرقص ويتمايل طربًا ، حتى شجرُ الـدُّلْب كـان يصفق منتشيًا مبتهجًا .

٩- وحين يتفتح الوردُ يصل لأهل العقل أن يختار الحديقةَ مسرعًا مثل البلبل الثَّمل .

١٠- أيها الساقى ، لقد حان وقتُ السعادة وموسمُ الحبـور ، فقـدِّمْ الـشرابَ الصافى رغم أنف الدَّهر .

١١- حتى فى جناب حضرة مَلك العالم الذى تجاوزت ألطافُه حيِّزَ الحصر.

١٢- فألثمُ ترابَه بعزَّةٍ، وأشربُ وفق رغبة القلب ، وأنشدُ أمامه هـذا الغـزلَ العذبَ الصافى .

١٣- يا مَنْ فى سويداء قلبى غصةٌ من عارضك الوردى اللون ، وأكون فى حيرة مثل الذرة من ضياء وجهك .

١٤- مَنْ رأى شجَر الصفصاف غيرُ قدّك المتبختر فى دلال ؟ لأنّ له من السنبلة والنسرين ومنبت الشقائق .

١٥- مَنْ يتخلّص للحظة واحدة من صداع الثمالة سوى للنرجس ؟ لأنّه يكون ثملاً من أخمصه إلى مفرقه من صهباء حُسنك .

١٦- وحين تهبُ رياحُ السَّحر على ثنية طُرّتك السوداء كالليل ، فتقول إنها تَعْبرُ وهى مضمَّخةٌ بالمسك .

١٧- وحين يتفتح الوردُ فلا تضعْ على الكفِّ سوى الصراح ، ولا تشغلْ القلبَ طوال الدهر إلاّ بالسعادة والحبور .

١٨- ولا تَبْتَعِدْ عن الورد إلاّ إلى الشاطئ ؛ لأنّ السقّاء يأخذ الصفاءَ من أمر الماء الصافى .

١٩- وحينما وصل قمرىُ الوجه سعيدًا ، وجلس تحت أقدام الورد وسنانَ وهو بين السُكْر والصحو .

٢٠- فأبادرُ بالقول له : خذْ كأسَ الصَّبوح وقدّمْه ، فتقول خذْ أيها المعشوق ، فأقول هاتِه .

٢١- ولا تعتكفْ بالمنزل ؛ لأنّ الصحراءَ صارت بحيث تُخفى الجنّةُ حسنَها من فرط خجلها .

٢٢- فأنا فى حيرة من صحن الخميلة ، وماذا أقول عنها ؟ أهى الفردوسُ أم جمالكُ أم مَحْفلُ المَلك ؟

٢٣- مَلكُ العالم " طغايتَمُورخان" الذى تجعل الشمسُ مدارَها فى حمى ظلٍّ مظلّته .

٢٤- هو فخرُ الملوك مع التاج والعرش الملكى ويكون لكليهما افتخارٌ برأسه وبقدمه .
٢٥- انطلق جوادُه الجامحُ صوب ميدان السماء ، فألقى نعلُه على ناصية الطريق عيارًا من الذهب[1] .
٢٦- وسموه[2] هلالاً ؛ لأنّ أذنَ الفلك اتخذته على سبيل الشرف قرطًا لها.
٢٧- ولو يعبر جيشُه (أى الملك) بحرَ المحيط بكل ما فيه من ماء مرةً واحدةً .
٢٨- فمن كثرة غباره الذى يتجاوز المحيطَ إلى الفلك ، فإنّه (أى الغبار) يصل إلى هذه السماء من تسع إلى عشر مرات .
٢٩- ولو يحقق (الملكُ) للظلم رغبةً من حديقة الدنيا ، فلن يشرب من يَدِ عَدْلِه سوى نبات الخشخاش .
٣٠- ولو ينظر بغضب صوب السماء الثامنة ، لخرج سعىُ الكواكب الثوابت منها مثل خروج الشرر من النار .
٣١- وكلُّ مَنْ يتمنطق بزنّار عدوّه ، وكلُّ مَنْ يتخذ من رداء محبّته شعارًا له .
٣٢- يصير الحبيبُ متوّجًا من رفعة شأنِ ملك العالم ، بينما يصير عدوُّه متوجًا بالمشنقة .
٣٣- أيها الملكُ أنت الذى لم تأتِ دروةُ الأيام منذ مائة قرن نظيرًا لك من السبعة ومن الأربعة [3].
٣٤- من يُمن مدحك يكون "ابنُ يمين " فى يسار دائم بعقد الجوهر النفيس .

---

(١) أى أضرم فى التراب شررًا من النار من حدوته من فرط سرعته .
(٢) أى نعل الحصان وهو حدوته .
(٣) أى الأقاليم السبعة والعناصر الأربعة، وهذا كله يقصد به الدنيا .

٣٥- وهو خادمك طوال العمر وبغيره فإنَّ خدمك يزيدون عن مائة ألف .

٣٦- فحتامَ أستسلم إلى الدهر الظالم ، ويسلمنى من واحد إلى آخر من جملـــة خدمك هؤلاء .

٣٧- فليكنْ بناءُ قصر كمال فضلك آمنًا من النقص والعيب مثل هذه السماء.

وله (ص ٨٤ – ٨٥)

١- أشْعَلَ الملكُ المعظَّمُ البيرقَ فوق الشمس عازمًا على السفر .

٢- وليشدُّ اللّهُ أزْرَه بالفتح وبالظفر فى كل ناحية تتجه إليها رايتُه الخفاقة .

٣- لقد سمعتُ من قول مطَّلع أنَّ ملكَ البحر والبر قد أمرَ .

٤- بأن يتمنطق " ابنُ يمين " السعيدُ أيضًا بنطاق الخدمة فى هذا الطريق .

٥- بالتأكيد إنَّ رأىَ الملك السعيد ليس لديه درايةٌ بحقيقة حالى .

٦- فلو وجب السفرُ على هذه الشاكلة من الشتاء والشيخوخة وعدم الفائدة .

٧- فإننى سوف أرى بعينى ما سمعته أذنى من أنَّ السَّفرَ قطعةٌ من سقر .

٨- أىُّ نقصان يصل إلى كمال الكرم ، لو أنَّ الملكَ الذى له سيرةُ "أفريدون".

٩- يأمر أولاً بالعطاء الوفير من الفضة والذهب بشأن خادمه [١] .

١٠- ثم يسمح لى بالبقاء حتى أدعو له بروحى وأنا ماكثٌ فى الحضر .

١١- فليس ثمة طريقٌ آخرُ صوب بلاط ملاذ العالم سوى هذا الالتماس له .

١٢- أيها الملكُ مالكُ العالم ، اسمعْ منِّى بسمع الرضا هذه الحقيقة المختصرة.

١٣- أعطِ المسكينَ حقَّه إنْ يجبْ لك ، لأنَّ الملكَ العادلَ يعطيك أيضًا حقَّكَ .

---

(١) أى الشاعر نفسه .

قصيدة فى التعريف ببناء القصر الذى شيّده نظام الدين يحيى والتأريخ له

(ص٨٥ – ٨٦)

١- حبّذا هذا القصرُ البهيجُ الذى ما إن ظهر إلى الوجود حتى توارت صفحةُ جنَّة الخالق خجلاً .

٢- بلغتْ به اللَّطافةُ الحدَّ الذى لا يرى أحدٌ له فى العالم قرينـًا سـوى هـذا السقف الفيروزى المذهَّب (السماء).

٣- له فى الحُسن تلك المنزلةُ التى يحار العقلُ الخبيرُ بين أول الـشتاء فيـه وفصل الربيع .

٤- بسبب هوائه المنعش لا يأتى العجبُ لو نطقت الصورةُ المعلقـةُ علـى جداره.

٥- متى يأتى لكمال نور القمر نقصانٌ فى الخسوف ، إذا ما يكون ضـياؤه مستعارًا من صورة كأسه .

٦- هو بحرٌ ملىء بالعجائب ؛ لأنه يلفظ من أحشائه إلى الـشاطئ بجـوهر سعادة القلب النفيس .

٧- هو فلكٌ من الرفعة ؛ لأنَّ الشمسَ تستمد ضياءَها منه حين يكون الملـكُ مستقرًّا فيه على عرشه يوم الدعوة العامة.

٨- الملكُ الذى له منزلةُ "جمشيد" وصِفةُ العادل "دارا" ، شمسُ المُلك والملَّة ، ظلُّ الله .

٩- الملك " يحيى" الذى لم يظهر مثلُه فى هذه الدنيا مـن اجتمـاع الـسبعة والأربعة عليه [1] .

---

(١) أى الدنيا كلها بأقاليمها السبعة وجهاتها الأربع .

١٠- فى مثل هذا القصر البهيج ،" للزهرة" التى تصدح "بالنوا" مثل "العـــشاق" فى عذوبة بأشعار " ابن يمين".

١١- كان شرط آداب العبودية أنْ تأتى بنفسها إلى المجلس أولاً ثم تصدح أمام عرش الملك بما تشاء .

١٢- يا مَنْ جنابُك قِبلةُ إقبال أهل الدهر ، يوم الوغى تأتى لديك حملاتُ "رستم" كلُّها مجرد خرافة .

١٣- طالما الأرضُ والسماءُ منقادتان لعزمك ولحزمك ، أخذت الأولى طـــابع السكينة الدائم ولم تهدأ الأخرى عن الدوران .

١٤- ولو هبَّ نسيمُ لطفك على غابة الأسود ، ولو وجدت سمومُ قهرك معبـــرًا صوب البحر .

١٥- يصير فى الصَّدف من حرارة قهرك درُّ آخرُ بلا ماء ، ويصير فكُّ الأسد الهصور نافجةَ غزال تترىً.

١٦- فى حديقة عدلك لا ترى عينُ الفتنة شيئًا سوى خيال نبات الخشخاش من فرط رغبتها فى نوم قرير.

١٧- وليكنْ للنفس النامية مددٌ من سُحب كفِّك ؛ لأنها ستنطلق مثل شجر الدُّلْب من العدم حتى الأبد.

١٨- أدعوك الشمسَ والسماءَ إذا ما شاهدتُ شمسًا بلا زوال وسماءً ذات وقار.

١٩- فليكنْ عمرُك خالدًا حتى يشيِّد صاحبُ هذا القصر مائةَ ألف على شاكلته فى الحُسن فى خمر جاهك .

٢٠- الصاحبُ الأعظم غياثُ المُلك والدين وزيرُ الشرق ، ذلك الذى يتوافق له مع حظِّ الشاب حكمةُ الشيخ .

٢١- وذلك الذى حينما يستولى غبارُ الرغبة على هواء القلب ، فلا يجلو ذلك الغبار إلاَّ سُحبُ كفِّه.

٢٢- أطاح حزمُه النَّابه بعادة الطفح ؛ لأنَّ صداعَ الثمالة لن يخرج مطلقًا من رأس النرجس .

٢٣- حينما بدأت سنة الهجرة فى الذال والنون والهاء [1] ، وجاء في العدد من شهر شوال العشرُ الأواسط .

٢٤- لم يكن لـ " ابن يمين" ذهبٌ على باب هذا القصر البهيج وعلى حائطه حتى ينثر عقدَ درِّه (أشعاره).

٢٥- أيها الصاحبُ ، فليكنْ هذا القصرُ العالى موطَّدًا دائمًا، طالما هو بعزٍّ وسعادة وإقبال الملك الموفق .

٢٦- تمضى القرون وهو فى هذا القصر الميمون المذهَّب على عرش العزَّة وفق هوى الأحباب .

قصيدة (ص ٨٦-٨٧)

١- ما أبهى ذلك الصباح الذى تتفتح العينُ فيه على رؤية بهىِّ الطلعة فاتح أقاليم البحر والبرّ.

٢- الملكُ المظفر بلا قرين ، ملكُ الزمان وقمرُ العالم ، السلطانُ نظامُ المُلك والدين ، مشرقُ الوجه ،الميمونُ المعظم .

---

(١) يكون هذا بحساب الجُمل عام ٧٥٥هـ ؛ لأن حرف الذال ٧٠٠ ، ،وحرف النون ٥٠ ، وحرف الهاء ٥ ويؤكد ذلك أن الممدوح وهو نظام الدين يحيى اكراوى قتل عام ٧٥٦ هـ حسب رواية حبيب السير ج٣م٣ ص ٣٦٤ . وحسب رواية مجمل فصيحى ص ٧٥٩ .

٣- ذلك الذى مِنْ عدله السَّرمدى جعل العالَم هكذا ؛ لأن الخلقَ سقطوا فى دائرة الظَّن بسبب مجيء الإمام المنتظر .

٤- خجلاً من رأيه الناصع انساب العرقُ من هيئة الشمس وتتابع صيتُه من الشرق إلى الغرب .

٥- رحل أغيارُه عن الدنيا حتى يسعدَ أصحابُه ، فعملُه الدائمُ إيصالُ الخير ودفعُ الشر .

٦- أبعد الفلكُ حاسدَه عنه ، ولا يأتى مثلُ هذا العمل اللائق إلاَّ من صنع الله العادل .

٧- اسودتْ مرآةُ وجه القمر من الصدأ هكذا ، فما أكثر أنْ تصاعدت الآهُ من قلب أعدائه إلى عنان السماء .

٨- حينما يصفق ذلك الذى هو رمزُ السلطان بيده على رأسه لأجل أمور الأحباب ترى فى التوّ البرَّ والبحر فى مكان واحد .

٩- يكون قضاءُ السماء هكذا وفقاً لرأيه ، ويستطيع أن يعلم هذا القدر من مخالفة القضاء له.

١٠- لو تتجه ريحُ الصَّبا صوب " الخطا" محملةً برائحة خُلُقه ، فإنَّ الغزالَ يملأُ النافجةَ بالدَّم مرة أخرى من فرط غيرته .

١١- وحين يكشف عن سيف الانتقام ، ولو يحمل به على الحجر الصلد لاستطاع أن يقصمَه نصفين حتى المنتصف مثل " الجوزاء".

١٢- من رفعة جاهه التى تشبه " السماكين" [١] فى السماء ، أُصيب الفلكُ بغصَّة، واضطرب بلا شك حالُه.

---

(١) اسم نجمين لامعين فى السماء هما : رامح وأعزل.

١٣- ولو يمّم وجهَه صوب الفلك لتلاقى مع صفحة الشمس ، وجلى رأيُه الناصعُ من مرآة القمر صدأ بقعها .

١٤- يوم الكريهة يستولى جيشُه على وجه البسيطة كلّها ، حتى إنَّه لم يترك لأعدائه موضعًا بعد هذا سوى سَقَر.

١٥- أمام رأيه الناصع ترى الشمسَ فى الضياء مجرد ذرّة ، وأمام يده يبدو البحرُ فى وقت السخاء كأنه جدول فقط .

١٦- استولى على الأنعام لترويضها للخاصة والعامة، فاتخذ الملوكُ المشهورون من تراب أعتابه تيجانًا لرءوسهم .

١٧- حينما يكون لمكرمته طبيعةٌ من الملوك المشهورين ، فلن يحرّر أحدٌ سواه "ابنَ يمين" من عسى ولعلٍّ .

١٨- أيها الملكُ رمزُ الملك ، جعلت العالمَ آمنا بحيث يصير أيكُ الصقر مستقرًّا للحمامة .

١٩- فيما مضى كانت الشاةُ تتجنب الذئبَ فى الدنيا ، والآن بسبب عدلك هما يَردّان نبعًا واحدًا.

٢٠- صار أمرُ عدوِّك صعبًا فليتخضبْ فى دماء قلبه ، ولن يزول رعبُك من قلبه مثل النقش من الحجر .

٢١- ذلك الذى يستطيع تقبيلَ يدك مثل الخاتم للحظة ، يجد له من ذلك مكانًا دائمًا مثل الفصِّ مع الفضة والذهب .

٢٢- صار لببغاء طبعى من ذك الكرم مثل هذا القول العذب ؛ لأنه يلهج بالشكر دائمًا من سُكّرِ ألطافه .

٢٣- طالما الليلُ والنهارُ متعاقبان فى الدنيا معًا فلن يرى أحدٌ لك قرينًا ، فلتكنْ فى هذا وذاك أكثر الكلِّ سعادةً .

قصيدة (ص ٨٧-٨٨)

١- بالأمس ، صعدتُ إلى السماء عن طريق الفكر ، فرأيتُها فيروزيةَ اللون صَرْحًا زمرُديًا مذهَبًا .

٢- في المنزل الأول واجهني رسولٌ وثَّاب ، على شاكلة مَنْ يشقُّ الغبارَ في سيره وقت هبوب الرياح .

٣- في المنزل الثاني كان معلمٌ يغمس قلمَه من بحرٍ أسود (دواة) وينثر منه على أوراق الفضّة جوهرًا نفيسًا.

٤- فـــي المنزل الثالث كانت حوراءُ مطربةٌ تجلس بين أهل الطرب محتضنةً آلة الأرغن [1].

٥- في المنزل الرابع رأيتْ عرشًا لمَلك سعيد الحظِّ ، ملك موفق وإمبراطور حسن الحظ .

٦- في المنزل الخامس واجهتُ محاربًا يتطاير الشررُ من صفحة سيفه الصقيل.

٧- في المنزل السادس ، ماذا رأيتُ ؟ قاضي النجوم الصالح [2] قوامُهُ الغصن، لأنَّ له ثمارَ الحظ والتوفيق .

٨- وحين ذهبتُ إلى المنزل السابع واجهني شيخٌ دهقان ذو أصل هندي زنجي اللون.

٩- وحين صرتُ في المنزل الثامن وجدتُ هناك الصوفيةَ من أهل الصفاء والسالكين من أهل الوقار .

---

(١) اسم آلة موسيقية .

(٢) يقصد كوكب المشتري الذي يلقب بذلك.

١٠- فخاطبتُ العقلَ : أتعلم مَنْ هؤلاء ؟ قال : أعلم أنهم المستفيدون من مفيد العصر .

١١- شيخُ العالم قطبُ الملّة الذى يكون رأيُه الساطعُ محورًا دائمًا لمدار سماء الفضل.

١٢- قطب الدين " يحيى" الذى يكون علمُه للخاملين الجهلاء مثل القمر الذى يستعير نورَ رأيه من الشمس .

١٣- وذلك الذى يكون الأفضلَ بين جمع هؤلاء الأصحاب ، الذين يحلّقون فى هواء الحقّ صوب دار القرار .

١٤- وحين يتنفس بلبلُ طبعه فى الروضة ، تقع غصّةٌ من ذوقه فـــى قلب "روح القدس".

١٥- وحين يكشف سيفُهُ القاطعُ حدَّه الشبيه بالجوهر ، تصيح النفسُ الناطقةُ : واغوثاه يا إلهى.

١٦- وحين يسحب سيفَه المرصَّعُ بالجوهر خطًّا على صفحة البحر ، يصير الدُّرُّ النفيسُ فى الصَّدف ماءً من فرط خجله .

١٧- وحين تتخيل السماءُ قدرَه فى الأزل ، تظلُّ حتى الأبد فى دوران من فرط حيرتها .

١٨- من الآهة الباردة التى تصدر من قلب خصمه على أمل الشّفاء ، تتجمد قطراتُ دمه حبّات الرمان .

١٩- من ذلك الذى حين تمسُّ قدمُهُ وعرقُهُ ترابَ الأرض يرتفعَ هذا الترابُ إلى السماء مفتخرًا .

٢٠- سقطت حدوةٌ من حافر جواده الأشهب ، فاتخذته السماءُ بكل فخر قرطًا لها مثل الهلال .

٢١- لو هبَّ نسيمُ لطفه على ساحة البستان ، لم تنهض شجرةُ الدُّلب فى الحديقة خاليةَ الوفاض مرة أخرى .

٢٢- لا يأتى من مسام السحاب أيضًا سوى ماء الحياء ، وما أكثر خجله من بحر كفِّه المعطاء.

٢٣- ولو يكون للقمر اقتباسٌ من شمس رأيه ، فإنه يصبح آمنا من المحاق ومن الشرر حتى يوم القيامة .

٢٤- وحين يصعد درجات المنبر لأجل الوعظ ، فإنه يصبح مثل الملائكة المقرَّبين المشهورين بالعصمة .

٢٥- ويَصيخ صوفيةُ خانقاه القدس إليه سمعًا، ويتطلعون إليه متلهفين إلى أقواله.

٢٦- ولو كانت الدنيا مثلاً مجلسَ وعظه، فكيف يكون "أجيبوا داعى الله"[1] متألما فى داره ؟

٢٧- فمع طولها وعرضها، ومع كل سعتها بحيث لا يكون للرياح فيها مرورٌ من ركام الخلق .

٢٨- فإنَّه يعقد فيها مجلسًا لأجل الصالحين ، وينثر على أهل ذلك المنزل رحمة الله .

٢٩- لأجل ذلك فإنَّ نورَه الطاهر يكون من صفاء قلبه ، ويكون سرُّ الفلك الخبىء أمام رأيه واضحا جليا .

٣٠- ماذا يصير لو لم يتخذ الفلكُ ترابَ أعتابه تاجًا على رأسه ، فإنَّه سيفكُّ أعضاءَه السبعةَ من رباط الخمسة والأربعة [2].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى :﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (سورة الأحقاف آية٣١)

(٢) أى السماوات السبع بأركانها وجهاتها .

٣١- إذا ما علمتْ النفسُ الناميةُ مقدارَ يقظته وانتباهه ، تهتم بدفع وليدها إلى تناول نبات الخشخاش لأجل النوم .

٣٢- مرقعةُ الدراويش التى تجد افتخارًا بكتفه الميمون ، يأتيها العارُ من حُلل أهل الجنّة الخضراء.

٣٣- يكون لحاسديه رغبةٌ عارمةٌ فى أن يصيروا مثله ، لكنَّ المشكلةَ فى أن تصير الخرزةُ [1] قطراتِ سمِّ الأفعى .

٣٤- يا مَنْ تصير "كن فكان" جديرةً بمكان عملك ، وتحمل من الزهد والتقوى اللُحمةَ والسُدى لإخلاصك .

٣٥- أريدُ أن أعرض نفثةَ المصدور على حضرتك ، فاستمعْ إلىَّ على طريقة ملاحظة الخادم .

٣٦- للسماء عادةٌ مع أهل الفضل ؛ من ذلك مثلاً أن يكون لها معى رؤيةٌ أخرى ومعرفةٌ مختلفة .

٣٧- من كثرة ما أرى امتحاناتها على المحكّ [2] ، ولأنّها ترغب فى إظهار قلّة عيار نقد أرباب القول .

٣٨- فأنا لا أرى أىَّ طريق من اليمين ومن اليسار سوى التوجُّه صوب دار الأمن أى حضرتك .

٣٩- فألجأ إلى ملاذك هاربًا من حادثات الدهر؛ ذلك لأننى أرى العقلَ دستورًا فى حديث الفرار .

٤٠- العروة الوثقى التى هى ذيل كسوة طاعتك ، وهى اعتصام العصاة والمذنبين يوم الحساب .

---

(١) هى خرزة يقال إنها فى بطن الأفعى ، وتضفى السكينة على قلب من يمتلكها .

(٢) هو الذى يمسح به الذهب والفضة لبيان عيار كلٍّ منها .

٤١- فحين أتمسك بها لا تفلت من يدى مرة أخرى ، حتى تستميح من الخالق عذرًا لعصيانى .

٤٢- أستمدُ الهمَّةَ منك بغير ناى، ذلك لأنَّ الفَطِنَ لا يطلب لطف الوَرْد من حسك السعدان.

٤٣- أنا مفلسٌ من نقد الطاعة فانظرْ إلىَّ نظرةً واحدة ، حتى يجد " ابنُ يمين " اليسارَ من همَّتك .

٤٤- طالما تكون سحبُ الربيع وتهبُ رياحُ الخريف ناثرةً الدرَّ على المرج وبادرةُ الذهب على هام الغصون .

٤٥- فلتكنْ يدُك المحبَّةُ ناثرةَ الذهب مثل رياح الخريف ، ولتكنْ عينُ عدوك منهمرةً مثل سحب الربيع .

وله أيضًا فى مدح الملك والتهنئة بقدومه (ص ٨٩-٩٠)

١- بالأمس وقت السَّحر ، هبَّتْ نسمةٌ مضمَّخةٌ بالعنبر ، تحمل لىَ البشرى المنعشة للروح بقدوم الملك .

٢- وقالتْ : لقد لاحتْ رايةُ مَلك الشرق والغرب المظفَّر ، على يمينه الحظُ والسعادةُ وعلى يساره الفتحُ والنُّصرةُ.

٣- إمبراطورُ العالم الذى يمكن القول عنه بحقٍّ: إنَّه شمسُ المُلك والملَّة وظلُ الله .

٤- وحين أوصلتْ ريحُ الصباح هذه البشارةَ قالتْ فجأةً : انهضْ فقد جاء قبلةُ الحاجات فاعرضْ عليه حاجَتك .

٥- فقلتُ لها : أنىَّ لــ "ابن يمين" أن يكون له معه شبهٌ واحدٌ ؛ فله طبعٌ ناثرٌ للدُّرِّ وأنا لا أرى يسارًا لى .

٦- مثلُ فقير يذهب إلى حيث يوجد ملوكُ العالم فينثرون عليه الروحَ بموضوع الذهب افتخارًا بذلك .

٧- قالتْ: مادام للبحر الزاخر بالأمواج طبعٌ ناثرٌ ، فغصْ بغواص فكرك وأخرجْ الجوهرَ الموزونَ منه .

٨- ثم تقدَّمْ بلا دهشة وبتأييد السعادة وانثرْ جوهَرَك (أشعارك) على خطوته في يوم الدعوة العامة.

٩- أيها الملكُ، تأملْ كيف يُزيِّن خادمُك المجلسَ بالدّرِّ النفيس في مديحك طبقًا لما هو مألوف .

١٠- يا مَنْ لك مقدرةُ الفلك؛ لأنك قائدٌ قد تَسلَّمَ البيرقَ مثل الشمس في الدنيا باقتدار ومقدرة.

١١- يتشابه الهلالُ مع نعل جوادك الأشهب ، ومن هذا الشرف تتخذه السماءُ بفخر قرطًا لها .

١٢- طالما تستظلُّ الشمسُ بظلِّ رأيك الساطع، فقد نالت شهرةً في غزو العالم طبّقت الآفاق .

١٣- يوم الكريهة يتشابه برقُ سيفك الناصع مع الرياح ، لأنه يضرم النارَ في روح خصمك الكسير .

١٤- وتأتي من الحدائق والبساتين زهرةُ الشقائق وشجرةُ الصفصاف رمحًا ملتهبًا وسيفًا لامعًا لأجل قتل أعدائك .

١٥- ولو يَعْبرُ جيشُك على البحار السبعة يوم العرض ، فمن كثرة ما يثيره من غبار تصبح السمواتُ ثمانيًا .

١٦- أطاح حزمُك النابهُ بعادة الطَّفح ؛ ذلك لأنَّ النرجسَ لن يتخلص حتى الأبد من ألم صداع الثمالة .

١٧- لو تصادف وهبَّ نسيمُ الصباح مع نفحةٍ من أخلاقك على غابة الأسود .

١٨- لا يأتى للعقل عجبٌ لو صار فكُّ الأسد الهصور مثل نافجة الغزال التَّترىّ فوّاحًا للمسك .

١٩- يكون السُّمُّ الزعافُ فى مذاق الروح من كأس ساقى لطفك مثل الترياق والمذاق المستساغ .

٢٠- لسُحب الربيع غصصٌ من بحار كفِّك ، وإلاَّ لماذا لها قلبٌ ملتهبٌ (البرق) وعينٌ مدرارةٌ للدمع (المطر)؟

٢١- كلُّ مَنْ له شوقٌ لرؤية " ذى الفقار" فى كفِّ "علىٍّ " ، قلْ له أن ينظر يوم الكريهة إلى السيف القاطع فى كفِّك.

٢٢- ولو يهبُّ نسيمُ لطفه على أفعى تنفث السمَّ، يصبح فيها خرزةٌ عن طريق خاصية أنيابها .

٢٣- ولو تَعبَّر سمومُ قهره على صفحة البحر ، فجهدُ إخراج الكواكب الثابتة منه مثل جهد إخراج الشرر من النار .

٢٤- لو يتقدَّم عدوُك الصفَّ لمواجهتك بغية الحصول على مرتبة ، يصير مثل الصفر فى مجال الحساب .

٢٥- أيها الملكُ ، لو أتحدث عن صفات ذاتك الخالدة ، فاعلمْ أنَّ حديثى مجرَّد ذرَّة من الجبال وقطرة من البحار.

٢٦- ليس من وراء مدحك غايةٌ، ولكن خشية أن يصيبك مللٌ فسوف أختصر هذا المديح بالدُّعاء .

٢٧- طالما يظهر حقًّا الربيعُ والخريفُ فى درجات سلَّم الليل والنهار من عدل الشمس .

٢٨- فلتكنْ فى صفاءٍ وسعادةٍ على هذه العادة القائمة ، على أن تكون مثل النهار وخريفُك مثل الربيع .

وله أيضًا قصيدة فى مدح تاج الدين على السربدارى (ص٩٠-٩١)

١- بالأمس وعلى حين غرَّة ، عبرتْ على باب حجرتى كوكبةٌ من رياح السحر بلطف زائد .

٢- وطرقَتْ البابَ ، وحين فتحوه لها ثانيةً دلفتْ إليه وزال الغمُّ عن قلبى.

٣- فهوتْ فى لحظة ثملةً عاجزةً مغبَّرةَ الرأس حتى القدم من وعورة الطريق وعناء السفر .

٤- وما إنْ استراحتْ لحظةً حتى بادرتُها : من أين أتيتِ ؟ إنّى أسألك ياريحَ السحر ؟

٥- فتلطَّفتْ فترةً وحين أعدتُ عليها مطلبى: هيا ، قولى من أين وصلتِ ؟ وما الخبر ؟

٦- قالتْ: لقد تقدمتُ، وسوف يصل فى إثرى بيرقٌ طرازُ نقشه كلُّه الفتحُ والظفرُ .

٧- بيرقُ مَلك العالم العادل ومالك الدنيا ، ذلك الذى صار إقليمُ أعدائه كلُّه اضطرابًا وخرابًا .

٨- تاجُ ملوك العالم ذلك الذى يكون من قَدمه ورأسه زينةُ العرش الملكى وبهاءُ التاج .

٩- شمسُ فلك الجود والكرم "خواجه على" الذى هو "سليمان" فى الحشمة و"محمد" فى السيرة.

١٠- ذلك الذى لم يبق منه سوى الشفة (الفصاحة) والعين (الحراسة) ، ولم يترك جيشُ قهره المفاجئ في غزواته شيئًا من الأخضر واليابس .

١١- ذلك السخى الطبع الذى أمام عطائه لا يعد شيئًا كلُّ ما ينتجه البحر والبر من أخضر ويابس .

١٢- أنا لا أقول: إنَّ كفَّه سحبُ الربيع في الجود ، فهل يقول أحدٌ : إنَّ البحرَ الزاخرَ يشبه الجدولَ الصغير ؟

١٣- لا يتقاطر من سحب الربيع سوى قطرات الماء ، بينما ينثر كفُّه وقت السخاء درَّةَ الذهب .

١٤- لو تعبر صوب الصين رياحٌ ومعها نَفَسٌ من خُلُقه ، فإنَّ الغزالَ من فرط غيرته يملأ النافجةَ بدم الكبد .

١٥- ولو يضرب بسيفه اللامع على قمة جبل بانتقام ، فسوف يشطره نصفين حتى الوسط مثل الجوزاء .

١٦- إذا لم يكن خيرُك مانعًا لشجر الصفصاف وحاجبًا ، فلن يذكر الملكُ من البشر إلا أنَّه شرٌّ.

١٧- وإذا ما تحكم بحدَّةٍ وصرامة ، فإنَّ الكهرباءَ سوف تحذِّر تبنَ العلف حتى يوم القيامة.

١٨- ولو وسموا فخذَ البقرة الوحشية بوسمك ، فلن يكون لها خوفٌ من الأسد الهصور حتى الأزل .

١٩- ولو يصل شررٌ من نار قهرك إلى البحر ، يصير الجوهرُ في الصَّدَف من حرارته مثل الزئبق .

٢٠- ولو تُعرِّف النفسَ الناميةَ [١] بعذوبة القول ، فإنَّ كلَّ نبات ينمو يكون له طعم السُّكَّر.

٢١- كلُّ مَنْ لا يضع رأسَه مثل القلم على خط أوامرك ، يمتلئ جوفُه مثل الدواة بالحُلكة .

٢٢- ولو سقط شعاعٌ من رأيك على صفحة القمر ، يسطع النهارُ وسط حُلكة الليل .

٢٣- ولو جعل خصمُك جسدَه مثل الدرع من الحديد والفولاذ ، فإنَّه يصبح مَعْبرًا لسهمك حائك الكبد .

٢٤- صار أمرُ هذا العام برونق العام الفائت بسببك أيضًا ؛ ذلك لأنَّ رأيك يعلو مكتوب القضاء .

٢٥- أيها الملكُ، "ابنُ يمين" الذى لم يَخْتَرْ من بين العالم مثل الإقبال له موضعًا آخر سوى بلاطك.

٢٦- إذا ما جعله الفلكُ سيئَ الصنع اليوم هكذا ، فإنَّ كلَّ أمله أن يكون له حسنه بعسى ولعلَّ .

٢٧- حين يلقى الدهرُ بظُلمه مع وجود عادل مثلك ، فليس ثمة عيبٌ آخر لديه سوى الفضل .

---

(١) النفس النامية هى التى تقابل عند "جلال الدين الرومى" فى مراتب النفس النفس النباتية أو المرحلة النباتيـــة؛ فالنفس تتطور من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية إلى الروحانية إلى القلبية ، وهى بهذا التطور تتجـــه إلى التكامل فى الوقت نفسه ، وهناك حديث "كميل بن زياد" مع سيدنا "على بن أبى طالب" رضى الله عنه وجاء فيه "قال : أريد أن تعرفنى نفسى ، قال علىٌ " أىْ نفس تريد أن أعرفك يا كميل ؟ فقال كميل : هـــل هـــى إلا نفس واحدة ؟ قال علىٌ : بل هى أربعة : نامية نباتية ، وحسية حيوانيـــة ، وناطقـــة قدســـية ، وكلية إلهية.." (ارجع إلى كتابنا : رسالة النفسية ص ٧٧ وما بعدها ، طبع المجلـــس الأعلـــى للثقافـــة ، المشروع القومى للترجمة ٢٠٠٤م.)

٢٨- أنت شمسٌ للفضل فألقِ بظلِّك عليه ؛ لأنَّ الاهتمامَ بأهل الفضل يأتى من الفاضل .

٢٩- طالما يكون من القمر والشمس ضياءٌ لوجه البسيطة ، فليكنْ من رأيك ضياءٌ على القمر والشمس بالفلك .

٣٠- لا كان للسعد الأكبر من شرف سوى النظر لطالعك الميمون بمحبَّة حتى يوم القيامة .

وله أيضًا (ص ٩٢)

١- البارحة وقت السَّحر ، هبَّ نسيمٌ عطرُ الرائحة ، فقلتُ: أيها النسيمُ العبقُ، أتراك من الخلد تأتى ؟

٢- أم أنَّ عطرَ مجلس أصحاب القلوب من عبيرك ، ونور أعين أرباب النظر من غبارك ؟

٣- فقال : لا .. لا يأتى من الخلد نسيمٌ عبقُ الرائحة على هذه الشاكلة ، لقد عبرتُ على جناب مسخِّر العصاة والمتمردين .

٤- بطل " مازندران" الذى هو فى شجاعة " آفراسياب" ، ذلك الذى هو فى البطولة فى الدنيا مثل " رستم" بطل القصص .

٥- فرحبتُ به لأنَّه وصل من جنابك ، أنت يامَنْ شوقى إليك مثل ألطافك زائدٌ عن الحدِّ.

٦- كفى أنَّه يحمل من جنابك العالى رسالةً شهيرةً يناسب معناها الروحَ مثلما يناسب السُّكَّرُ الببغاءَ.

٧- هى رسالةٌ حين تتأمل معناها تجدها درجًا مليئًا باللطائف ، درجًا مليئًا بالدُّرِّ.

٨- وحين غصتُ مرارًا فى أعماق بحر دُرِّها ، ظفرتُ بالجوهر الوفير فى كسوة وعظها .

٩- رأيتُها مشتملةً على قَسْر أهل الطغيان وقهرهم حين ضبطتُ كلَّ صورة لها ومعنى.

١٠- فالحقُّ يعلم دائمًا أننى – ما حَيِيتُ – لا يصدر عنِّى سوى رعاية دينه .

١١- وأنت تعلم أيضًا أننى لستُ أسيرَ الدَّعة والراحة ، بل أنا متمنطقٌ دائمًا لنصرة الدين .

١٢- لقد خُلقتُ هكذا لنصرة الإسلام وقهر الكفر ، على الشاكلة التى يتمنى الكافرُ منها أن لو يرى الإمامَ المنتظر .

١٣- أوصدتُ بابَ الصلح وفتحتُ بابَ القتال ؛ ذلك لأنه لا يأتى من الكافر أىُّ صلح معتبر .

١٤- فالاعتمادُ كلُّه على توفيق الله وكفى؛ ذلك لأنَّ التوفيقَ هو المرشد صوب الفتح والنُّصرة .

١٥- لا جدوى من كثرة العتاد والعدَّة إنْ لم يصرْ معها عونُ الخالق العادل .

١٦- فكمْ من فئة قليلة هَزمتْ جيشًا عرمرمًا، حين يهبها اللهُ القادرُ نَصرَه أثناء القتال.

قصيدة فى مدح ... (ص ٩٢ – ٩٤)

١- مرحى للحيرة من قدِّ المعشوق وخطِّه وأسنانه وشفته، فهى من الحديقة ومن البستان السروُ والوردُ ومن البحر ومن المنجم الدُّرُّ والجوهرُ.

٢- يصير خادمًا لشفة ذلك القمر ولأسنانه ولصفحة وجهه ولشعره، الياقوتُ تارة والجوهرُ أخرى والكافورُ أحيانًا والعنبرُ أخرى .

٣- ولا يتشابه مطلقا مع صدره وقامته وشعره ووجهه، صدرُ النسرين وقدُّ الطوبى والليلُ البهيم والقمرُ الساطع.

٤- يكون له دائمًا من ساعده وإصبعه وأذنه وعنقه، ضياءُ السوار وبهاءُ الخاتم والحلقُ والزينةُ.

٥- يُظهر الياقوتُ والدُّرُّ والدخانُ وجذوةُ الجمر شفتَه الياقوتيةَ وأسنانَه الدُّرِّيَة وخطَّه الدخانى ووجنتَه الجمريةَ اللون.

٦- شفةُ المعشوق وأسنانُهُ ودمعُ العاشق ووجهُه، الأولى ياقوتيةٌ والثانية جوهريةٌ والثالث فضيٌ والرابع ذهبيٌ .

٧- مِنْ تلك الطُّرة والشَّفة البضَّة ومن تلك الوَجْنة والمُقلة الساحرة ، حَلكَةُ البنفسج ومَزَّةُ الخمر وحيرةُ الياسمين وخجلُ العنبر .

٨- بسبب انعكاس عينه وأسنانه ووجنته وشفته الخمرية اللون، ينبعث الجزع[1] والدُّرُّ من البر والبحر، والوردُ من الشوك، والسُّكرُ من بوص الغاب.

٩- تأتى وجنةُ الحبيب وعينُه وقامتُه وشفتُه خمريةُ اللون، علامةً على الجنَّة والحور والطوبى والكوثر.

١٠- لو ترغب فى علامة على شعره ووجهه وقامته وصدره، فشعرُه الياسمين ووجهُه زهرة السنبل وقامتُه السرو وصدرُه النسرين .

١١- كأنك تقول إنه الببغاءُ والقطاةُ و"الهُما" والطاوسُ، فهو عذبُ القول ومتبخترٌ وسعيدُ الحظِّ وحسنُ المنظر .

١٢- شحمةُ أذنه وطرَّتُه ووجهُه الحَسن وخطُّه الأخضر (نبت شعر وجنته) بهيئة الشمع والفراشة وبمعنى رونق الماء وزهرة النيلوفر.

---

(١) الجزع هو الحجر الأسود ، ويستخدمه البلاغيون والشعراء فى تشبيه إنسان العين أو "نن" العين الأسود.

١٣- يكون الوزيرُ مثلَ اللفظ والمعنى والدواة والقلم، فهو عذبُ الشَّفة مـشرقُ الوجه مسكىُّ الخَطِّ نحيلُ الوسط .

١٤- "نظام الدين" الذى يكون لقَدْره و لذاته ولقلمه ولسيفه رتبةُ الفلك وسـيرةُ المُلك وقدرةُ القَدَر وهيئة القضاء .

١٥- هو شبه "سليمان" ومثل "أحمد" وشكل "موسى" ونفس "عيسى"، فهو أميـرُ الخَلْق وحَسَنُ الخُلُق وكافى الكفِّ ومربى الروح .

١٦- أرى مِنْ حزمه وعزمه وأجد من لطفه وعنفه علامةً على التراب والماء وأثرًا من الرياح والنار[١].

١٧- هو يشبه السحابَ والشمسَ ويماثل الرَّعدَ والفلكَ، فهو واهـبُ الجـوهر وغازى العالم وعالى الصوت وعظيمُ الجانب.

١٨- لا يتساوى فى صدق ذلك القائد وعدله ولا فى علم ذلك المرشد وحلمـه، أبو بكر وعُمرُ وعثمانُ ما عدا عليًا[٢].

١٩- لا يأتى من التراب والنار والماء والرياح مطلقًا أمرُ حلمه وغضبه ولطفه وشهرته.

٢٠- من فرط عدله يخشى الباشقُ والشاهين ويهرب الفيلُ والأسدُ من العصفور والقطاة ومن البعوضة والنِّملة .

٢١- خجلاً من لطفه وعنفه وفطنته وسداد رأيه، يصير حالكًا وجهُ الثريا تارة وعطارد أخرى والمريخ أحيانًا والشمس أحيانًا أخرى.

٢٢- يكون دائمًا فى قلبه وطبعه ورأسه ويده، وفاءٌ ثابتٌ وكرمٌ بـالغٌ وعقـلٌ راسخٌ وسخاءٌ زائدٌ.

---

(١) التراب والماء والرياح والنار التى ذكرها الشاعر هنا هى العناصر الأربعة التى يقال إنها أصل الخليقة.

(٢) نزعة شيعية وعصبية مذهبية من الشاعر.

٢٣- لأجل يده وقدمه وأذنه ومفرقه السعيد يتزيَّن سوارُ الهلال وعرشُ الفلك وقرصُ الثريا وتاجُ القمر.

٢٤- من طبعه يصير الترياقُ ويصبح المسكُ وينعقد الدرُّ ويقطف الثمرُ بما يكون مناسبًا للسُّمِّ وللدَّم ولغصن الغزال.

٢٥- الأرضُ والذَّرَّةُ والصحراءُ والبحارُ، إنْ يرغبْ يجعل من الأوليين الفلكَ والشمسَ ومن الآخرين البحرَ والبُّرَ.

٢٦- في حَرْبِهِ ، من صورة السيف ودماء الخصم والغبار والحملة يصير الهواءُ أزرقَ والأرضُ مخضَّبةً والكوكبُ عمياءَ والفلكُ أصمَّ.

٢٧- لو يريد رمحًا ودرعًا ولو يطلب خيلاً وحشمًا سيجد من الشهاب ومن القمر ومن الفلك ومن النجوم .

٢٨- ينمو في عين خصمه السيفُ من الصفصاف والرمحُ من الشقائق والسهمُ من البرعومة والخنجرُ من بوص الغاب .

٢٩- يكون أمرُ القضاء ومُكنةُ القَدَر ورفعةُ الفلك ومخبرُ الملَك طبقًا لأمره ولتثبُّته ولقَدْره ولطبعه الحَسن.

٣٠- يكون الملكُ داعيًا والفلكُ خادمًا والعقلُ هاديًا والكرمُ مرشدًا من وجوده الطاهر ومن قدره من عقله الصافي ومن طبعه .

٣١- يا ملكَ العالم ، أنت من المحفل والقتال والعدل والسيطرة على المملكة مثلُ رستم وأنوشيروان والإسكندر.

٣٢- لك في مجال الحبِّ والانتقام وفي تَزْيين المُلْك والدين، عقلٌ باعثٌ وكرمٌ نافعٌ وسعادةٌ ملازمةٌ وحقٌّ معين.

٣٣- يكون "ابنُ يمين" بنطقه وبعقله وبعينه وبقلبه، لك بالدعاء مرددًا وبالرضا طالبًا وبالفضل كاشفًا وبالوفاء باسطًا.

٣٤- طالما يكون لك من المشترى ومن عطارد ومن الزهرة ومن المريخ، الفلَكُ قاضيًا والملَكُ كاتبًا والمحفل مزينًا والحرب مساندًا.

٣٥- فليكنْ عبيدُك الزائدون عن الحدّ من الهند ومن الترك ومن الصين ومن الروم كلهم أمثال المهراجا والخاقان وفغفور وقيصر .

قصيدة جوهر (ص ٩٤-٩٥)

١- مرحى لعقيقك المنثور على روح الجوهر ، فالماءُ راكدُ الطبع خجلاً من وجهك الصافى.

٢- حينما يأتى فى عينى لَعلُكَ (شفاهك) ناثرًا للجوهر (الأسنان) يسقط من عينى الجوهرُ (الدمع) بأنين وخَوَر.

٣- من صورة أسنانك استقر الدمعُ على أهدابى، فكأنه جوهرٌ استقر على نصل الرمح .

٤- حين كشفتْ شفاهُك الضاحكةُ عن درّ أسنانك، استقر الجوهرُ فى صدف روح العاشقين .

٥- تعالَ وشاهدْ جَزْعى هذا الناثر للدُرّ (الدمع)، فقد صار الجوهرُ منه منثورًا فى الدنيا.

٦- لا تتفوَّه بحديث طالما تشنق كلُّ نفس جوهرَها غيرةً من لفظك.

٧- ما دمتَ لا تبيع لى قُبلة بنقد الروح ، فاحملْ من جزْعى هذا جوهرًا بلا ثمن (دموع) .

٨- ليس ثمة عجبٌ من صورة عقد أسنانك، إذا ما ينمو الجوهرُ مثل المخ فى عظامى .

٩- اشتهيتُ ياقوتَك (شفاهك) ، فقال الفلكُ لى مازحًا : يا فلانُ الذى لا يستطيع أنْ يظفر بالجوهر بلا ثمن .

١٠- ليس لك شبيهٌ واحدٌ فى كافة بقاع الأرض ، كيف يصل مثلُ هذا الجوهر من خلاصة المُلك الموفق؟

١١- فقلتُ له: لقد ظفرتُ بذلك الجوهر وبمائة من مثله، حين أحصل على الجوهر من خلاصة المُلك الموفق.

١٢- علاءُ الدولة والملَّة الذى يختفى الجوهرُ داخل قاعة محصَّنة أمام فيض عطائه .

١٣- إذا ما كان المنجمُ بطبعه ممسكًا بشدَّة، فسرعان ما يُحضر الجوهرَ من أعماقه حينما يرى همَّته .

١٤- أيها الملكُ ملاذَ الفضل، يحضر قلمُك الذى يشبه الغوَّاص إلى الشاطئ جوهرًا من بحر يشبه الحجَر الأسود.

١٥- ويتَّخذ سيفُك من قلب عدوِّه غمدًا له ، بلى إنه يدلف إليه بالحجر مكان الجوهر.

١٦- لا يجد الجوهرُ أمانًا من كفِّك ناثر الدُرِّ سواء احتمى بالبحر أو لجأ إلى الجبل.

١٧- لو لجأ الجوهرُ إلى قمة الجبل خوفًا من سيفك، فإنَّه يصير داخل المنجم فى صفرة الكهرباء.

١٨- قد تقول إنَّ البرعومةَ تتنفس من طيب خُلقك؛ ذلك لأنَّ سحبَ الربيع تجعل الجوهرَ (قطرات الماء) فى فمها.

١٩- لقد صار فمُ "ابن يمين" من ذلك مُظهرًا للجوهر؛ ذلك لأنَّ مديحك جوهرًا على نصل اللسان.

٢٠- طالما يهب دائمًا فى الدنيا من قلمه وسيفه؛ فلأنه عليم بالخطّ مثلما يكون بلاطُه علامةً للجوهر.

وله أيضًا (ص ٩٥-٩٦)

١- مرحى لليلة سعيدة أوصل فيها نسيمُ السَّحر إلى بابى خبرًا كلُّه بهجةٌ وسعادةٌ .

٢- بأنَّ تاجَ الدولة والدين سيِّدَ الزمان والعصر، وليكنْ حتى الأبد سيِّدًا على الأرض والعهد .

٣- الذى هو سيدُ العالم ذلك الذى لم تلد أمُّ العصر وليدًا مثلَه فى الجلال والقدر.

٤- هو ممدوحٌ متوَّجٌ ملكٌ إمبراطورٌ ؛ لأنَّ عرشَه الحُسنُ والجمالُ وتاجَه الزينةُ والبهاءُ.

٥- قد وصل بيُمن الطالع المظفَّر والفأل السعد إلى مستقَرٌ السعادة قرينُه الفتحُ والظفر.

٦- صارت دارُ المُلك من بهاء مقدمه الميمون مثل الروضة التى يكون الكوثرُ مثل نبعها.

٧- وحين تحدثتْ الرياحُ المنعشةُ للروح عن حال عودته وكيفية قدومه أعطتنى بشارةً أخرى .

٨- فماذا قالتْ؟ قالتْ: إنَّ ملَك العالم وراعى الدين الذى يزهو به الدينُ والمُلك والحظُّ الطيب .

٩- محيطُ مركز الجاه والجلال "خواجه على" الذى يعدُّ سَميًّا لـ "علىٌّ ابن أبى طالب" .

١٠- عالمُ الجود الذى يتآلف الكرمُ مع طبعه مثلما يمتزج اللَّبن والسُّكَّرُ.

١١- الذى نال من كرم الخالق عزَّ وجلَّ ألفَ لون من الفتوح فى هذا السفر الميمون .

١٢- فمن كلِّ ما أنعم به اللهُ عليه؛ فإنَّه الأكثر امتداحًا بآلاف الوقار والجلال والجاه والعظمة.

١٣- لقد هوى أمام عرش "سليمان" العصر عرشُ "بلقيس" العهد سعيدًا .

١٤- فلا تقل لها اعتُبرى؛ لأنَّ الشمسَ قد أعطتْ برجَ العصمة للفلك القابع فى ظلِّ بدر التِّم .

١٥- وحين اطلع "ابنُ يمين" من صورة الحال على ذلك المبشِّر الميمون بموضع الفضَّة والذهب.

١٦- نَثَرَ مثل سُحب الربيع الدُّرَّ والذهبَ الذى يأتيه من بحر خاطره.

١٧- من قرون بعيدة، وإن لم يكن مؤكدًا ، أن اجتمع على هذه السعادة والبهجة طرازُ "الشمس" و "القمر".

١٨- لا فرَّقَ اللهُ بلطفه حتى الأبد بين هذين النجمين السعيدين بعضهما عن بعضٍ.

١٩- وليجعلْهما نديمَى الدَّهر له[1] فى كل وقت بحسن العشرة ومحفل السرور، ويجعل "الزهرةَ" مطربتَه.

٢٠- وليكنْ كلُّ مَنْ يملُّ خاطرُهم منه مثلَ الحلقة على باب قصر خلوتهم.

---

(١) أى للممدوح .

قصيدة فى مدح معز الدين حسين آل كرت (ص٩٦ – ٩٧)

١- الشكرُ واجبٌ لهذه السعادة ؛ فقد قالتْ : إنَّ الملَك الموفق قد تذكر أقلَّ العبيد[1] من بين أهل العصر .

٢- الإمبراطورُ راعى المُلك وحافظُ الدين ، ذلك الذى يكون للدين وللملُك افتخارٌ بذاته.

٣- وذلك الذى لا ترى فى الدنيا أمام كفِّه حاملِ الجوهر أىَّ كفٍّ خالٍ من الذهب والفضة سوى شجر الدُّلْب .

٤- وذلك الذى لا تجد فى العالم أمام نسيم خُلُقه أىَّ جسد مريض بصداع الثمالة سوى النرجس .

٥- ملكُ العالم السلطانُ "معز الدين" الذى يُذكر بين سلاطين العالم براعى الفضل .

٦- الذى ما إنْ أشار إلى غوّاص الفكر "ابن يمين" بأن يُخرج الجوهرَ من بحر خاطره إلى الشاطئ .

٧- حتى أسرع إلى ذلك بيد مخلصة ، كى ينثره على حضرة مَنْ كان الفلكُ قرينَه .

٨- فى حضرة ذلك الذى يكون أقلُّ الأفاضل عنده كاتبَ الفلك رئيسَ ديوان الإنشاء[2] .

٩- فإذا ما كان وقحًا فى السلوك ، فإنَّه جرىءٌ فى القول، خاصةً إذا ما وجدتُ من لطف الملك عونا .

١٠- فأنثرُ على جنابه السعيد من بحر طبعى عقدًا دريًّا نفيسًا امتثالاً لأمره .

---

(١) أى الشاعر .

(٢) أى الشاعر نفسه "ابن يمين" .

١١- وأنثرُ مثلَ سُحب الربيع الجوهرَ على ناصية روضة مدحه وأنا في خريف العمر .

١٢- أيها الملكُ، قصرُك كهفُ أهل الفضل مع أنني لا أعدُّ خادمًا لديهم .

١٣- لكنني أضع نقد فكرى في دار الضرب على محكّ الامتحان حتى يُظهر عيارَه.

١٤- لقد أعددتُ مديحي وسوف أعرض خاطرى العَطِر على المَلك عن طريق الخدمة له .

١٥- يا مَنْ جنابُك قِبلةُ إقبال أهل العصر، واختارك الإلهُ لأجل المُلك من بين العالم أجمع .

١٦- فماءُ الكوثر مجرد قطرة من بحر لطفك ، ونارُ سقر ومضةُ شرر من وهج قهرك .

١٧- وحين وجدتُ المناسبةَ سانحةً استعرتُ هنا في مديح المَلك بيتًا من شعرى.

١٨- لو هبَّ نسيمُ لطفك على أفعى تنفث سُمَّها، لصار فيها خرزةٌ عن طريق خاصية أنيابها .

١٩- ولو عبرتْ سمومُ قهرك على صفحة البحر ، لبعث غبارُها من ماء البحر نارًا حتى يوم القيامة .

٢٠- تغرق سحبُ الربيع في ماء الحياء دائمًا، فما أكثر خجلَه من بحر كفِّك المعطاء.

٢١- أيها الملكُ، لقد صار "ابنُ يمين" في حضرة قصرك الشامخ مُوطأً بالنعال من وقاحته على بساط انبساطك .

٢٢- فحين يكون للمجرمين أملٌ فى العفو من السلاطين، فتجاوزْ بلطفٍ عن جُرم الوقاحة من خادمك .

٢٣- واقبلْ بكرمك العذرَ لو تخلفتُ أحيانًا فى عمل الإنشاء؛ فإنَّ عمرى قد تجاوز الثمانين .

٢٤- وإنْ تذكرنى دائمًا من عداد العبيد الذين ترعاهم .

٢٥- فليس ثمة باعثٌ على الشاعرية لدىَّ سوى الفخر بمديحك، وإلا سوف تتجرَّد أشعارُ هِمتى من رونقها .

٢٦- وحتى لا يجد المللُ طريقًا صوب رأيك الساطع، فأنا أرغب فى اختصار الطريق بعد هذا .

٢٧- بأنْ أختم هذا المديحَ بالدعاء؛ لأنَّه من يُمنه صار خادمُك "ابن يمين" فى يُسْرٍ من الدُّرِّ الموزون .

٢٨- طالما ينتظم أمرُ المُلك والدين بالتاج والمشنقة ، ويحدِّد الخالقُ لأجل كلٌ واحد منهما شخصًا .

٢٩- فليكنْ ويكون تاجُ المُلك لأحباب حضرتك، وتاجُ المشنقة لأعدائك.

قصيدة فى مدح تاج الدين على سربدارى (ص٩٧-٩٨)

١- أقبل العيدُ أيها المعشوقُ فقدِّم كأسًا سائغةً ، فمنها يصير الأمرُ حسنًا مثل الحبيب .

٢- ولَّى شهرُ الصوم فاعتبر العيّد مغنمًا؛ ذلك لأنَّ هذا موعده فأقمْ هذا أيضًا.

٣- انهضْ ، واتجهْ صوب الحانة فمنها لا يكون لهواء الصومعة بعد ذلك اتفاقٌ مع الطبع .

٤- لو أنك لا تملك نقودًا كى تشترى الخمرَ ، قمْ وبعْ ملابسك وأحضرْ كأسَ الطِّلا وهذا أمرٌ سهل .

٥- لا .. لا.. نعوذ بالله لقد نفضتُ يدى من هذا الأمر ، فلا تعطنى الكـأسَ أيها المعشوقُ الساقى .

٦- جعلتُ تشبيبَ هذه القصيدة بالخمر سيرًا على مذهب الشعراء وإلا فالخالقُ شاهدٌ على ذلك .

٧- لأننى قد تبتُ فترةً عن هذا الجرم طوعًا لا كرهًا.

٨- وبخاصة وأنَّ أمْرَ إمبراطور العهد صار الآن مؤازرًا لنهى الخالق عـن هذا.

٩- ملكُ العالم الذى جاء لعالم الكون وأصلح فسادَه ببركة عدله.

١٠- روحُ الفضل ودنيا الكرم تاج المُلك والدين ، الذى هو مثل تـاج ملـوك الدهر العظماء.

١١- أُضمِّنُ من قريض الأستاذ "الأنورى" بيتًا أكثر إشراقًا من الدُّرِّ النفيس .

١٢- وهذا ليس معناه أنْ ليستْ لى القدرةُ على قرض مثله وأفضل منه ألـف مرة.

١٣- بل حسب عادة الشعراء الذين يضمنون شعرَ بعضهم البعض .

١٤- فاستعرتُ أنا أيضًا بيتًا يكون متفقا مع إطراء الملك.

١٥- "أنت يا مَنْ للكائنات افتخارٌ بوجودك أنت يا أكثر رفعةً من الخلق وأقـل من الخالق"[١].

---

(١) هذا البيت للشاعر الأنورى ت٥٨٣هـ أحد شعراء العصر السلجوقى، استشهد بـه الـشاعر علـى سـبيل التضمين كما ذكر.

١٦- لم يرَ أحدٌ ريحَ الخريف وسُحبَ فصل الربيع على شاكلة قلمك ويراعك في نثر الدُّرّ.

١٧- وسيفُك أيضًا ينثر الجوهرَ يوم الوَغى بسعى من يدك على مفرق العدو.

١٨- يصير المجَنُّ وقت الوغى مثل حُلَّة الحرب على جسد عدوك من طعنة سهمك وحربتك .

١٩- في وقت الوغى أشعل سمُّ سيفك المصقول مثل الرياح النارَ في كبد خصمك الذليل.

٢٠- وفي وقت الصيد يصير "عنقاءُ" الفلك الذهبى أسيرَ مخلب صقر همتك .

٢١- إذا عَبَرَتْ رياحُ سموم قهرك على البحر، يهبُّ منه الشررُ سواء على شاكلة الموج أو دخان البخار .

٢٢- أنْ تنتسب إلى الشمس زمنًا فكيف للشمس شهرةُ غزو العالم ؟!

٢٣- وإذا ما كان حاسدُك مثل التراب حقارةً ، لكنه يصير عالى الرتبة حين يرفع إلى المشنقة.

٢٤- لا يتحرر حاسدُك مثل النمل من ألم الحرص، طالما لم يعطِه شرابًا من لعاب الأفعى.

٢٥- إذا صار الفلكُ يهوديًا فى خصام جاهك ، فإنَّ الشمسَ تصير إلى جانبه قطعة غبار .

٢٦- رغم أنَّ عدوَّك يوضع إلى جانبك مثل الصفر زينةً ، فإنَّه لا يندرج مطلقا تحت أى وضع للإحصاء .

٢٧- بيتاً آخر صافيًا كماء الذهب من أقوال "كمال" اخترتُه ؛ لأنَّه كان مناسبًا جدًّا.

٢٨- "هكذا يمكن أنْ يغرق عالمٌ فى بحار جودك، ولم يبقَ على الشاطئ منهم إلا أنا"(١).

٢٩- قلنا بلسان "كمال" ما طويناه وأظهرنا فى حضرتك العالية سرًا دفين.

٣٠- حينما تكون يدك المجوادةُ معينةً لى ، فأنا أعرف أننى لن أتحمل وطأةَ الانتظار بعد هذا كثيرًا.

٣١- صار " ابنُ يمين " الذى لا يسار عنده يأخذ من اليسار قوة ألف فى واحد بالأضعاف .

٣٢- طالما أنَّ سُنَّةَ الحياة دائمًا أن يكون الوَرْدُ قرينًا للشوك والخمرُ للخَمار .

٣٣- فليكنْ لعدوك نصيبُ الخمَّار من الخمر والشوكُ من الورد وقت القصف واللهو .

قصيدة فى مدح أمير تالش (ص ٩٨ - ١٠٠)

١- هذا فصلُ الربيع ، ألا أحضرْ الراحَ المشعَّةَ أيها المعشوقُ ذا العذار الوردى ، فقد وصلت كوكبةُ الورد .

٢- فلا مجالَ للأسف لأنك حين تقصد الخميلةَ يكون النرجسُ اللطيفُ ثملاً وأنت فى حالة سُكْر .

٣- وأنا غارقٌ فى بحر أحزانى ، فأسرع أيها الساقى التركى، وأحضرْ كأسَ الصبوح حتى أتجاوزها .

٤- تأملْ هيئةَ النرجس فعسى أنْ تقول إنها كأسٌ من الذهب الخالص على كفٍّ معشوقة حسناء .

---

(١) وهذا البيت للشاعر كمال الدين إسماعيل ت٦٣٥هـ المعروف بخلاق المعانى، أحد شعراء العصر المغولى.

٥- وشاهدْ قطرات السحاب اللطيفة على ورق زهـرة الـشقائق الحمـراء ، فكأنها حباتُ عرق عبقةُ الرائحة على وَجْنة المعشوق الوردية اللون .

٦- وصار فى فم البرعومة زينةُ الزعفران ، فما أكثر ضحكاتها على بكـاء سُحب الربيع .

٧- وسلبتْ الرياحُ نافجةً من أعلى شجرة الصفصاف الهيفاء ، ولهـذا فهـى تَغبرُ على الخميلة مضمَّخةً بالمسك .

٨- ولو كان كلُّ هبوب لرياح الصَّبا على هذه الشاكلة ، فلأنها تهبُّ مسرعةً برونق المسك التَتَرى .

٩- فتنتعشُ الروحُ كلَّ لحظة من نسيم الصَّبا ، خاصـةً أنَّـه يَعْبـرُ ناحيـة الجدول.

١٠- إذا لم تسقط صورةُ الفلك على الأرض ، فكيف يجد نقَّاشُ الجوهر كُسوةً مثل الفلك لوجه البسيطة ؟

١١- انهضْ وتأملْ الخميلةَ فقد بلغتْ فى الحُسن والسِّحر إلى أن تقـول عنهـا حقًّا: إنها محفلُ المَلك .

١٢- الملكُ رمزُ المُلك " تالش" الذى له عظمةُ جمشيد ، شمسُ فلك الكرم ، ظلُّ الله .

١٣- ذلك الذى تمنطقتْ الشمسُ مثل الجوزاء بنطاق الخدمة كالعبد على بابـه كسبًا للشرف .

١٤- وذلك الذى حينما صار الهلالُ نعلاً لحافر جواده ، اتخذه الفلكُ قرطًا لـه متفاخرًا .

١٥- فتأملْ لطفَ فروسيته فربما تقول : إنَّ الشمسَ تمتطى صهوةَ الفلك .

١٦- إذا كانت سحبُ الربيع رشحةً من بحر كفه ، فإنَّ شجرَ الذَّلب المعدم يأتى مفعمًا بالجوهر .

١٧- يا مَنْ يُعدُّ " عيسى ابن مريم " نفسُ الروح غلامًا لك ، " وروحُ القدس " القلبُ الطاهر معاونًا لك .

١٨- كلُّ ما أخفاه الفلكُ الدوَّارُ فى ضميره فلا تبالِ ؛ لأنَّ رأيكَ قد أظهره لكل شخص .

١٩- أنَّى لسُحب الربيع أن تتشابه مع كفِّك المعطاء ، فإنَّ كفَّـك نـاثرٌ للـدُّرِّ والسُّحبَ ناثرةٌ للدمع (المطر) .

٢٠- ومن كفِّك المعطاء أيضًا ينثر سيفُك الجوهرَ يوم الوغى على رأس العدوِّ.

٢١- لو يتقاطر ماءُ الحياء من مسامِّ السحاب ، فليس ثمة عجبٌ أن يكون ذلك خجلاً من فرط كرمك .

٢٢- وحين تلوى العنانَ صوب السماء فى يوم النزال ، لا يثبت أحدٌ معك فى ذلك للحظة سوى الركاب .

٢٣- وكلُّ مَنْ رأى سيفَك يوم الكريهة فى يدك ، قال : هذا "علىٌّ" فى كفِّه "ذو الفقار" .

٢٤- ولو حمل عَزْمُك السريعُ على الأرض ، ما رأى أحدٌ لها قرارًا مثل الفلك أمامه .

٢٥- وحين أقام توفيقُك النابهُ مذهبَ الحَزْم ، يصير للخشخاش خاصيةُ جلـب النوم .

٢٦- بحـــث خاطرى فى الفكر عن جوهر مديحـك ، فجاء ما ظفر به كلُّه نفيسًا .

٢٧- أنت يا مَنْ نزلتْ آياتُ العدل كلُّها فى شأنك ، ألا احفظْ "ابنَ يمــين" فــى كنف معدلتك .

٢٨- يكون الأسى حقًّا فى عهدك بخاصة ، لو ينظر الفلكُ إلى مثلــى نظــرةً معوجَّةً .

٢٩- فلتبقَ خيمةُ جاهك رفيعة فوق ناصية السماء ، ما بقيتْ تحمل هذه الأفلاك السبعة .

٣٠- وليكنْ لرياح الفلك مدارٌ دائمٌ من مدد لطف الحقِّ حول مرادك لأجل نظام العالم .

أيضًا التهنئة بالعيد ومدح وجيه الدين مسعود (ص ١٠٠)

١- فليكنْ مقدمُ العيد سعيدًا مباركًا معظَّمًا ، على عهد دولة ملك البحر والبرّ .

٢- الحاكمُ لوجه البسيطة سيدُ العصر ، السلطانُ "وجيه الدولة والدين" الملــكُ العادلُ .

٣- بطلُ عصره ذلك الذى نزلتْ فى شأن بيرقه من الفلك لهذا السبب آيــاتُ الظفر .

٤- لم تترك غاراتُ الحادثات لحاسدى مُلكه من الأخضر واليابس سوى العين (الحاسدة) والشَّفة (النمَّامة) .

٥- أنت يا مَنْ على بابك مثلما على باب " محمود " مائةُ ألف عبد مثل "إياز " يتمنطقون بنطاق أوامرك .

٦- إنْ لم يكنْ لدن " ابن يمين " الذهبُ لينثره يوم العيــد علــى حــضرتك الميمونة .

٧- إلاَّ أنَّه ينثر من بحر خاطرِه حاملِ الدُّرِّ بالمديح لك جوهرًا نابعًا من روحه وقلبه .

٨- طالما يكون حكمُ الماء هو التدفق على رأس النار ، ويكون للرياح مرورٌ على بساط التراب .

٩- فليكنْ عدوُك وقت الهيجاء أحقر من التراب من سيفك الذى يشبه النارَ (حدَّةً) والماءَ (صقيلاً) .

قصيدة فى التوحيد والزهد ونعت الرسول ﷺ (ص ١٠٠- ١٠١)

١- حلَّ موسمُ الشيخوخة ، فاتركْ أيها القلبُ أمورَ الشباب ؛ ذلك لأنها لا تليق أن تصدر من شيخ .

٢- فكلُّ ما يتأتى لك صنعُه فى حلكة الليل ، لا يجب صنعُه حين يشرق الصبحُ المنيرُ بضيائه .

٣- فاتركْ أمورَ الدنيا الآن حيث لك الاختيار ، قبل أن يجبروك على تركها مضطرًا .

٤- لا تجعلْ الدنيا مثلَ البلبل هواءَ روضةٍ كثيرًا ، حينئذ يتفتح الياسمينُ على رأسك والزريرُ [1] على عارضك .

٥- خلِّصْ قدمَ طائرِ الروح من أسر طرَّة الأحباب ، حتى يغرِّد على أغصان السدرة والطوبى .

٦- لماذا تعقد القلبَ على هذه الدنيا الفانية الزائفة ، حين تكون كلُّ لحظة لشخص آخر ؟!

---

(١) الزرير اسم شجرة قصيرة الساق مصفرة الأوراق ، وهى هنا إشارة إلى الصفرة والاعتلال التى تصيب عارض الإنسان .

٧- طهِّرْ نَقْدَ عمرك من غشِّ العصيان أيها الفقير ، من ذلك الطريق الـذى سلكته من قبل وكان لك الزاد .

٨- وإلا ستبقى فى سوق الحشر مسكينًا معدمًا ، ذا قلب كسير وأنـت فـى الوقت نفسه ناقدٌ بصير .

٩- إذا ما تريق ماءَ وجهك من الهواء على التراب فسوف تقفز خارجًا مثـل الشرر من نيران الفلك الأعلى .

١٠- أيها القلبُ ، إذا وجب لك الخلاصُ من جُبِّ الضلال ، فتمـسكْ بـالعروة الوثقى شريعة أحمد المختار .

١١- واهب التاج للأنبياء ، ذلك الذى فى ليلة المعراج المقدس ، تجاوز العرشَ والكرسى وقد اعتلى البراقَ .

١٢- ذلك فَلَكُ الشفقة والرحمة الذى أشرقتْ شمسُه على الوضـيع والـشريف والصغير والكبير(١) .

١٣- وذلك الذى اتخذ درعاً من الفضة (السماء) لقهر العدو ، قد اخترق السدرة مثل السهم فكان قاب قوسين .

١٤- فأظهر على دعوته شهادة الحرباء مع العزيـز والـذليل ومـع العظـيم والحقير.

١٥- فلم يرَ أحدٌ ظلاً من ذلك الذى يكون نورًا طاهرًا ، فمن المحال أن يكون للظلمة ظلٌ من المستنير .

١٦- له بأمر العلىِّ القدير أذنٌ قادرةٌ على السمع فى النوم واليقظة وعينٌ قادرةٌ على البصر من الأمام ومن الخلف .

---

(١) إشارة إلى قوله تعـالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٥٩) .

١٧- ولأجل إظهار المعجز صارت يدُه بحيرةً كي تطفئَ الحُرقةَ مــن نيــران شرك العالم .

١٨- وجاء خشبُ المسجد اليابس صائحًا آسفًا ؛ لأن شمس النبوة لم يتخذه متكأً للحظة واحدة .

١٩- وعدَّةُ قطرات من ماء الجُبِّ المالحة والعلقم قد مسَّتْ قدمَه الساحقة للفلك فصارت عذبًا زلالاً .

٢٠- وجاء خيَّاطُ الأزل ولفترةٍ حاك فيها كُسوةً من أطلس الفلك على قامة قدره الرفيع .

٢١- ليس فى قُدرة أحد فى الدنيا من أهل الفصاحة أنْ يأتى بسورة مثل كتابـــه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا[1] .

٢٢- وليس فى الإمكان نسخُ آياته بدين غيره ، وليس هناك أفضلُ مــن ذلــك وليس له كذلك نظير .

٢٣- كلُّ من أعرض عن بلاط جنَّة رتبته ، يأتيه من الــسماء نــداءٌ " ســحقًا لأصحاب السعير "[2].

٢٤- طالما يتيسر للسانى نعتُ صاحب الكمال ذلك ، فقد صار نعتُه فى فكــرة ضميرى أسرع من الأثير .

٢٥- لو أجرى ذو اللسان العذب نعته على لسان " ابن يمين " ، لسقط الــسهمُ (اللسان) فى القوس (الفم) من الغصَّة .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَــذَا الْقُــرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٨٨) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سورة الملك ، آية ١١).

٢٦- ويتحيَّر فى وصفه بلكنة هذا اللسان كلُّ كاتب ، ولو كان كاتبَ ديوان الفلك .

٢٧- ولو كان الشجرُ كلُّه أقلامًا والبحارُ مدادًا [١] ، ولو صنع الفلكُ من الأوراق حريرًا لأجل الإنشاء والكتابة .

٢٨- ثم ظلَّ يحرر حتى يوم الحشر وصفَ ذاته الطاهرة ، فلا يأتى كلُّ هذا فى خيالى عُشرَ عشير ما يجرى به القلم .

٢٩- يا رسولَ الله لقد تبتُ رغم أننى مذنبٌ ، فخذْ بيدى فى اليوم الذى يباح فيه السِّرُّ .

٣٠- لستُ يائسًا رغم إسرافى فى الذنوب ، حَسْب فحوى قوله تعالى : "لاتقنطوا من رحمة الله" [٢] .

٣١- فاليأسُ ليس شرطًا فى طريق أهل العرفان ؛ فإذا ما جاء " المصطفى " نذيرًا فقد جاء أيضًا بشيرًا .

أيضاً قصيدة فى مدح معز الدين حسين آل كرت (ص ١٠٢ – ١٠٣)

١- المنَّةُ لله ؛ لأنَّ مَنْ نال بتوفيق الخالق شهرةَ غازى العالم الشهير .

٢- هو أميرُ العهد الملكُ رمزُ المُلك " حسين " ، ذلك الذى هو موضعُ افتخار الدهر .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (سورة الكهف ، آية ١٠٩)

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (سورة الزمر ، آية ٥٣) .

٣- كلُّ رغبة تختفى بين جوانح قلبه ، يخرجها بحظ الشباب إلـى الوجـود سعيدا .

٤- فكلُّ رغبة قلب يرغبها يصير موفقًا فى تحقيقها بيُمن البخت وسعد الطالع ونفاذ الحكم .

٥- فيا شمسَ العالم وظلَّ الله ، استمعْ إلى حكاية منِّى أنا العاشقُ الواله .

٦- فبالأمس فى وقت السحر ، حين رفعت الشـمسُ راياتِ نورهـا فـوق السماء .

٧- كنتُ قابعًا مكلومَ القلب لفراق الحبيب ، فإذا به قد دلف بابى على حـين غرَّة .

٨- وَجْنَتُه تشبه الوردةَ اليانعة وضحكتُه كأنها فمُ البرعومة ، وفى قلبى غصةٌ من تلك الوردة اليانعة .

٩- فقفزتُ من موضعى حيث كنتُ بالأمس ثملاً أحطِّم صداعَ السُكْر بكـأس خمرة شفاهه الياقوتية .

١٠- فتبسَّم وقال: صهٍ فليس هذا وقته ، فاسعدْ الآن وأبشرْ ؛ لأنَّ ذلـك مـن لطف الخالق .

١١- إنَّ الملِكَ رمزَ المُلك " حسين" قد أقام سدًّا محكمًا مثل بناء عدله .

١٢- السدُّ الذى فى فصل الربيع ،لا يكون لسفينة نوح قوةُ العبور على مائـه خشية موجه العاتى .

١٣- السدُ الذى تنفتح منه أمورُ العالم ، انظرْ إلى هذا المغلق الذى تنفتح مـن خلاله الأمورُ كلها .

١٤- السدُّ الذى أمام حملة طوفان سيوله ، كيف يراه الزمانُ ؟ إنَّه جودى خالد.

١٥- فكلُّ سمكة تجد فى مائه حمايةً لها ، فلا عجب إذا وهبتْ مثل الصَّدَف الدُّرَّ النفيس .

١٦- ولو أقاموا على حافته كلَّ غصن ميَّاس ، فإنَّه يطرح ثمارًا عذبةَ المذاق كأنه قصبُ السُّكَّر .

١٧- ولو تفتحتْ على أرضه خضراءُ الدِّمن، فسوف تعلو برأسها على الفلك مثل صفصافة الجدول السامقة .

١٨- تضحك شفاهُ الدَّهر من هذا السدِّ الأسر ، خاصة حين يبكى فوقه سحابُ فصل الربيع .

١٩- حصاه دُرٌّ ؛ لأنَّ السُّحبَ تنثر على رأسه من حواشيها الدُّرَّ بصفة دائمة .

٢٠- كثيرًا ما أفضتُ الحديثَ عن الإسكندر وعن سدِّه ، فقال لى العقلُ البصيرُ : حذارِ .

٢١- فأمام مَلك العصر وسدِّه هذا المحكم ، لا يذهبنَّ خاطرُك صوبَ الإسكندر وسدِّه .

٢٢- أيها الملكُ ، لسُحب الربيع من فرط غيرتها منك صدرٌ ملىء بالحرقة (البرق) وعينٌ ذرَّافةٌ للدمع (المطر).

٢٣- ودائمًا ما يتقاطر ماءُ الحياء من مسامه ، فما أكثر أن صار خجلاً من سخائك .

٢٤- وسيفُك الذى تكون هيئتُه على هيئة لسان الأفعى يصدع رأس العدو كأنه لسان الأفعى .

٢٥- وحين يتجاوز جوادُك الجامحُ ساحةَ السماء ، ويلقى بنعله يصير الهلالُ منه ظاهرًا.

٢٦- وإنْ لم يكن الهلالُ نعلَ حافر جوادك ، فلماذا اتخذه الفلكُ له قرطًا على سبيل الشرف ؟

٢٧- يا شمسَ العاطفة ، تعتكف الفتنةُ مثل الظلِّ فى كلِّ دار خشيةً من عدلك .

٢٨- الآن يكون دورانُ الفلك وفقَ مرادك ، فليكن يا إلهى هذا الدوران بلا قرار حتى الأزل .

٢٩- فاطلبْ الدورانَ الدائمَ مثل الفلك واظهرْ سعيدًا بصحبة المعشوقات الأسرات والحسناوات الفاتنات.

٣٠- ولا تعشْ لحظةً بدون الكأس السائغة ، يا مَنْ كأسُ عيش أهل الفضل سائغةٌ منك دائمًا .

٣١- ألقِ بظلِّك مرةً أيضًا على "ابن يمين" ، حتى يصير مثل الشمس للدهر شمعًا.

٣٢- فحين يكون "ابنُ يمين" مادحًا لتراب جنابك ، فإنَّه يكون ذا يسارٍ دائم من كنز جوهرك الموزون .

٣٣- وكلُّ شخص يعرف بأنه ينظم جوهرًا ، فقلْ له : هاتِه ، فلا يوجد مَنْ هو أعلم منك بالجوهر .

٣٤- طالما يكون هناك معرفةٌ فى الدنيا بأمر السبعة والأربعة ، ويكون للسبعة مدارٌ حول هذه الأربعة .[١]

٣٥- فلتكنْ ذاتُك منبعَ الإحسان ، وأنت نفسُك تكون المقصودَ بخلق هذه السبعة وهذه الأربعة .

---

(١) السبعة هى الأقاليم السبعة والأربعة هى الجهات الأربع للدنيا .

وله أيضًا قصيدة فى مدح تاج الدين على السربدارى (ص ١٠٣-١٠٤)

١- المنةُ لله تعالى ؛ أنْ أرشدنى صوب ملك البحر والبرّ الذى له حظُّ الشاب وحكمةُ الشيخ .

٢- الزعيمُ وقائدُ الشرق والغرب ، تاجُ المُلك والدين ، العادلُ ، ملكُ العالم الذى له جاه جمشيد .

٣- ذلك الذى يراه خَلْقُ العالم الآن ، هو ذلك الذى يرغبون من بعد رؤيته من الإمام المنتظر .

٤- وذلك الذى لو ينظر يوم الكريهة إلى الفَلك بهيبة ، تخرج النجومُ الثوابتُ من الفَلك مثل الشرر من النار .

٥- حينما تسيطر يدهُ على كلِّ أمر من أمور العالم ، تراها قد جمعتْ فى تلك الآونة البحر والبرَّ فى موضع واحد .

٦- لا يُســـتحب لدىَّ تشبيهُ يده بالسحاب ، أيشبِّه أحدٌ البحرَ الأخضر بالجدول؟

٧- وقت عطائه يكون فيضُ السحاب مجرَّدَ قطرة ماء وكفى ، وفى وقت السخاء أيضًا تكون يدهُ ناثرةً للذهب وللجوهر أيضًا .

٨- كلُّ مَنْ يطبع مثل الخاتم قُبلةً على يده المعطاء ، ستراه مثل الفَصِّ غارقًا بين الفضة والذهب .

٩- ولو تصير الدنيا الآن عقيمًا فهذا جائزٌ ، فمن المحال أنْ تلد ابنًا آخر يشبهه.

١٠- أتعلم أنَّ مَنْ يرى نظيرًا له فى الأرض أو السماء يكون قد أتى إلى عينه فى تلك اللحظة حولٌ فى النظر؟

١١- صار صقرُ الفتنة قابعًا مثل زاوية القوس ، حين بسط عقابُ سهم عدله جناحه على الدنيا .

١٢- خلتْ الدنيا من قطّاع الطرق من خشيته ، ولهذا يمضى النرجسُ آمنًا وعلى مفرقه الطِّستُ الذهبى (الشمس).

١٣- حيثما يأمر ينفّذ القضاءُ أمرَه ، وخلاف ذلك يكون كفرًا ، فالقضاءُ يعرف قدْره هذا جيدا.

١٤- ولحاسده طوال عمره من السحر حتى المساء قلبٌ ملىء بالحلكة مثل المساء ، وآهةٌ باردة مثل وقت السحر .

١٥- جرَّد الحظُّ السيئُ عدوَّه ، ولذلك لم أرَ له شيئًا من الأخضر واليابس سوى شفاه (نمَّامة) وعين (حاقدة) .

١٦- لو اتخذتْ السماءُ غبارَ تراب أعتابه لها كحلاً؛ فسوف تزول الغشاوةُ عن بصر قمرها.

١٧- وإذا لم يكن للقمر مرورٌ على وجنته فى ديوانه؛ فكيف يتسنّى له المكوث أو الرحيل فى السفر؟

١٨- وإذا أخذت الشمسُ أجرةَ النور من رأيه؛ فلا حاجة لها للتنقل مثل الشحاذ من باب إلى باب من الصباح إلى المساء.

١٩- لا يرى العقلُ موضعًا للحَوالة لأهل العالم لأجل كسب الخير ودفع الشر سوى جنابه.

٢٠- الشمسُ من عبيد رأيه، ولأجل ذلك فهي تتمنطق مثل العبد بالجوزاء.

٢١- لو يرفع الفلكُ من قدر نفسه ويستضيفه، فإنَّ الموجودَ الذى يحضره له فى الحال قرصان من القمر والشمس.

٢٢- لو أرسل رأيهُ ذرةً واحدة إلى الفلك؛ فسوف يأمن القمرُ والشمسُ من الخسوف ومن الكسوف .

٢٣- لو يرغب قلبُه، فإنَّ صيقلَ رأيه المنير سوف يجلو فى لحظة غبّار الدخان عن مرآة القمر.

٢٤- ترتعد فرائصُ الشمس من حرارة رأيه ، وتظلُّ بسبب هذه المعاناة ليل نهار فى سُهاد وخَوَر.

٢٥- وحين يقيم خاطرى فكرة المعنى واللفظ له، لا تنعقد فى خيالى صورةُ الشمع والسُكَّر.

٢٦- ولو يقول أحدٌ إنَّ فى ذاته فضلاً ، فقد أعاب فيه ؛ لأنَّه كلُّه فضلٌ من المفرق حتى الأخمص.

٢٧- أيها الملكُ الموفق، إذا سمحتَ، عرضتُ فى حضرتك حديثًا مختصرًا.

٢٨- جاء وقتُ نوبتك، و"ابنُ يمين" لن يقضى عمرَه فى ليت ولعلَّ أكثر من هذا.

٢٩- فإما أنْ تطلق رزقى من ديوان الكرم، أو تدلنى على ديوان لآخر غير هذا إنْ وُجد.

٣٠- فلتكنْ السماءُ مثل الأرض مسخرةً لحكمك طالما بقيت الأرضُ سافلةً والسماءُ عاليةً.

وله (ص ١٠٤- ١٠٥)

١- ما إن تهفو إلى خاطرى ذكرى خراسان ، حتى أهيئ من دماء عينى ما يشبه زهرة الشقائق بين أوراق الزرير[١].

٢- وتضرم نيرانُ قلبى الفلكَ هكذا بألسنتها ، فاشتعل أثيرُ الفلك بشرر منها .

٣- مع أنه ليس لى غصةٌ مع الأحباب ولى نفورٌ من الفلك ، ومع أننى فى حزن مع الأصحاب ولهم معى ألف أنين وألم .

٤- ولكن يُعدُّ لى دائمًا الشرابُ والربابُ ، فيكون الشرابُ هو دماء القلب والربابُ هو أنين صوت الزير[٢].

٥- فليس لى ثمة راحة للحظة مع الخلاَّن ، وليس لى ثمة مهرب للحظة من غُصة الأحباب .

٦- وأبعدنى الفلكُ عنهم بالصورة التى تجعل العقلَ يحار فى ذلك التصور .

٧- فطلبتُ وصل الأحباب بمائة حيلة ، إلا أن القضاءَ لم ييسر ذلك بحيلة مختلفة .

٨- ألا يا نسيمَ رياح الصَّبا ، ألا ردِّدى ذات سحر خطابَ " ابن يمين " على حافة وسادة الحبيب .

٩- فإذا كانت الحياةُ توصل بالذهب والفضة ، وإذا ما كنا نبعد عنك بالرحيل فاقبلْ عذرنا .

---

(١) الزريرُ عشبٌ ساقه قصيرة وأوراقه صفراء اللون وعُرِّب بالاسم نفسه (فرهنگك عميد) .

(٢) الزير والبم من الأصوات الموسيقية التى تصدر من الآلات الوترية. " والزير " من الأصوات الناعمة الرقيقة المنخفضة .

قصيدة (ص ١٠٥-١٠٦)

١- حقًّا لقد ذاع هذا النصرُ وانتشر ، فقد جاء منتصرًا الملكُ " رستم " من " مازندران " " وإسفنديار " من " هفت خوان " [١] .

٢- سحقت نيرانُ قهره الأعداءَ، وأسلمهم بسيفه الصقيل أدراجَ الرياح مثل تراب الطريق .

٣- بلى، هو هكذا لأنه الملكُ الذى تكون رايتُه الحظَّ والنصرة على اليمين والفتح والدولة على اليسار .

٤- بطلُ الدين والدولة إمبراطورُ الشرق والغرب ، شمسُ المُلك والملَّة ظلُّ الإله .

٥- ملكُ العالم السلطان نظام المُلك والدين ، ذلك الذى يكون للدين وللمُلك افتخارٌ بذاته .

٦- وذلك الذى يقلُّ عيارُ الذهب على المحكَّات إنْ لم يستمد لونَه من شمس رأيه .

٧- وذلك الذى من خواصه أن يرافقه الحبُّ والحقدُ ، فيكون الحبُّ للأحباب تاجًا ويكون الحقدُ للأعداء مشنقةً .

٨- ويوم الوغى ، لو رأى أسدٌ سيفَه الذى يقطر لهبًا ، يخفى مثل القط مخالبَه فى قبضته من شدة رعبه .

٩- استولى كالشمس على العالم ، لو مضى خنجرُه مثل الشمس عليه .

١٠- هو شيخُ الدهر الذى سيخلد عقب هذا إلى الراحة ، فله حَوالةُ الخالق مع حظ الشاب .

---

(١) هنا إشارة إلى قصص الشاهنامة عن عودة رستم من مازندران بعد إنقاذ كيكاوس من الأسر، ويقال إنها حدثت أيضًا لاسفنديار (فرهنگ عميد) ومعناها الموائد السبع .

١١- ألا فاسعدْ أيها الملكُ واهب التاجِ صاحب العرش ؛ لأن هذا الفــتحَ الأول هو من فتوحات عديدة لك .

١٢- فلتبتعدْ عينُ الحاسد عن عصر دولتك ، فلا تَرى الدولةُ مثل هذا حتى يوم القيامة .

١٣- ما أكثر لاثمى ركابك الميمون لدولتك ، و " ابن يمين " فى انتظار علــى ناصية الطريق .

١٤- وحين وصلت نوبتُه لم يجد السعادةَ ، لأنه لم يتحقق مرادُه بسبب ســوء الطالع .

١٥- وأنا الآن أعرض : لماذا يبقى هكذا محرومًا من السعادة ؟ فهو أعرج ولا يجد جوادًا مطيةً له .

١٦- طالما يكون سرجُ جواد الفلك الأبلق من الهلال ، وطالمــا تكــون أيــامُ الأسبوع متتابعةً كالجمل .

١٧- فليكنْ جوادُ الفلك الأبلق لك تحت سرج الأحباب ، وليكنْ الخطامُ فى أنف عدوك مثل الجمل .

قصيدة فى مدح " طغايتَمُور خان " (ص ١٠٦- ١٠٧)

١- مع أننى ابتعدتُ فترةً مضطرًا عن جناب حضرة الملك الميمون .

٢- الملك الملاذ للعالم الذى لم ترَ عينُ الدهر مثلَه ملكاً متوّجًا علــى العــرش الملكى .

٣- الملك "طغايتَمُور خان" الذى جلب للمُلك من سحب العدل ماءً يسكبه علــى صفحة العمل .

٤- إلا أن الأملَ قائم ، لأننى أضع ترابَ بلاطه العالى فى عينى كالكحل .

٥- أتعلم من أين جاءني الأملُ على هذه الشاكلة من السعادة بعد فضل الله ؟

٦- من هناك حيث حانت التفاتةُ رأى مُخضع عصاة العهد صوبي أنا المكلــوم المعنَّى .

٧- ذلك القائد الذي ليس فقط ملكًا للمملكة ، لا بل هو موضعُ افتخار مُلك العالم أجمع .

٨- هو سند الملَّة وملاذها وصاحب المُلك ، ناصيةُ دفتر نتائج العالم .

٩- حضرةُ نظام الملَّة والدين ذلك الذي يكون مدارًا للأفلاك طالما يكون فـــي الدنيا هذا المدر .

١٠- لا يتسنى مطلقًا أن يوجد بطلٌ آخر مثله في مقدمة الجيش رافعًا البيرق.

١١- فيدعونني أنا الخادم إلى بلاطه العالي بلطف سرمدي وكرم لا حدَّ له .

١٢- حتى ألثم في ركاب موكبه غازي العالم جنابَ حضرة السلطان الموفَّق.

١٣- السلطان واهب التاج والإمبراطور صاحب العرش ، ذلك الذي ينال منه التاجُ والعرشُ الشهرةَ .

١٤- أيها الملكُ الموفقُ أنت الذي تجد كلَّ رغبات قلبك من الخالق .

١٥- فتلك سعادةٌ لا تُحدُّ ، أن تدعوني اليوم لخدمتك .

١٦- هو ذلك الفارس لساحة الفروسية الذي يمتطي يوم الكريهة جوادًا علـــى شاكلة جسد الفيل .

١٧- فرمحُه يسلب سوادَ العين من عين النملة ، وسيفُه ينتــزع مثــل لـــسان الأفعى عينَ العدو .

١٨- بالتأكيد إن إخلاصي ماعاد خفيًا على رأى الملك المدلِّل للصديق الـــصائد للعدو .

١٩- فلن يجد من هذا الإخلاص قرونًا عديدة ؛ لأنه الشعاع الذى يصدر عن الملك وكأنه الدمية الحسناء .

٢٠- يا شمسَ العالم لا تحجبْ الظلَّ عنه ، فمن ضيائه يصعد الدمار لأعدائك[1] .

٢١- وألقِ نظرة حينذاك على " ابن يمين " حتى يصير قلبه من كيميائك مثل ميزان الذهب .

٢٢- فطالما كان لأهل العقل إجماعٌ واتفاقٌ على أن فصول العام فيها الخريف والربيع .

٢٣- فليكن ربيعُ دولة خصمك مثل الخريف ، وليكن خريفُ حياتك أكثر نضرة من الربيع .

مطلع ثانٍ (ص ١٠٧-١٠٨)

١- تكون السعادةُ عونًا له والإقبالُ وحسنُ الطالع مَنْ اختاره الملكُ عبدًا .

٢- ذلك المَلكُ العادلُ الذى تأتى فتراتُ حكمه بعهد الربيع الغضِّ بدلاً من الخريف القاسى .

٣- سلطانُ الشرق والغرب ، إمبراطورُ البحر والبر ، شمسُ المُلك ظلُّ ألطاف الخالق .

٤- ملكُ العالم طغايتَمُورخان الذى تتخذ الشمسُ مدارَها دائمًا تحت ظلِّ مظلَّته .

٥- ألقى رأيُه فى قلب الشمس نارًا ، ولأنها من الثوابت فقد صارت مضيئةً بشررها .

---

(١) أى من أشعاره .

٦- وما إنْ شاهده العقلُ على جواد فى ضخامة الفيل حتى قال : إنه الشمسُ قد امتطتْ صهوةَ أسد السماء .

٧- وفى أثناء العرض ، لو يعبر خيلُه وجيشُه الذى يخرج عن الحصر على لجَّة البحر .

٨- ومن كثرة مرور غباره على هواء صفحة الماء ، فإنَّ عددَ الأفلاك يكون فى ازدياد .

٩- لقد صار له رأىُ الشيخ وقوةُ حظِّ الشاب ، فدانت له البلادُ من " قندهار " حتى " قيروان " .

١٠- وحين يُحلِّق عاليًا صقرُ همَّته النجيب ، فإنَّه ينال من " سيمرغ " الفلك الذَّهبى .

١١- ويهتم من سويداء قلبه وبشغف أن يكون الفلكُ ميزانَ الذهب لأجل عطائه العام .

١٢- فى عهد عدله تصير البقرةُ الوحشيةُ والشاةُ فى رفقه الأسد وكنف الذئب.

١٣- لو ينطلق منجنيقُ قهره صوب الفلك ، فإنه يسوِّى السماء بالأرض(١).

١٤- أيها الملك ، أنت الذى تلثم الشمسُ كلَّ صباح جناب جاهك بكل فخر .

١٥- يطيح حزمُك بعادة السُّكْر على هذه الشاكلة ؛ لأنها لا تزول حتى الأبد من أعين العشاق .

١٦- فى مصر ، صار كلُّ قلب عزيزًا مثل الذهب ، مع أنَّ الذهبَ يكون بالنسبة لك رخيصًا كالتراب .

١٧- لو ألقتْ ذرَّةٌ من رأيك بصورتها على السماء ، لصار للشمس شكلٌ آخر.

---

(١) حرفيا : فإنه يجعل السماء أكثر انحطاطًا من الأرض .

١٨- ولو تنشر الرياحُ شرارةً من بصاق قهرك على ماء البحر يهبُّ منه دخانٌ يشبه البخار .

١٩- وحين يجول جوادُ قدرك يومًا بساحة ميدان السماء متجولاً .

٢٠- وتسقط حدوةٌ من حافر جوادك على الفلك ، يتخذه الفلكُ مسرعًا قرطًا له على سبيل الشرف .

٢١- أيها الملكُ الذى فى يوم الدعوة العامة يصطفُّ ملوكُ العصر على بابك من كل صوب .

٢٢- وكلُّ واحد منهم يفوق يوم العراك " رستمَ " فى البطولة والصولة والشجاعة .

٢٣- ومن هؤلاء القادة المتمردين جميعًا ملكٌ حين لاطفه خادمُ الملك صار شريفًا .

٢٤- فيسلب من جلالك رتبةً ، وأنت بعظمة المُلك فوق مفرق الشمس تاج مذهَّب .

٢٥- حضرة نظام الدولة والملَّة الذى ينال فى العالم شهرةً تعادل شهرةَ الشمس فى غزو العالم .

٢٦- سعيدُ الطالع ذلك الذى يكون هكذا مطيعًا لإمبراطور العهد ومحبًّا له .

٢٧- وحين يتمنطق أيها الملكُ نظامُ الملَّة والدين بروحه كالعبد تحت أعتاب عرشك المبارك .

٢٨- فرآه الفلكُ أمامك فقال له مهنّئًا : أيها المادحُ لملك من الملوك العظام .

٢٩- فليس غيرك عبدٌ يكون للملك مشهورًا بإبعاد عين السوء عنك .

٣٠- فلا تحجبْ عنه الملاطفةَ والعناية ، مادام ملكُك يزداد سعةً [1] .

---

(١) واضح من السياق أن الشاعر يقصد نفسه بهذا العبد .

٣١- وبعد هذا أختم المديحَ بدعاء الخير ، وليس عجزًا عن مواصلة القول .

٣٢- ولكن حين يقف " ابنُ يمين " بحُسنٍ على طبعك اللطيف أيها الملك الموفق.

٣٣- فإنَّ الأفضلَ له أن يُبدّل الآن الإطناب بالاقتصار حتى لا يصاب خاطرك بالملل .

٣٤- طالما كلُّ ما يكون تحت الفلك مركبٌ في الدنيا من الماء والتراب والنار والرياح له قرار .

٣٥- فليكن القرارُ في كنف عدلك هو الرأفة ؛ لأنَّ كلَّ شيء مركبٌ من هذه العناصر الأربعة .

وله أيضًا (من ١٠٨-١٠٩)

١- اليوم النوروز والصبوح في القدح ونحن عاقلون ، أللعقل حقًّا إنكارٌ لذلك ؟

٢- والنرجسُ الثَّملُ قد صبَّ في المحفل ثانية عيارَ الذهب (الخمر) على حافة القدح الفضي الساخن .

٣- وخرج الملكُ من حجرة الخلوة مرة أخرى صوب الخميلة ليشاهد حسناوات الخميلة .

٤- وجلس كالسلاطين على عرش الزمرد ، والسحابُ اللطيف ينثر على رأسه جواهره (قطرات الماء) .

٥- ومشّاطةُ القدر تنقش ثانية على عارض عروس الخميلة الناصع بمائة لون .

٦- وفي الصباح تنبت الخضرةُ من قطرات الندى ، فكأنها خنجرُ أمير العالم المرصَّع بالجوهر حقًّا .

٧- وحين تفتح ريحُ الصَّبا نافجةً من غُصن " السرو " السامقة ، يسودُ وجهُ نافجة الغزال التترى من فرط الحسد .

٨- وما أكثر ما تلاطف ريحُ الصَّبا طفلَ الخميلة ، وترفع شجرةُ " الدُّلب" كفَّها بالدعاء .

٩- وعاد إلى بابى لأجل التهنئة بمثل هذا الموسم البهيج ذلك السروىُّ القدِّ الشقائقىُّ العذارِ .

١٠- ذلك الملاكُ الذى إذا أسفر عن وجهه، تقرُّ الحورُ بالقصور فى نظرهن.

١١- فقلتُ لها: هلاَّ أعطيتنى من شفاهك قُبلةً؟ فقالتْ : هيت لك. فقلتُ لها : خُذى الراحَ من كفِّى . قالتْ : هاتِه .

١٢- فمضينا بعد ذلك صوب الخميلة للنزهة ، أنا وتلك الوردةُ التى لا أصابت مشقةُ الشوك وجنتَها الوردية .

١٣- وقطفتُ برعومةً من بين الأشواك الدامية التى تشبه نصلَ أمير الأمراء يوم الصيد .

١٤- ملك العهد والزمان العادل ملك العالم ، الأمير " تالش " الذى له وقت العطاء صفةُ السحاب ناثر الجوهر .

١٥- ذلك الذى من فرط لطفه لا يصدر فى عهده أنينٌ موجعٌ إلا من الرباب.

١٦- فى وقت المحفل الكأسُ فى كفِّه كأنه " جمشيد " ، وفى وقت الوغى سيفُه ماضٍ كالشمس .

١٧- نصفُ الحدوة الذى يسقط من حافر جواده الجامح ، يتخذه الفلكُ سوارًا لساعده على سبيل الشرف .

١٨- لا يأتى من كتم العدم إلى صحراء الوجود خلقٌ ، ما لم يضمن لهم كرمُه الرزقَ فى كل حال .

١٩- ولا يأتى لدىَّ من محتسبٍ عدلٍ أىُّ عجب ، إذا فتح " الزنار " ثانية مــن وسط الغاب .

٢٠- يا مَنْ لك مكانةٌ لا يتسنى لمعلِّم الفلك " عطــارد " أنْ يحــصرها طــول العمر.

٢١- أعوامًا ، تتلاطم فيها أمواجُ بحر الوجود ، فلم تُلقِ إلى الشاطئ جــوهرةً نفيسةً واحدةً مثلك .

٢٢- ذاتُك الطاهرةُ فى هذا العالم الأرضى تشبه الجوهرَ فى الصدف وفى فقرة الأفعى .

٢٣- صار لعاشق وجهك حظُّ الشاب ؛ إذْ ليس لــه مــستقرٌّ إلا علــى بابــك العالى.

٢٤- كلُّ مَنْ لوى رأسَه عن خطِّ حكمك بسبب أنَّ له طبعَ الحمار ، فــإنَّ يــدَ القضاء سوف تأخذ مسرعة بخطامه .

٢٥- فى وقت الكريهة ، حين تسحب القوسَ من وجه الخصم ، امتلأتْ خــوذةُ الفلك برغوة فمه الذى يشبه الثقب .

٢٦- فى يوم العريكة ، ما أكثر الغبارَ الذى أثاره جيشُك ، فــصارتْ طوابــقُ الأرض ستةً وأجرامُ الفلك ثمانيةً .

٢٧- أيها الملكُ ، إنَّ " ابنَ يمين " حين يمتدحك ، فإنَّ إقبالك يهبه اليسارَ بسبب جوهره الموزون .

٢٨- ولو صارت كلُّ أجزاء جسده ألسنةً مثل زهرة السوسن ، فلا يأتى بقــول واحد ممَّا لك من آلاف الفضائل .

٢٩- ما دام فصلُ الربيع يصير من فيض بكاء السحاب والورد ضاحكًا بطراوة مثل وجنة الحبيب النضرة .

٣٠- فليكن وردُ إقبالك ضاحكًا من ماء الحياة ، وليكن خصمُك باكيًا مثل سحب الربيع من الجسد .

قصيدة (١٠٩ - ١١٠)

١- بعد طول عناء وحزن ، فتح الفلكُ لى بابَ السعادة والهناء أخيرًا .

٢- وفتح صقرُ " هُما " [١] سعادتى عينيه ، فى تلك اللحظة التى رأيتـه فيهـا محاكَ العين كالصقر .

٣- ويمَّم حظِّى الشاردُ بوجهه ناحيتى ، بسعى دورة الفلك وتوفيق لطف الحقِّ .

٤- فتمنطقتُ بنطاق الإحرام واتجهتُ صوب قِبلة إقبـال العـالم ، كـى أؤدى فروض الطاعة له بقلب صادق .

٥- أعنى جنابَ العادل وملك المُلـك والـدين ، شـمسَ العـدل " وجمـشيد " المحبوب.

٦- قطب الملوك قدوة سلاطين العصر ، الحكيم شمس الدولة والدين ، الملـك المعظَّم .

٧- دليل " المهدى " " محمد " الذى له مقدرة " حيدر " ، و " محمود " العهـد ، والعالم خادمه مثل " إياز " .

٨- ربما لأنَّه قائدُ الجيش الذى يوم الكريهة يجعل أمرَ الأبطال فى الدنيا مـن خلاله .

٩- القدمُ والركابُ والقبضةُ والعنانُ ، كـلُّ ذلك يسعى من زمن لأجل تقبيله .

١٠- لو تهوِى الهرَّاوةُ التى فى كفِّه وتشبه البقرةَ على مفرق العدوِّ ، فتقول إنها هراوةُ "بيجن" [٢] على رأس الخنزير الوحشى .

---

(١) طائر وهمى فى الأدب الفارسى يقابل العنقاء فى أدبنا العربى .

(٢) أحد أبطال الفرس القدماء الذين خلَّدتهم شاهنامة الفردوسى ، وهو ابن أخى البطل رستم .

١١- وحين يُسلس جوادُ الفلك الجامح له قيادَه ، فقلْ إن جوادَ المراد قد أغـار بعد هذا على الشمس .

١٢- أيها الملكُ الذى إذا لم تحمل الفراشةُ الضياءَ من أنوار رأيك لهذا الـشمع غير المذاب .

١٣- فإن جُرمها الدائم من عقدتى الرأس والذنب ؛ لأن أسنانها من فمها مثـل اللسان للشمع .

١٤- كفاه حظُّ الشاب مع حكمة الشيخ ، فيُظهر أىَّ سرٍّ خفىٍّ فى صدف الغيب.

١٥- لا عجب إذا ما ألقى العدوُّ بدرعه أمام سيفك ، وكان الأجلُ يوم الكريهة فى احتراس منه[١] .

١٦- وإن لم يبق لرمحك وقت الجهاد علامةٌ فى عظام العدوّ ، فلا يقلل مطلقًا من اهتزازه .

١٧- مدارُ الفلك الدائم يكون حول مرادك ، وما قلتُه حقيقةٌ وليس مجازًا .

١٨- كلَّ ليلة يعرض هذا الفلكُ المحتال آلاف الفقرات لأجل نزهتك .

١٩- أيها القائد الذى تكون قاعدةُ رأيك المنير هى التى تميِّز بين الباطل والحقِّ.

٢٠- حينما تكون همتُك هى مفتى شرع المكارم ، فأنا متيقنٌ أنَّه لن يكون عندك جواز الرخصة .

٢١- لأن ذلك الشخص الذى يكون عارىَ الجسد فترة كالثوم ، فإنَّ جودك يغطى جسدَه كله كالبصل .

٢٢- وذلك الشخص الذى لم يعش فترة فى نعيم الفضل ، فإنه الآن ينعم بالدلال والعناية .

---

(١) أى من سيف الممدوح .

٢٣- لو يحصل فكرُ " ابن يمين " البكرُ وقت الزفاف على الجهاز من جوهر قبولك .

٢٤- فأنا آمل أن يصل من إقبالك على حاضرى حجرة زينتهِ كلُّ دلال وعناية.

٢٥- والآن أكتفى بما قلتُ وفقًا لرغبتك ، وأطلبُ من الله أن يمدَّ فى عمرك .

قصيدة فى مدح علاء الدين محمد (ص ١١٠ - ١١٢)

١- أيها الدهرُ مدلِّلُ السفلة ، كفتنى الغُصَّةُ من جورك ، فماذا أقول والقصة طويلة ؟

٢- يَنعَمُ السَّفلةُ طوال العمر ، ويسقط الفضلاءُ فى معاناة شائكة .

٣- بسبب تدليلك للسفلة ، فكلُّ مَنْ كان عاريًا كالثوم يصير اللباسُ لجسده مثل قشرة البصل كلية .

٤- أيليق بى أن أجعل القلبَ فارغاً كالكأس ، وأنا أبكى دمًا مثل صُراح المُدام؟

٥- سوف أختصر فى شكايتى من جفائك وجورك ، فلا جدوى من الإطناب .

٦- لا يتسنى لنفسى أن تكشف عن سرِّ القلب أمام أحد ، فأين ذلك الشخص الذى يحفظ السرَّ للحظة ؟

٧- أنا وإن كنتُ أتصهر مثل الشمع من نيران القلب ، حتى إنَّ الفراشةَ لا تسمع صوتًا منِّى .

٨- وبسبب ذلك فأنا أعتَكف مثل العنقاء فى زاوية العزلة ؛ لأنك لا تعرف للصقر أىَّ فضل عن الأوزة .

٩- حينما لم يعد ثباتٌ للسوء والحسن بسبب سعيك ، فافعلْ بأمر قلبى ما تشاء أو لا تفعل .

١٠- فكفاك هذا التوبيخُ من جاهل ، فلدى عقلك يتساوى النشوءُ والارتقاء .

١١- فتارةً تعطى الحدأةَ لِيكَ الصقر النجيب ، وتارة فى أثناء الصيد تهب الأسدَ الهصورَ إلى الخنزير الوحشى .

١٢- لا أعلم لك فى النهاية أىَّ ثمر تهبه حين تشرع فى ذلك خلاف سيد العالم.

١٣- وزير المشرق والمغرب علاء الدولة والدين ، الذى امتاز عن أعيان الدهر فى الفضائل .

١٤- فإذا لم يكن بلا ثبات فى مكان مثل الحدأة ، فهو من هذه الناحية يحلِّق فى كلّ هواء مثل الصقر .

١٥- تارة على ديار خراسان وأخرى على ممالك الروم ، وتارة على ممالك كرمان وإقليم شيراز .

١٦- فغرضُه حُسنُ الرجال من سوء القصد ، فأىُّ ضيرٍ أن يأتى الذهبُ من القاع أكثر طهرًا .

١٧- فأنا أعلم أنَّه بسبب جورك لم يُفتح بابُ التنعّم والدلال على وجه أهل خراسان .

١٨- فعسى أنْ يلوى ظلُّ الله عنانَ مركب العزم مثل الشمس صوب خراسان ثانية .

١٩- علاء الدولة والدين الذى يقصده أهلُ العالم كلهم مثل الكعبة بسبب شرف جنابه .

٢٠- سخىُّ القلب الذى فى عام القحط يحلِّق كرمُه على أهل الدنيا الراغبين فى بابه المفتوح .

٢١- فتشبع معدةُ الحريص من خبز مرحمته ، وتمتلئ مقلتا الطامع من ماء مكرمته .

٢٢- فمثالُ حكمه وامتثالُ الفلك له ، مثل السلطان "محمود" وخادمه "إياز" .

٢٣- يَذرُ التَّم فقط له السماح بالمرور من خطِّه على صحيفة وجهه .

٢٤- فإذا ما كان أمرُ حاسديه الآن مثل الذهب (صفرة) ، فإنه ينزع رأسهم بخفة مثل الذهب من الأسنان .

٢٥- لا يصل خصمُه مطلقًا فى الفضل إلى مستوى تراب أعتابه ، فكيف يتساوى نسيم العود بحسك السعدان ؟

٢٦- إنْ لم يكن مميزًا جدًا فيما يخص الكسوة ، لكنه يستطيع تمييز الأطلس والحرير من الشوك .

٢٧- المعانى التى تُفهم من لفظ الوزير ، تكون باسمه على الحقيقة بغير مجاز.

٢٨- أيها الوزيرُ ملاذَ العالم ، أنت الذى تفتح بابًا واسعًا من الرحمة على وجه الخلق .

٢٩- لقد أعطتنى الأيامُ وعودًا بحظِّك ، والآن هو موسمُ الإنجاز بوصول نجمك .

٣٠- يميل خاطرى صوب العراق شوقًا لخدمتك ، وهذا هو سرُّ ميل العرب إلى الكعبة بالحجاز .

٣١- فخذْ مُلك خراسان واستقلَّ به ، ولا تجعلْ اليومَ يرافق الصقرَ النجيب .

٣٢- فأنت الذى تقطف همتُك رءوسَ السفلة ؛ لأنك رفيقُ درب للفلك فى أمور الدنيا .

٣٣- أظهر" ابنُ يمين" فى عصره بيُمن مدحك آيات الإعجاز فى صحف النظم.

٣٤- فلو يجد الجهازَ من قبولك وقت الزفاف ، مع أنَّهم يجعلون منجمَ الجوهر مهرًا لفكرى البكر .

٣٥- طالما يكون دائمًا علَمٌ من الشمس وطرازٌ من القمر على قباء أطلس الفلك فى الصباح وفى المساء .

٣٦- فَاعرِكْ بعنفٍ مثل الرباب أذنَ الحاسدين ، ولاطفْ بلطفٍ مثل الرباب روح الخيِّرين .

وله قصيدة فى مدح الملك معز الدين آل كرت (ص ١١٢-١١٣)

١- المنّةُ لله ، فبعد طول هجر ، عاد حظّى الشارد مرة أخرى إلى وصالى.

٢- والتفَّ الإقبالُ حولى بكل رونق ، وفتحت السعادةُ بابَ المراد ثانية أمام وجهى .

٣- فلقد وهب ترابُ جناب حضرة الملك اللطيف النورَ لعينى فصارتْ مثل عين الشمس.

٤- السلطان "معزُّ الدولة والدين" ، ذلك الذى يليق أن يكون مائةُ ألف "محمود" عبدًا له مثل "إياز" .

٥- ذلك الملكُ ، رمزُ المُلك الذى يكون اسم السيد حقيقةً على ذاته مجازًا على الآخرين.

٦- إمبراطورُ العصر ، الذى يصنع الملوكُ العظامُ جميعًا من تراب أعتابه تيجانًا لرءوسهم.

٧- فبلاطُه قِبلةُ الحاجات ، ولهذا فهو مثلُ القِبلة التى يقصدها المصلُّون.

٨- مع عدله يأتى العجبُ للرعاة إذا ما تميَّز الذئبُ عن الكلب فى الحفاظ على الخراف .

٩- فى عهده تضحك قطاةُ المدينة مجلجلةً من فرط السعادة حين تسمع دوىَّ الطبل ثانية .

١٠- لا يقوى أحدٌ سوى عين العشاق على الإغارة فى الدنيا خوفًا من سيفه الهندى.

١١- لا يعطى الخلاصَ لخصمه من بوتقة الهوان ، طالما لم تنفصل رأسُه عن جسده مثل الذهب عن السن.

١٢- فى يوم الوغى ، بناء على رغبة قلب الملك ، يكون سيفُه ضاحكَ الشفة (لامعًا) ورمحُه فى اهتزاز.

١٣- مع الاهتزاز والضحك لرمحه ولسيفه يكون الأجلُ فى احتراس من الحيرة بشأنهما.

١٤- أيها الملكُ ، ماذا يقول " ابنُ يمين" عن جفاء الفلك ، فدورةُ العمر قصيرةٌ وقصةُ الحزن طويلةٌ.

١٥- ومع هذا السوء كلهً فلماذا الحزنُ منه ؟ ففى النهاية صار حالى طيبًا بتوفيق ميسِّر الأمور .

١٦- فقد صار الملكُ معتنيًا بى ، ويشملنى كالشمس فى ظلٍّ عنايته.

١٧- أعنى " معز الدولة والملَّة " الذى يكون المُلكُ محتاجًا لملوكيته احتياجَ الجسد للروح .

١٨- طالما تكون أصواتُ الغناء وعويلُ الحرقة وقت العرس ووقت الغم ، فيصل للقلب تدليلُه ويكون للروح انصهارُها.

١٩- فلا كان منزلُ عدوِّه ومحفلُ أصدقائه خاليًا للحظة من عويل الحرقة (لعدوِّه) وأصوات الغناء (لأصدقائه).

وله أيضًا (ص١١٣-١١٤)

١- يا دنيا الجود والكرم وملجأ أهل الحاجة ، افتحْ بابَ السعادة من لطفك فى وجه الخلق.

٢-لك العظمةُ والحشمةُ والعرشُ وتاجُ الدولة والدين ؛ لأنَّ الدينَ قد ظفر بالسعادة من دولتك مرة أخرى .

٣-لك المكانةُ فى المُلك التى تجعل "محمودًا" يتمنطق أمامك مثل "إياز" بنطاق الخدمة طلبًا للشهرة.

٤-ومع كثرة دوران الأرض ، وطول عمر السماء ، لم يرَ أحدٌ لك نظيرًا فى العالم.

٥-فصورةُ السرّ على هذه الصحيفة الصدأة الشكل (الدنيا) تظهرها بجلاء مرآةُ رأيك الصافية .

٦-ومهما يجابه رأيك بهذا القدر الذى يكون القضاءُ له رفيقَ درب فيه ، فإنه لا يرضى به .

٧-فى عهد عدلك ، لو يصل ظلمٌ إلى القطاة ، فلن تجد لها مأمنًا تلجأ إليه سوى عشٍّ الصقر .

٨- وبقوة عدلك ، تطيح البعوضةُ بالفيل ، إذا ما أعطاها حقَّ التحليق بسعادة فى هوائك .

٩-حين شاهد الفلكُ صدمةَ هراوتك على هامة الخصم ، فماذا قال ؟ قال : إنها هراوةُ "بيجن" و الخنزير الوحشى .

١٠- يكون كتابُك لأجل النصرة والظفر ؛ لأنه حين يصل إلى العدو وقت العراك يصل بالفتح .

١١- فإذا كان النهارُ كانت الشمسُ سيفَك الماضى ، وإذا حان الليلُ كان الفلكُ سهمَك المنطلق.

١٢- وتصل فراشةٌ من شمس رأيك إلى "السُها"[1] فيسقط شمعُ السماء منصهرًا من شعاعها.

١٣- أيها الملكُ ملاذَ العالم ، خادمُك " ابنُ يمين" الذى يفوق أقرانَه فى الفن .

١٤- آملٌ فى عنايتك به والأخذ بيده ؛ لأنَّه يجد من كرمك مائةَ ألف نعمة ولطف .

١٥- فالشخص الذى يكون فى عهدك عاريًا كالثوم ، يصير جسدُه كلُّه من خلعتك مغطًى كالبصل.

١٦- فإذا ما وقع فمُ الطامع أسيرًا للجوع ، فإنَّ بطنَه تصير من مائدة عطائك ذات أطراف أربعة .

١٧- أفضالُك لا تحصى ونقد مديحى قليل ، فإذا ما أوجز فى ذلك فهذا يكون لائقا .

١٨- لقد وصلنى من الغير لطيفةٌ التى فيها جهازٌ لعروس فكرى وقت الزفاف .

١٩- وأنا أذكر ذلك القول على سبيل التضمين وهو لدىَّ حقيقةٌ ومجازٌ لدن الغير .

٢٠- فلا تبعدْ الفنَّ والفصاحةَ والفضلَ ؛ لأننى غريب وملكُ العالم لطيفٌ مع الغرباء .

٢١- بحقِّ النعمة العامة التى لى بدولتك ، والتى لا يعتز بغيرها أهلُ الفضل .

٢٢- فإذا ما عاد "حاتم" إلى الدنيا فلن ألجأ إليه ، ولو وصلت حاجتى إلى أقصاها [2] .

---

(١) نجمة فى الدب الأصغر .

(٢) حرفيًا : ولو وصلت من يدى إلى عظمى .

٢٣- طالما تكون أصواتُ الغناء وأصواتُ الحرقة تتصاعد فى الجبل وقت العرس ووقت الغمّ .

٢٤- فلا وصل إلى أذنك من ديار العدو والحبيب ، بأية حال سوى صوت الحرقة (للعدو) ونغمة العود (للحبيب) .

قصيدة فى مدح نظام الدين يحيى وحسن طبعه (ص ١١٤ - ١١٥)

١- أىُّ جوهرٍ ذلك ؟ أهو تاجٌ من الياقوت على رأسه ؟ ، ولو كان طرّةً فى صدره فهو من الحرير الأحمر الخالص .

٢- أو مثل حُمرة الرياح العاتية والعين الجامدة والقلب المتحجّر ، أو من لباس العباسيين وأكثر معارشه .

٣- أم أنّه مثل صاحب علّة مزمنة ؟ ولو كانت له رغبةٌ فى القفز بيسر من دائرته مثل أهل عاد .

٤- لا يعرف أىَّ حرفة غير الكناسة وهذا عجيب ، فتارة يأخذونها بالفضة وتارة بالذهب .

٥- أو جاء مثل سيف لامع محضّب بالدم، ولكن غمدّته الشمسُ فى شعاعها .

٦- أم دم طفل برىء يسيل على التراب ، حين ينسكب دمعُه مثل الماء الزلال من عينه العوراء؟

٧- فيسقّط خلف كلّ برىء يمضغ الصخر ، فماذا يعوضه حتّى النهاية عن مثل هذا الأمر .

٨- أو جاء محيّاه كلّه على هيئة الشهاب (أحمر) حين يطارد شيطانًا أمرد ولو جاز له أن يهرب من جرحه .

٩- أو يشبه رمحًا مستقيم القَدّ يصنعون نصلَه وحدَه من العقيق (الأحمر) والغالية .

١٠- أو يشبه إبرةً ياقوتيةَ الجوهر ، ولكن لها ليس عمل آخر سوى القطع مثل المقص .

١١- أو تقول إنَّه شمعةٌ ياقوتيةَ اللون حتى تنتصب واقفةً ، لكن شمعدانها دائما من المسك والعنبر .

١٢- أو مثل شخص عجوز يا للعجب ؛ لأنَّ من عقوده ما يزيد أو ينقص عن تسعين أو عشرين عقدًا .

١٣- أو منزل الضيافة الذى ينزل فيه الضيفُ للحظة ، فيتقيأ عَمْدًا على جداره وبابه .

١٤- وكفى مَنْ يصاب بالغرور فى رأسه وقت الخصومة ، فلا جرم أنهم يفصلون رأسَه من جسده مثل خصم الملك .

١٥- الملك العادل " نظام الملك والملَّة" الذى تكون الشمسُ مقتبسةً دائمًا من نور رأيه الأنور .

١٦- لو تفيض سحبُ كفِّه المعطاء على الطامع ، لامتلأ طرفُ ثوبه مثل البحر بالدُّر والجوهر .

١٧- فى وقت الجدال ما أكثر ما يظهر الملكُ لسيِّئى الطوية حجةً ناصعةً ولسانًا قاطعًا كالخنجر .

١٨- وصارت المملكةُ من قطرات الماء الأسود (الحبر) لقلمه الأصفر النحيل تتمتع بموفور الصحة والعافية .

١٩- إنْ لم تبكِ السماءُ دمًا حسدًا لقَدْره ، فلماذا إذا يصير وجهُها آخر اليوم أرجوانيًّا كزهرة النيلوفر ؟

٢٠- حاسدُ جاهه منكَّسُ الرأس دائمًا ؛ ذلك لأنَّه يجد التوبيخَ الدائم من هرَّاوته الضخمة .

٢١- وأنا أجد قلمى رطبَ اللسان خالدًا بمدحه ، مع أننى دائمًا ما أعقف رأسَه مثل طرَّة المعشوق .

٢٢- لو يلوك عدوُّه السُّكَّرَ ، فليكنْ ذلك السُّكَّرُ سُمًّا ناقعًا ، ويأتى له فى المذاق مُرًّا كالحنظل .

٢٣- وذلك الذى يلقى حظَّه من ترياق لطفه ، يصير السُّمُّ لديه مثل ماء الحياة المنعش للروح .

٢٤- عطارد والمريخ مكانا الزينة لحربه ولمحفله : فالأول خنجرٌ ماضٍ، والآخر مطربُه الشادى .

٢٥- أيها الصاحبُ ، حين يُسلس جوادُ الفلك الجامحُ لك قيادَه ، يصبح له من القمر والشمس كرة صولجان ودعاء .

٢٦- أيها الذى إذا جمع مستوفى الديوان الأعلى اسم ديوان الكرم ، فأنت عنوانُه البارز .

٢٧- طالما تلوك الفتنةُ نباتَ الخشخاش من حديقة عدلك ، فلن يرى أحدٌ لها يقظةً أخرى من الإقليم .

٢٨- قصب السكر الذى تقول إنَّه يقدم الحلو إلى عدوِّك ، يصير من العسكر ويسحبه هكذا مأسورًا .

٢٩- الجوزاءُ المتَّصفةُ بالخلود تتمنطق بنطاق خدمتك ، لو نادى رأيُك الشمسَ مرةً لصارت خادمةً .

٣٠- طالما لا يكون العرضُ قائماً إلا بذات الجوهر ، فلتكن الدولةُ مثل العرض وذاتُك الشريفة جوهرَها .

٣١- كلُّ مَنْ لا يصفو مثل الماء فى خدمتك ، فلتكنْ حياتُه مثل النار تحت الرماد .

قصيدة (ص ١١٥ - ١١٦)

١- إنْ لم يكنْ دورانُ الفلك وفق رغبتى ؛ فلا كان ، وإنْ لم يكن على رأسى تاجٌ من شمسه ؛ فلا كان [١] .

٢- إنْ لم يجد الفاضلُ عونًا من أحد ؛ فلا كان ، وإنْ لم يكنْ المعينُ مثل صاحب الفضل ؛ فلا كان .

٣- حين يجلو شعاعُ نور التجلى ظلمةَ الليل على الفلك ، فإنْ لم يكن شعاعَ النجم ؛ فلا كان

٤- حين لا يكون لى سلطانٌ على أحد فى الخير والشرّ ، فإنْ لم يكن القاضى مريحًا لى ؛ فلا كان .

٥- إنْ لم أظفرْ بصديق بين الخلق فى الدنيا ، فلا ضير ، فإنْ لم يكن "قنبر" مع "علىّ" فى الميدان ؛ فلا كان .

٦- إنْ لم يوجد للفضل راعٍ لمثل قحط الفضل الذى يتحدث أبناءُ الدنيا عن جهله ؛ فلا كان .

٧- إنْ لم يصرْ الفاضلُ مسحوقًا كالأرض ، وإن لم يكن السيدُ عاليًا مثل السماء ؛ فلا كان [٢] .

٨- مع أننى لا أرغب مطلقًا فى التمنطق بالذهب ، فإنْ لم يكن على صدرى قباءٌ مزركشٌ ؛ فلا كان .

---

(١) فضلتُ ترجمة رديف القصيدة هكذا مراعاة للأسلوب .

(٢) المقصود من هذا البيت بهذه الصورة هو السخرية من أوضاع المجتمع المختلة .

٩- مع أنَّ طائرَ "هُما" همَّتى يحلّق أعلى من النسر، فإنْ لم يكن على رأسه تاجٌ يضارع تاجَ الهدهد ؛ فلا كان .

١٠- لا يمكن إراقةُ ماء الوجه على الثرى لأجل الخبز ، فإنْ لم يكن غصنُ رزقى مثمرًا ؛ فلا كان .

١١- كيف يمكن الوقوعُ فى الأسر لأجل السُّكَّر مثل غاب البوص ، فإنْ لم يكن للسَّرْو الطليق السُّكَّرُ ؛ فلا كان .

١٢- لا يمكن تحمُّل ذلُّ المنَّة لأجل الرغبة ، فإنْ لم يكن نحن والعزةُ شيئًا واحدًا ؛ فلا كان .

١٣- لو يجب تحمّل المنَّة لرضوان لأجل الكوثر ، فإنْ لم يكن كوثرى فارغًا منها تمامًا ؛ فلا كانُ .

١٤- أنا بالنسبة للهمَّة مثل "موسى" قاصد الوادى المقدس ، فإنْ لم تكن لقدمى نعلٌ ؛ فلا كان .

١٥- الرجلُ الذى ينبغى أنْ يكون متحليًا بطريق المعنى ، فإنْ لم تكن صورتُه لائقةً فى الظاهر ؛ فلا كان .

١٦- الرأىُ الذى يجب أن يكون مثل الماء ومثل النار فى الصفاء ، فإنْ لم يكن الوجهُ مثل الماء ومثل النار ؛ فلا كان .

١٧- السلافُ التى يجب أن تكون مثل ماء الذهب فى الصفاء ، فإنْ لم يكن القدحُ من الذهب المغربى ؛ فلا كان .

١٨- المنَّةُ لله ، لأنَّ طرفَ ثوبى ليس مبلَّلاً كالسحاب ، فإنْ لم يكن جيبى ممتلئًا بالجوهر مثل السحاب ؛ فلا كان .

١٩- حينما يكون لــ "ابن يمين" يسارٌ من الدُّرِّ الموزون (الشعر) ، فإنْ لم يكن له كنزُ الفضة والذهب مثل المنجم ؛ فلا كان .

٢٠- حينما يكون حصادُ العاقل فى الدنيا هو حُسن السمعة ، فهذا يكفى ، فإنْ لم يكن له حصادٌ آخر ؛ فلا كان .

قصيدة عينية (ص ١١٦ – ١١٧)

١- ماذا أقول عن هذا الدهر المخادع ؟ أىُّ وقائع لَتت منه على قارعة الطريق ؟

٢- لا يتسنى بيانُ شمَّة واحدة على مدار القرون ؛ لأنَّ ما حدث من دورة الفلك صار واقعًا .

٣- هكذا غرب عنّى كوكبُ السعد ، فتقول إنَّه لن يسطع ثانيةً .

٤- صار طريقُ الضُرّ وسبيلُ النفع أمام عزمى مفتوحًا للأول ومغلقـًا للثانى.

٥- لا يستقيم لدينا أمرُ الشرح والبيان ؛ فقد صار الفلكُ حائلاً دون تحقيق الرغبات .

٦- فهذه الدنيا الخادعةُ قد منحتنى من كأس الغرور شربةً كأنها السُمُّ الزعاف.

٧- وإنْ كانت شربتُه مضرَّةً فله الشكر ، فقد صار النفعُ من ألطاف مخدومى.

٨- ولسوف أظهر نفعَ ذلك الكأس واحدًا واحدًا ، بتضمين بيتَين مشهورين شائعين .

٩- " مهما تحملنا آلامًا عديدة ، ومهما عانينا وطأةَ العطش والجوع ".

١٠- " فقد وصلنا بحمد الله إلى موضع ، لا تضيع فيه معاناتُنا الشديدة ".

١١- إلى حضرة "سليمان" العصر ، الذى يليق أن يكون "آصفُ" تابعًا لرأيه.

١٢- إلى بلاط "برهان الدين" ذلك الذى يكون سيفُه فى إثبات الحقِّ برهانًا قاطعًا.

١٣- فلكُ الكرم ذلك الذى يشبه الشمسَ فى مفيض عوارفه ومضىء صنائعه.

١٤- طبعُه زاخرٌ كالبحر بالعجائب ، وخاطرُه مفعمٌ كالمنجم بالبدائع .

١٥- هو خافضٌ للعدوِّ بعنف مدمِّر ، ورافعٌ للولىِّ بلطف مستحب .

١٦- حين طرَّز علمَهَ بجملة " نصرٌ من الله" ، تبعه بشغف الإنسُ والجنُّ .

١٧- الفلكُ وإنْ لم يكن خاضعًا له ، إلا أنه له رغبةٌ فى قدره المتصف بالكبرياء .

١٨- مرحى ؛ فقد صار رأيُك جامعًا الإشارات الكلية لقانون الفضل والفن .

١٩- صارت السماءُ راكعةً أمام جنابك على شاكلة المصلِّى أمام القِبلة.

٢٠- تكون ينابيعُ جودك منابعَ للصيادين فى بيداء الفاقة .

٢١- حين يتغنى الطبعُ بلحن مدحك ، فإنَّه يصير كالفردوس سامعًا لوعظك والمديح لك .

٢٢- وتصير كلُّ أعضائه لسانًا مثل السوسن ، ويصير كلُّ جسده آذانًا كالبنفسج .

٢٣- يا راعى الفن ، ليس لـــ " ابن يمين " مرتعٌ فى هذه المعاناة سوى مكرماتك .

٢٤- فليس له أمام قسوة الفلك فى حوادث الدهر أىُّ شافع سوى لطفك المربِّى للروح .

٢٥- فطالما ليس لأحد سوى ذات الصانع خبرٌ عن بدء الكون ونهايته .

٢٦- فلا رأى أحدٌ مبادئ دورتك التى تشبه دورة الفلك الدائر مقاطعًا .

٢٧- فلا استقامت سعادةٌ لنجمٍ يعيد ظلمًا لمرادك.

له أيضًا (ص ١١٧-١١٨)

١- لو أصاب العطبُ روحى العذبةَ فى عشق المعشوق ، فإنَّ القلبَ يزداد شغفًا به فى كلّ لحظة .

٢- ولو رأتْ فى النوم عينى صفَّ أسنانه ، فمِنْ تخيله يصير الجوهرُ (خبيئًا) مثل الصَّدف.

٣- لا أحيد برأسى كالرباب عن الانصياع له ، ولو أننى دائماً كالدُّف مِلك قبضته .

٤- يتعلق قلبى به ، وتتعلق عينى بالآخرين خشيةَ ذلك الرقيب لنا من كلّ ناحية .

٥- لو كان الدَّركُ فى الجحيم مكانى فى صحبة خياله ، فإنَّه أحبُّ إلىَّ من الغرف فى الفردوس بدونه .

٦- تتأمل عينى صنعَ الله من نبعه العذب (عينه) وخطِّه العنبرى (حاجبه) بل وشهواته المادية .

٧- طالما يشدُّ وترَ قوسه المسكىِّ الهيئة من حاجبيه ، فقد صرتُ من أعماق الروح هدفًا لسهامه المؤثرة (رموش عينه) .

٨- ما إنْ صرتُ عاشقاً له حتى قال الأبُ المسكينُ: هذا أنا وابنى العاقُّ على هذه الشاكلة .

٩- واحسرتاه على "ابن يمين" من غمزة ظالمة ، إنْ لم يأخذه عدلُ ملك العهد فى كنفه .

١٠- ذلك الذى يخفى السحابُ ذو المواهب الجمَّة وجهَه بكفِّه خجلاً من يده ناثرة الجوهر .

١١- ولقد اسودَّ وجهُ السحاب أمام سحب بحره ناثر الدُرِّ ، وبسبب كثرة ما يقدمه الصلفُ على لسان الرعد الأجوف عديم الفائدة .

١٢- ويصل من أجرام السعد، وسوف يصـــل حتى الأزل ، الهدايا من سعادته والتحف من كراماته.

١٣- لا يأتى من لسان عفوه إلى مسامع المجرمين غيرُ ذلك : إنْ ينتبه يغفر لكم ما قد سلف .

١٤- عدله هو ذلك الذى يشقُّ مثل الحبَّة صدرَ ذلك الذى يظلم العلفَ فى البيدر ، ويحطِّم مثل الكفِّ رأسَه.

١٥- فى غزوه للعالم لا يطلب مثل الشمس عونًا من أحد ، فأنَّى لملك النَّجف "علىٌّ" أن يطلب مددًا من "قنبر".

١٦- خوفًا من صقر رايته ، يصبح "سيمرغُ" الظلم مثل "مالك الحزين" فى همٍّ وحزن.

١٧- وحين ينزل الميدانَ، لو كان خصمُه " التمساح" ، فإنَّه يتعقبه مثل "السرطان" مسرعًا من أمام الصف .

١٨- يصير عدوُّه من جراح رمحه مثلَ "القنفذ"، مع أنَّه يخفى نفسَه كالعريان فى درعه .

١٩- وقت الصولة ، لو يقبض بكفه على رمحه الشبيه بالأفعى، فإنه يسلب به السوادَ من عين النملة فى جنح الليل .

٢٠- من رأى فعلَه فى الدنيا دائمًا باستثناء سيفه الملتهب ، فإنَّه يحرق ببصاقه التماسيحَ فى ماء النيل .

٢١- طالما يهيئ نقَّاشُ الجوهر على هذه السماء من الشمس والقمر شُرَفًا لأجل الشرف.

٢٢- فليكنْ لقصر جاهه الذى هو أسمى من السماء شُرَفًا من الشمس والقمر على قمَّة إيوانه.

له أيضًا (ص ١١٨-١١٩)

١- حبَّذا " دار الحديث" التى صار للشمس علوٌ وللقمر شرفٌ من معاليها وشرفها .

٢- ما أكثر الدُرُّ النفيسَ الذى جُمع فيها من بحر طبع المصطفى[1] ، فهى مثل الصدَف الملىء بالجوهر .

٣- وحين يلقى الإمامُ الحديث فيها على كل أصحابه ، فقد صار بسبب لطف طبعه حامل الجوهر منجمًا للُطف.

٤- أفضلُ عالم ، حكيم الدين يجلو صقيلُ رأيه صدأ البقع عن مرآة القمر فى عهده .

٥- ذلك الذى يكون للسلف اشتهارٌ منه حتى القيامة ، وذلك الذى لا يكون للخلف مباهاةٌ إلاَّ بذاته.

٦- فقد جاء إلى كفِّه من إقبال " وزير العالم" مثلُ هذا الخير الجميل ومثلُ هذا الأجر الجزيل .

٧- الصاحب الأعظم " علاء المُلك والدين" الذى يحتوى رأىُ زينة المُلك العالمَ فى كنفه من حادثات الدهر .

٨- ذلك الأريحيُّ الذى يُخفى وجهَه بكفِّه خجلاً من سحب ربيع كفِّه ، ويتحول المنجمُ إلى مجرد حجر .

---

(١) المقصود بالمؤلفات التى تدور حول الإسلام وأحكامه وتعاليمه .

٩- ومن عظمة صقر همّته النجيب، صار "سيمرغُ" الفلك فى حزن دائم مثل " مالك الحزين".

١٠- وحين يعقد قلمَه ناثرَ الدُّر فى ضبط أمور الملك ، فإنّه يتلف روحَ أعدائه مثل المال المسلوب فى الإغارة .

١١- حين يكون نظامُ المُلك والدين حتى الحشر من رأيه ، فليصطفَّ قادةُ المُلك والدين على أقدامهم أمامه .

١٢- ويكون الذال واللام والباء [1] من شهر رجب من الهجرة ، ذلك الذى يكون فيه خاطرُ "ابن يمين" شغوفاً على نظم هذا الجوهر .

أيضًا فى مدح رضى الدين عبد الحق (ص ١١٩ - ١٢٠)

١- مرحى لصدر الوزارة ؛ فإنَّ السماءَ ذات المنظر المتواضع تستمد رونقَها من رأيك الساطع.

٢- وتعقد السماءُ عمودَ الصبح من الليل علَمًا ، كى يكون بيرقًا أمام موكبك .

٣- إنْ لم يسحب السماكُ الرامحُ[2] رمحَه على خصمك دائمًا ، فإنَّ المريخَ سوف يستل سيفَه الذى يشبه الحرباء من غمده .

٤- وحين يمتثل الأمرُ من ديوان القضاء ؛ فلأنَّ رسمَ توقيعه هو " رضىُ الملك عبد الحق ".

---

(١) فى حساب الجُمل يكون المجموع ٧٣٢ هـ .

(٢) اسم أحد نجمين لامعين فى السماء : الأول هو السماك الرامح ، والثانى هو السماك الأعـزل ، ولهـذا يسميهما العرب بالسماكين (فرهنك عميد).

٥- لو لتحدث عنه فلن يعارض أحدٌ كلامي ؛ لأنَّ الاسمَ الذى يكون حسناً يكون مشتقًا من فعله[١] .

٦- ما أكثر ما يظفر به الطامعُ من بحر إحسانه ، حتى إنَّه لا يقوى على حمل حمله إلى الساحل بمائة زورق .

٧- وتلثم الشمسُ كلَّ نهار أعتابَه ، عسى أنْ تنال كالشحانين فيضًا من رأيه الساطع .

٨- ويحتوى "هُما" عدله العالمَ هكذا تحت جناحه ، فيتخذ " العصفورُ " عُشَّه داخل عين " الباشق".

٩- ويتمنى خصمُه أن ينهج نهجَه، ولكنْ أنَّى لطائر "عقعقٍ"[٢] أنْ يتبختر فى مشيه مثل "القطاة" المتأنقة .

١٠- لو يطمع "الشيطانُ" أن يأتى منه "سليمان" ، فإنَّ الفلكَ سوف يقول له بتعبيره : مرحى للجاهل ، مرحى للأحمق.

١١- وحين ينزل الميدانَ يومًا على جوادٍ بحجم "الفيل" ، فبتدبيره يقتل "الملكَ" "بالحصان" من خلال "الوزير"[٣] .

١٢- مرحى لحصن جلالك فأركانُه على أوج السماء ، ولم ترَ عينٌ له خندقاً سوى البحر المحيط .

١٣- صارت المجرةُ حزامًا مذهبًا والهلالُ نعلاً فضيًا حينما دلف إليها جوادُك الأبلقُ الجامحُ تحت سرج إمرتك .

---

(١) إشارة إلى المثل القائل : لكل إنسان من اسمه نصيب.

(٢) طائر يشبه الغراب.

(٣) إشارة إلى أسماء رقعة الشطرنج.

١٤- وحينا يرفع رأيك زينةُ العالم رايةً على الفلك ، فإنَّ الصبحَ الصادقَ يشقُّ جيبه من أخمصه حتّى طرف ثوبه .

١٥- وحين يجيء وقتُ النوال تتيقن الروحُ أنَّ جودك يطلق رزقَها من ديوان الكرم .

١٦- وفى وقت الجهاد ، لو صار خصمُك مثل جبل حديدى ، فإنَّ جسدَه سوف يرتعد فرقًا مثل الزئبق من سيفك الفضى اللون .

١٧- أيها السيد ، حينما يكون " ابنُ يمين" لروحك عبدًا ، فلماذا يتحتم على الفلك أن يغلق أمرَه هكذا ؟

١٨- فلو تفك سعادتُك القيدَ عن حالى بقدرتك ، أُلحقُ هذا اللطفَ الشاملَ بألطاف أخرى .

١٩- فطالما يكون للحسان ظهورٌ فى حديقة الحُسن ، بثغرٍ ضاحك مثل الفستق وأنامل دقيقة كالبندق .

٢٠- فليكن خصمُك أسودَ الوجه فى حديقة الرغبة كالبندق، وليكن قلبُه منشقًا بيد قهرك دائمًا كالفستق .

وله أيضًا فى مدح طغايتَمُور خان (ص ١٢٠ - ١٢١)

١- طالما أعتلى المَلكُ ، صارت السعادةُ نصيرةَ المَلك لأجل نصرته .

٢- مَلكُ العالم " طغايتَمُور خان" الذى تكون عظمتُه عونًا للمُلكِ من حادثات الفلك الدائر .

٣- لم تتنسم مطلقًا مشامُ الروح فى العالم عبيرَ ملكٍ أكثر عبقًا من رائحة روضة خُلُقه .

٤- لابدَّ من الروح للجسم ، وعلى هذه الشاكلة تكون ذاتُ المَلك الشريفة لازمةً للمُلك .

٥- فمنها يكون الرونقُ للدين والمُلك ، لأنَّ رأىَ المَلك يعرف قطميرَ الدين ويعلم نقيرَ المُلك .

٦- مَلكُ العالم حينما يضع السهمَ فى القوس ؛ فقد أعطى سهمَ المُلك إلى يد مالك الأملاك .

٧- ليس لشمس المُلك بعد هذا زوالٌ ، حينما صار لطفُ ظلِّ الإله ظهيرًا للمُلك.

٨- الدخانُ الذى يتصاعد من نيران قلب خصمك ، يجعل أثيرَ المُلك سماءً من الحرقة واللهيب .

٩- أيها الملكُ أنت الذى - طالما فى الدنيا عادةُ الحكم - لم يستقر على العرش مثلك مَلكٌ مرغوبٌ فيه .

١٠- صارت " الشمسُ " فى الفلك عرشًا لوجودك ، ثم اتخذت " المشترى " بعد هذا وزيرَ مَلكٍ لك .

١١- وهكذا يبقى المُلكُ بمقياس المحيط ، كلُّ بضاعة فيه بالقليل وكثيرة بالمَلك.

١٢- جاء المدادُ الآن من " زحل " والورقُ من " القمر " ، والديوانُ من " السماء " ، وصار " عطاردُ " معلمَ المَلك .

١٣- يكون مُلكُ العالم بدونك فى أنين لفترة ، فالمنَّةُ لله أنك لم تجلس نفيرًا للمُلك .

١٤- ويبتعد الحسودُ عنك ، لأنَّ الكسوةَ اللائقةَ على قدِّك الملكىِّ تحمل حريرَ المُلك .

١٥- كيف ينفصل المُلكُ عنك ، وقد غذَّتك مرضعةُ الكرم حقًّا بلبن المُلك.

١٦- لم يسمع أحدٌ من الشباب أو الشيوخ غيرَ الدعاء بالسعادة لملك العالم .

١٧- أيها الملكُ ، لم يبق فى مُلك الملك فقيرٌ سوى " ابن يمين" ، فلا تبخلْ بنظرة على فقير المملكة .

١٨- طالما يكون احترامُ التاج والعرش وعزّتهما من جملة الواجبات الصغيرة والكبيرة للمُلك .

١٩- فليكنْ التاجُ الملكىُ على رأس الملك دائمًا ، ولا كان عرشُ الملك فى الدنيا بدون أقدام الملك عليه .

أيضًا فى مدح أمير مولاى بيك (ص ١٢١ -١٢٢)

١- لقد حار أمرى، أجَنَّةُ حور تلك أم جمالُ الملك؟ فإنَّ شمسَ الفَلك تغار من حُسنه .

٢- وصار أمرى كالدائرة لا قدم له ولا رأس ، من عشق ذلك الثغر الذى يشبه النقطةَ الصغيرةَ ضيقًا .

٣- مرحى لبهائك الذى حطَّم رونقَ الحور أيضًا ، ومرحبًا بملَكٍ توارى خلف الحجاب خجلاً منه .

٤- وسحب حاجبُك المسكىُ قوسَه خلف الأذن ، وأطلق سهمَه صوب روح العشاق .

٥- وأثار فستقُك حلو المذاق (الفم) الفتنةَ فى الأقاليم السبعة ، فلا عجب حين يكون ممتزجًا بالملح .

٦- وما إنْ شاهد العقلُ طرَّتك على وجنتك حتى قال إنَّه عبدٌ هندىٌّ سعيد الحظ وغاية فى الذكاء .

٧- لك وجنةٌ كالبدر وهى تلمع تحت الطرَّة ، مثلما نورُ اليقين بين ظُلمة الشك.

٨- ومن تلك اللحظة وقلبى يخفق مثل سمكة سحبتها اللُّجةُ من الشباك المسكية الصافية إلى التراب .

٩- أيها المعشوق ، لا تكُ ظالمًا لقلبى ؛ فقد وصل هذا القولُ كلُّه إلى سيد الآفاق على حين غرَّة .

١٠- الأميرُ ، رمزُ المُلك ، سيدُ العالم ، مولاى ، الذى شمل صيتُ عدله الدنيا من السماء إلى الأرض .

١١- محيطُ مركز الرفعة الذى محاسيفُ عدله من صفحة العالم أثارَ الحوادث .

١٢- وحين يشرع قلمَه لأجل ضبط أمور العالم ، ينشر الذئبُ على رأس الحولى حُبَّ الراعى .

١٣- هدأ أمرُ العالم واستقرَّ من قلمه الذى لا يهدأ ، وهكذا لا يجد الجيرُ ألمًا من الماء ثانية .

١٤- ولو يمضى العصفورُ مثلاً فى ظلِّ رأفته لالتقاط الحَّبة فى وجود البندقية، فهذا يوافق طبعَه .

١٥- تصير الأهدابُ فى عين العدوّ حَسَكًا ، من فرط غيرته من نفحة روضة خُلُقه العطرة .

١٦- تحسده وقت الجهد والبذل روحا رستم بن دستان ويحيى البرمكى .

١٧- يبحث الخصمُ عن مأمنٍ خشيةَ خنجره ، فيظهر القضاءُ لزواية عينه دركاتِ جهنم السبع .

١٨- أنت الذى يأتى خصمُك فى معرض نقد الفضائل بوجهين كالذهب(منافقًا) أسودَ القلب كالمحكّ (حقودًا) .

١٩- دوَّن قاضى التقدير على صحيفة الدَّهر صكًا بكلِّ علامات وجه البسيطة كلِّها باسمك .

٢٠- وحين صار الفلكُ الأبلقُ مطيَّةَ قدرك ، صار القمرُ والشمسُ له كرةَ صولجان ووعاءً .

٢١- وفى وقت العريكة يردِّد القضاءُ كلامَ سيفك الشبيه بسيف القدر هيئةً وهو: " إنَّ العدوَّ هلك " .

٢٢- يليق أنْ يئنَّ خصمُك كالرباب ؛ ذلك لأنَّ قامتَه قد انحنت مثل الأتان بحمل الفسق .

٢٣- حياةُ حاسد جاهك رهينةٌ بلحظة واحدة ، وهى أن تتحرر منه حين تصل نوبتُها .

٢٤- حين صار " ابنُ يمين" مادحك فصار مسلَّمًا له ولايةُ الفضل كما الإمارةِ لك .

٢٥- استولى جيشُ فكرى على الآفاق ، وصار الدعاءُ لجاهك قائدَ الجند وطليعةَ الفتح .

٢٦- كانت قبلنا " فاطمة " وخادم " فدك " [1]، فأنا الأولى برعايتك .

٢٧- طالما تهب الحركةُ والسرعةُ الخالصةُ الخلقَ الحرارةَ والبرودةَ دائمًا فى الصيف والشتاء .

٢٨- فلتكنْ الدنيا تحت حُكمك هكذا لو ترغب ، فإنَّ إشارتَك سدَّت على القضاء كلَّ المسالك .

٢٩- ذلك الذى لا يكون طوقُ حُكمك محيطًا بعنقه مثل طائر القُمرى ؛ فلا كان له سوى المنشار على مفرقه مثل عُرف الديك .

---

(١) إشارة إلى قرية أو حديقة فدك التى قيل إن الرسول ﷺ قد أهداها إلى السيدة فاطمة الزهراء .

وله أيضًا فى مدح خواجه نظام الدين يحيى (ص ١٢٢ - ١٢٣)

١- أطلَّ هلالُ العيد بطلعته من الأفق بفأل النصر ، وأضاء العالمَ بجماله .

٢- فلتكن طلعتُه الميمونةُ مباركةً حتى الأبد على الهامةِ الشامخةِ لعَطِرِ السيرة طاهرِ الخصال .

٣- ملك وجه البسيطة العادل وصاحب الزمان، تاج ملوك العالم القائد الذى لا نظير له أو مثيل.

٤- الملك يحى واهب العالم الذى تُعد كفُّه بحرًا؛ لأنَّ حضرتَه يكون وقت المدح برَّ النوال.

٥- ذلك الذى يغار "حاتمُ الطائى" من كرمه، ويُصاب "رستمُ بن زال" بالغصَّة من جهده.

٦- إنْ تَطفْ آفاقَ العالم كلَّه ميلاً ميلاً؛ فسوف تجده قد امتلأ من هباته وقت السخاء.

٧- أيها الملكُ، أنت ذلك الشخصُ الذى يجدر بك أنْ يأمر اللهُ تعالى العالمَ أن يكون تحت إمرتك.

٨- أجاب كرمُك العامُّ طلبَ السائلين ، قبل أنْ يصل صيتُ السؤال إلى مسامعك.

٩- حين صارت أحكامُ قضاء الفلك نافذةً ؛ فلأنهم أعطوا له من ديوانك مثالاً بالإمضاء.

١٠- طالما هرب النومُ من عين العسس بسبب حزمك، فلا يصنع أحدٌ العسس إلا من خيل الخيال.

١١- وفى وقت السير، يكون جوادُ الفلك الجامح فى إثر مركب عزمك مثل خَرَزة الفيروز[١].

١٢- لو ينسب العقلُ الشمسَ إلى رأيك ، فإنَّ الذَّرَّة على سبيل المثال ترقص من فرط النشوة والطرب.

١٣- يصنع الهلالُ من شكله نعلاً مذهَّبًا ، حتى يُقبّل حافرَ جوادك على سبيل الشرف.

١٤- حين يضرب بحرُ طبعك ناثرُ الجوهر بموجه، فإنَّه يملأ ساحةَ الفضل والفن بعقد اللؤلؤ.

١٥- لو كانت الشمسُ من عداد عبيدك، فلن تُيَمِّمَ وجهَها يا ملكَ الحُسن صوب الزوال.

١٦- مع كلِّ اللطف الذي يكون فى طبع هواء فصل الربيع، لكنَّه لا يمنع مثلك من أن تعزم على نزال خصمك.

١٧- طالما تحمل يدُ القضاء على قلب خصمك، فإنها تهيئ من الصفصاف خنجرًا ومن البرعومة نصلاً.

١٨- أيها الملكُ، أنصِتْ إلى قولٍ مختصر منّى، حتى أعرض كيف تكون صورةُ حالى.

١٩- فلو ألقى قبولُك جوهرًا إلى فكرى البكر؛ فإنَّه سوف يختال فخرًا بهذا فى صف الحور.

٢٠- لقد طال الحديثُ ومدحُك باقٍ، والآن حتى لا يُصاب خاطرُك العطرُ بعد هذا بالملل.

---

(١) التى تستعمل فى جلب الحظ ومنع الحسد.

٢١- يختم "ابنُ يمين" مديحك بالدعاء، فهذا لأنَّ أهلَ المقال يختمون المديحَ بالدعاء.

٢٢- طالما يكون السُّوُ والحسنُ نقصاناً للعالم وكمالا، فلا وصل أىُّ نقصان إلى عين كمالك.

٢٣- طالما يكون الشهرُ والعامُ مركبين من الليل والنهار، فليكنْ الليلُ والنهارُ والشهرُ والعامُ ميموناً على ملكك.

أيضًا له (ص ١٢٣- ١٢٤)

١- ما إنْ نشر الصقرُ الأبيضُ (السَّحر) ذيلَه الأبيضَ وجناحَه من أيكه المقدَّس بيمن الطالع.

٢- حتى أطلَّ من بابى بدلال ولطف زائدين معشوقٌ بصفحة وجهٍ كاللهيب حمرةً وشفاهٍ مثل ماء الحياة نضارةً.

٣- وينصب في بيدر الورد الفسيح لصيد طائر قلبى شركًا من طرَّته ويضع لذلك حبًّا من خاله.

٤- وينثر السكَّرَ أميالاً من ثَغره الضاحك، ويزيد العشاقَ من عينه الباكية.

٥- وما إنْ شاهدنى حتى فتح ثغرَه العذبَ مسرعًا بقولٍ حسنٍ قاصدًا البشارةَ الطيبة.

٦- فماذا قال؟ لقد قال: لقد وصلتْ الشمسُ إلى أوج عليين بفأل مبارك.

٧- فقلتُ له ملاطفًا : أيها الآسرُ، مثل هذا الخبر الذى تقول به أنا أعلمه، ما الخبر؟

٨- فأجاب: أىُّ حاجة للشمس فى أن يؤلم الهلالُ عينه لأجل رؤيتها؟!

٩- فهى تبسط مثل شمس اليقين ظلَّها على العالم، ويكون بقاءُ ظلمة الليل أمرًا محالاً.

١٠- فأعدتُ عليه القولَ بضيق : لا تتحدثْ بالرمز، وضّحْ حقيقة الحال دون كلل أو ملل.

١١- فقال بدلال: إنَّ الوزيرَ حامى حمى الدين قد وصل إلى مستقرِّ الشرف بألف جاه وجلال.

١٢- شمسُ فلك الفتوة محيطُ مركز الجود ، علاءُ الدولة والدين القائدُ حميدُ الخصال .

١٣- محمد بن محمد الذى نال فى فنون الفضل كمالاً لا تطاوله عينُ الكمال.

١٤- الوزيرُ ملاذُ الفضل الذى لم يعد هناك من الفضائل والأفضال شيءٌ لم يجتمع فيه.

١٥- فما إنْ ينْصبَ رايةَ رأيه المنير حتى تمضى مملكةُ الشمس إلى الزوال.

١٦- وحين يسرع موكبُ عزمه، فإنَّ القدَر يتبعه مثل فقرات الدودة دون تأخير.

١٧- ما إن وقف المعشوقُ على كل هذه الصفات حتى قال : هيًّا انهضْ، وهيئْ نفسك مثل السعادة للقائه.

١٨- اعرضْ عليه حاجتَك بلا تردد ، فأنت تواجه الآن قِبلةَ الإقبال.

١٩- فلماذا تبيح لنفسك أنْ تجلس صاديةً، والعالمُ ينهل من مائه الزلال؟

٢٠- فأجبتُه وقلتُ له: ما حاجتى إلى السؤال ورأيُه الساطعُ يعلم سرَّ الغيب؟

٢١- يكفى فقط أنْ يأمر لـــ "ابن يمين" بلطف المنال دواءً لدائه الذى سبَّبَه له جورُ الفلك.

٢٢- أيها الوزيرُ ملاذَ العالم، إنَّ الدعاء لدولتك أهمُّ من عرض الأحوال.

٢٣- فأنت خلاصةُ أعوام دنيا الكرم وشهورها، فلتكنْ الدنيا وفق رغبة قلبك ما دامت الشهورُ والأعوام.

وله أيضًا (ص١٢٤-١٢٦)

١- إنّه صباحٌ مباركٌ الذى يُبدى فيه ذلك الجيبُ الممزّقُ لأواصر المحبّة قمرَ "چكل"[1] من فتحة ثوبه بفأل سعيد.

٢- يحكـى خـالُهُ الـعنبرى أعلـى ذقنه حكايةَ "هـاروت" مع الـسحر فـى جبِّ "بابل"[2] .

٣- فيميل العقلُ إلى الجنون عشقًا لتجعيدة طرَّته التى على هيئة العنبر.

٤- وسقط قلبى فى الجنون من التواء طرَّته ، ولو أنَّ العاقلَ ينأى بنفسه عن الأفعى.

٥- لقد جعل الحُسنَ (الخال) وقفًا على خدِّه زمنًا، والآن يدوِّن خطُّه العنبرىُ (الحاجب) ذلك.

٦- ويحكى لسانُ حاله وخدُّه وبرقعُه أنَّ قلبَ العقرب (الخال) قد اتخذ القمرَ (الخدَّ) منزلاً له على صفحة هذا الوجه.

٧- فعلامَ ضياءُ وجه الشمس مصفرُّ اللون؟ إنْ لم يكن خجلاً من ذلك الخدِّ الذى يشبه القمر.

٨- والشموخ الذى يعلو قامتَه السامقة كالغصن ، حتى غاصت فى التراب أقدامُ "السرو" من فرط غيرته.

---

(١) مدينة فى تركستان مشهورة بجمال أهلها.

(٢) هاروت وماروت : ساحران من بابل ، وألقى بهما فى السجن، ويضرب بهما المثل فى ذلك .

٩-ولم يعد قلبُه يلين لأنين الناى مطلقاً؛ لأنَّ ذلك المحبوبَ الممزّق لأواصر المحبَّة قاسى القلب .

١٠- بلى ، فأىّ ألم قد وصل من أنين صوت الجرس إلى القافلة ألا تفتح بابَ المحمل خفيةً.

١١- الجفاءُ من الناس كافةً علقمٌ، ومن شفتك عذبٌ، فما أسهل انتزاع قطرة من الروح، وما أصعبه من شفاهه!

١٢- فأنا آمل ألا يحول الرقيبُ بيننا مرة أخرى من فرط شوقى إليه.

١٣- فقد هويتُ على أعتابه ثملاً لا أعى، مثلما يهوى النرجسُ على أقدام "سرو" السهى.

١٤- وقلتُ أيها القمرُ المنيرُ، أنت الذى أراقتْ غمزتُك دماءَ قلبى بلا جرم وأنت غافل.

١٥- فقال : رغم أنَّه ذنبٌ كبيرٌ فلا عليك إذا أُخذ على محمل السُكر.

١٦- فأجبتُه قائلاً : لقد استوليتَ على قلبى . فقال :أىُّ قلب؟ فالقلبُ قلبٌ فى آخر الأمر، وأين أنت منه؟

١٧- ويظلُّ ذلك المعشوقُ جائرًا ، ربما لأنَّه لا يدرى أنَّ "ابن يمين" عبدٌ للملك العادل.

١٨- محيطُ مركز الرفعة فلكُ الحشمة والجاه،"علاء الدولة" والإقبال "هندو" السعيد.

١٩- دنيا اللطف "محمد" الذى يبطل خلقُهُ بحقٍّ ألفَ معجز لـــ "عيسى" فى النفس.

٢٠- أقبل العالمُ بخطى عاجلةٍ من كتْم العدم إلى بلاط وجوده شوقًا إلى خدمته.

٢١- ويجود كفُّه ناثرُ الجوهر فى لحظة واحدة بكلِّ ما اكتنزه المنجمُ فى مائة قرن.

٢٢- أيها الوزيرُ ملاذ العالم، أنت الذى يكون قلمكُ فاصلاً بحقٍّ بين الخير والشر والنفع والضُّرِّ.

٢٣- أنت كذلك الذى احتوى على حساب أهل الفضل، وأنت الأصلُ من البقية الباقية للقادة الفضلاء.

٢٤- حين يذيع الدهرُ ذكرَ جودك، يُطوى حديثُ "حاتم الطائى" كطىِّ السجل.

٢٥- إنْ لم يقتبسْ القمرُ من شمس رأيك، فأنَّى له أن ينزل إلى نهاية مجلس الفلك؟!

٢٦- اختارت الوزارةُ الوصالَ معك من بين العالم كله، فمرحى لطالعها السعيد فقد صارت واصلةً بحقٍّ.

٢٧- أيها الملكُ العظيم ، أتعلم أنَّ "ابنَ يمين" لا يترجل فى موكب الفنِّ من يُمن مدحك؟

٢٨- وحين يضرب بحرُ خاطرى بموج الفكر ، فإنَّه يلقى إلى الساحل الجوهرَ الموزون زمنًا .

٢٩- فلا يليق مطلقًا لعروس طبعى إلا مِنْ زينة لطفك، وإلا صارت بذلك عاطلةً معطلة.

٣٠- ولكن حينما تكون الشهرةُ فى الفضل لمثلك ، فلا عجب أن يكون الخمولُ لمثلى.

٣١- وحينما يُعرضُ الفضلُ على حضرتك، فذلك مثل حمل "الفلفل" إلى بلاد "الهند"[١].

---

(١) حيث الحرارة الملائمة له.

٣٢- يكون الكلامُ هكذا منمَّقًا أمامك؛ لأنّ "باقل" يحمل القولَ هديةً إلى باب "سحبان".

٣٣- فإنّ كمالَك وفضلَك قد خرجا عن الحدّ والشرح، فأنت الذى قد جمعتَ المحاسنَ كلَّها.

٣٤- فلتكنْ عينُ الكمال قاصرةً أمام ذاتك الطاهرة، فليس مثلك اليوم فاضلٌ كاملٌ.

وله أيضًا فى مدح مولانا غياث الدين بحر آبادى (ص ١٢٦-١٢٧)

١- ألا يا ريحَ الشمال وأنتِ تعبرين على ثرى حيِّه وقت السحر، ألا أخبريه أننى بدونك فى لظى يا مَن أنت فى لطف الماء الزلال.

٢- إنّ الروحَ المهجورةَ من الجسد المعنَّى البعيد عن محيَّاك، سوف تنتقل إلى جوار حضرة الحقّ تعالى.

٣- غمزتُك الساحرةُ المليئةُ بالخداع من السحر الحلال، سوف تحرِّم النومَ الهنيءَ عن مُقلة عشاقك.

٤- ألا فلا ينطلق أىُّ سهم من قوس حاجبك المسكىّ، حتى لا يأخذ بجناح طائر روحى.

٥- فذات ليلةٍ رأى إنسانُ عينى فى النوم خيالَك، فرغب فى تحرير الخيال إلى يوم القيامة.

٦- مع أنّ أمواجَ عينى المتلاطمة صارت من عشقك بحرًا، فلماذا إذن يظهر إنسانُ عينى بجمالٍ صافٍ ؟

٧- فتأملْ صورتى وقد سقطتْ من سواد عين العالم على بياض وجهك الذى يشبه القمرَ فأطلقوا عليها اسم الخال.

٨-ولم يرَ أحدٌ مطلقاً فى الدنيا غرَّةَ الشهر الذى ينخسف فيه الهلالُ سوى وجهك وحاجبك .

٩-ما أصعب وصفَ ذلك الثغر العذب؛ ذلك لأننى أرى مجالَ الكلام فيه ضيقًا.

١٠- يشتهر "السروُ" باسم الطليق؛ لأنَّه اكتسب ذلك من العبودية لقامتك المعتدلة.

١١- لا ينبت مطلقًا على ساحل ماء الحياة فى حديقة الوجود فرعٌ واحدٌ يشبه "سَرْوك" المتبخترَ فى دلال.

١٢- قمرُ وجهك زينةُ المجلس على فلك الحُسن يشبه شمسَ رأى صاحب الفضل سعيد الحظ.

١٣- مَلِكُ العالم غياثُ الدين والدنيا الذى ليس كمثله صاحبُ كمال تبعد عنه عينُ الكمال.

١٤- ذلك الملِكُ الذى تأتى سيرتُه عن طريق الإرث والكسب، فهو قِبلةُ أرباب القال وزبدةُ أصحاب الحال.

١٥- كلُّ ذرَّةٍ من ذرَّات نور رأيه الســاطع تكون على فلك الفضل شمسًا لا تزول.

١٦- كلُّ مثال يكون لتوقيع أمره ونهيه، يمتثل له العقلُ مثل منشور القضاء.

١٧- يفتح الفلكُ مائةَ ألف عين كاشفةٍ فلا يرى أىَّ إهمال إلا لو نظر بعينه الحولاء.

١٨- تشتعل عينى وقلبى بطوفان من الماء ومن النار ليل نهار لأجل تراب أعتابه.

١٩- اللغةُ الناطقةُ ولو كان عشرةُ ألسن مثل "السوسن" لصارت وقت بيان شرح أشواقى بكماءَ عاجزةً.

٢٠- ألا ياريحَ الصَّبا، لو تعبرين على شاطئ البحر المعمور، فسوف ترين حضرة مَنْ يتنازعه الفلكُ على الرفعة.

٢١- اعرضى هناك تقبيلَ الأرض بتعظيم كامل، ثم قولى له : إنَّ "ابنَ يمين" يقول : ألا يا صاحبَ الخصال الحميدة.

٢٢- إنَّ روحى المهجورةَ من الجسد المتعب البعيد عن محيَّاك، سوف تنتقل إلى جوار رحمة الحقِّ تعالى.

٢٣- وعروسُ فكرى البكر البضَّةُ يجلو المعشوقُ حسنَها، ورأيتُ زينتَها فى لباس الارتجال[1].

٢٤- وقرأتُ عليها "إنْ يكاد"[2] من رأس الإخلاص حتى لا تصاب بعين الدَّهر سيئ السريرة الجارحة.

٢٥- وطويتُ على هذا المنوال شعارَ شعرى ، وعلى ناصية السوق سحبتُ الشالَ على رأس الأطلس.

٢٦- وعرضتُ الحصى أمام الدُّر النفيس، ووضعتُ كأسًا من الخزف إلى جانب كأس "جمشيد".

٢٧- فالطفْ بهذه النفاية وتجاوزْ عن طريق العظمة، يا مَنْ أظهرك "ذو الجلال" من محض اللطف.

٢٨- وحتى لا يملَّ خاطرُك العَطِرُ من إطنابى ، فسوف أختم المقالَ بالدعاء لدولتك.

---

(١) أى ارتجال الشعر.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾(سورة القلم ، الآية ٥١) .

٢٩- يا مَنْ عشقَ الفضلاء يكون لخدمتك ، فأنت القائمُ على رأس أهل الفضل أعوامًا طويلة.

٣٠- أحبابُك شامخون مثل الفلك قدرًا وعزّةً ، وأعداؤك مسحوقون مثل الأرض عجزًا وذلّةً.

قصيدة فى مدح الفاضل أوحد حكيم الدين (ص١٢٧)

١- هذا أنا يا إلهى ، لقد ظفرتُ بالسعادة فى قلبى، وكلُّ ما سعيتُ إليه وجدتُه من قضاء السماء.

٢- هذه الألطافُ التى يبذرها أمامى الفلكُ الحاقدُ سببُها أننى نلتُ عنايةً من السيد العالمِ.

٣- " أوحد الدنيا حكيم الدين" الذى لا يَسْعد العقلُ لو يقول الفلكُ إنَّه وجد فى الدنيا قرينًا له .

٤- ذلك الذى ما إنْ رأى "عطاردُ" إنشاءَه العذبَ حتى قال : لقد ظفرتُ وقت الشيخوخة بمتعة عمر الشباب .

٥- فعطفهُ علىَّ ، جعلنى أنال من إرشاده توفيقًا على أقاليم الفضائل .

٦- فقد أرشدنى بكرمه صوب دار كتُبه حتى أجد فيها دُرْجًا يغَصُّ بدُرِّ المعانى.

٧- وربما لو بقيتُ مثل "الخضر" حيًّا بماء الحياة ؛ فلأنَّنى ارتشفتُ حتى الثمالة كأسًا منه مليئةً بماء الحياة .

٨- ولأنَّنى نلتُ من كفِّ ساقى لطفه كأسَ الشراب ، فقد صرتُ بعدها قرينًا للبهجة حتى الأبد .

٩- كيف يتسنى لى قولُ الشكر لذلك الذى اهتديتُ فجأة إلى الطريق صوب كنزه الثمين من زاوية حاجتى .

١٠- فدعْ الكتابةَ يا "ابنَ يمين"، وصرِّحْ بأننى وجدتُه من تصويرات "مانى"[١] المنعشة للروح .

١١- فليكنْ خالدًا مفيدًا وأهل الفيض يستفيدون منه ، فلقد وصلتُ إلى أنَّ حياة الخلود تكمن فى بيانه .

أيضًا عرض الإخلاص للأمير أبى نصر بن على والمديح له (ص١٢٨)

١- أيها الرسولُ المباركُ يا نسيمَ الصباح ، يامَنْ لك نفسُ "المسيح" وخَطْوُ "الخضر" المبارك.

٢- اعرضْ عن طريق اللطف إخلاصى فى الموضع المنيع المحترم كالكعبة .

٣- أىُّ جناب ذلك الذى يحنى الفلكُ قامتَه مثل الحلقة على بابه لأجل خدمته .

٤- عنوانُ ثبت منجزات ملوك الدهر ، مقصدُ الطوائف ومرجعُ الأمم .

٥- رمزُ السلطان الأمير "أبو نصر بن على" ، مظهرُ الفتوة والكرم .

٦- إنْ لم يضمنْ طبعُهُ المجوادُ الرزقَ ، فأنَّى للُّحْمة المعدة وسُداها أنْ يتصلا ببعض ؟!

٧- من القحط الذى أصاب المروءةَ والخلقَ ، أىُّ غمٍّ يصيب الناسَ مع فتح باب همَّته .

٨- يتدفق قاطنو خيمة العدم إلى ساحة الوجود شوقًا إلى لقائه .

---

(١) "مانى " : صاحب ما يسمى عند الفرس بالديانة "المانوية" ، وكان رسامًا مدهشًا وصوره فى كتابه "ارتنك" صور إعجازية ، والشعراء الفرس يتناولون هذا الجانب منه فى أشعارهم .

٩- لو هبَّتْ نسمةٌ من لطفه على ثعبان أرقم ، فإنَّ قطرات السُمِّ التى فى فمه تصير ترياقًا.

١٠- ولو عبرتْ ريحُ سموم قهره على ماء اليَمِّ ، لفار منه طوفانٌ من النار كالموج .

١١- هو بين جيشه المنصور مثل الشمس التى اتخذتْ النجومَ حاشيةً لها .

١٢- لأجل فخامة موكبه الميمون صار الشهابُ رمحَه وطرةُ الليل رايتَه وبيرقَه.

١٣- يجعل خنجرَه الهندىَّ للإغارة ، ومُلْكُ العرب مثلُ مُلْك العجم مسخَّرٌ لإمرته.

١٤- أيها المغوارُ ، ما أكثر ما يُراق من دماء عدوِّك ؛ فيومُ الخصومة هو يومُ كريهتك.

١٥- ولو ينبت عشبٌ فى ترابه[1]؛ فلن يكون له حتى يوم الحشر وجهٌ أو قوامٌ باستثناء الجذع والساق.

١٦- حينما جعل الخالقُ الحكمَ للقلم ، كتب على لَوح الكائنات رقمَ الكثرة والقلَّة.

١٧- فقد حكمَ بأنْ تكون ذاتُك أكثرَ من كلِّ الكائنات وأقلُّ من الدهر.

١٨- لو تهبُّ ولو شمَّةٌ من تراب أعتابك على النرجس والبنفسج فهى نسيمُ الصباح .

١٩- لك خاصيةٌ تشبه "المسيح" ؛ فهى تزيل الْعَمَى عن عين الأعمى والصَمَمَ عن أذن الأصَمِّ بنفسٍ واحد منها .

---

(١) أى العدو .

٢٠- لو أنَّ "ابنَ يمين" ابتعد عنك؛ فإنَّه سوف ينصهر فى بوتقة الهوان بنيران الظُّلم .

٢١- ومع هذا الانصهار كلِّه لم ينمح عن قلبه للحظة واحدة ختمُ حبِّك الشبيه بالسكّة على الدرهم .

٢٢- طالما فى وقت الكتابة يكون نبعُ الدواة موردًا لقلم المعلِّم .

٢٣- فليكنْ حاسدُك مثلَ القلم ومثلَ الدواة؛ بأن يكون مشقوقَ الصدر كرأس القلم، مليئَى الجوف بالحلكة كحبر الدواة .

وله أيضًا (ص١٢٩)

١- أنا ذلك الصقرُ الذى استقرَّ فى دوحة الجنَّة، وتحررتُ من السفر الذى هو فى الحقيقة نارُ سقر .

٢- فما أراه ليس حلمًا وإن كان وهمًا، وأنا بهذا الوضع سعيدٌ بعد طول معاناة وحزن .

٣- مع أنَّ الفلكَ جائرٌ فإنَّ الشكرَ له، فقد وهبنى السلطانُ الوالى عطيةَ اللطف والكرم .

٤- فماذا أنت فاعلٌ إنْ لم يصرْ الحقُّ معينًا لك؟ ولذلك قد هويتُ سافلاً فجأة وبشدَّة .

٥- وإلا فقد كان مثلُ العقل عونى، وقد هُرع إلىَّ حين وصلت استغاثتى إلى الفلك .

٦- فأظهر العقلُ لىَ طريقَ القناعة من لطفه، ولم أسلك سوى هذا الطريق الذى أشار إليه .

٧- فأنا تلك الذى أطفأ نارَ الحرص بماء القناعة، لأنَّ رياحى قد كشفَتْ سطحَ الأرض كلَّه .

٨- لقد اتجه قلبى مثل الأطفال إلى مكتب التحصيل، حين صار العقلُ أستاذى.

٩- هكذا صرتُ خادمًا وبإخلاص لخالقى، لأنَّ مخدومى من البشر لا يكاد يذكرنى .

١٠- ماذا أفعل يا "ملكَ خراسان"؟ وكيف أزيل محنةَ الروح حين تبحث فى "بغداد" عن أخبارى ؟

١١- وإن كانت ليست المولد والمنشأ، ولكنَّ "سعدى"[١] قد قال : لا يتسنى الموتُ الأليمُ مادمتُ قد ولدتُ هنا .

١٢- فلو أخرج عن هذا الوطن، فإنَّ المشترى لجوهرى بشدة هو وليد طبع الكرم .

١٣- لا أرغب فى الخروج عن حىِّ القناعة، وإنْ اقتلع سيلُ الإفلاس أساسى من الجذر .

١٤- أنا "ابنُ يمين" السالكُ طريق القناعة، قد سكنتُ منذ يومين أو ثلاثة إلى هذه الصومعة الخربة .

١٥- وما كان أبناءٌ من صحبة "شيرين" دون مشقة، وأنا لذلك السبب جالسٌ على الجبل على شاكلة "فرهاد" .

---

(١) أحد شعراء العصر المغولى ت ٦٩١ هـ .

وله فى مدح علاء الدين حسين (ص١٢٩ - ١٣٠)

١- كم أعانى لوعةَ القلب عن ذى قبل، وماذا أقول والروح مكلومة بشدة لأجله.

٢- إنَّه "يوسفُ" مصر الكرم وقد تحطَّم جاهُه، وأنا مثل "يعقوب" وقلبى "بيت الأحزان" .

٣- هو علىٌّ الاسم حسنُ السيرة "علاء الدين حسين" ، الذى تصير العينُ هراقةً والقلبُ فى لظى بحزنه .

٤- ما أكثر ما استولى الهَمُّ على خاطرى، وأنا مثلُ كنزٍ اتَّخذ زاويةً خربةً موضعَ راحته .

٥- وإذا ما صار الدليلُ من هذا الحطام ظاهرًا علىَّ، فأنا لا أهنأ وقد كتمتُه فى داخلى .

٦- ومع أننى لم أفارقه لحظةً واحدةً بدون ألم القلب، فإن أملَ الشفاء لدىَّ يكون فى طلعته .

٧- المنَّةُ لله أننى رأيتُه فى عهد صحته، وذلك القلبُ الملتاعُ لأجله وقد صار آمنًا هادئًا .

٨- أنا "ابنُ يمين" وبعد هذا الشكر، فكلِّى أملٌ فى الله أنْ يستقيم حالى .

٩- فإذا ما تحدثتُ عن الماضى فاعلمْ أنَّ هذا شأنى، ولا تظنَّ أنَّ ذلك الحال قد انتهى لأننى أعيش فيه الآن .

١٠- لقد تعلق القلبُ بحبِّه، وسوف يظل حتى الأبد، فهو دائمٌ فيه كركن الإيمان.

له أيضًا (ص١٣٠)

١- حبذا مزارٌ[1] أطيبُ من الجنَّة، فهو بحسناواته على هيئة الصَّدف المليء بالدُر اليتيم .

٢- مليء بالماء المتدفق كعين العاشق وبالنار المتوهجة كقلبه، لكنْ مع حرِّ جحيمه يكون أيضًا الريحان والنسيم .

٣- فيه الهواءُ عليلٌ والفضاءُ واسعٌ، وهو حيثُ عهد بالمعمار إلا أنَّه قديمُ الطراز .

٤- وزجاجةُ المشعُّ من الضياء يشبه كأسَ الطَّلى، وتشاهد آلافَ الشموس والأقمار قاطنةً ساحته .

٥- وعلى آجره دائمًا طَلاءُ الجير الأبيض اللون، فتقول إنَّه آجرٌ ذهبى مطلىٌّ بالفضَّة .

٦- ما أكثر أنْ ينال المتعبُ فيه الراحةَ والسكينة دائمًا، فتقول إن "الكليمَ" قد نزل فى ضيافة "عيسى" .

٧- وما دامت تتبدل فيه الصحة والعافية بالأمراض، فلن يكون سوى "دار الشفاء" التى أقامها "الحكيم" .

٨- ومن النوادر التى تحدث فى هذا المنزل هى أنَّ الثوابَ فى عذابه والنعيمَ أيضًا فى جحيمه .

٩- فمع أنهم يقولون إنَّ الشيطانَ يقطن بيتَ الراحة، فإنْ يكن الشيطانُ نديمى فى هذا الموضع، فإنَّه يُعدُّ صديقى .

١٠- هيا أيها البدرُ إلى هذا المنزل البهيج فى صحبة "ابن يمين" ، حتى تظفر صفحةُ وجهك بنعيم من الحسن فى جحيمه .

---

(١) واضح من سياق النص أنه يقصد به إحدى المستشفيات .

قصيدة فى مدح السلطان نظام الدين يحيى (١٣٠ - ١٣٢)

١- غدَتْ خراسانُ بهيَّةً بهيجةً كأنها الفردوس، من عظمة الملك العادل سيد العالم كلِّه .

٢- مخضِعُ العصاة الملك الذى يُعدُّ رأيُه زينةُ العالم مُظهرًا سعادةَ الناس من كأس "جمشيد" .

٣- "نظامُ الملك والدين يحيى" الذى يمكن وصفه بأنَّ له قَدر "سليمان" ورأى "آصف" ويد "موسى" ونفَس "عيسى" .

٤- الشريفُ الذى يزيح رأيُه من مبهمات الغيب الحجابَ عن ذلك المعنى الذى يكون للشيخ وأيضًا للمحرم .

٥- لو يقارن أحدٌ سحبَ الربيع بكفِّك، فأنَّى للعقل أن يصدِّق أنَّ القطرةَ تصير مثل البحر .

٦- لا يليق لقدِّ قدره سوى أطلس الفلك من ذلك الذى يعلمه أستاذُ الصنع للشمس والقمر .

٧- الفلكُ هو صاحبُ العَلم فى موكب جاهه، ومن ذلك يعقد شهابَ الصبح الذهبى العريض فى طرَّة الليل بيرقًا .

٨- حكمُه يردُّ القضاءَ، والفلكُ يعلم أنَّ له هذا القدر؛ لأنَّ القضاءَ لا يصير مبرمًا مع حكمه المطاع .

٩- وحين تَعرُك قبضتُه أذنَ العدوِّ مثل الرباب، ينبعث الأنينُ من نايه تارة "الزير" وتارة "البم"[١] .

---

(١) الزير والبم نغمات موسيقية منخفضة ومرتفعة .

١٠- ولأنّه يُصفّد شيطانَ الإنس مثل الجنّ فى زجاج، فلو كان "سليمان" حيًّا فسوف يجعل الخاتمَ فى إصبعه .

١١- لو يرغب يجعل نسيمُ لطفه من السُّمّ الذى ينفثه الثعبانُ الأرقم من أنيابه وقت الكريهة ترياقًا منعشًا للروح .

١٢- فإنّ سمومَ قهره حين تهبُّ يومًا صوب غابة الأسود فلسوف تظنُّ أنّ الضيغمَ سيحترق من حرارتها.

١٣- وإنْ يأمُرْ، فإنّ منْهم على شاكلة عين يعقوب ولسان عيسى ابن مريم يرتد بصيرًا ويتكلم فى المهد صبيًّا .

١٤- ويصير للسوسن لسانٌ ناطقٌ وللنرجس عينٌ رعناءُ، مع أنّ الأول أبكم والثانى غير ندىٍّ .

١٥- لقد صار مُجرّبًا؛ لأنّه جاء للخلق مادةً واهبةً للروح، تجعل السمَّ لمن يتجرعه فى الحانة مثل لطفه .

١٦- حين أحصى صفات خَلْقه وخُلُقه، يُجمع الخلقُ كلُّهم على تصديقى .

١٧- يرغب الفلكُ أن يلزم بابَه دائما مثل الحلقة، وبسبب ذلك فإنّه يحنى ظهره مثل الحلقة .

١٨- أيها الملكُ، أنت ذلك الشخصُ الذى يكون ضياءُ شمع الفلك من رأيك ومصباحُ آل آدم من وجهك .

١٩- يكون مضمرًا فى سنّ قلمك رموزُ الحبِّ والحقد، مثلما يكون مدغمًا فى ضربة سيفك صلاحُ المُلك والدين .

٢٠- لو يرغب حاسدُك فى أنْ ينال رتبةَ مثلك، ولكنّ المستنقعَ لا يصير أبدًا نبعَ زمزم .

٢١- حين ينزل الخصمُ معك فى جدال فى ميدان الفضل، فإنَّ سيفَ لسانك القاطع يحسم الأمرَ بكلمة واحدة منه .

٢٢- فى تلك اللحظة التى يكون جوادُ النهار الأشهب تحت سرج أمرك، يكون لحاسدك لسوء طالعه جوادُ الليل الأدهم .

٢٣- لو يرغب العدوُ فى أنْ يأتى فى الوزن التام مثل شعرى، فإنَّ سيفَك يجعله ركنًا حين تقطيعه ولكن على "الأخرم"[1] .

٢٤- يا مَنْ لك قدرُ الفلك، اتعلم أنْ طبعى فى مديحك بلا رأس مال؛ لأننى ليس لى منه الدُرُّ الصافى المنضود .

٢٥- لا يعلم أحدٌ أوصافَك أفضل من "ابن يمين" مع أنَّ كلَّ شخص يظهر نفسَه بأنه أعلم منه .

٢٦- فإنْ يكنْ لرأيك زينة العالم عنايةٌ به، فإنَّه يقرع طبلَ الفصاحة فى العلا .

٢٧- ما ضرٌ لو وجد جراحًا من حادثات الدهر، مادام أملُ علاجه فى دار شفاء لطفك .

٢٨- طالما يكون فى الدنيا دائمًا الحزنُ والسرورُ والعيدُ والمأتمُ، وحين يمضى واحدٌ يحلُ الآخرُ مكانَه بإحكام .

٢٩- فليكن أعداؤك دائمًا وفق رغبة أحبابك، هم وقت العيد فى مأتم ووقت الحبور فى غمٍّ .

٣٠- وطالما يكون العالمُ سعيدًا جزلاً بهيجًا بعطائك، فليكن لك من العالم أيضًا قلبٌ مبتهجٌ وجزلٌ وسعيد .

---

(١) الشعر الذى يكون على الأخرم هو: فعولن تصير عولن ومفاعلتن تصير علن .

وله أيضًا فى مدح خواجه علاء الدين هندو (١٣٢ – ١٣٣)

١– ألا يا بدرَ حسناوات العَجم، إنَّ عيدَ العرب هو وقتُ الحبور، فلا كان لك همٌّ من غمّ الأيام

٢– فاترعْ الراحَ ولا تبالِ بهمّ دنيا السوء وغمّها؛ لأنَّ مَنْ لا يصانعها يصاب بالغمّ .

٣– وارفعْ بعد ذلك رايةَ البشاشة والطرب؛ فإنَّ هلالَ العيد قد رفع رايتَه فى الأفق خفاقةً.

٤– اليوم عيدٌ فاشربْ المُدامَ المشعَّةَ وناولها، فلىَ رغبةٌ فى احتسائها، ولكن فى منادمتك .

٥– الصبوحُ من يدك فى مجلس وزير العالم هى ماءُ الحياة فى روضة حديقة إرم .

٦– والطِّلى المشعَّةُ فى كفٍّ مثلك تُنعش الروحَ، خاصةً فى مجلس عون العرب ملك العجم .

٧– آصف العهد "علاء الدولة والدين هندو" ، الذى يكون مغفرُ مفرق الفلك تحت أعتابه .

٨– ذلك الشريفُ الذى يحنى الفلكُ الشيخُ ظهرَه دائمًا على بابه مثل الحلقة لأجل خدمته .

٩– ذلك الذى يمتلئ قلبُ سحب الربيع وعينُها بالحرقة والدمع دائمًا غيرةً من بحر كفِّه .

١٠– لا يتساوى المَنجمُ الممسكُ مع كفِّك المعطاء، فالعقلُ يعرف رشحةَ القدح من البحر الخضَمِّ .

١١- يصير للعدوّ منه صفةُ النجوم المتوارية من الشمس، مع أنّ النجومَ لها صفةُ الحشم للشمس .

١٢- وسيفُك البتّارُ وقت العريكة ربما تقول عنه إنّه نهرُ النيل من كثرة ما يتدفق منه من ماء أحمر (الدماء) .

١٣- أيها الملكُ، حين يجرى الحديثُ عن رتبتك وجاهك، لا يصل إلى السماء حديثٌ عن مُلك جمشيد .

١٤- وحين يَحيك خياطُ الأزل كسوةَ المُلك على قامتك، فإنها تكون قطعةً واحدةً لا تزيد أو تنقص .

١٥- طالما يفتح الإقبالُ بابَ حضرتك الميمونة، فإنّ دولةَ الإحرام تغلق بابها مثل زوّار الحرم .

١٦- يجلو صقيلُ رأيك كلّ ما يكون على صفحة الأوراقِ من ظُلم وظُلمة مثلما يجلو المرآةَ من غبار الصدأ .

١٧- صارت مرآةُ روح سيئ الطوية سوداءَ من الصدأ، فما أكثر أنْ وهبها الفلكُ لونَ الخداع والغرور .

١٨- لو يعقدون تعويذةً من اسمك على ظبى صغير، فإنّه من فرط شجاعته لا يشرب اللبنَ إلا من أسد الأجم .

١٩- لو تحمل الرياحُ إلى الحديقة تراب أعتابك، فإنّ دورتّها تزيل من عين النرجس آفةَ الندى .

٢٠- إنْ لم يدعُ داعى جودك الخلقَ، فكيف جاء إلى صحراء الوجود من كتم العدم؟

٢١- مع ما للبخيل من علّة الجوع الكلبى[1] ، فإنّه يجعل بطنَه من مائدة نوالك ذات أركان أربعة .

٢٢- لو يتحلى العقلُ برأيك، فإنّ الدرهمَ من سوق الفلك يكون شمسًا جارية عن الذهب المغربى .

٢٣- يختم "ابنُ يمين" مديحك بالدعاء؛ ذلك لأنّ الدعاءَ يكون علمًا على كسوة مديحك .

٢٤- طالما يكون من سنِّ قلم كاتب القدر تدوينُ السوء والحسن على صفحة لوحة الفلك .

٢٥- فليكنْ لكلِّ مَنْ لا يخفض رأسَه مثل القلم على خط طاعتك، هيئةُ الدواة من ماء عينه الأسود .

وله أيضًا فى مدح علاء الدين وزير خراسان (ص ١٣٣)

١- مرحى لجمالك يا شمسَ سماء الكرم ، وجودُك الطاهر قائدُ أسرة الكرم .

٢- أنت علاءُ الدولة والملَّة الذى بان للعقل أنَّ حضرتك الشريفة هى مكان الكرم .

٣- جعلتَ الدعاءَ لدولتك وِرْدًا ؛ إذْ اقتديتَ بالحديث بلسان الكرم .

٤- لَم يظهر الفلكُ على مدار القرون من منجم الكرم جوهرًا يشبه همَّتَك .

٥- ولم ينلْ " السَّرو " عنايةً من نبع ماء الحياة في حديقة الكرم مثل عنايتك بحق .

٦- ولو بريتَ رأسَ القلم ألف مرة فلن تكفيِ ، فهو عاجزٌ عن بيان كرمك .

---

(١) الجوع الكلبى : اسم مرض يصيب صاحبه بجوع دائم لا شبع فيه (فرهنك عميد).

٧- وحين جرى اسمُ الكرم على لسانى ؛ فلأنَّ الفلكَ قد دلّنى على اسمك رمزًا للكرم .

٨- لماذا يكون واجبًا أن ينقطع زمانُ الكرم على حظِّ " ابن يمين " مع كـريم طبعك .

٩- ويحترف فلكُ السفلة حرفةَ البخل ، ويمنع عنّى كسرةً من مائدة الكرم .

١٠- تأتينى لطيفةٌ من أقوال غيرى ، هى آيةٌ نزلتْ بشأن الكرم .

١١- لقد تخلصتُ من متاع الفضل والكرم ، فإنَّ وجه الفضل أسـود ومتـاعَ الكرم ذهب أدراج الرياح .

١٢- فليس حسنًا إنْ يطأ الدهرُ الرأسَ التى تنحنى أمامك على أعتاب الكرم .

١٣- طالما تُدوَّن دائمًا قصةُ الكرم على ورقِ الدهر تذكارًا لأهل الكرم .

١٤- فليبقَ وجودُك الطاهر فى الدهر ؛ لأنَّ فى وجودك حياةً لروح الكرم .

قصيدة فى مدح طغايتَمُورخان (ص ١٣٣ - ١٣٥)

١- مَنْ حمل رونقَ المنَجم ومن منح الخجلَ للقُلزُم [١] ، سوى "طغايتمورخان" جمشيد الثانى المعظَّم .

٢- المَلكُ الذى ما إنْ اعتلى العرشَ الكسروى حتى وضع الفلكُ تـاجَ المنَّـة على هامة الخلق .

٣- من فرط الحكمة والرفعة هو مثل "آصف" ومثل "سليمان" ، ومثل "حـاتم" و"رستم" وقت الجهد والعطاء .

---

(١) هو البحر الأحمر .

٤- وصار العالمُ من فرط عدله بحيث لم تذهب الرعيةُ يومًا صـوب حـاكم لمظلمة .

٥- وإنْ نال التعبُ "حمامةً" فى عهده ، فما أسرع أنْ يـأتى لهـا "الـصقرُ" بالمحفّة لتنعم بالراحة .

٦- فلا تعجبْ إنْ تهبّ نفحةٌ من رياض خُلقه على رأس أفعى رقطاء وعقرب ملتوٍ .

٧- فإنّ الأفعى تهب فقرةً من أنيابها فتتقاطر على موضع لدغة العقرب مثل القطرة لتشفى سمَّها .

٨- ولو تصل شمَّةٌ من بيانه إلى النفس الناطقة ، فإنّ لسانَ " السوسن " يجـد منها القدرةَ على التكلم .

٩- الدقيقةُ التى تمرُّ من طبع رأيه اللطيف ، محال أنْ يرى فيها " عطـارد " مجالاً للتفهم .

١٠- مع ما ناله " عطارد " من شهرة فى التعليم ، فإنَّه ما زال يمـضى إلـى مدرسة رأيه الأنور كى يتعلم .

١١- حينما لا يجلس الملكُ على صدر الديوان ، فإنَّه يطلُّ على الفلـك مثـل الشمس بعين عقله .

١٢- وإذا ما تحلى عدوُّه بالتاج لم يصبح ملكاً ؛ لأنّ " الزهرة " لا تصير فـى عمومها مثل " المشترى " .

١٣- يسارُّه أنَّه وقت جلوسه على العرش يجعل زمرّدَ الفلـك فـصًّا لخاتمـه الذهبى .

١٤- وهو ذلك الذى رغم أنف العدوّ يأتى إلى الهيجاء حين يأتى إلى مسامعه قرعُ الطبول لحظة بلحظة .

١٥- أيها الملكُ أنت الذى اتفق الخلقُ على أنَّه لم يضع أحدٌ أساسَ الكرم فى الدنيا غيرك .

١٦- فأنت الذى حين يعزم ركبُ عزمك على الرحيل ، لا يصل إلى ترابه خيالُ البراق الماضى .

١٧- ويكون قوامُ رتبة الملك بذاتك الطاهرة ، ولهذا السبب فإنَّ العَرَضَ يقوَّم بالجوهر .

١٨- فى عهدك لا تليق العبوديةُ [1] لغيرك ، فلا يتيمم أحدٌ بالتراب على حافة النهر .

١٩- ذاتُك الصافيةُ بين خلق العالم تماثل الشمسَ بين النجوم .

٢٠- مهما يصدر رأيك أمرًا ، حقًّا كان أو باطلاً ، فمَنْ ينفذه ينفذه صاغرًا وليس عن طريق التسلُّم .

٢١- وهكذا ، فالشرفُ حليفُك فى كلِّ أمر ، والفلكُ يقْبل حكَمك طواعيةً وعن رغبة .

٢٢- يشكِّل الهلالُ صورتَه على هيئة النعل ، كى يتسنى له تقبيلُ حافر جوادك لأجل الشرف .

---

(١) العبودية عند الشاعر تعنى الطاعة العمياء لأوامر الملك .

٢٣- ويسحب الدهرُ الشريط [١] من ظهر أعدائك كلَّ لحظة لأجل مصلحة أمر أحبابك .

٢٤- يغتَرُّ العدوُّ بحلمك بسبب بلاهته ، فهو لا يعلم أنَّ الليثَ يبتسم حين يغضب [٢] [٣].

٢٥- انظرْ بعين العناية صوب " ابن يمين "؛ لأنَّك رحيمُ العالم وهو حقيقٌ بالترحم .

٢٦- حين يروى راوٍ أشعارى فى مديحك ، فإنَّه يرفع الصَّمَمَ من جذر الأصَمِّ شوقًا للاستماع إليه .

٢٧- حقيٌّ بالنفس الناطقة أن تسلب العقلَ من رأس العقل ، حين تتزعم منشدةً شعرى فى مديحك .

٢٨- ويصدح العالمُ كلُّه مثل البلابل بقصائد مديحك ؛ لأنَّه يتنسَّم رائحةَ روضة جودك .

٢٩- وتأتى عروسُ مدحك من قصر فكرى بكرًا ، وليس مثلَ ذلك الشعراءُ الآخرونَ العجائز والأرامل .

٣٠- حقيٌّ " بابن يمين " بهذه القصيدة الغرَّاء أنْ يتقدم على أهل الفضل بيُمن مدحك .

٣١- طالما يظهر المحالُ دائمًا على أهل الفضل ، وأنَّ " القنفذَ " يظهر وقت المساس به على هيئة " السنجاب " .

---

(١) هو الجلد الذى يصنع منه قلادة السيف (فرهنگ عميد) .

(٢) إشارة إلى قول المتنبى :

وكنْ على حذر للناس تستره ... ولا يغرك منهم ثغرٌ مبتسمُ

(٣) أو قول المتنبى أيضا فى مدح سيف الدولة :

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً ... فلا تظنَّنْ أنَّ الليثَ يبتسمُ

٣٢- فليكنْ حاسدُك مثل السنجاب وعلى هيئة القنفذ ، محسورَ الجلد عن الرأس ، ومخفيٌّ الرأس في داخل بطنه .

وله أيضًا (ص ١٣٥)

١- حيثما أحمل اسمَ سيد المجلس ، فأنا أعلو بقدر حديثي إلى درجة أسمى .

٢- هو سيدُ ملوك مملكة الفضل والعُلا ، والذي بمديحه أعلو بشعري إلى "الشِّعرى" [١] .

٣- يا مَنْ ركنُ حصن الشرع مشيَّدٌ برأيك ، وأنا في مديحك أعلو مثل سقف الكفِّ .

٤- حقًّا ، مِنْ ميامن أوصاف ذاتك أنني أحمل من لطف النظم فيها رونقَ "الثريا " .

٥- لا .. تعقَّلْ يا " ابنَ يمين " ولا تهرفْ هكذا ، بل قلْ : إنني أحمل سنبلةً من بيدر السيد .

٦- فأخذتُها وكان شعري في داخلي ، به سحرُ "السامري" ، فتأملْ هذا الجهلَ، وأنا أحمله الآن صوب اليد البيضاء .

٧- وأنا أجوب كرمان والبصرة بشعري فيك ، وأحمل إليك حبةَ البركة والتَّمرَ على سبيل الهدية .

٨- أنا الغوَّاصُ لبحر الشعر لك أعوامًا طوال ، وأحمل لك من قطراته اللؤلؤ المنضود .

٩- اعلمْ أنني من عبيدك ، ولي مدة أحمل الأمنيات دهرًا لهذه الدولة .

---

(١) اسم كوكبين : الأول هو الشعرى الشامي ، والآخر هو الشعرى اليماني .

١٠- وأنا أنشد هذا الشعرَكى أعرضه عليك ، فتأملْ جرأتى؛ لأننى أحمل قطرةً إلى البحر .

ولـه أيضًا قصيدة فى مدح زنگى بيك محمد بركال قتلغ (ص ١٣٥ - ١٣٦)

١- يا مَنْ مقلتُك الثملةُ السالبةُ للثمالة من شراب الحُسن ، ويا مَــنْ شــفاهُك العذبةُ المشبَّعةُ بماء الحُسن .

٢- ما أسعد اللحظةَ التى أرى ضياءَ السلاف على وجنتك ، والعرقَ مستقرًّا عليها كأنَّه زهرةُ ماء ورد الحُسن .

٣- حين تتبسم شفاهُك ضاحكةً ، يخيَّل إلىَّ أنَّ ماءَ الحياة يجرى مــن نبــع الحُسن .

٤- لم يشاهدْ أحدٌ على الورد من سنبل نقاب الحُسن سوى طرَّة لــك تــشبه السنبلةَ ووجنة كأنَّها الورد .

٥- ما دام حسنُك يزيد عن النصاب ، فلماذا إذن لا تعطينى الزكاةَ من نصاب الحُسن ؟

٦- ومادام حُسنُ العشَّاق يدخل فى الحساب ، فإنَّ خدَّك له بقيةُ جمع حــساب الحُسن .

٧- أفقُك مشرقٌ ؛ لأنَّ شمسَ الحُسن تتنفس كلَّ سحر منه بفأل سعد .

٨- فتخال أنَّها تعكس على صفحة وجهك صورةً من رأى الملك العادل فصار الحُسن مشرقًا بإشراقه.

٩- زنكى بيك محمد بركال قتلغ ذلك الذى صار كتابُ الحُسن مزينًا غيرةً من قلمه .

١٠- وصار المعنى البكرُ فى سرادق خطِّه الأسر يشبه العروسَ البضَّةَ المزينةَ فى نقاب الحُسن .

١١- وحين ينغمس قلمُه فى بحرٍ أسود اللون (الدواة) ، ينهمر منه كالسحاب حبّاتُ الدُّرِّ الخشابى الحُسن .

١٢- ولرى طرَّةَ المحبوب وما أكثرها فى عهده ، فى تجعيدةٍ والتـواءٍ وهـى تجعيدةُ والتواء الحُسن .

١٣- يا مَنْ حديثُك العذبُ هو صاحبُ نصاب اللطف ، ويا مَنْ خطُّك الآسرُ هو مالكُ رقاب الحُسن .

١٤- لقد احتست الفتنةُ شرابَ الخشخاش من نوم حُسنك ، فصارت فى وسـن الحُسن مثل أعين الحسناوات .

١٥- أيها الصاحبُ ، إنَّ " الزُهرةَ " تضرب ربابَ الحُسن فـى هـذا الـرواق المذهَّب على ذكرى مجلسك .

١٦- و " ابنُ يمين " الذى كان فى مدحك فى رديف الشعر، ولم يصنف جيـدًا فى البداية من المطبوعين .

١٧- صار حَبَابُ الحُسن يسمو من بحر قصيدته حين أطلق لسانَه فـى مـديح حضرتك .

١٨- طالما تنساب الشمسُ الفضيةُ الذقن من بين أوراق الورد فيحدث انقـلابُ الحُسن للبنفسج .

١٩- فلتكنْ دولتُك الفتيةُ بلا انقلاب ، وليكن للحُسن انتسابٌ لرأيك العتيق فـى الخبرة .

٢٠- ولتكنْ ذاتُك التى لا قرين لها أيضًا مآلَ اللطف ، ولتكنْ سيرتُك وخصالُك أيضاً مآبَ الحُسن .

قصيدة فى مدح نظام الدين يحيى كرابى (ص ١٣٦ - ١٣٧)

١- ألا يا ملكَ العصر وحاكمَ الأرض ، أيها السلطانُ " نظامُ الملَّة والــدين " الملكُ الحقّ .

٢- وجودُك تاجٌ لقادة ملوك الدهر ، وصار العرشُ الكِسرَوِىُّ بـك عـرشَ الصقر النجيب .

٣- كلَّ سَحر ، تضع الشمسُ جبينَها على ثرى أعتابك مثـل العبـد لأجـل الشرف .

٤- ويسرع الجنينُ إلى الخروج من حيِّز العدم صوب ساحة الوجود شوقًا إلى خدمتك .

٥- ويحنى الملوكُ هاماتِهم على باب قصرك حتى تخرج دولتُك إليهم بهدوء .

٦- وحين يتباهى خصمُك أمامك ، فإنَّ طعمَ الحنظل لا يكون بمذاق العسل .

٧- سعد العالمُ بك ؛ لأنَّه لم يجدْ أحدًا من الكائنات حزينًا سوى عدوِّك .

٨- واسودَّ وجهُ النافجة فى جسد غزلان الصين خجلاً من روائح خلَقك .

٩- وبسبب مكارم أخلاقك ، لم تبقَ فى العالم تقطيبةٌ فى جبين أىِّ شخص إلا لدى قسى القلب .

١٠- وصار خَلَقُ نافجة الصين فى فكّ الأسد مع نفس خَلقك مثل نافجة غزلان الصين .

١١- ولو يطأ "أنوشيروان" و "حاتم" الأرضَ مرة أخرى فى عهدك .

١٢- ويطَّلعان على سخائك وعَدلك ، فلن يجرى وِردٌ على لسانيهما سوى الثناء عليك .

١٣- متى كان للذهب أمانٌ مِنْ يد سخائك ، مع أنَّ حصنَه محصَّنٌ بالحجارة الصلدة .

١٤- وذلك الذى يلثم يدَك مثل الخاتم مرة واحدة ، يجلس طَوال عمره على عرش الذهب مثل الفصِّ .

١٥- والذئابُ المحترفةُ السلب تصير فى عهد عدلك أمينةً كالكلب فى الحفاظ على الخراف .

١٦- ألا يا أيها الذى فى وقت الوغى قد وجدوا القادةَ موسومين على رءوسهم من سنِّ رمحك .

١٧- وحين ينصب الفلكُ شركًا لعدوِّك ، يتخذ من قوس قزح قوسًا ومن الشهاب سهمًا .

١٨- وصيتُ مكارمك الذى يطوى الأرضَ طىَّ الرياح ، يلقى بالطنين فى شمس الفلك .

١٩- وحين لا يليق الفلكُ الأبلقُ مطيَّةً لك ، فليس سوى المجرة الضيقة المسرَّجة بالهلال .

٢٠- أيها الملكُ ، إذا لم يضعْ الفلكُ فرقاً بين أهل الفضل ، فاخترْ أنت الأفضلَ حينئذ .

٢١- لكنْ ما الضيرُ فى ذلك ما دمتَ تعلم وقت العمل مَنْ مثل رداء الأسد ومَنْ مثل ضيغم العرين .

٢٢- مع أنَّ أبناءَ جنسى ذوو يسار ، فإنهم لا يعلمون اليسارَ من اليمين أيضًا.

٢٣- وإنْ لم يملكْ " ابنُ يمين " ذهبًا فما يحزنه فى ذلك ، وهو ينال بيُمن مدحك الجوهرَ الثمين .

٢٤- وإنْ لم يلتفتْ خاطرُهُ صوب الذهب أيضًا ؛ فلأنَّه يناله بعد هـذا بسعى جودك له .

٢٥- وإنْ غَدَرَ الفلكُ الدونُ معى ، فإنَّ الأمرَ سهلٌ ما دمتُ أقطن فى حمى ظلِّ جودك .

٢٦- لقد آلمتُك ، فاعفُ عنِّى بكرم ، حتى أختم ببيتٍ آخر بالدعاء لك .

٢٧- طالما تقيم الحورُ العين فى الخلد الأعلى ، فليكنْ محفلُك مثل الخلد غاصًّا بالحور العين .

وله أيضًا قصيدة فى مدح طغايتَمُور خان (ص ١٣٨ - ١٣٩)

١- يليق وصفُك ببدر السماء فى الصفاء ، ويتسنَّى نعتُك ببهاء الدنيا فى الحُسن.

٢- فلو تعيدنى ثانيةً يا حورَ المحيا إلى بابك ، فهو الخلدُ الدائمُ الذى يتمنَّى فيه مقامى .

٣- يُعد الحديثُ عن استقامة " سرو " البستان لدىَّ معوجًّا ، بالنظر إلى قدك الذى يشبه قدَّ " الصنوبر " .

٤- ولو تقصد روحى فلا يجد ربىَ الحديثُ عن الروح أمام طلعة الحبيب .

٥- يتسنَّى لى القولُ بترك الروح والعالم مسرعًا ، ولا يتسنَّى لى القولُ بترك صحبة الأحباب .

٦- يتسنَّى القولُ بأنَّنى أخرج الصفراء من طبعك بذلك الهوى من دمعى الذى هو بلون ماء الرمان (الدموى) .

٧- وليس ثمة عجبٌ زائدٌ من القول بأنَّ جسدى ناحلٌ مثل سلك طنابِ غيرةً من نبت دُرِّك (أسنانك) .

٨- لو يجتهد مثلُك لنيل الوصال ، لأمكن القولُ بترك الجسد والروح والمتاع لأجله .

٩- ولا يليق من لطيف خفيف الروح مثلك إجابةُ عاشق مسكين بغرور وتكبُّر .

١٠- والآن ، وقد أعطى " ابنُ يمين " طبعَك حقَّه من الغزل ، ووصف خالَ المعشوق وخطَّه وطرَّتَه .

١١- فهو يهيئ قلمَه ويطلق لسانَه ثم ينشئ الغزلَ فى مديح الملك المعظَّم .

١٢- ضياءُ نجم المُلك " طغايْتَمُورخان " ، الذى يمكن وصفُه بحقٍّ بأنَّه الملكُ رمزُ المُلك .

١٣- ويمكن القولُ ، فى وقت البيان ، عن أرض بلاطة : إنَّها لفرط جلاله وجاهه سطحُ السماء .

١٤- والقولُ : إنَّ جنابَ حضرته قد وصلَ من الرِّفعة والقدر إلى منزلة أوج اللا مكان .

١٥- فى يوم الوغى ، لو يأخذ بكفِّه ورقةَ بوص ، فيمكن القولُ : إنَّها من قوَّته رأسُ حربة .

١٦- وأقلُّ عبدٍ يَعْدو فى بلاطه ، يمكن القولُ : إنَّه حاكمٌ على إقليم أعدائه .

١٧- ومن عدله صار الذئبُ هكذا مع الخروف بحيث يمكن القولُ : إنَّه كلبُ حراسة له من الشفقة .

١٨- ومن عظمة جاهك يكون جوابُك للخصم نابعًا من رأى شيخٍ وإقبال شابٍّ ناضج .

١٩- وحين تطأ قدمُك أرضَ العدوّ ، يصل صدى استغاثته إلى عَنان السماء .

٢٠- ولم يصل القولُ : إنَّه ملاذُ أهل الأرض وملكُ الزمان إلى أحدٍ غيرك فى أرجاء العالم كلِّه .

٢١- ويمكن القولُ : إنَّ عطاءَ لحظة بَذْلٍ واحدةٍ لك فى مجلس الأنس بمثابة ذخيرة مائة كنز .

٢٢- سمعتُ من أقوال "السوزنى"[(١)] بيتًا مناسبًا ، مع أننى أستطيع قول ما يشبهه .

٢٣- ولكن لماذا لا أذكره على شاكلة التضمين مادام الكلامُ الحسنُ يمكن قولهُ بلا مقابل ؟!

٢٤- أيكون كذبًا حقًّا أنْ تظهر فى ولاية المَلك بسبب عدله توأمةٌ بين الحمل والذئب ؟

٢٥- أيها الملكُ ملاذَ العالم ، أيها المعتنى بخادمك ، طالما يكون فى الدنيا صنعةُ القول .

٢٦- فسوف أنشد مديحَ جاهك ؛ لأنَّ مديحَ مثلك يطلق لسانى بمائة بيان .

٢٧- فأنت " يوسف " و "سِليمان " الصفة ، وقد صار الدعاءُ لك فريضةً على كلِّ أبناء الإنس والجنّ .

٢٨- طالما يكون القولُ دائمًا فى حضور أهل النهى : إنَّ صفةَ طبع الزعفران (الأصفر) من الأرجوان (الأحمر) .

٢٩- فليكنْ لخصمك من عينه على وجهه الذى يشبه الزعفران (صفرة) ما لا يمكن القولُ عنه : إنَّه ماءُ الأرجوان [(٢)] (حمرة) .

---

(١) أحد شعراء العصر السلجوقى: اشتهر بقول الهزليات وبرع فيها ، ت ٥٦٩هـ . ولنا كتاب عنه بعنوان : السوزنى السمرقندى وشعره الجاد ، دراسة تحليلية نقدية ، طبع مكتبة الشباب ١٩٨٤م .

(٢) أى أنه دمع عينه الدموى وليس ماء الأرجوان حقيقة .

ولـه أيضًا فى مدح تاج الدين على السربدارى (ص ١٣٩ - ١٤٠)

١- حين صارت السعادةُ الأبديةُ قرينةَ المُلك والدين ، فقد استعاد أمرُ المُلك والدين رونقَه ثانية .

٢- وخَبتْ نارُ الفتنة فى الدين والمُلك ، بمثل ماء خنجر قائد المُلك والدين .

٣- تاجُ الملوك " خواجه على " ذلك الذى يكون منه البهاءُ والزينةُ فى الدين والمُلك باستقرار المُلك والدين .

٤- اخضرَّتْ روضةُ الدين وربيعُ المُلك وأينعتْ ، طالما جاء قلمُه سحابًا حاملاً لجوهر المُلك والدين .

٥- علامَ نُحولُ وضَعفُ قلمه الناحل ، إنْ لم يكن لتحمله الدائم على عاتقه حملُ المُلك والدين ؟!

٦- أىُّ ثمنٍ يعادل جوهرَ السيف فى كفِّه ، فلاعجب إنْ صار مشتريًا للمُلك الدين .

٧- فالمشترى ساخنٌ ويعطى الثمن بالجوهر ، فلا تطلب جوهرًا لسوق المُلك، الدين أفضل من هذا .

٨- فقلمُه دائمًا ما ينثر من فيض كفِّه ناثر الدُر جوهرَ المُلك والدين .

٩- يا حامى حمى الدينِ وصَاحبَ المُلك مع أنَّ طالبى المُلك والدين فى الدنيا بلا حدٍّ ولا حصر .

١٠- لم يجد الفلكُ الشيخُ بين الجميع محرمًا لأسرار المُلك والدين سوى دولتك الفتية .

١١- فأصحابُ المُلك والدين جميعًا فى هناء وحبور ، من تلك اللحظة التى كان فيها رأيُك نديمَ المُلك والدين .

١٢- من يُمن عدلك الشامل ، جعلت دولةُ المُلك والدين النابهةُ عينَ الفتنة تغطُ في سُبات النوم .

١٣- ليس ثمة خرابٌ في الدين والمُلك سوى قلب خصمك ، من تلك اللحظة التي عمَّر عدلُك فيها المُلك والدين .

١٤- سحب سيفُك على ربقة الإقرار رأسَ ذلك الذي يكون في قلبه إنكارٌ للمُلك والدين .

١٥- ليس للدين والمُلك اختيارٌ لمختار المُلك والدين أفضل منك إنْ كان هناك اختيار .

١٦- صارت آثارُ سيفك في نظم الدين والمُلك عنوانًا لصحيفة أخبار المُلك والدين .

١٧- يا مَنْ أنت ظلُّ الله ، ويكفيك أنَّ أنوارَ المُلك والدين من شمس رأيك .

١٨- احفظ " ابنَ يمين " في ظلِّ رأفتك ، طالما كانت وتكون وستكون آثارُ المُلك والدين .

١٩- فلم يأتِ ولن يأتي من أقطار المُلك والدين مادحٌ للسلطان مثلي ولا رمزٌ للسلطان مثلك .

٢٠- طالما تكون في الدنيا آثارٌ من الدين والمُلك ، فاحفظْ المُلكَ والدينَ على الأقلِّ بحسن السُمعة .

أيضًا له في مدح نجم الدين عبد العلي (ص ١٤٠)

١- البارحةَ وقت السحر ، خاطبني في مسامع عقلي هاتفٌ من لطف ربِّ العالمين أنْ يا " ابنَ يمين " .

٢- حتَّامَ تعانى فى هذا الزمان بعد راحة ؟! ألا فاستيقظْ من سبات النوم وانهضْ وشاهدْ هذه الدولةَ النابهةَ .

٣- فمدينةُ " فريومد" [١] صارتْ الآن آيةً ، حتى إنَّ الخلدَ الأعلى يتوارى خجلاً منها .

٤- فقلتُ له : مِنْ أين هذا العمارُ لهذه البقعة الخَربة ؟ أخبرْنى إنْ كنتَ تعلم يقينًا هذا المعنى .

٥- فقال : أنا أعلم أنَّه من يُمن مقْدم قائد العهد ، صاحب المُلك المظفر ذلك الذى ليس فى العالم له قرين .

٦- سيدُ الآفاق نجمُ المُلك والدين عبد العلى ، ذلك الذى صار أمرُ المُلك والدين مزينًا به .

٧- صاحبُ الطبع الحرّ كالسَّرو ، والشكل البهى كالورد ، واللسان الذَّرب كالسوسن ، والنفَس العطر كالياسمين .

٨- كلُّ مَنْ يلثم كالخاتم كفَّه المعطاء ، يصبح فى إنعامه كالفصِّ غريقَ الفضَّة والذهب .

٩- لو عاد " حاتم الطائى " إلى الدنيا ثانيةً فى هذه الفترة ، لما أخرج يدهَ أمامه من جيبه .

١٠- تكون الأرضُ مع حزمه ويكون الزمانُ مع عزمه : الأولى سريعةً كالزمان ، والثانى ثابتٌ كالأرض .

١١- وذلك الذى فعلَتْه العصا بالأمس فى يد " موسى " البيضاء ، يفعله اليوم رمحُه فى قلب أعدائه الحقود .

---

(١) هى القرية أو المدينة التى عاش الشاعر فيها ومات ودفن فى ترابها ، كما ذكرنا فى قسم الدراسة .

١٢- ولا يصير خصمُه يوم الهيجاء فى مأمنٍ كالفلك من سهمه ، ولــو كـــان خصمُه بالآلاف مع أقواسهم .

١٣- أيها القائدُ ، لو ينال " ابنُ يمين " عنايةً منك ، فلا يكون أمرهُ فى الخلاء والملأ غيرَ هذا .

١٤- لأنه سيدعو لك فى الخلاء بالدعاء المستجاب ، ويثنى عليك فـــى المـــلأ الثناءَ اللائق .

١٥- وحيثما يطلق لسانَه بالدعاء لدولتك ، فمن إخلاصه يردِّد " الروحُ الأمين " قائلاً : آمين .

١٦- طالما يمكن أن يكون فى العالم شابٌ وشيخٌ ؛ فليكنْ عقلُ الشيخ لك مشيرًا وحظُّ الشابِّ لك قرينًا .

١٧- وحيثما تتجه رايتُك بفضل الخالق ؛ فليكن الفتحُ عن يسارها والنصرةُ عن يمينها .

أيضًا له فى مدح نظام الدين يحيى (ص ١٤١ – ١٤٢)

١- ألا أحضرْ المُدام أيها الساقى ، فالروضةُ كأنها الخلدُ ، والحديقةُ أضاءت بجواهر السحب الداكنة (الأمطار).

٢- وألقى غزالُ السَّرو نافجةً وقَبْله نشرت ريحُ الصَّبا روائحَ نافجة الختن.

٣- وضرب البلبلُ على "النوا" وصفَّق الدُّلب والهَــا ، وانتـــصبتْ الـــشجرةُ الضخمةُ راقصةً طربًا لهذا.

٤- وصارتْ صفحةُ البحيرة كثعبان منفرٍ منذ أن هبَّت عليها دفعةٌ من ريـــاح الصَّبا الملتوية.

٥- وصارتْ زهرةُ الشقائق كأسًا من العقيق الملىء باللؤلؤ العدنى من كثـــرة قطراتْ النَّدى التى تساقطت عليها.

٦- وربما تقول عن أزاهير البستان فى ضياء النجوم : إنَّهم سحبوا المجـــرَّةَ إلى الخميلة.

٧- مَنْ رأى فى الدنيا سيفًا من الزمرد ودرعًا من الجوهر اليمنى سوى ورق الصفصاف وحمرة الورد؟!

٨- وإنْ لم تكن البرعومةُ فى خداع القلب عَندليباً، فلماذا أخذت فى فمها قطعَ الذهب الصغيرة ؟!

٩- وأخذت طرَّةُ المعشوق السوداء وجنتى الصفراء صلةَ النداوة مع زهرة الشنبليد[1] والنرجس؟!

١٠- ذلك المعشوقُ الذى حطَّم عارضَه وطرَّتُه المجعَّدةُ ثمنَ الـــسنبل وســـوق الياسمين.

١١- أنا فى حيرة من طلعته ، فماذا أسميه: أبدرُ التَّم هو أم شمعُ الخميلة؟!

١٢- هو القمرُ إنْ لم يكن القمرُ محاقًا ، وهو الشمعُ معقوذًا علىَ الشمعدان.

١٣- هل رأى أحدٌ مطلقًا البنفسجَ منطلقًا على الياسمين سوى خطِّـــه العنبـــرى ووجنته الآسرة؟!

١٤- مَنْ رأى "السَّرْو" الطليقَ يعلوه ورقُ النسرين سوى قدِّه المتبختر فى دلال وجسده الذى يشبه الحرير؟!

١٥- حرىٌّ به أن يخطو على مقلتَىَّ ؛ لأنَّ الجدولَ حرىٌّ به أنْ يكون موطنًـــا للسَّرْو.

---

(١) زهرة صفراء اللون تشبه الحلبة .

١٦- لقد أسَرَتْ طرَّتُه قلبى المعنى بقسوة الكافر، حين ألقى به بغير سبب فى بئر ذقنه.

١٧- فلو أنَّ شخصًا مثله ألقى به فى بئر ذقنه، فالأمل فى مثل هَذا الحبل (طرَّته) ليتسنى الصعودُ من هذا الجُبِّ.

١٨- صارتْ المدينةُ أسيرةَ فتنته وغوغاء حُسنه ، بينما هو مفتتنٌ بجناب ملك الآفاق.

١٩- حضرة نظام الدولة والملَّة الذى تكون ذاتُه نورًا مجسَّمًا من أنوار ذى المنن.

٢٠- ذلك القائدُ الذى يجعل الوردُ قميصًا طيبَ الرائحة قباءً لجسده حسدًا لرائحة خلقه.

٢١- لو تقاطرتْ قطرةٌ من فيض كفِّه على الثرى، لحملت شجرةُ الطوبى الحسدَ بدلاً من خضراء الدمن.

٢٢- وصار الفلكُ "الأزرقى"[١] والقمرُ والشمسُ "الأنورى"[٢] لأجل الثناء والمديح لقائد ذلك العصر.

٢٣- حين يستحضر الحاسدُ أوجَ جاهه فى خياله ، فإنَّه يهوى بنفسه مثل الجُبِّ غمًّا وحزنًا.

٢٤- العدوُّ الذى يسحبه سيفُه ذلك فى يوم المعركة هو "أهرمن" الذى يسحبه الشهابُ فى الليل بطعنه.

٢٥- يا مَنْ لم تسحق يدُ الوهم أوجَ جلالك ، ويا مَنْ لم تطأ أقدامُ الظَّنِّ ترابَ جنابك.

---

(١) هو أبو بكر زين الدين بن إسماعيل وراق الهروى ، أحد شعراء العصر السلجوقى ت ٤٦٥هـ .

(٢) هو أوحد الدين محمد بن محمد الأنورى ، أحد شعراء العصر السلجوقى ت ٥٨٣هـ.

٢٦- يكون على رأس الأعداء والأولياء يوم الوغى والمحفل مثلُ السحاب ناثر الدُرِّ ومثلُ الشمس الحامية.

٢٧- طالما وضع عدلُك الحافظُ للدين أساسًا لضبط أمور العالم ، فإنَّ الغـزال والكركدن يرعيان في مرعى واحد.

٢٨- وفي حمى بلاطك حيث يسكن النسر، يكون "السيمرغُ" بلا ثبات حقًا مثل الحدأة.

٢٩- "ابنُ يمين" أقلُّ مادح لجاهك، فليكنْ مديحُه مقترنًا بقبولك.

٣٠- وليكنْ جنابُك مرجعًا دائمًا للخلق، في النفـع والـضرِّ والخيـر والـشرِّ والسعادة والحزن.

٣١- وليكنْ دائمًا قلبُ مخالفيك أسود كالحجر، كي يكون حجرَ مـسنٍّ لأجـل خنجرك الجلاد.

قصيدة في مدح تاج الدين على السربداري (ص١٤٢-١٤٣)

١- بشَّرتني السعادةُ وقالتْ : جاء ذلك الزمانُ الذي تصير فـي فتراتـه مـرة أخرى سعيدَ القلب مسرورَ الخاطر.

٢- فقد بدا صفاءُ صبح النصر بفأل سعد ، وتوارى تحت نوره ظـلامُ مـساء النكبة .

٣- مرحى لهذه البشرى المفاجئة التي صافحتْ مسامعَ عقلـي ، فتقـول : إن القمرَ الساطعَ قد تلألأ وسط الليل البهيم .

٤- فماذا قلتُ ؟ لقد قلتُ : أيتها السعادةُ أتبقين حتى الأبد ؛ لأنَّ رمزك يـشير إلى عادة بشرى القلب مع الروح ؟!

٥- فقد حان ذلك الوقتُ الذى يحرِّرُنى فيه ظلُّ الله من حرارة شمس الغمِّ على سبيل الشفقة .

٦- محيطُ مركز الدولة ، فلكُ الحشمة والرفعة ، عالمُ الرأفة والرحمة ، سيدُ إقليم إيران .

٧- له قدرُ " سليمان " ورأىُ " آصف " وتاجُ المُلك والملَّة ، وهو فى العطاء مثلُ "حاتم " وفى العفو يشبه " أنوشيروان " .

٨- له قدرُ الفلك وسيرةُ الملك ، ذلك الملكُ الشهير الذى ينقش الملوكُ تشرفًا اسمَه على فصوص خواتمهم .

٩- جاهُه الذى هو قرينُ العرش على أوج الفلك ، تُعد أدنى درجاته أعلى رتبةً من " زحل " .

١٠- ولا يكون " السعدُ " قاضيًا للعرش فى هذه السماء ، إلا بهذا العمل الذى يعطى فيه حكمُه الأمرَ بالإمضاء .

١١- وقائدُ الصَّفِّ الخامس الذى يُدعى " المريخ " ، يقدِّم خصمَه سيئَ الطوية قربانًا لسيفه قابض الروح .

١٢- تأملْ صفاءَ ذاته الطاهرة على عرش المُلك العريض ، فتظنُّ أنها "شمسٌ" ساطعةٌ على أوج السماء .

١٣- وانبعث عزفُ " الزُهرة الزهراء " الشَّجى من ذلك الجانب ، وهى تشدو مديحَه بمائة لحنٍ على آلة الطرب .

١٤- وحين يكتب " عطارد " رسالةَ فتحه المظفَّر ، يجعل عنوانَها " نصر من الله " .

١٥- ويصبح " القمر " الساطعُ حارسًا على بابه ليل نهار ، ويتخلف عنه لهذا السبب أقرانُه بميدان الفلك (النجوم) .

١٦- وحين يضرب خصمُه خيمةً على الصحراء عازمًا حَرْبَه ، تصير شرايينُ عروقه لسوء بخته طنابًا لعنقه .

١٧- وأتى نسيمُ روضة خُلُقه على تلك الحفرة "للخليل "[١] ، فلو يهبُّ بلطفٍ عليه يومًا تصير النارُ عليه ريحانَ .

١٨- وتهبُّ سمومُ نيران قهره على البحر ، فترى الترابَ والرمادَ فى قعره قد صارا دائرين فى قبَّة السماء .

١٩- أنا لا أقول : إنَّ سحبَ الربيع تشبه يدَه ناثرةَ الدُّر ؛ لأنَّ أصحابَ الكمال اعتبروا هذا مائةَ عيب منِّى .

٢٠- فلو تتسكب رَشْحةٌ من هذا تكون أصلَ السَّعادات ، ولو تسقط قطرةٌ من ذلك تصير رأسَ مال الطوفان .

٢١- يا ملكَ العالم يحمل " ابنُ يمين " جوهرَه إلى بلاطك ، فلا يعرف أحدٌ فى العالم مثلك قيمتَها .

٢٢- أنا أُحسن القولَ وقد خاطبنى عقلى : هذا المتاعُ هناك يشبه سحرَ السامرى لدن موسى بن عمران .

٢٣- فمع أنَّ شعرَك الناصعَ دُرٌّ موزون ، لكنْ ليس من الفطنة حَمْلُ الجوهر صوب عُمَان .

٢٤- بلى ، فمع أنَّ مارآه عقلى صوابٌ ؛ فإن مثلَ هذه السعادة لاتهبط إلى أىِّ شخص بسهولة ويُسر .

٢٥- والآن ، وقد قبَّلتُ ركابك مثل سعيد الحظُّ ؛ فإنَّ عنانَ هذه السعادات لا يتسنى له أنْ يفرَّ من الكفِّ .

---

(١) الحفرة التى أوقدوا فيها نارًا لتحرق خليل الله إبراهيم ﷺ .

٢٦- أنت بحمد الله سلطانٌ على عرش المُلك الفسيح ، وأنا على عرشك مادحٌ مثل " العنصرى" [١] .

٢٧- أنت ذلك الملكُ الذى يعلم كم هو حالى ، فمَنْ أعلم مـــن " الــسلطان " [٢] بفنون " إياز " [٣] .

٢٨- يبقى اسمُك حيًّا خالدًا بشعرى ، ولهذا فأنا أُحيِى اسمَك بماء نبع الحياة .

٢٩- يبقى اسمُ الملوك حيًّا فى الدنيا بالــشاعر ، فمــصباح آل " ســامان " [٤] يستمد ضياءهَ " بالرودكى " [٥].

٣٠- أنا صدحُ البلبل الصدَّاح فى بستان ملكك ، فأعطِ ما يقابل عملــى لأجــل رونق البستان .

٣١- طالما يبدو القمرُ الساطعُ فى أعين الخلق : تارة مثل الكــرة ، وأخــرى كالصولجان على ساحة السماء .

٣٢- فلتكنْ رأسُ خصمك فى ميدان الشقاء مثل الكــرة الحــائرة فــى ثنيــة الصولجان فى كلِّ صورة تراها .

---

(١) الأستاذ العنصرى أبو القاسم حسن بن أحمد ، أحد كبار شعراء المديح للسلطان محمــود الغزنــوى فــى العصر الغزنوى ت ٤٣١هـــ .

(٢) هو السلطان محمود بن سبكتكين الشهير بالسلطان محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية .

(٣) هو إياز غلام السلطان محمود الغزنوى الأثير والشهير ، ولقد خلَّد الشعر الصوفى الفارسى اسمه .

(٤) آل سامان هم مؤسسو الدولة السامانية، أول دولة فارسية قوية حكمت إيران وأسست العصر السامانى .

(٥) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الشهير بالرودكى ، وهو شاعر العصر السامانى الكبيــر ، ويلقــب بــأبى الشعر الفارسى الحديث ت ٣٢٩هـــ .

وله أيضًا فى مدح طغايْتَمُور خان (١٤٣ – ١٤٥)

١- المنّةُ لله ، فعلى غفلة من هذا الزمان الهَرِم وبقوة إقبال الشاب الناضج .

٢- صقل ثَرَى جناب حضرة السلطان الموفق الحُلكةَ من مقلتى مثل الكحل .

٣- حامى حمى الدين " طغايْتَمُورخان " الذى يُنصّب عدلُه الذئبَ حارسًا على قطيع الحملان .

٤- الملكُ الذى لو خالف نواميسَ الطبيعة ، يحكم على كرة الأرض بأن تدور مثل السماء .

٥- وإنْ يرغب ، فإنّه يحكم بأنْ يُسرّج ظهرُ النمر بجلده مرة أخرى .

٦- ورعبًا من قلمه الأصفر ينفجر عصيرُ الرُمان الأحمر (الدماء) من ثقب عين عدوّه .

٧- ولم يرَ أهلُ الحجى فى تجربة أسرار الغيب ترجمانًا أفضل من قلم الملك .

٨- ولو تعبر شرارةٌ واحدةٌ من نيران غضبه وقت الكريهة على لجّة بحر بلا ساحل .

٩- فلا تعجبْ ، أنْ يتنفس الحوتُ نيرانًا من بصاق قهره ويصير مثل " السمندل " (١) من المستنقع .

١٠- ولأجل إعداد جيشه المنصور ، فإنّ الفلكَ يجعل له من الشهاب سهمًا ومن قوس قزح قوسًا .

١١- ويجعل مَلكُ العالم درعَ العدوّ درعًا واسع العين بسهمه الصغير المؤثّر المهْلك .

---

(١) سمندر : عُربت سمندل ، ويقال إنها دابة تعيش فى النار ولا تتأثر بها . (فرهنك عميد).

١٢- وحين يحلّق صقرُ همَّته النجيب عاليًا ؛ فإنه يخطف نِسْرَيْ [١] الفلك من العُشّ .

١٣- ويستبين لى من سيف الملك ورمحه أنهما يمكن أن يجعلا الواحدَ اثنين وأنْ يجمعا الاثنين فى واحد .

١٤- وتضيع عينُ عقاب الحادثة من صقر رايته مثل ضياع " السيمرغ " فى جبل قاف قيروان .

١٥- ألا أيها التركىُّ الثَّملُ ألا أحضرْ كأسَ الطّلّى ، ثمَّ ادعُ المطربين الصادحين .

١٦- حتى يعزفوا نغمةَ "عشَّاق" وينشدوا هذا الغزلَ يوم الدعوة العامة فى محفل الملك المعظَّم .

١٧- " انهضْ يا مَنْ شفاهُك تهب العمرَ الخلودَ، واسكبْ ماءَ الزعفران (الخمر) فى كأس بلون الشقائق (من العقيق) .

١٨- وأشْعِلْ النيرانَ المنصهرةَ (الخمر) فى الماء المتجمِّد (الثلج) وأسْلِمْ حزْنَ الدنيا إلى رياح الفناء مثل التراب .

١٩- من تلك السُّلاف التى لو كان لها من مسامها ترشحٌ ؛ فسوف تجرى قطراتُها على البدن مكان العرق .

٢٠- يطلب المعشوقُ التركىُّ ذو الشفاه الندية الروحَ مقابل قُبلة ؛ فلتكنْ فداءً له بلا ثمن أيضًا لو يأخذها .

---

(١) اسم نجمين فى السماء : الأول النسر الطائر ، والثانى النسر الواقع. (فرهنك عميد) .

٢١- يا مَنْ صار جسدى أكثر نحولاً من خَيطٍ حَريرىٍّ ، عشقًا لشَعْرك الحريرىِّ الأسود .

٢٢- حان وقتُ الطرب فلم يعد فى الدنيا دليلٌ معنوى على الأعداء أمام اسم الملك .

٢٣- وهكذا فثمالةُ [١] الخمر بشدة تأثيرها تجعل العقلَ غافلاً والرءوسَ ثقيلةً .

٢٤- فتخال أن الصفاءَ والطربَ الزائدين قد اختلطا فى روح الكَرْم الذى له طبعُ الزعفران .

٢٥- فالكأس وقت الخريف تكون مثل فصل الربيع ؛ إذْ تربِّى الروحَ مثل حمرة شفاه المعشوق المنعشة .

٢٦- وتصير فى يد الساقى الذى ينعكس جمالُه عليها طلاءً أزرقَ مثل نخاع العظام .

٢٧- خاصةً فى محفل الملك البهيج الذى يكون لطفهُ مادةً واهبةَ الروح مثل أنفاس المسيح .

٢٨- ملكُ العالم " طغايتَمُورخان " الذى يكون حكمُه فى الكائنات مظهرًا لآية "كن فكان" [٢] .

٢٩- يا شمسَ المُلك لـ " ابن يمين " من زمنٍ مكانٌ تحت ظلِّ ألطافك .

٣٠- فاشملْه بالأمان فى ظل عنايتك من حرارة شمس غمِّ الدَّهر .

---

(١) الثمالة : ما تبقى فى كأس الخمر ، وتكون أشد تأثيرًا فى السُّكْر ، ويقال شربت الكأس حتى ثمالتها ؛ أى ما ترسب فيها .

(٢) يبدو أنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران آية ٤٧).

٣١- طالما يحمل فى مديحك إلى أوج الفلك شعرًا يكون كوكبُ " الشِعرى " لــه توأمًا .

٣٢- لو تَهتمُّ شمسُك بحرارة العناية ، ما كان لضوء القمر ظفرٌ زائدٌ على الكتان.

٣٣- طالما تكون روضةُ الفلك مزدهرةً بأزاهير الكائنات على نمط روضة الدنيا.

٣٤- فليكنْ وردُ مرادك فى ربيع العمر الغضِّ نضِرًا ومزدهرًا وخاليًا مــن آفــة الخريف .

أيضًا له فى مدح علاء الدين محمد (ص ١٤٥ - ١٤٦)

١- أنا صاحبُ اللسان البتَّار كالسيف فى القول ، وصارت صورةُ جــوهره دُرُّ القول النفيس .

٢- هو لا يطلق سراحَ الأيَّام ، ولو أنَّنى أحلُّ به بمعاونة الفكر القيدَ عن أمــر القول .

٣- وحين يصطفُّ مبارزو القول للجدال ، فالعقلُ لا يدعونى إلاَّ لأنَّنى فارسُ القول المقدام .

٤- أنا الذى يزيِّن خاطرى عروسَ المعنى البضَّةَ وقت الجلوة بنقش القول .

٥- لقد أطلق الدَّهرُ التعدِّى على أهل الفضل حتى أغلق أمامهم مَعْبَرَ القــول حسدًا .

٦- وتسحبُ الزُّهرةُ بعد ذلك إلى دكان الفضل طرازًا من الشعر على شــعار القول .

٧- فلولا عنايةُ ملك العصر لا نسكب على الأرض ماءُ القول العذب .

٨- فلكُ الحشمة والرفعة "علاءُ الدولة والدين " الذى يكون مدارُ القول حــول مركز مديحه .

٩- " محمد بنُ محمد " الذى رأى اشتهارَ القول فى ممالك الفضل يعود إلـــى عظمة مديحه .

١٠- القولُ الذى لا يكون فى صفات كماله ، لا يُعدُّ لدى أرباب القول من عداد القول .

١١- لقد نسج مهندسُ الفكر فى دكان سجيته الداخلية كسوةَ مديحه بلُحمة القول وسداه .

١٢- لا ينمو بوصُ قصب السُّكَّر على كافة أطراف جدول القول مثل بوص قلم لسانه العنبرى .

١٣- يمتلئ فلكُ الفضل بالكواكب الدُرِّية ، حين يُلقى من نيران طبعـــه شـــررَ القول .

١٤- لو تصل رائحةُ فضله إلى النفس النامية ؛ فسوف يجد لسانُ السوسن منه اقتدارَ القول .

١٥- مرحى المحلُّ الرفيع للنفس الناطقة ، فلا يزدهر وردٌ مثل مدحك فى ربيع القول .

١٦- أنت الذى ضرب صائغُ الفطرة سَكَّةَ المدح باسمك الطيب على الذهب مع عيار القول .

١٧- فى بلاطك الذى هو سوقُ جوهر الفضل يفتح قائدُ قافلة الفـــضل حمـــلَ القول .

١٨- الآن ، حين يكون قلمُك معمارَ خطَّة الفضل ، فلن تصير ديـــارُ القـــول خربةً بعد هذا .

١٩- وحين يؤدى قلمُك حادُّ اللسان قولاً ؛ فيليق بـــالنفس الناطقـــة أنْ تنثـــر الأرواحَ بالقول .

٢٠- وحين يصير خاطرُك بحرًا متلاطمَ الموج ، يمتلئ ساحلُ الفــضل بــدُرِّ القول النفيس .

٢١- أرى الكرمَ يسقط مــن سُحب كفِّك فى عام القحط إلى مستقر نبــع مــاء القول .

٢٢- أيها الملكُ المعظَّم ، حين يكون " ابنُ يمين " مادحك ، يكون لــه يــسارُ القول من يُمن مدحك .

٢٣- لأنَّ أهلَ الفضل يعترفون بهذا الشّعر ، الذى ليس مثله اليوم قولٌ موفَّق .

٢٤- طالما لا يُجلسون مــن اللَّطافة عروسَ المعنى وقت الجلوة فى حــضن القول .

٢٥- فلتكنْ عروسُ المدح حسناءُ الوجه فى حضنك ؛ فليس فى الدنيا راغــبٌ فى القول مثلك .

أيضًا قصيدة فى مدح وجيه الدين مسعود (ص ١٤٦-١٤٧)

١- لستُ أدرى ، أصبغةٌ من الله هذى أم حُمرة الشراب؟ لكنّ الراحَ ليــستْ بهذا اللون ، فلعلَّها ياقوتٌ مذاب.

٢- لقد انسكبت المدامُ المشعَّةُ مسرعةً من الإبريق صوب الكأس ، فتظنّ أنَّها شهابٌ يرصد شيطانَ الحزن.

٣- حينما يتلألأ الحَبابُ على صفحة كأس الطِّلى يقول العقلُ إنَّ سهيلاً أشرق مسرعًا على وجه الشمس الساطعة.

٤- ما أحلى السُّلافَ الصافيةَ مثل ماء الذهب فى كأس نصفىٍّ فضىٍّ؛ فــتظنُّ ذلك هلالاً فى داخله تلك الشمس.

٥- حين أخذ وجهُ الساقى القمرى يتصبب عرقًا من كأس الخمر، فكأنما من لونها ورائحتها أنْ تقول هذا ماءُ الورد على الورد.

٦- طلبتُ من الساقى ماءً فأعطانى شراباً أحمرَ، فقلتُ له بلطف : أيها المحبوبُ هذا ليس ماءً إنْ هو إلاَّ شراب.

٧- فقال : خذْ يا "ابنَ يمين" هذا ماءٌ ولكنْ انعكس فيه وجهى فتخال أنَّه شراب.

٨- فقلتُ: صار وجهُك من الخمر مثل القمر المضىء فقال : لا ولكنْ من ضياء شمس رأى المَلك الموفق.

٩- الملكُ العادل "وجيه المُلك والدين مسعود" ذلك الذى يقول عنه العقلُ إنَّ البحرَ سرابٌ أمام كفِّه (المعطاء).

١٠- الفلكُ فى مواجهة عزمه والأرضُ أمام حزمه، فهذا مثلُ التراب فى الثَّبات وذلك مثلُ الرياح فى السرعة.

١١- حينما يرى العدوُّ لمعانَ سيفه يقول فى حيرة: إذا كان ماءً فلماذا هو فى اشتعال مثل النار؟!

١٢- ودائماً ما حسبتُ مع نفسى حسابَ كرمه فقال للفلك : لا ترهقْ نفسك لأنَّ هذا يَخرج عن حيِّز الحُسبان.

١٣- إذا انساب دُرُّ الجوهر المنثور من كفِّه يوم المحفل، فلعلَّك تتخيل لكثرته أنَّه فيضُ سحاب.

١٤- يا شبيهَ الفلك قدرًا حينما تطيح رأسَ العدوِّ بسيف الانتقام يأتى ذلك على صورة ماء النيل وقد علا الحبابُ صفحتَه.

١٥- يقع خصمُك هكذا عاجزًا تحت أقدام فرسك الضخم؛ لأنَّ كلَّ شخص يراه يقول : هذا حمارٌ فى الطين.

١٦- رغب الفلكُ فى أن يسحب عنقَه من ربقة حُكْمك فقال القــضاءُ لــه : ألا تخشى الملكَ مالكَ الرقاب هذا؟

١٧- معاذ الله : إذا ما بدر خطأ من قلمك، وإذا حدث هذا فيقول الفلكُ : هــذا صوابٌ خشيةً من سيفك الشبيه بالبرق.

١٨- قررَّ سهمُك خَراجَ الحزنِ على قلب خصمك، فالتاجُ صائحًا : أيها الملكُ ، هذا خرابٌ ... هذا خراب.

١٩- يا مالكَ العالم هذه العظمةُ التى قبَّلتْها لجنابك لا أدرى هل أراها فى يقظة أم فى وسن النوم.

٢٠- يقول الفلكُ بعذرٍ إنَّه آلمنى فترة ، ثم دلَّنى على بلاطك الذى هو مثل جنَّة الله.

٢١- فلتبقَ خالدًا ، وأنا أعلم أنَّك ستبقى، ذلك أنَّ الدعاءَ بصلاح أهــل العــالم مستجابٌ لدى الحقِّ.

أيضًا له فى مدح شمس الدين محمد (ص١٤٧-١٤٨)

١- يا "ابنَ يمين" صارت الدولةُ وقت الشيخوخة شابةً فتيةً ؛ فقد نشر شــمسُ المُلك والدين ظلَّه عليها.

٢- الملكُ العادلُ الأميرُ رمزُ المُلك الذى من فرط عدلــه تــصير الحمامــةُ والشاهين قرينين فى المحبَّة .

٣- شمسُ المُلك والدين محمدٌ ذلك الذى يأتيه الثناءُ يوم الــوغى مــن روح "حيدر الكرَّار"[1] .

---

(١) هو سيدنا على بن أبى طالب الشهير بحيدر ، والكرّار لكثرة كرّه على أعدائه.

٤- ذلك الذى من فرط إنصافه يصير الذئبُ المفترسُ فى الحفاظ على الحَمل حارسًا أمينًا كالكلب.

٥- فى عهد عدلك على وجه البسيطة يأتى إلى سماعك صوتُ جرس الصقر المتظلم من القطاة .

٦- ويصنع سهمُه لجامًا على عنق الأسد الشرس الهصور، ويأتى بجلد النمر ويجعله سرجًا على ظهره (أى النمر) .

٧- وحين أحصى على صفحة الورق وصفَ خُلُقه ، يصير للقلم لسانٌ عنبرى من طيب خَلْقه.

٨- كلُّ مَنْ يلثم يدَه مثل الخاتم مرة واحدة ، يكون له مستقرٌّ مثل الفصِّ على عرش الذهب طالما هو موجود.

٩- ولو ينال السحابُ مددًا من بحر يده الفياض، فإنَّ كلَّ قطرة من قطراتــه تصير دُرًّا ثمينًا.

١٠- أرى دائمًا من فيض يده ناثرة الدُّرِّ ، أنَّ سيفَه يوم الكريهة ينثر الجــوهرَ على رأس أعدائه.

١١- وتقتلع أنَّاتُ حاسديه المتألمة المصحوبة بأصوات الحزن جذورَ الحزن من القلب مثل اليابس.

١٢- فى يوم الوغى يصدر من قوس الفلك صوتُ استحسان ، حــين يطلــق شصُّه من كمينه سهمًا نافذًا.

١٣- أيها الملكُ، اعتَنِ بـــ "ابن يمين" ؛ ذلك لأنَّ مديحَ الملك صار في الــدنيا ختمًا على "ابن يمين".

١٤- لو كان فى قلب أحدٍ إنكارٌ لهذه الدعوى ، ولو يرغب فى أن يصير صدقُ هذا القول يقينًا له .

١٥- فقلْ له : انظرْ صوبَ شعرى ولكنْ ليس عن طريق العناد حتــى تــرى لفظَه الفصيح ومعناه القوى.

١٦- فملْكُ القول هو ملكٌ خاصٌ دون مانع ، ويصير قرينًا للطفك يوم الــدعوة العامةِ ولو للحظة واحدة .

١٧- طالما يكون للنصر وللفتح فى الدنيا اسمٌ ودليل ، وطالما لا تتيسر الأمورُ بدونهما.

١٨- فحين تتجه رايتُك صوبَ مُلك الأعداء، فليكنُ الفتحُ والنصرُ كلاهما على يسارها ويمينها.

١٩- وحين جاء الدعاءُ لدولتك لصلاح المُلك والدين ، فسوف يأتيه من الروح الأمين بمائة إخلاص قول : آمين.

أيضًا له فى مدح الوزير علاء الدين (ص ١٤٨- ١٤٩)

١- لا يغيب عن خاطرى مطلقًا ، هوى ذلك القمرىُّ الوجه والعنبرىُّ الطُرَّة.

٢- فأنا غلامُ ذلك الحبيب الذى حين يُطلُّ برأسه من سَتْره وقت السحر، فهو بالطالع الميمون.

٣- فمن الجائز أنْ تبدو شمسٌ أخرى من صورة وجهه على مرآة الفلك.

٤- فخاطبتُه وقلتُ له: ألا فأعطنى قُبلةً، وخذْ الروحَ عوضًا عنها، ولو أنَّهــا مخضَّبةٌ بالدماء.

٥- فأجاب : ألا فأخْرِجْ هذا الهوسَ من رأسك؛ فإنَّه علامةُ جنون، والجنــونُ فنون.

٦- حين يصير فرعُ السنبل الندىُّ (الطُرَّة) مجدولاً على الياسمين (الصدر) ، يصبح ألفُ قلب مفتونًا بكلِّ شعرة له.

٧- وجبهتُه العريضةُ مشرقةٌ كالنهار وطرَّتُه سوداءُ كالليل ، بما يجعل عقلاء العالم فى جنون دائم.

٨- وحين تحرِّك ريحُ الصَّبا طرَّتَه المجدولةَ ، يميل العقلُ فى أنْ ينحو برأسه صوب الجنون.

٩- لقد صار قَدِّى الذى يشبه الألفَ مَحْنيًا مثل النون من عشق ذلك الفمِ الذى يشبه الميم والطُّرَّة التى هى مثل الجيم.

١٠- وحين تهفو ذكرى نبع حيوانه (عينه) على قلبى، يصير نهـرُ "جيحـون" خجلاً من موج نبع عينى المتدفق .

١١- حرىٌّ بداء قلبى أنْ يقبل الدواءَ ، لو وصل إليه معجونٌ من وعاء ياقوته (شفاهه).

١٢- مع أنَّ جبينَ معشوقى هو بدرُ التِّم ، فإنَّ حسنَه يزيد مثل الهلال يومًا بعد يوم.

١٣- ولأنَّ ذلك القمرىَّ الوجه يَجُورُ دائمًا على قلبى ، فحـرىٌ بـى الآن أنْ أعرض حالى.

١٤- أمامَ سيد العالم "علاء الدولة والدين" ، فلتكنْ شمسُ جلاله مصونةً دائمًا من الزوال.

١٥- وقتَ العزم يَهَبُ الترابَ السرعةَ مثا الرياح، ووقتَ الحزم يَهَبُ الريـاحَ السكونَ مثل التراب.

١٦- صار جوادُ الدهر الأبلق خاضعًا ليد سائِس عدله ، مع أنَّه جوادٌ جـامحٌ سيئُ الطبع شرسٌ وحرون.

١٧- أعطى طبيبُ دار شفاء عدله الحاذقُ نباتَ الأفيون إلى الفتنة لأجل نجـاة الخلق.

١٨- لأجل موكب جاهه بحكم "كن فيكون"، صار الهلالُ نعلاً وأطلسُ الفلك سرجًا.

١٩- ولأجل خيمة جاهه صنع الفلكُ من خيط الفجر طنابًا ومن عمود الصبح دعامةً.

٢٠- لو يرفع عدوُّه رأسَه مثل "النمرود" إلى القمر، فإنَّ السماءَ تخسف به مثل "قارون" إلى الأرض.

٢١- أول كسوة لخصمك هى كَفَنٌ مثل ما على دود القَزّ ، فلا تنظرْ إلى أنَّها كسوةٌ من الأطلس والحرير.

٢٢- ثمنُ نبات كراث يومٍ واحد على مائدة همَّته، يعادل ذلك المخزونَ الذى يذْخَرُبه البحرُ والمنجم.

٢٣- معالمُ كرمه فى عهده قانون ، لأنَّ فيضَ السحاب هو مختصرٌ من ذلك القانون.

٢٤- ألفٌ واحدةٌ لا تكفى للحديث عن فضائله ، لو أشحن ألفَ مجلد لذلك.

٢٥- حين تهيئ حكمتُك تقريرًا مُنَمقًا بالبيان ، يُقبل ألفُ "أفلاطون" عليه للإفادة .

٢٦- أيها الوزيرُ المعظَّمُ ، أنت الذى لا يُبقى خاطرُك أمرًا مشكلاً صعبًا؛ لأنَّه لا يعجز عن ذلك.

٢٧- ويعلم ضميرُك المستنير عن طريق الكشف ما السّرُّ الخفىُّ خلف أستار الفلك.

٢٨- قهرَ الدَّهرُ خصمك بحجر الاحتياج، مع أنَّ الحجرَ يعلو رقبتَه مثل سَنَام الجمل.

٢٩- حَمْلُ القول إليك كمَنْ يحمل الكمونَ صوب مدينة كرمان.

٣٠- ينال "ابنُ يمين" اليسارَ من يُمن مدحك ؛ لأنه ملأ العالمَ أجمع بـاللؤلؤ الموزون.

٣١- الدعاءُ لجاهك أولى مِنْ كلٍّ ما أقوله ؛ فـلا كـان دعـائى إلا مقرونًـا بالإجابة.

٣٢- طالما يكون الفلكُ أحدبَ الظهر حائرًا مثل الحرباء غيـرةً مـن رفعـة جاهك.

٣٣- فالشخصُ الذى لا يكون مستقيمًا معك على سَمْتك ؛ فليكنْ أحدبَ القامـة حائرًا مثل الفلك.

وله أيضًا فى مدح علاء الدين حسين (ص١٤٩-١٥٠)

١- ألفُ شكر وثناء لخالق الثقلين الذى أعادنى بلطفه قريرَ العين.

٢- إلى نور الطلعة الميمونة لقدوة النُقباء ، الممدوح سـيد الأبنـاء مفـرق الثقلين.

٣- شمس الفلك عالم الفتوة روح الكرم "علاء الدولة والدين حسين" أفـضل زمانه.

٤- الأمير المعظَّم الذى يكون أداءُ واجب حكمه فريضةً مثل الـدين واجبـة القضاء فى كل وقت .

٥- لو استلَّ سيفَه على قمَّة الجبل على سبيل المثال، فإنَّ اللُّجينَ يصير زئبقًا من فرط اهتزازه.

٦- تخبرنى قبضتُه وسيفُه وقت المعركة بـ "ذو الفقار" وكـفِّ المرتـضى وحرب الحسين .

٧- ولو يطلب صديقُه العونَ لدفع العدوّ ؛ فإنّه يثب كالبرق مـن مكانـه ولا يخشى هذا وذلك.

٨- إنَّ مَنْ يعبر الشرطين[١] إلى البطين[٢] لا يجرؤ أنْ يمضي إلى وجه القمر ما لم يكن بحكمه.

٩- ولو تطلب "السُّها" عونًا من شعاع رأيه ، تصير صورةُ عينها مختفيةً تحت شعاعه.

١٠- ويكون مسكنُ العين داخلَ قلعة محصَّنة ، خوفًا من كفّه المعطاء نـاثرة الجوهر.

١١- ليس لعدوّه وقت الطرب سماعٌ إلاّ لأنين الزير والبَم الصادر من غـراب البين.

١٢- لو يطلب عدوُّه أملَ القلب ، فإنَّ رجعتَه من الساحة لسوء حظّـه تكـون بخُفَّ حنين.

١٣- إذا شاركه سيدٌ في النَّسب ، فيكفيه فضيلةُ حسبه، فانظرْ إلى هذا التفاوت.

١٤- فمع أنَّ العينَ والغينَ متماثلتان سويًّا في الشكل ، فإنَّ الغينَ تزيـد عـن العين بتسعمائة وثلاثين[٣].

١٥- أيها الأميرُ ملاذَ الفضل، ليس لـ "ابن يمين" حتى الآن عملٌ سوى نـشر مديحك.

١٦- فعروسُ مدحك تتعرى وقت الجلوة في حجلة طبيعتي من كسوة الشين.

---

(١) هما شرط الضمان والشرط المعدل في التعامل بين الناس .

(٢) منزل من منازل القمر .

(٣) أعتقد أنه يقصد حساب الجمل؛ لأنّ العين بـ ٧٠ والغين بـ ١٠٠٠ فيكون الباقي ٩٣٠ كما قال تماما.

١٧- ولو يعقدون الزينةَ عليها بقبولك ، فإنّ الحورَ تخجل من كثرة زينتها وتهبها من حسنها حُسنًا.

١٨- لا شك أنَّ ضميرك النقيَّ مطَّلعٌ ؛ لأنَّني في هذه القضية لا أسلك المسالكَ المهينة .

١٩- طالما يكون دائمًا في الدهر أثرٌ من العين ، فلا كان من عدوك أثرٌ في الدهر ولا عينٌ فيه.

وله أيضًا (ص١٥٠-١٥١)

١- يا ربُّ ، ما سببُ أنَّ الوزيرَ رمزَ المُلك حضرةَ جلال الدولة والدين آصفَ العهد .

٢- شمسَ فلك العلم وروحَ الفضل ودنياه حامي المُلك والملَّة وراعي الإنس والجان .

٣- لم يسأل يومًا عن مولاه "ابن يمين" شفقةً ومرحمةً ويقول : يا فلانُ.

٤- كيف حالك ؟ وماذا تفعل؟ وما عزمُك في هذا الموسم تجاه جناب الملَك المعظَّم ؟

٥- سلطانُ نظام الدولة والدين الملَكُ واهبُ التاج الذي يكون أساسُ عرشه على السماء مِنْ قدره .

٦- يا مَنْ صار السِّرُّ الخبيءُ في حُجب السَّماء ظاهرًا أمام رأيك الأنور .

٧- أنا أسأل سؤالاً وأنا منشرحُ الخاطر ، فهلاَّ شرَّفتني بجوابك اللطيف عليه؟

٨- ورأيكُ اليوم هو المفتي لشرع المكرمة ، أتكون شهرة الدنيا لائقةً لمثلي؟

٩- فأنا على أعتاب حضرة شمس المُلك والدين أكون مثل الذَّرَّة فى الظِّل بلا علامة .

١٠- خاصةً أنَّ مثلك الآن هو الراعى للفضل ، والملكُ العادلُ والبطلُ والمغوارُ فى المُلك .

١١- إنْ لم تعرضْ حالى على رأى المَلك ، سيصل صياحى واستغاثتى إلى الفلك سريعًا .

١٢- طالما يكون فى الدنيا أثرٌ من أهلها ، فلا كانت الدنيا مقامًا للملوك العظام بدونك .

وله أيضًا (ص١٥١-١٥٢)

١- تُعدُّ رؤيةُ محياك الآسر فى الصباح ميمونةً مثل طلعة لقائك البهيَّة.

٢- إمبراطورَ الأرض والعهد ، تاج المُلك والدين ، يا مَنْ ترابُ أعتابك تاجٌ لملوك العصر .

٣- المنَّةُ لله أنْ طالعتُ مرةً أخرى بفألِ سعدٍ جمالَ الصبح المتَّصف بصفاتك.

٤- طالما تكون المملكةُ على سرير عرش المُلك ، فلن يتقدم لها صهرٌ بعظمتك وبهائك.

٥- ومهما يكون أطلسُ علَم الفلك موشًّى بالذهب ، فإنَّه لا يليق بطانةً لردائك حقًّا .

٦- صُنع للمعراج سبعُ درجات حتى يصل "زحلُ" إلى حراسة سقف قصرك.

٧- وتَحنى "الشمسُ" رأسَها كالعبد كلَّ سحر خلفك نيلاً للشرف .

٨- وقال قاضى الأفلاك "المشترى" للقَدر أمامك : إنَّ توقيعَه مثبتٌ لحكم قضائك.

٩- حين يحظى خلقُ العالم منك بالعدل والعطاء، فإنَّ المُلك المؤبَّدَ من الخالق لائقٌ بك.

١٠- أهل العصر جميعًا رجالاً كانوا أو نساء ، صاروا عبيدَ إحسانك وإمـاءَ لك.

١١- قضى الله لك حاكمًا للدنيا ، وحُكْمٌ كهذا لا يصدر إلاَّ من الله لك .

١٢- طالما يرغب خصمك فى أنْ يصير مثلك قال له القضاءُ : هــذه أيـضًا واحدةٌ أخرى من أمورك الخطأ.

١٣- وحين لا يكون لأحد فى الدهر مجالٌ لأنْ يفعل ما يخالف رأيك ورضاك.

١٤- فقُل "للسماء" التى تدور بالقضاء : مَنْ ذلك الذى لا يجعله القدرُ لأجلك ؟

١٥- يفور الماءُ بالنار لو تَمرُّ عليه حرارةٌ من نيران غضبك المذيب للروح .

١٦- يسلب سنُّ رمحك السالب لحربة العدوّ حلَقًا مِنْ أذن "الزهراء" بخفةٍ.

١٧- صارت "الشمسُ" غازيةَ العالم من ذلك السيف الذى يكون صورةً من برق خنجرك المرصَّع بالجوهر.

١٨- يصنع سنُّ سنان خنجرك ماضغَ الفولاذ درعًا يشبه الدرعَ علـى صـدر عدوّك .

١٩- حين تقوم كفُّ يدك البيضاء بأمر السَّخاء ، يصير "قارونُ" شحاذًا أمـام بلاط جودك.

٢٠- كلُّ عطاءٍ يَهْمى به سحابُ الربيع دائمًا ، هو فى جملته مجردُ قطرة مـن بحر عطائك .

٢١- أيها الملكُ ، لقلبى أملٌ استولى على الروح حين رأى المحنةَ شوقًا إلـى لقائك.

٢٢- وحين هبَّتْ علىَّ نسمةٌ من عاطفتك المنعشة ، تجددت حياتى مرة أخرى.

٢٣- مَنْ أنا ؟ وأىُّ درجةٍ لىَ حتى تحين التفاتَةٌ مِنْ رأيك نحوى تكرمًا منه ؟
٢٤- لو تُلقى بظلِّك على الشمس تصير من فرط نشوتها راقصةً مثل الذَّرة فى فضائك.
٢٥- ولو يعرف "ابنُ يمين" متفاخرًا ؛ فهذا جائزٌ له ؛ فهو يفعل ذلــك بـيُمن مدائحه لك.
٢٦- وبلغ الحسَدُ بسَهْم الفلك مِنْ ببغاء طبعى حين ينشد مدائَحك ، أنْ وقع فى القوس مثل الغراب .
٢٧- أيها الملكُ حين صرتُ خادمًا لك من الروح والقلب؛ فكيف لا أدعو لــك من الروح والقلب ؟
٢٨- طالما لا يكون فى الدنيا بقاءٌ بغير فناء ؛ فليكنْ الفناءُ للخصم من البقــاء لك.

قصيدة أيضًا له (ص ١٥٢-١٥٣)

١- حقًّا ، ما إنْ أشاهد جمالَ الملك ثانيةً ، حتى أسعد بطلعــة فــأل الملــك البهيجة.
٢- أين ذلك الحظُّ وأنا أكحّل عينى بتراب أعتاب جاه الملك وجلاله ؟!
٣- وأين ذلك الإقبال إذْ يشرّفنى ثانية بلطف وحسن التَّحاور مع الملك ؟
٤- سيظل فؤادى فى نشوة كاملة لا تنقص حتى يوم الحشر ، إنْ شاهدتُ ذات ليلة فى النوم جمالَ الملك .
٥- أحقًّا سوف يتحدَّد ثانيةً فى هذه الدنيا تواترُ برّ الملك ونواله فى حقِّى؟

٦- لا..لا، كيف لـــ "بيدق" مثلى أن يصل من "حصان" مراده فـــى وصـــال "الملك" مثل "الوزير"[1] .

٧- أنا لا يغيب عن عين قلبى مطلقًا وحتى الأبد لطفُ شمائل الملك الطيبـــة وحسنُ مقاله .

٨- فذلك الفضلُ الذى تتغنى به النفسُ الناطقةُ وقت الفصاحة هو من ارتجال الملك .

٩- ملكُ العالم مثل العقل الكُلىّ بلا نظير ، وكُل ما هو مستحسنٌ يكون مـــن خصال الملك .

١٠- ربما يكون الفلكُ أحولاً وينظر بمائة ألف عين حين يرى للملك نظيرًا .

١١- وضع الله عِنان خير المملكة وشرّها فى يد حظٌ الذى لم يزل ولا يـــزال ملكًا .

١٢- تكون السعادةُ نديمةَ الملك في وقت الاستقرار ، والفتحُ والظّفـــرُ قرينيـــه وقت الارتحال والغزو.

١٣- لا يُحضر القضاءُ الخلقَ إلى الوجود من العدم ، طالما لم يعـــدهم بمـــال الملك ونواله .

١٤- هواءُ العدم يجعل ترابَ وجود الخصم بسيف الملك البتّار نيرانًا مشتعلةً.

١٥- وبناءً على رغبة الملك ، تكون دماءُ خصمه دَعىِّ النسب مهدرةً بإجماع أهل العقل.

١٦- وقت قتال الملك ، تُصاب الشمسُ عن بُعد أمام جيشه المقاتل بالارتعـــاد مثل الرمح.

---

(١) ألفاظ "البيدق والحصان والملك والوزير" ، استمدها الشاعر هنا من رقعة الشطرنج لخدمة المعنـــى الـــذى يهدف إليه.

١٧- لو تعرف النفسُ الناطقةُ بالفصاحة متفاخرةً ، تصاب بالعُجمة وقت وصف كمال الملك .

١٨- تمضى الشمسُ تحت ظلِّ مظلّته، وقِسْ على ذلك لها هناك بمثـل حـال الملك .

١٩- أيها الملكُ شكواى من الفلك بلا حصر ، لكنْ لن أبوح بها خشيةَ إصـابة الملك بالملل.

٢٠- لم تهدأ نيرانُ قلبى مطلقًا للحظة ، طالما أنا بعيدٌ عن خطاب الملك الـذى يشبه الماءَ الزلال.

٢١- يا ربُّ كان لىَ عزُّ السعادة ثانيةً بغير الذهاب إلى الملك رغم أنف الدهر .

٢٢- أرى يوم الدعوة العامة أننى أقف أمام عرش مديح الملك بغير انتحال .

٢٣- مع أنَّ "ابنَ يمين" يعانى كثيرًا فى بعاده عن جناب الملك الذى يشبه بُعـد الفلك .

٢٤- لكنَّ غمَّ الدنيا لا يكون غيرَ سعادة تلك اللحظة المباركة التى ترى جمـال الملك.

٢٥- طالما يوجد الصبحُ والمساءُ والنهارُ والليلُ والعامُ والشهرُ ، فلا كان أمرُ الفلك إلا بالامتثال للملك.

٢٦- فليكنْ طلوعُ نجم الإقبال والبهجة للملك فى الصبح والمساء والنهار والليل والشهر والعام .

أيضًا له فى مدح علاء الدين محمد (ص١٥٣-١٥٤)

١- لو أحظى بقُبلةٍ من ذلك التركىِّ المعشوق ؛ أكون قد ظفرتُ بقُبلة من حور هذه الدنيا.

٢- فإنْ عارضَه قمرٌ على سماء اللَّطافة ، فما الضرُ لو يمنح قمرُ الزمان ذلك قُبلةً.

٣- فلو أخفَى مُحيَّاه تدلُّلاً ؛ فقد أخفى القُبلةَ وطبع عليه رمزَ القُبلة.

٤- لقد لثمتُ شفاهَه الياقوتيةَ فى النوم خِلْسَةً ، ولا يزال حتى الآن مذاقُ تلك القُبلة فى حديثى.

٥- لقد سألتُه قُبلةً فأجابنى : إنَّ أحدًا لم يطلب قُبلةً من الحِسان بلا ثمن.

٦- فعرضتُ أنْ أشريها بالروح ، لكنَّه يقول دائمًا : يا فلانُ ، أنا لا أبيع القُبلةَ بهذا الثمن .

٧- جمالُ الحبيب مثلُ الشمع وأنا مثلُ الفراشة ؛ فليس ثمة عجبٌ أنْ أشرى القُبلةَ بالروح.

٨- صرتُ ألثم قدمَه قانعًا منها بأنَّها مثلُ طُرَّته ، فهكذا حظِّى ألاَّ أنال من فمه القُبلةَ.

٩- وصار فمى مليئًا بالجوهر مثل عينى من تلك اللَّحظة التى لثم فيها كفَّ الوزير الموفق.

١٠- الوزيرُ رمزُ المُلك، آصفُ سليمان ،المعظمُ الذى قبَّل الإنسُ والجنُ ترابَ أعتابه.

١١- "علاء الدولة" والملَّة الذى يضع البحرُ والمنجم دائمًا القُبلةَ أمام يده وقلبه بتعظيم .

١٢- ولو يُقَبِّل الغنىُ يدهَ ناثرةَ الدُرِّ فى النوم ، يصير بالدُرِّ السائلُ مثل البحر.

١٣- ومن فرط عدله فإنَّ الأسدَ يقبِّل عينَ المَها بمحبة مثل عاشقٍ لشفاه معشوق.

١٤- دخلت عروسُ مملكته فى طوق الزواج ؛ لأنها قبّلتْ شفاه سيفه ورأسَ رمحه.

١٥- رشق سنُّ الحربة فى عين خصمه ثانيةً ؛ لأنَّه وجد قُبلةً من قبضة القوس فى كفِّه.

١٦- وبذلك الأمل يصير الهلالُ مِثل الركاب ، طالما يقبّل بعشقٍ قدمَه على حين غرّة.

١٧- وصار مسمارَ إكليل السَّماء الدُّرىَّ ؛ لأنَّه طبع قُبلةً على سنابك جواد الملك المعظم.

١٨- مرحى لجنابك رفعةً ؛ لأنَّ الفلكَ لا يظفر بقُبلة من أعتابه بمائة قران .

١٩- ولو يمرُّ وهمٌ وخيالٌ من الكائنات ، فلا تظنَّ أنَّها تعطى قبلةً على أعتابك .

٢٠- ينحنى الفلكُ الشيخُ على قدمك ؛ لأنَّ حظَّ الشابِّ الفتى قد قبّل يدك.

٢١- وينطق لسانُ القلم لو بريتَ رأسَه ، فهو بذلك قد قبَّل بنانَك .

٢٢- أيها الملكُ ، حرىٌّ بك ألاَّ تعيب على "ابن يمين" ؛ لأنَّه استحضر على لسانه قُبلةً لجنابك.

٢٣- لا يميل قلبى إلى تقبيل الحِسان ، ولكنَّنى جعلتُ رديفَ مدحك كلمةَ "بوسه" على سبيل الاختبار(١).

٢٤- طالما لا يهب أحدٌ قبلةً لحديد لجام الهوان تحت سرج جواد الزمان الأشهب .

---

(١) أى اختبار لقدرته الفنية فى أن ينظم قصيدة يكون رديف قافيتها هذه الكلمة .

٢٥- فليكنْ جوادُ الفلك الأبلقُ تحت سرجك هكذا ، بحيث يهبك ركابُه الحُبَّ تارةً وعِنانُه القُبلةَ تارةً أخرى

وله فى مدح تاج الدين على السربدارى (ص ١٥٤-١٥٥)

١- لقد عُدْتُ إلى حضرة السلطان حامى حمى الدين ، شمسِ ملوك العالم ظلِّ الله.

٢- لا ... أنا لم أصل بَعْدُ إلى تلك المنزلة ، فهى أصعب من الوصول إلى أوج السماء من الأرض(١).

٣- إنْ لم تُظهر جذبةُ عناية مَلك البلاد لىَ الطريقَ بلطف صوبَ جنابه .

٤- وأنّى لــ "بيدق" مثلى من "حصان" مراده ، أنْ تصير له صفةُ "الوزير" المصاحب "للملك".(٢)

٥- إمبراطورُ الأرض والعهد تاجُ المُلك والدين ، الذى يكون التاجُ به سيدًا والعرشُ مستقرًا من خلاله .

٦- الآمرُ الذى لو يصدر رأيُه أمرًا ، فإنَّ أهلَ النُّهى يعلمون مدى صوابه .

٧- يصبح القمرُ مثل المعزول بسبب تعرُّضه لبوص القصب وكهرباء علف التبن ولو كان على خلاف الطبع .

٨- تتفرد دعوى مَلك العالم بأنَّها مُسَلَّمٌ بها ؛ لأنَّ عدلَه شاهدٌ عليها .

٩- كلُّ صنفٍ من البشر يطلبه يقف على بابه مصطفًّا عدا المظلوم.

١٠- يكون الشخصُ خفيفًا مثل علف التِّبن من رياح عَفْوه ، إلا أنَّه إذا أذنب يكون أثقلَ وزنًا من الجبل .

---

(١) حرفيًا : من الوصول إلى أوج القمر من السماء.

(٢) ألفاظ مستمدة من رقعة الشطرنج...

١١- أنَّى للحاسد أنْ يصل إلى درجة قدره ، وكيف يتمرد العشبُ على السِّدرة والطوبى ؟

١٢- كلُّ شخص يتمنطق مثل العبد أمام بابه ، يسحب التاجَ من رأس الشمس.

١٣- أتعلم سببَ صدأ مرآة السماء ؟ هو أنَّه قد وصل إلى الفلك آهةٌ من قلب عدوِّه.

١٤- لو كان لعدوِّه مائةُ طريق لعصيانه ، فإنَّه لسوء حظِّه لا يستبين طريقًا واحدًا.

١٥- ما أكثر أنْ ترعاه عينُ العناية الأزلية ، ولو يحشد عدوُّه جيشًا من قاف إلى جبل قاف .

١٦- أيها الملكُ ، أنت الذى يَحْنى ملوكُ العالم كافةً الجباهَ أمام جنابك تشرفًا .

١٧- فسيفُك حصنٌ حديدى للدين والمُلك ، ويحمى صفحتَه بالجوهر خشيةَ جودك .

١٨- لا يأتى وفدٌ من كاتب ديوان النجوم لقلمك سوى عابدٍ لخطابك .

١٩- حين يُبيِّن " ابنُ يمين" رفعةَ قدرك ، لا يصل كوكبُ " الشِّعرى " إلى شِعْره فى علوِّ الجاه .

٢٠- من يُمن مدحك ، فإنَّ شِعْرى مثل الخمرة الصافية يبعث الراحةَ ويُبعد الهَمَّ .

٢١- وأنا أعلم أنَّك تبسط طريقَ القول الحسن ، ولكنَّ الفلكَ ينظر إلىَّ بعين حسَّادك .

٢٢- بحرُ خاطرى ناثرٌ للجوهر وأنا أسبح فى ماء عينى مثل السفينة من الفقر.

٢٣- يا ملكَ العالم ، لقد بلغ صياحي المدى ، وأنت قادرٌ ، وأنا أعاني من جفاء الفلكِ .

٢٤- طالما يكون الصبحُ والمساءُ مفتاحين للنهار والليل ، وطالما لا يكون المساءُ مثلَ طلوع الصبح في الصفاء .

٢٥- فإنَّ خصمَك الذي يحضر دائما في الليل كلَّ يوم ، فليكنْ وجهُ نهاره أسودَ مثل المساء .

وله في مدح كرايشاه (ص ١٥٥ - ١٥٦)

١- يا ريحَ الصَّبا ، يكون لطفًا لو تعبرين ذات سَحر على جناب المَلك رمز المُلك " كرايشاه " .

٢- ذلك الذي لم يَر الفلكُ له نظيرًا في الفضل ، إذا ما نظر مرات عديدة على لَوح القمر (السماء) ، من مركز(السَّمك) (الأرض) .

٣- مع أنَّه يمكن رؤيةُ نظير له في الفضل ، لو ينظر الفلكُ صوبَه بعين الأحول.

٤- وذلك راعي الفضل الذي تساعد ألطافُه أهلَ الفضل على قضاء حوائجهم، ومعينة لهم في الحادثات .

٥- لأيِّ سبب الصدأ على مرآة بدر التّم ، إنْ لم تَصِرْ على السماء آهةٌ منبعثةٌ من صدر حاسديه .

٦- يكون الجبلُ بأحجاره الثقيلة العديدة إلى جانب حِلْمه مثل ورقة علف التبن من جهة الخِفَّة وعدم الثبات .

٧- يرغب حاسدُه أنْ يكون مثله فى الفضل ، ولكنَّ العاقلَ يعلم أيضًا الآدمى من اليبروح [1] .

٨- ياريحَ الصبًا ، حين تُقبِّلين ترابَ بلاطه العالى ذات سَحر بالطالع الميمون والإقبال العالى .

٩- قولى له : إذا لم يأتِ خادمُك من قَبل إلى بلاطك ، ويمهّد لعذره ويأتى بالبينة .

١٠- فبلاطُك الشبيه بالخلد كعبةُ العارفين ، كيف يتسنَّى لكلِّ ضعيف أنْ يسلك الطريقَ صوب الكعبة .

١١- فالتمسْ العذرَ لـــ "ابن يمين" لأنَّه يستميحك عُذرًا ، ومع وجود كرمك هذا أيضًا ، أين يكون فى العالم مثله ؟! .

أيضًا له فى مدح نظام الدين يحيى (ص١٥٦ – ١٥٧)

١- فلتكنْ ميمونةً وخفَّاقةً راياتُ الملك حامى حمى الدين ، ذلك الذى جعله الإلهُ بحق ملكًا على الخَلْق .

٢- الملكُ راعى الدين نظامُ الدولة والملَّة الذى يكون به التاجُ فى الدنيا شامخًا والعرشُ ثابتًا .

٣- وذلك الذى لو تتمنطق الشمسُ بنطاق خدمته ، فإنها تسلب التاجَ من رأس السماء .

٤- مُخضِعُ المتمردين الذى منْ فطرته تثبِّت قلمُ كاتب الفلك مدحَه على مفرق القمر .

---

(١) عشبٌ يُشبهُ الآدميَّ .

٥- لو تصبح الدنيا مليئةً بالفتنة والاضطراب ، فإنَّ كلَّ مَنْ يحتمى به طالبًا إنصافَه يكون آمنًا .

٦- أنَّى للعدوِّ أنْ يتفاخر بأنَّه ملكٌ فى وجوده ؟ فإنَّ العقلَ يعرف جيدًا الشمسَ من الذَّرَّة .

٧- ولا يأتى من اليبروح [1] ذلك الذى يأتى من الآدمى ، مع أنهما متشابهان فى الهيئة والصورة .

٨- لو يدَّعى أنَّ مُلكَ الخافقين ملْكُه ، فإنَّ ادعاءَه ثابتٌ؛ لأنَّ عدلَه شاهدٌ على ذلك .

٩- أنا فى عجب ، لماذا تجد مرآةُ القمر الصدأ ، ما لم تَصِرْ على الفلك أىُّ آهةٍ فى عهده عدله ؟

١٠- لو تصل شمَّةٌ من حزمه إلى قشِّ العلف الخفيف ، ولو ينظر عزمُه صوب الجبل الثابت .

١١- فسوف ترى قشَّ العلف مثل الجبل من ثبات حزمه ، وتجد الجبلَ مثل قشِّ العلف من خفة عزمه .

١٢- لطفُه وعنفُه سمٌّ وشرابٌ من النسيم ومن السَّموم ، تلك تنعش الولىَّ وتقصِّر هذه عمرَ العدوِّ .

١٣- كلُّ مَنْ فى مصر يعلم أنَّه " العزيزُ " بلطفه ، ولهذا يقصد جاهَه مِنْ جُبِّ المذلَّة مثل " يوسف " .

١٤- أيها الملكُ ، تأتى كلُّ فتنة من السماء على الأرض ، مع أنَّها تكون لأجل الغيرة على الرعيَّة حتى الجيش .

---

(١) عُشبٌ يُشبهُ الآدميَّ .

١٥- فتتجاوز كلَّ ساكنى الرُّبع المسكون ، وتطلب أولا منزلَ " ابن يمين " فى دورتها .

١٦- وحينْ رأت السماءُ عدلَك قالت : ما العمل مع هذه الظالمة ؟ أليس لديها حقًّا شمةٌ من العقل ؟

١٧- فخاطبتُ العقلَ : مَنْ يُعيننى على الخلاص منها ؟ قال : إنَّه شمسُ أوج الرفعة وظلُّ لطف الإله .

١٨- الملكُ العادل نظامُ الملك والدين ، الذى يحنى القادةُ العظماءُ جباهَهم على الأرض أمامه بكلِّ فخر .

١٩- لا تكون الطاعةُ مقبولةً إلا بالدعاءِ لدولته ، وذلك الذى يكون غير هذا لدى العقل مذنبٌ .

٢٠- أصنع "التضمينَ" ببيتين لى لأجل الدعاء ؛ ذلك لأنَّ الشاعرَ يميل أحيانا إلى التضمين .

٢١- أعرضُ الآن على رأيك زينةِ المُلك ، فاستمعْ له بلطفك الشامل من هذا المخلص .

٢٢- طالما فى وقت الكتابة لا تخلو جعبةُ أىِّ كاتب فى الدنيا من الدواة ومن القلم .

٢٣- فكلُّ من لا يحنى رأسَه كالقلم على خطِّ أمرك ، فلتكن عينُه مثل الدواة نبعَ ماء أسود .

وله أيضًا فى مدح پهلوان حسن دامغانى الأمير السربدارى

(ص١٥٧– ١٥٨)

١– أيها المعشوقُ ذو الوجنة العنبرية ، فى صميم سويداء قلبى مائةُ لون من الأنين من جورك .

٢– فلا يليق منك مع ما لديك من فتنة طاغية ، أن يكون طريقُ وصالك موصدًا معنا .

٣– وحين أقول لك : ألا فاقبَلْ القلبَ ثمناً لقُبلة منك . فيكون ردُّك : إنَّ القلبَ غيرُ مقبول فى المعاملة .

٤– فأخرج قلبى رأسَه من جيب الجنون حين بَدَتْ له من قيد طُرَّتك سلسلةٌ.

٥– كلَّ ليلة حتى الصباح وبركانٌ من النار يفور فى قلبى الملتهب كالمشعلة مِنْ حرارة شمع جمالك .

٦– لقد هوى أمرُ القلب إلى قدمك مثل حاشية الثوب من الغمِّ ، حتى أغار من الرأس صوب فتحة ثوبك .

٧– لو تهبط الشمسُ للقائك ، فسوف تتكسف مثل القمر منك .

٨– مع أنك تتلوَّن مثل الوَرد معى فى وعودك ، فإننى الآن معك مثل زهرة الشقائق بلون واحد .

٩– حان الوقتُ الذى يصير الكأسُ فى الخميلة رفيقًا لصدْح البلبلِ مرة أخرى.

١٠– ألا يا أيها المعشوقُ ، أدِرْ كأسَ المدْام الصافية حتى أتخلص مِنْ هموم الدَّهر دفعةً واحدة .

١١- واكشِفْ غطاءَ القدح حتى يجلجل صوتُ فورانه ؛ لأنّ صدحَ البلبل يعمُّ الآفاقَ .

١٢- وأنا لستُ يائسًا ، لأنَّ ليالى الأيام لم تلدْ غيرَ المُراد ، حين تكون حاملةً من القضاء .

١٣- فتأملْ ، أليس بيننا عهدٌ ، فلا تجافينى أكثر من هذا ، حتى لا يتمادى أحدٌ معى أكثر من هذا .

١٤- فأنا أعرض حالى على رأى الملك فجأةً بالمواجهة وليس بالمراسلة .

١٥- الملكُ الذى لا تنقطع للحظة واحدة قافلةٌ من قوافل أهل الحاجة عن جنابه.

١٦- تاجُ رأس ملوك العالم " پهلوان حسن " ، الذى تقع الولولةُ على رأس أعدائه من خشيته .

١٧- لو يُصدر أمرًا للفلك يخصُّ مائدتَه ، فإنّه يحلب اللَّبنَ من الطائر واللِّبأ[1] من "القُمرىّ" .

١٨- لا تَخْضع نفسُه النفيسةُ للفلك، ولم يوقع أحدًا – فى عهده – "السيمرغ" فى الشرك .

١٩- كيف يكون هناك خوفٌ على الدين والمُلك من الملمَّات الهائلة مع حزمه وبصيرته .

٢٠- دائمًا ما تصاب مساكنُ أعدائه بالزلزلة من جرَّاء وقع حافر جواده الجامح الجلمود .

٢١- أيها الواهبُ الذى يُعدُّ كلُّ مخزون البحر والمنجم أقلَّ من نصف خَردلة أمام جودك الكامل .

---

(١) هى أول ما يحلب من لبن البقرة أو الشاة بعد الولادة .

٢٢- أنا لا أحدثك عن السَّحاب من ناحية العطاء ؛ ذلك لأنَّ السَّحابَ لا يكفُّ عن الأنين فى وقت نوالك وعطائك .

٢٣- حيثما تتوجه رايتُك فى حرب العدوّ ، تقابلها عدةُ مراحل لنصرك .

٢٤- أيها الملكُ ، لا يرسل أحدٌ من الشعراء دُرَّ المديح لك مثل " ابن يمين " .

٢٥- ولكنَّ الفلكَ لا يفرّقُ بينه وبين ما يشبهه ، فعند الحيوان حقًّا السنبل مثل الياسمين .

٢٦- فلا تُوكِلْ أمرى بعد ذلك إلى الفلك ، فلا جدوى منه مطلقًا لأحد .

٢٧- فمن أين فى النهاية رزقُ هذا الفلك المتضجر تمامًا وهو يعيش على قرص واحد ؟

٢٨- أيها الملكُ ، لو أنال منك عنايةً ، أحطِّم سوق النفس الناطقة وقت الجدال.

٢٩- فلا تطلبْ فى القول أفضلَ من كاتب الفلك ، وهو أيضًا ليس قرينًا لنا فى فن القول.

٣٠- طالما تكون الشمسُ والقمرُ على هذا القصر الذهبى كشُرفاتٍ متقابلة .

٣١- فليكنْ ضياءُ رأيك الصافى منتشرًا ، ومماثلاً فى الرفعة مع الشمس والقمر .

وله أيضًا فى التهنئة بوصول الملك معز الدين حسين كرت (ص١٥٨ -١٦٠)

١- ألا فاسعدْ أيها القلبُ ، ورحِّب بالبشير الذى حمل إلينا من الطريق بُشرى القدوم الميمون للملك حامى حمى الدين .

٢- الملكُ العادل " معزُ الدين والدنيا حسين " ، شمسُ المُلك والملَّة ، ظلُّ لطف الإله .

٣- لقد نصب " يوسفُ " مصر من حضيض جُبِّ المذلَّة لأهل خراسان خيمةً على أوج القمر (السماء) لأجل هذا الخبر .

٤- المنَّةُ لله أنْ عاد ثانيةً باليُمن والبركات والملَك الذى يشمخ به التاجُ ويتزين به العرشُ .

٥- ذلك الذى لو نظر إلى (الثريّا) فجأة بعين الغضب ؛ لتناثرت مثل (بنات نعشٍ) .

٦- ولو يأمر رأيُه بتبديل الطبائع ، ترى قَشَّ العلف مثل الجبل (ثباتًا) ، والجبلَ مثل قَشِّ العلف (خفةً) .

٧- لو يدَّعى على الشمس بخدمته ، فإنَّ قاضى الفلك (المشترى) لا يريد شاهدًا على دورانها (لخدمته) .

٨- وحين يزيل فى القول قفلَ الياقوت عن درج الجوهر ، فإنَّ بيانَه يعقد شفاه أهل العلم .

٩- يَعتبر ملوكُ الدنيا بلاطَه قِبلةَ إقبالهم ، ويحنون لهذا السبب الجباهَ على ترابه .

١٠- لماذا الخطُّ المضمَّخُ بالمسك على وجنة بدر التِّم ، لو أنَّ "عطارد" لم يدوِّن وصفَه على صفحة وجه القمر ؟

١١- لقد شرع قلَمه لإصلاح المفاسد ، فلا يرى أحدٌ فسادًا فى الدنيا غير حال حاسديه .

١٢- يوم الوغى يضع الأعداءُ "البيدقَ" للرُّخ" مثل "الوزير" ، و"الملكُ" يواجه "الفيلَ" بـ"الحصان" من كلِّ ناحية (١) .

---

(١) الأسماء فى هذا البيت مستمدة من لعبة الشطرنج .

١٣- وحين يأخذ الملكُ بالعِنان ، والحاشيةُ في ركابِه ، ترى الشمسَ وحولها جيشٌ من النجوم .

١٤- لو يتشبَّه البحرُ بيده فى السخاء ، فإنَّ أهلَ العلم لا يقعون فى الخطأ وقت التمييز .

١٥- مع أنهما متشابهان فى الصورة ، فإنَّ العاقلَ يميِّز بين الآدميّ واليبروح.

١٦- إذا لم تُقَبِّلْ الشمسُ ترابَ بلاطه مثل العبد كلَّ سحر ؛ فإن الملك يحيط بنجومها من كل ناحية .

١٧- كلُّ مَنْ يتحدث فى عهده عن "دستان" مثل حيوان أجرب ، فإنَّ "زال" العصر سوف يلقيه فى غياهب الجُبِّ مثل " بيجن "[1].

١٨- وإذا ما وجد العدوُّ مائة طريق منه للثراء ، فإنَّه لا يترك له لسوء حظِّه طريقًا واحدًا دون أنْ ينتبه إليه .

١٩- اختفتْ مرآةُ الفلك الصقلية تحت الصدأ ، فما أكثر أنْ تنبعث الآهةُ بحسرة من صدر حسَّاده .

٢٠- متى يستقر غبارُ النقصان على كماله ورتبته ، إذا لم يكنْ لحاسده حبيبًا لسوء بخته .

٢١- ما أشدَّ عشقَه للعفو عن جرم كلِّ شخص ، وكلُّ شفاعة واحدة يصدرها لمائة ذنب لا تكاد تُسمع .

٢٢- يا صاحبَ الحظِّ الشَّاب الذى شاهد الفلكَ مع علوِّ قَدْره قد انحنى قدُّه مثل الشيوخ من وطأة حمل الغمِّ .

---

(١) أسماء أبطال قدماء من الفُرس .

٢٣- كلُّ مَنْ تمنطق يوماً بنطاق خدمته ، لو يرغب فإنه يسلب التاجَ من فوق رأس الشمس .

٢٤- صار خُلُقُك الطيِّبُ حافظًا للخلق ، فلا جرم أنْ يحفظك الخالقُ من كيـــد سيِّئي الطوية .

٢٥- لا وجود لعام القحط في عهد دولتك ؛ لأنَّ سُحبَ عين عدوك تهطل بالماء دائمًا .

٢٦- أيها الملكُ ، لو يهبُّ على " ابن يمين " نسيمُ لطفك عن طريق الكـــرم ، يبعث فيه الراحةَ ويزيل عنه الألمَ .

٢٧- يسمو الشعرُ بمديحك على كوكب " الشِّعرى" حتى إنَّ كاتبَ الفلك يتصبب عرقًا أسود من الخجل .

٢٨- طالما وقت الكتابة لا تخلو جعبةُ أيِّ كاتب في الدنيا من الدواة ومن القلم .

٢٩- كلُّ مَنْ لا يحني رأسَه مثل القلم على خطِّ أمرك ، فلتكنْ عينُه مثل الدواة نبعَ ماء أسود .

وله أيضًا في مدح تاج الدين شيخ علي مؤيد (ص١٦٠)

١- فليكنْ مَقْدَمُ المَلكِ ملاذِ العالم مباركًا ، شمسِ المُلك " شيخ علي " ظلِّ الإله.

٢- المَلك الذي فوق العرش الكسروي وجنتُه مشرقةٌ مثل بدر التِّم على الفلك.

٣- هو القائدُ الذي مِنْ بهاء مفرقه يظلِّلُ الشمسَ في الآفاق بحافة قلنسوته .

٤- أيها المَلكُ الذي يكفي أنْ يكون ورِدْا لعارفي القدس لأجل المساء والصباح.

٥- الملكُ الذى يجالس الأحبابَ فى مجلس المحبَّة رغم أنف الأعداء ، لأنَّ لطفَه يعرف حقَّ الأحباب .

٦- أىْ أنَّه وهو جالسٌ فى بهو العرش محقِّقًا رغبةَ القلب قمرُ برج السعادات المقارن مع الشمس .

٧- فلتبقَ هذه الشمسُ حتى الأبد بلا زوال ، وليحفظْ الحقُّ ذلك القمرَ من النقصان .

٨- إنَّ حادثاتِ الدَّهر قد حرَّفَتْ طبعى المعتدل عن الطريق بعيدًا عن جناب جاهك .

٩- وحين وصل شرابُ حانة لطفك من كفِّ طالع الحبيب محقِّقًا رغبة روحى.

١٠- فلا بدَّ أنْ أجد العلاجَ لألم هذا العمر القصير من عظمة الملك وبهاء شراب محفله .

١١- أيها الملكُ ، أنا "ابنُ يمين" خادمُك الذليل ، أنا ذلك الذى صنعتَه بالعطف. فانظرْ إلىَّ .

١٢- وحين أنشر مدحَ الملك فى الدنيا ، فإنَّ شِعرى يسلب كُرةَ من كوكب "الشِّعرى" بقدره وجاهه .

أيضًا (ص ١٦٠ - ١٦١)

١- أيها الفلكُ الجائرُ ، حتَّامَ تجافينا ، وتَفى لجمعٍ آخرَ مُمتلئ بالجفاء ؟

٢- حتَّامَ وإلامَ تجعل غُبارَ أعتاب السَّفلة توتيًا تكحّل بها مقلتَنا ؟

٣- لو صرتَ غريبًا عنِّى ، فعامِلْنى بودٍّ ، فحتَّامَ تُقدِّم لى كلَّ لحظة غمًّا جديدًا؟

٤- وصل عمرى إلى آخر شوطه فى ألم القلب ، فحتَّامَ تجعل علاجَه فى أنْ أتحمل الألمَ على أمل الشفاء ؟

٥- وما دمتُ لا أنال الصفاءَ فى إيوانك ذى الشرفات التسع ، فحتَّامَ تجعل هذا يحدث لى أنا الصوفى السريرة ؟

٦- لماذا تجعل هذا السعى غير مشكور لدى السَّفلة المدلَّلين ؟ وحتَّامَ تجعل اليبروح غصَّةً للآدمى ؟

٧- حتَّامَ ترفع كلَّ لئيم إلى مستوى كلِّ كريم ، وتساوى الأطلسَ والرُّخامَ ببوص الحصير ؟

٨- حتَّامَ تؤذى العلماءَ بلا ذنب من الجهلاء ، وتجعل "ابنَ ملجم"[1] عدوًّا للمرتضى" ؟

٩- حتَّامَ تجعل جوهرَ الفضل بلا قيمة على ناصية سوق جمعٍ بلا بصيرة كالحجر الأسود ؟

١٠- صارتْ وجوه أرباب الفضل الذين ليس لديهم فضةٌ مثل الذهب (شاحبةً) ، حتَّامَ تُكثر من هذا الإكسير فى صناعة الكيمياء ؟

١١- حتَّامَ تجعل كلَّ حكيم يحار فى الدنيا مثل الطاحونة لأجل حبَّة قمح ؟

١٢- ياذا الطبع المقامرِ والوجه المعوجِّ ، حتَّامَ تساوى على بساط الدهر بين الصديق الحقِّ والآخر المخادع ؟

١٣- حتَّامَ تملأ روضةَ الرغبة والمراد لكلِّ جاهل بنغمات الورد والبلبل على " البركّ" و النوا "[2] ؟

---

(١) قاتل سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٢) البرگ والنوا نغمات ومقامات موسيقية فارسية .

قصيدة (ص ١٦١ – ١٦٢)

١- ألا يا نسيمَ السَّحر لو تقدر ، ألا فأسرعْ ذات سَحرٍ دون إبطاء .

٢- فلا يشقُّ عليك طولُ الدنيا وعرضُها حينَ تعدو بجوادك راحلاً .

٣- ومادمتَ ترغب ، فإنك توصل رسالةً فى لحظة واحدة مِنْ صقر المشرق النجيب إلى عنقاء المغرب .

٤- فاللائقُ منك أنْ تحمل رسالةً من "نَمْلَةٍ" إلى حضرة "سليمان" العصر.

٥- فإنْ لم تجد الوسيلةَ للمصاحبة هناك ، فاسمعْ منِّى ، يا صِنوَ روحى .

٦- احملْ من بحر طبعى عقدًا من الجوهر هديةً إلى ملك العالم .

٧- "سليمان" العصر الذى سُخِّر له ملكُ الإنس والجانّ بدون عقد الخاتم .

٨- دنيا الكرم ، تاج ملوك العالم ، الذى يليق به أنْ يكون بطلاً على الملوك .

٩- ويمكن قولُ الحقِّ إنَّ قلبَه ويدَه وقت نثر الدُّر وبَذر الذَّهب .

١٠- يخجل منهما سُحبُ الربيع ، وتتوارى تحت الرماد رياحُ الخريف .

١١- يا مَلكَ العالم ، أنت المَلكُ الذى يجعل " زُحلَ " حارسًا على إيوان جاهك.

١٢- ويكون مثلُ سجلات قاضى الدنيا (المشترى) مثالاً لما تجرى به بقلمك عليه .

١٣- ولا حديثَ لقائد الميدان الخامس (المريخ) يوم الوغى إلا عن بطولتك .

١٤- وترقص "الشمسُ" مثل الذَّرَّة طربًا ، لو أنَّك دعوتها خادمتَك .

١٥- ويكون " للزُهرة " فى كلِّ محافلك دائمًا سماعٌ لـــ "الأرغن"[1] وشرابُ الأرجوان .

١٦- الأمرُ الذى يشرع إليه قلمُك ، يجعله سهمُ الفلك " عطاردُ " روايةً تُروى .

---

(١) آلة موسيقية تشبه البيانو.

١٧- ونجمُ " القمر " هذا فى الصف الخامس ، كفى به رسولاً لكلِّ عاشق .
١٨- حرىٌّ بك ملكًا فى العالم وأيضًا رمزًا للمُلك وأيضًا إمبراطورًا .
١٩- ليس كلُّ شخص يحمل اسمَ مَلِكٍ ، يتسنّى له أنْ يصير رمزًا للمُلك مثلك.
٢٠- فلا يصير "شغادُ"[١] بطلاً للدنيا مثل "رستم" ولو كان أصلُه من "سيستان".
٢١- العدوُّ الذى يطمع فى أن يكون مثلك ، فالعقل له درايةٌ بالخرافة وبالآثار القديمة .
٢٢- أيكون القوسُ التركمانِيُّ القديمُ الملتوى مثلَ قوس قزح المستقيم ؟
٢٣- ألا يا ريحَ الصَّبا ، حين تصلين إلى حضرته ، ألا فاعرضى هذا القولَ إنْ استطعت .
٢٤- لأنَّ هذا النظمَ قبل "على حسن" كان ساقطًا ، وبمدح المَلك سليل الملوك .
٢٥- صار نظمُه[٢] مشهورًا بحسن الألفاظ ولطف المعانى .
٢٦- سمعتُ أنَّ هذا النظم بعونه قد ظهرتْ له بذراتُ ذَهب المنجم .
٢٧- لقد جعل " ابنُ يمين " أيضًا له عِنانًا بمدحك فى هذا الطريق مع طبعه .
٢٨- أيا " على حسن " لو كنت قد رأيتَ فى هذا العهد منّى هذا البيانَ العذب .
٢٩- فربما تقول عنه قبل نظمى إنَّ الماءَ الجارى على تراب جنابك .
٣٠- يجعل ماله صفةَ "البنفسج" كلَّه أذُنًا ، ولو كان مثلَ "السوسن" فله عشرةُ ألسن .
٣١- مع مالى مثل هذا الطبع الذى هو مثل الماء والنار سلاسةً وعنفًا، والذى يتعجب منه القاصى والدانى .

---

(١) هو ابن الملك "زال" من خادمة مغنية ، وكان سيئ الطبع حاد المزاج .

(٢) أى مديح الممدوح " علىّ حسن " هذا .

٣٢- لماذا ليس لى أىُّ نصيب فى الدنيا : لا جاه ، ولا مال ، ولا شراب ، ولا طعام ؟!

٣٣- أنا الذى يَخلد ذكرُك فى الدنّيا منّى وإنْ كانت دنيا فانيةً .

٣٤- لو تسنّى لك أنْ تُصلح حالى عن هذا ، فافعلْ ، ولو تجعله أفضلَ من هذا؛ فأنت أدرى به أيضًا .

٣٥- طالما لا تصير الأرضُ مثلَ الزمان فى سرعة العَدْو ، ولا يصير الزمانُ مثلَ الأرض فى ثبات الحركة .

٣٦- فلا كان الزمانُ ولا كانت الأرضُ بغير وجودك ، لأنّك قمرُ الأرض وملكُ الزمان .

وله أيضًا فى مدح تاج الدين على السربدارى وبيان نزع الشِّجار بين القادة (ص١٦٢ - ١٦٤)

١- رغم أنف الفلك المستدير ، سوف تقابل أمورُ الدين والمُلك ثانيةً الطالعَ الطيِّب .

٢- ومن ثمَّ أعرضُ كيفية تصوُّرى لهذا المعنى ، وكيفية تسخير فكرى الساحر فى استخراجه .

٣- كان الإمبراطورُ العادلُ قد طلبنى ، كى أمثُل بين يدى خدمته فى بلاطه.

٤- وما إنْ وجدتُ بتأييد السعادة واتفاق الحظِّ الطَّيب بلطفٍ من الحقِّ القُدْرةَ على تَقْبيل أعتابه .

٥- حتى حضرتُ وشاهدتُ الحَضْرةَ وفيها المَلكُ الذى صار ختمُ القيادة عليه مثل ختم الإعجاز والنبوة على "محمد" .

٦- " آصفُ" الرأى "سليمانُ" القدرة ، والذى من حُكْمه يُحبس شيطانُ الإنس في زجاجة مثل الجنّ .

٧- إذا لم يعلمْ أحدٌ مَنْ الجديرُ بهذه الأوصاف ؟ مَنْ يليق به تاجُ الرئاسة بين العظماء ؟

٨- فهو مخضعُ العصاة ، وله المُلكُ والملّةُ ، وهو" الشمسُ " فى الجلالة و"المشترى" فى السعادة .

٩- هو ظلُّ الله الذى يملك رأيُه زينةَ المُلك خواصُ شمس المشرق فى السيطرة على العالم.

١٠- ملكُ الأقاليم السبعة (الدنيا) " تاجُ المُلك والدين علىٌّ " ذلك الذى له عادةُ البطولة فى الوغى مثل "علىٍّ" .

١١- لقد مثلتُ الآن بين يدَىْ حضرتِه ، بشرط حُسن الطاعة ورسم جمال الحضور .

١٢- فشاهدتُ جمعًا من الجيش بعدد النمل والجراد ، كلٌّ واحد منهم فى القيادة كأنَّه الهزبر .

١٣- جمعهُم يوم الهيجاء فى الظَّفر على المحاربين ، مثل ظفر النَّمر الوحشىّ على ظبى الفلاة .

١٤- والملكُ يقود مثلَ هذا الجيش صوب "دامغان" كى يُخضع الأعداءَ تحت إمْرته .

١٥- وعلى حين غِرَّةٍ أقبل أفضلُ الآفاق شمسُ المُلك والدين ، ذلك الذى وقتَ السّحْر يُظهر معجزاتِه .

١٦- ذلك الذى إذا شاهد "السَّامرىُّ " السّحرَ الحلالَ لشِعره ، احترق بنيران الغَمِّ حتى يوم القيامة .

١٧- وهو الرفيقُ للأمير المشهور "ديلانجى" ، ذلك الذى لا يُعدُّ الأسدُ "دستان"[1] أمامه بطلاً .

١٨- البطلُ وقدوةُ هيئة الحكمة الذى يجلب الفخرَ للبلاد ويضع خطَّةَ الحرب .

١٩- أتعلم مِنْ أين أتى هؤلاء العظماء ؟ مِن الحَضْرةِ المباركة التى تعلو على الفلك .

٢٠- حَضْرة ولىِّ عهد المَلك والعادلِ وحافظِ الدين ، ذلكَ الذى تجدر به القيادةُ على أمور الدين والمُلك .

٢١- هو "سليمانُ" الحِشْمة الذى يخضع لإمْرته مُلكُ الجنِّ والإنس بغير منَّة الخاتم .

٢٢- الملكُ العادلُ " ستلمش بيك " الجسورُ والذى تفوق همَّته حدَّ التصوُّر .

٢٣- ولأجل بَذْله ونواله ، تقيم " الشمسُ " بصفة دائمة فى موقد منجم صياغة الذهب كالصائغين .

٢٤- وكلُّ ما ثقبتْ ألسنتُهم الماسَ بالدُّرِّ النفيس وجدتَه مشتملاً على شرح الأشواق والمحبَّة .

٢٥- أيها الملكُ، حين صار صدقُ الأحوال معروفًا ، رطَّب بماء اللُّطف روضةَ المحبَّة .

٢٦- وإنْ كان ولىُّ عهد الدنيا قد عزم أولاً على القطيعة ، فهو نفسُه طريقُ الملوك الأصلاء وعلامتُهم .

٢٧- وبفضل الخالق بانَ للأميرين كليهما اتفاقٌ وتضافرٌ فى أمور المُلك والملَّة.

---

(١) دستان بن زال والد البطل رستم .

٢٨- وتبسمتْ شفاهُ الأحباب مثل الصبح ضاحكةً من السعادة، وبكى العدوُّ دمًا مثل الشَّفق من الغمِّ بعد هذا القول .

٢٩- فالمنَّةُ لله ، أنْ صارتْ "شمسُ" المُلك و"قمرُه" من قلب "المشترى" وروحه، ذلك هذا وهذا ذلك.

٣٠- وأقاما بيُمن هذا الصفاء الزائد المحبَّةَ بين الأسد الهصور والبقرة الوحشية وبين الصقر وقطاة الوادى .

٣١- ذلك الذى رآه "ابنُ يمين" فى أمر نظم المُلك والدين ، قاله رمزًا فى بداية مدائحه المبسوطة .

٣٢- وكشفتْ هذه اللحظةُ أنَّ حدوثَ الاتفاق هو من اجتماع الشمس والقمر بعيدًا عن الفلك المستدير.

٣٣- وسوفَ يزيِّن جوهرُ سيف اتفاقهما عروسَ المُلك والدين حتى يوم الحشر.

٣٤- ولابُدَّ أنْ يَسْطَعَ ضياءٌ فى المُلك والدين يجلو عن الدنيا العتمةَ والكُفْرَ.

٣٥- وحيثما يوجد اتفاقُ هذين الملكين كليهما معًا ، فإنَّه يمزِّق أيضًا نطاق فتنة النيلوفر (الفلك).

٣٦- وطالما سيبقى خالدًا فى الدنيا الاسمُ الطَّيِّبُ لـــ "محمود" و "سنجر" بمدائح "العنصرى" و"الأنورى" .

٣٧- فليكنْ لك مائةُ غلام ، كلٌّ واحد منهم مثل "محمود" و "سنجر"، ولتحمل أرواحهم لك كرةً من "الأنورى" و"العنصرى" .

له أيضًا فى مدح مولاى محمد بيك عبد الله القهستانى والأمير ستلمش بيك

(ص١٦٤-١٦٥)

١- خاطبتُ العقلَ ذات ليلة : أيها المرشدُ النورانىُ ، أنت المسلَّمُ لك بسهولة حلٌ كلِّ إشكال.

٢- أنت مرآةُ القدس المظهرةُ للحقِّ ، فأىُّ الحقائق التى لا تعرف تحقيقَها؟

٣- أتعرف مَنْ فى هذا العهد يكون فيضُ يده ناثرةِ الدُّرِّ أفضلَ فى تحقيق الأمانى من سُحب الربيع؟

٤- فأجاب العقلُ : ما أكثر أنْ طفتُ كالكرة فى أرجاء الدنيا ، عسى أن أجد الصولجان بعيدًا عن الفلك.

٥- الكريمُ الطموحُ الذى يكون بقاءُ الثناء لذكره أحبَّ لدن همَّة كرمه من النعمة الفانية.

٦- لم أرَ حقًّا فى الدنيا مِنْ بين كلِّ الإنس والجانّ أىَّ ذاتٍ تحلَّتْ بتلك الزينة وهذا البهاء.

٧- سوى صاحب المُلك والدين الأمير العادل "محمد بيك عبد الله مولاى القهستانى" .

٨- فلَهُ غزوُ العالم وقدرةُ القضاء ومُلكُ الدنيا ومُكنةُ القدر ، وهو الذى يسطع البهاءُ الربَّانىُّ من ذاته مثل النور من القمر.

٩- لو مضى قدرُه ذات يوم ضيفًا على السماء، فإنَّ الموجودَ الذى يحضره الفلكُ على مائدته قرصانِ من الشمس والقمر.

١٠- لو تحمل ريحُ الصَّبا دخانًا من نيران طبعه إلى الظُّلمات ، فإنَّ ماءَ الحياة سوف يضع جبهتَه على ترابه لأجل خدمته.

١١- وحين يتحدثُ ، فلا عجب أنْ ينصهر الدُّرُّ العمانىُ مرةً أخرى غيرةً مِنْ جوهر لفظه.

١٢- وحين يخفى الخصمُ ذهبَ الوجه (الشحوب) من خوف جوده ، فإنَّه ينثر دمعًا مرجانيًا (دمويًّا) على وجهٍ بلون الكهرباء (شاحب) .

١٣- أيها الملكُ ، أنت ذلك الشخص الذى أعطاك اللهُ من لطفه كلَّ شىء مرة ثانية من بدء الخليقة .

١٤- وأنت ذلك الملكُ الذى حين تفتح بابَ العطاء ، فإنَّك تهب من همَّتك كلَّ منجم الجوهر لأنَّه معدن أصيل.

١٥- يكون من فرط جودك أيضًا أنَّ سيفك من صحبته ليدك ينثر جوهرَه يوم الكريهة على مفرق العدوِّ .

١٦- صار للعالم من عَدْلك هكذا وفاقٌ واضحٌ : فلا يرى أحدٌ اضطرابًا سوى فى طُرَّة الحسناوات.

١٧- لو تكون مستقرًّا على العرش مثل الشمس على الفلك ولو يراك فى ميدان الوغى "ابنُ دستان" (رستم).

١٨- فيكون لك مثلُ هذا الرأى الذى يخجل أمامه "آصف" دون منَّة الخاتم بكفِّ الملك "سليمان".

١٩- لا يعجب العقلُ كثيرًا لهذا القَدْر لك من القدرة ، بحيث لو ترغب ، تُرجع القضاءَ الدونَ من الفلك.

٢٠- ضَعْ الخطْوَ فى مُلك العدوِّ حين تحرِّك عَنان العزم صوب عرشه على هيئة الغارة .

٢١- ولو شاء العدوُّ أو لم يشأ ، فإنَّه نثارٌ تراب أعتابك ، وينثر الدُّرَّ المنثورَ (الدموع) إلى الفلك والياقوتِ الرمانىِّ (مقلته الحمراء) على الطريق .

٢٢- لو كان هناك صاحبُ كمال فى العالم فهو أنت ، والآن أقدّم دليلاً وبرهانًا على هذا المعنى .

٢٣- فأرى أنّ لك مع العفة والحكمة شجاعةً وكرمًا ، وينحصر فى هذه الصفات كمالُ النفس الإنسانية.

٢٤- فإذا ما أكون محرومًا فى الظاهر من عزّ تقبيل قدمك فإن "ابنَ يمين" فى الخفاء داعٍ لك من أعماق الروح .

٢٥- فهو لسوء حظّه لا يختفى لحظةً عن "فريومد" ، بمعنى أنّ الكنزَ العامرَ مختفٍ فى الزاوية الخَربة.

٢٦- لا يجد فيها سوى ذلك الهواء الذى يلثم ترابَ أعتابك ، ويكون فى قلبه لظى ، فأطفِئه بماء اللطف .

٢٧- وأنا على هذه الشاكلة من الإخلاص الذى تعلمه ، ذلك لأنّك تقرأ محتوى رسالةِ التقدير من عنوانها.

٢٨- لو تمنحه السّعادةُ عونًا تبقيه حيًّا بعد هذا ، فاحملْه إلى بلاط "محمد" ليقفَ على بابه مثل "حسّان" .

٢٩- يتحتَم علىّ أنْ أقتصر الحديثَ الطويلَ على هذا ، فطالما توجد الدنيا فلتكنْ أيها الملكُ حاكمًا لها .

وله أيضًا فى مدح علاء الدين محمد (ص١٦٥-١٦٧)

١- هبّتْ فى الصباح نسمةُ الربيع ، فعطّرتْ الوجودَ بالمسك التترى .

٢- أىُ نَسْمةٍ عبقة الرائحة هذه التى حطّمت قيمةَ المسك التترى فى لحظة واحدة .

٣- ربما كانت شخصًا يحرق كلَّ صباح عودَ القمار[١] على مَمَرِّك بصفة دائمة.

٤- والآن فإنَّ نقَّاشَ الطبيعة يصنع فى الحديقة بكلِّ نقشٍ مائةَ عمل دقيق.

٥- فهو يصنع من شكل شقائق فصل الربيع كأسًا من العقيق الممزوج بالعنبر.

٦- ويهيئ من الزمرد على صحن الخميلة وردَ الهودج لأجل العروس البضَّة.

٧- ويسحب إلى طرف ثوب سحب الربيع النثارَ الميمونَ المقدَّمَ للورد.

٨- وذات ليلة كان "السوسنُ" يقول خفيةً للبستانى . حتَّامَ تظلُّ حبيسَ نفسك ؟

٩- إذا كنتَ أيضًا تطلب العبوديةَ للسيد[٢]، فكيف تحضر إلىَّ بسمعة الحرية؟

١٠- فهو محيطُ مركز الرفعة الذى خُتم عليه مثل القطب تحملُ الأمور والصبرُ عليها.

١١- علاءُ المُلك والدين الذى سوَّد حالُ حامل المسك من الغيرة من خلقه .

١٢- أيها السيدُ ، استمعْ منِّى إلى قصة ، فأحكيها لك من لطف البارى .

١٣- لقد عبرتُ ذات صباح على مرجٍ ثملاً من سِحْر المكان وبهائه .

١٤- ووصل إلى مسامعى صدى هذا الغزل من صوت مطربى المرج .

١٥- ألا فأقبلْ حتى تحسبَ الروضةَ جنَّةَ المأوى من اعتدال فصل الربيع.

١٦- ولو تنقش مرجًا فى هذا الموسم ، فإنَّ هواءَ الحديقة سيأخذ بسِنِّ قلمك .

١٧- ولوتقدر الآن على الثُّمالة ؛ فلماذا أنت فى صداع السُكْر مثل عيون الحسناوات؟

---

(١) نوع من العود منسوب إلى قمار أو كمار وهى مدينة فى بلاد الهند. (فرهنگك عميد)

(٢) أى خادمًا للممدوح .

١٨- مرحى لذلك الشخص الذى يهوى من الثُمالةِ مثل "النرجس" تحت أقدام "سَرو" الجدول.

١٩- استمعْ منِّى إلى بيت تضمين واحد ، مادام الوردُ قد تفتح ، فانهضْ مِنْ يقظتك .

٢٠- "تمتع من شميم عبر من نجد   فما بعد العشيَّة من عرارى"[1]

٢١- ولتزغ الرَّاحَ تلك التى من رائحتها أطاح "البنفسجُ" بلباس النواح والمأتم (الأسود).

٢٢- ولو احتساها "السوسنُ" ، فإنَّ لسانَه سيجرى بمدح مَلك الآفاق.

٢٣- وزير المشرق والمغرب الذى يجد منه بناءُ المُلك والملَّةَ الرسوخَ والثباتَ.

٢٤- علاء الدولة والملَّة الذى يحمل حكمُه عدمَ الثبات من طبع الزئبق .

٢٥- ويصير الهلالُ نعلاً لجواده ، ويجعله بعد هذا قرطًا فى أذن الفلك.

٢٦- وبسعى ساعده يجعل خنجرَ الصفصاف فى يوم الهيجاء "ذو الفقار" .

٢٧- مرحى لجناب الفلك الذى مِنْ جلالك صيَّر وزراءَ العالم ملوكًا .

٢٨- فقال "عطاردُ" لقَلَمِك يومًا : حتَّامَ تقضى العُمرَ فى البحر (الدواة) ؟

٢٩- ألا تعلم أنَّ يدَ السيد بحرٌ ، وأنت مِنْ هذا البحر (الدواة) فى أنين ونحيب؟!

٣٠- ما إنْ سمع قلمُك هذا القولَ حتى أجابه: وقاك الله ، فإنَّك لصديقٌ مخلصٌ.

٣١- ولكنْ إنْ لم يكنْ مكانى فى البحر (الدواة) فلن أخرج هذا الجوهرَ لينثره.

---

(١) لم أصل إلى قائله ، وربما كان للشاعر نفسه .

٣٢- مرحى لـــ "ابن يمين" الذى من يُمن مدحه ، صار ذا يسارٍ مثل البحر من عقد الدُر.

٣٣- أيها السيدُ ، فليكنْ عمرك مخلدًا، حتى تظلَّ فى توفيقٍ دائمًا أبدًا .

٣٤- وتأخذ مِن المادح الجوهرَ الموزونَ ، ثم ترسل إليه فورًا الذهبَ بغير وزن.

وله أيضًا فى مدح شهاب الدين زنــــكى (ص١٦٧-١٦٨)

١- حان الربيعُ فقدِّمْ يا بنى لإزالة الهمِّ شرابًا يشبه الوردَ والشقائقَ فى طيب الرائحة وبهاء اللون.

٢- تأمَّلْ نقَّاشَ الطبيعية الذى يعقد على الماء فى البستان دائمًا آلافَ نقوش "الأرتنــگ"[1].

٣- وصارت الدنيا سعيدةً ضاحكةً ، والآن حان الوقتُ الذى يأتى من الفلك صنجُ "الزُهرة" لكل مطرب.

٤- فى محفل الملِك الأعظم ، سيد الدنيا، مصباح أولاد آدم ، "شهاب الملك والدين زنــگـــى".

٥- آسرُ العدوِّ الذى يوم الكريهة ، لو جابَهَهُ "التمساحُ" ، فإنَّه لهذا يعيده أسيرًا "للسرطان" .

٦- طالما تقلَّد تاجَ الحُكم، فمِنْ يُمن عدلِه لا ترى على وجه أحدٍ تجاعيدَ إلاَّ تجاعيد القباء.

---

(١) كتاب "مانى" المعجز الذى يحتوى على صوره الإعجازية ، واعتبره دليلاً على رسالته للناس ، فيما يسمى بالديانة المانوية التى تنسب إليه .

٧- قائد الصَّفِّ الخامس "المريخ" الذى يقود الركبَ، يجعله قائدًا للحرس على بلاط جاهه لأجل الشرف.

٨- أيضًا لو لَطَمَ البرقُ يومًا بُراقَ عزمه ، فإنَّه بمائة حيلة يطرده على دابةٍ عرجاء.

٩- ترفع السعادةُ عرشَ جاهه برفعة إلى المكانة التى لا يتسنَّى لخيال الإنسان المبهوت أن يصل إليها.

١٠- لو يستسمحه كوكبا "القمر" و "المشترى" ، فإنَّه يجعل الأولَ طبلاً والثانى جرسًا لأجل صقره النجيب.

١١- ولو يرغب الفلكُ على عادة النقل أن يصل إلى مفرقه، فإنَّه يعلِّقه عنقودَ عنبٍ فى "الثريا" بمحفله.

١٢- يسلم جوادا الدَّهرِ الجامحان الانقيادَ له : الأول هو الأشهب الرومىُّ "النهار" ، والآخر هو الأدهم الزنجىُّ "الليل".

١٣- ويختار لأجل مركبه الخاصِّ ، الفلكَ آلةً لسرجه ، والشمسَ ركابًا والمجرَّةَ حزامًا لظهره.

١٤- لو يرغب، فإنَّ طبيبَ لطفه الحاذق يستطيع أن يزيل علَّةَ العمى عن النرجس وآفةَ الخرس عن السوسن.

١٥- ويوم الكريهة، حين يفرد قبضةَ قهره مثل الأسد الهصور ، يجعل النَّمرَ الوثَّابَ ذليلاً ، شاء أو أبى.

١٦- ولو يأخذ بكفِّه سيفاً، فأنَّ عدوَّه ، من برق لمعانه، يجعل لسوء حظِّه على صفحة سيفه جوهرَ الصَّدأ.

١٧- أيها العظيمُ، أنت ذلك المَلكُ الذى أمام حلمك يكون الجبلُ الأشمُّ مهتزًا مثل قشٍّ العلف.

١٨- وتصير الدنيا مِلكَ يمينك مثل "سليمان"؛ ذلك لأنَّ لك مثل "آصف" كمال الرأى والتدبير وشمولَ العقل والفطنة.

١٩- لو يشمُّ الأسدُ نسيمَ روضة خلقك ، يصير فكُّه أكثر عبقًا من نافجة الغزال الضيِّقة .

٢٠- يرغب الفلكُ فى أن يحيا فى رفعة إلى جانب جاهك ، ولكنَّ عينَه لاحدَّ لضيقها معه أيضًا.

٢١- لو تستلُّ شمسُ رأيك سيفَ الكراهية على جبلٍ، فإنَّ وجهَه الياقوتيَّ (الأحمر) يصير داخل المنجم بلون البرتقال (الأصفر) رعبًا.

٢٢- انبعثتْ الآفةُ من قلب خصمك صوب الفلك الحائر، حين رأته (أى القلبَ) من العتمةِ والضيقِ كوخًا موحشًا.

٢٣- لو يراك العقلُ فى المحفل والوغى يقول : أنت الآن "حاتمُ الطائىُّ" فى العطاء و "البطلُ رستم" فى القتال.

٢٤- ولو يسقط ظلُّ شمس رأيك على "السُّها" يومًا، فلن تجد "الشِّعرى" لو يحدث معها بعد ذلك.

٢٥- ولا يأتى للنُّهى عجبٌ كثيرٌ لو أنَّ "الزُّهرةَ" الرعناءَ تترك الهزرَ والظُّرفَ خشيةَ قائد عدلك.

٢٦- يقتصر "ابنُ يمين" القولَ عند هذا الحدّ أمامك ، فلا أصابك صداعٌ من هذا القول المنغَّم .

٢٧- طالما يوجد دائمًا عرشُ شمس الفلك ، فليكنْ المُلكُ مُسلَّماً لك وفيه عرشٌ مناسبٌ لك.

أيضًا له (من ١٦٨-١٦٩)

١- ألا فأقبلْ حتى تشاهدَ "عِشرت آبادى"[1] كأنَّها الخلدُ الأبدىُّ ، أىُّ خلد أبدىٍّ هذا ؟ إنَّ ما تراه أطيب منه .

٢- فالعقلُ لا يسعد أنْ يناديها أحدٌ بالخلدُ ؛ لأنَّك تراه يتوارى خجلاً طالما تبدو بذلك الوضوح.

٣- لكنْ يتسنَّى لأحدٍ أيضًا أنْ يقول : إنها الخلدُ ، من جهة أنْ ترى فيها حراسًا عديدين عقلاء كأنهم "رضوان".

٤- ليس ثمة عجبٌ زائدٌ أنْ يرى أحدٌ فى الدنيا نزهةً من الحديقة ، ألا فأقبلْ حتى ترى فى هذه الحديقة ما تراه فى الدنيا .

٥- فلهوائها ميزةٌ ؛ أنَّه يمنح الصِّحةَ ؛ فمن العجيب ألا يتسنَّى لك أن ترى فيها سوى النسيم .

٦- وأشجارُها تفوق "الطوبى" نُضرةً ، ولهذا ترى طيورَ السعادة تبنى فوقها أعشاشَها .

٧- من اللائق أنْ تدعوها الجنَّة ؛ لأنَّك ترى البحارَ العميقةَ تجرى فيها كأنَّها "الكوثر".

٨- ولو ترى القصرَ المقامَ على بحرها ؛ فسوف ترى "زُحلَ" على إيوانه ليل نهار بهيئة الحراس الهنود .

٩- مرحى لذلك القصر الذى ترى أرضًا تعجُّ كلُّها بالنجوم مثل السماء من انعكاس زجاج شرفاته .

---

(١) اسم حديقة فى منطقة كاشمر مشهورة بالخضرة والفاكهة .

١٠- وحين تخطو فى ساحته فسوف تجد من روعة بهائه كلَّ سَعادة القلب وترى فيه كلَّ سكينة الروح .

١١- فهى تفضّل الجنَّةَ ، لأنك تراها أحيانًا منتزهَ الملك الموفق ومكان بَهجته وسروره .

١٢- الإمبراطور الذى ترى أمامه فى نطاق العبودية آلفَ "المهراجا" من الهند و"الخان" من الترك .

١٣- "سليمان" القدر و"آصف " الرأى ، تاج الدولة والملَّة ، الذى ترى مــن معنى حُكمه عبارة " كن فكان".

١٤- مُصنْهِرُ الظلم الذى فى مُلكه لا يعجب العقلُ كثيرًا أنْ ترى من فرط عدله أنَّ الخرافَ حارسةٌ للذئاب.

١٥- إلى جانب حركته وسكونه وعزمه وحزمه ، دائمًا ما تجد الزمانَ مثل المكان (فى الثبات) وترى المكانَ مثل الزمان (فى الحركة).

١٦- أتى جنابُه قِبلةَ إقبال خلق العالم ، وذلك حين ترى أهلَ العالم يقصدونه مثل القِبلة.

١٧- طالما ترى هواءَ خاطر الملوك باقيًا بمدح المادحين لأجل الشهرة والسمعة .

١٨- فليكنْ الملكُ العادلُ بحيث ترى "عطاردَ" مادحًا له مثل "ابن يمين" لأجل شهرته وسمعته.

وله (ص١٦٩-١٧٠)

١- طالما يكون الزمانُ فلن يكون فى وقت العظمة مَنْ يتجلى أعلاها مِنْ "علاء الدين" والدنيا.

٢- ذلك المعطاءُ غيرُ الخطَّاء الذى يكون من الرأى الصائب أنْ يُسلَّم له بالرئاسة فى الممالك على كل الرؤساء.

٣- ذلك الوزيرُ رمزُ المُلك الذى لو يتعامل "العنصرى" معه بمديحه لـــ"محمود" يكون حقًّا مكانه.

٤- فتقول إنَّ "المشترى" كسب السعادةَ من طالعه ، لأنَّه صار بذلك مشهورًا فى العالم بالطالع السعد .

٥- شقَّ نورُ رأيه سوقَ الشمس الساطعة مثلما سلب إعجازُ موسى الرونقَ من سحر السامرى.

٦- يا قلبُ ، فى وقت الأريكة والعريكة ، لو تأتى بـــ "حاتم الطائى" و"رستم" مشابهين له فى التصوُّر.

٧- وحين ترى منه العطاءَ والقتالَ ، فلن تعدَّ كلا الاثنين من الكرماء، ولن تحسبهما من الأبطال.

٨- لقد جعل عزمَه شراعًا وحزمَه خُطَّافًا لسفينة بحر الأمر والنهى والحلِّ والعقد.

٩- أنا لا أقول إن عتبةَ قَدْره هى أوجُ "زُحل" ؛ فأنَّى للذَّرَّة إشراقةُ شمس المشرق ؟

١٠- خدمةُ بلاطه غايةُ المقبلين ، وإعراضُ الوجه عنه علامةُ المدبرين.

١١- أيها الملكُ ، "ابنُ يمين" مِنْ خاصَّة عبيدك ، وأراه دائمًا مشتكيًا من جور الفلك الدائر .

١٢- فالفلكُ صولجانٌ فى اضطراب دائم مثل كرته، وقد أصاب أحوالَه مائةُ خللٍ إنْ لم تنظرْ إليها.

١٣- فحالُه كحال بائع الجوهر وليس فى هذا السوق أىُّ شخص من أىِّ جنس سوى "عطارد" و"المشترى".

١٤- والنتيجةُ قلبٌ لسودُ مع أنّ له ليل نهار عينًا خبيرةً فى تصفية الفضّة (الدموع) ووجهًا فى صياغة الذهب (الشحوب).

١٥- وحين يضع دكانًا على ناصية سوق العلم ، حينئذ يكون فى رونق بائعى القطيع أكثر من الجوهر .

١٦- وعلى الشاكلة التى يكون عليها فى خراسان يكون "عيسى باعث الروح" وإنْ كان بلا رونق سواء بحمار أو بغير حمار .

١٧- عند الملك أملُ التربية من لطفك، فاهتمَّ بالتربية مادمتَ بحمد الله قادرًا عليها .

١٨- وأنا ماذا أقول عن التربية ، ما دام رأيك يعلم رسمَ تربية الخادم أفضل من ملوك العالم.

١٩- طالما يَشقُّ نسيمُ لطف الله كلَّ ليلة فى روضة الورود النضرة النيلوفرية اللون (الزرقاء) هذه .

٢٠- فليكنْ محفلُك متنزهًا من الورود المقطوفة بحيث يخجل من رونقه هذا المتنزهُ الأزرقُ محفلُك (السماء).

أيضًا له (ص ١٧٠ - ١٧١)

١- ما أكثر ما كنتُ مثلَ ورقة الوَرْد النَّضرة مرافقًا لشوك العشق تحت قبة السماء الزرقاء .

٢- وقلمُ كاتب ديوان السعادة له مدةٌ وهو يسعى كليةً إلى عونى فى أمورى.

٣- وصائغُ المحنة ليل نهار وهو يُصفِّى الفضةَ من عينى (الموع) تارة وأخرى وهو يصوغ الذهبَ من وجهى (الشحوب) .

٤- وبسبب اختلاف الفلك الدائر ولسوء طالعى ينقطع الأملُ فى سعادة الطالع السعد .

٥- وقت صيد طائر الأمنية ، ينزوى " هُما" همَّتى عن التحليق مثل المتوارى.

٦،٧- ومع هذا كلّه وأكثر منه ؛ فأىُّ ضير حين يلقى مظهر النور الإلهى وشمس المشرق بظلِّ الرحمة على رأسى مرَّةً أخرى ، دفعةً واحدةً ، من لطف الله ، رغم أنف الفلك الدائر .

٨- فهو كوكبُ برج السعادة الذى تتجلى عظمتُه على ساكنى الأرض مثل السماء .

٩- وهو بحرُ المعنى الذى يختال عقدُ درِّ ألفاظه فى أذن عروس الفضل البضَّة وجيدها .

١٠- قطبُ الإسلام ذلك الذى سخَّر الجنَّ والإنسَ لإمْرته مثل "سليمان"، بل إنها بغير منَّة الخاتم .

١١- أعتابُه التى نالتْ عزَّ تقبيل قدمه ، تسمو فى الجلالة على إيوان "زُحل".

١٢- ذلك الذى يجعل ترَابَ أقدامه الساحق للفلك تاجًا على مفرق الشمس ورأسها على سبيل الشرف لها .

١٣- فترابُ أعتابه هو كحلُ الجواهر الذى تشتريه الشمسُ بروحها لتضىء عينها .

١٤- والعقلُ الكلِّى الباحثُ عن الحق قد يسقط سافلاً ، إنْ لم يتخذْ رأىَ زينةِ المُلك مرشدًا له.

١٥- وإنْ لم يكنْ لطفُه مربيًّا لأهل العلم ، يصبح معجزُ "الزُهرة" طيلسانَ "المشترى".

١٦- طالما يمدح جاهك "الشمسُ" و"القمرُ" ، فإنهما يَعُدَّانِنى "الأزرقى" و"الأنورى".

١٧- يا حامى حمى الدين ، فى مديحك يصنع خاطرُ "ابنِ يمين" مائةَ ساحرٍ فى عالم الشاعرية .

١٨- إذا هبَّتْ رائحةٌ مــن هذا الشِّعر علــى قبر السامرى ، تتبعث أصواتُ "لا مساس" من روحه .

١٩- طالما تصير البراعمُ ضاحكةً فى روضة النيلوفر لأجل متعة المشاهدين المتذوقين.

٢٠- ودوحةُ إقبالك ترعى أهلَ الفضل تحت ظلِّها العالى تكرمًا منها .

٢١- فليكنْ غصنُها مِنْ نسيم اللُّطفِ الإلهى ومن ماءِ الحياة أخضَر يانعًا وأندى نديًّا.

وله فى مدح تاج الدين على سربدارى (ص١٧١ - ١٧٢)

١- حينما يكون حسنُ الطالع مرشدَك ، والسيادةُ رفيقتَك ، أحرمتُ طائفًا حول كعبتك بطالع السعد.

٢- حضرةُ سلطان العالم ظلُّ الله الذى تُعدُّ شمسُ المشرق ذَرَّةً من نور رأيه.

٣- تاجُ ملوك العالم الذى أعطوه منذ بَدْء الخليقة القيادةَ على قاطنى الأرض مثل السماء .

٤- هو "علىٌّ" الاسم "حسنٌ" السيرة الذى خُتِمت القيادةُ عليه مثل معجزة النبوة على "محمد" .

٥- ذلك "سليمان" القدر الذى يُعدُّ الجنَّ وإنسُ العالم سُخرةً لأمره ، ولكنْ بغير منَّة الخاتمِ .

٦- هو القائدُ الذى لا يحضر له من "العَرَض" بحكم لا يزال "جوهرًا" غيرُ ذاته الطاهرة .

٧- ولا يستقيم أمرُ مَنْ يحيد عن منازل القمر ، إنْ لم يتخـذْ شـمسَ رأيـه مرشدًا له .

٨- ولو يَعْبر "الجنُّ" فى الليل أمامَ نور رأيه ، ما اختفى وقت النهـار عـن أعين الآدمى.

٩- يستقر أمرُ المُلك والدين بسعى قلمه ، مع أنَّ سَعى رمحه عابثٌ لا يهدأ .

١٠- ويحضر قلمُه الدُّرَّ النفيسَ المأخوذَ مِنْ الحجر الأسود ، ولو يزيل سـوادًا منه يخرج عن حدِّ التصوُر.

١١- ويتعامل سيفُه مع عدوِّ الدين بمثل ما يتعامل به "ذو الفقار المرتضى" مع يهود خيبر .

١٢- ولا يكون حتى الأبد لأحبابه مِنْ فيض كفِّه المعطاء وسـمٌ بـلا فـضةٍ (دموع) وألمٌ بلا ذهبٍ (شحوب).

١٣- ولا يأتى أيضًا لعدوِّه فضَّةٌ وذهبٌ أقل من ذلك الذى يكون لعينـه فـى تصفية الفضَّة (الدموع) ولوجهه فى صياغة الذهب (الشحوب).

١٤- فى يوم العريكة ويوم الأريكة يأتى من "المريخ" ومن الزُهرة" ، من الأول خنجرٌ ماضٍ ومن الثانى الطربُ .

١٥- تشترى الشمسُ بمائة روح ذرَّةً من تراب أعتابه لتكون علاجًا لعينها .

١٦- من يُمن عدله فى الدنيا ، يتجاور فى مقعد واحد الباشقُ والصقرُ النجيب مع العصفور وقطاة الوادى .

١٧- تكون السماءُ والقمرُ من مادحيه ، ولهذا السبب فإنهما يظهران نفسيهما "الأزرقى" و"الأنورى".

١٨- أيها الملكُ ، أدرى أنَّ رأيك زينةَ المُلك يعلم ذلك الذى كان "للعنصرى" مِن رعاية "محمود".

١٩- وحين أتمعَّن فى سبب تلك الرعاية لا أرى شيئًا آخر مطلقًا غير الشعر والشاعرية .

٢٠- لم يكنْ " للعنصرى" قبل هذا سوى الشاعرية فحسب ، بينما "ابنُ يمين" له الآن فى مديحك السِّحرُ.

٢١- فلو تَعَبر شمَّةٌ مِنْ هذا السِّحر على قبر " السامرى" ، فإنَّ أصواتَ "لا مساس" تنبعث مِنْ قبره.

٢٢- يكون لِشعرى العذب فى وصف أخلاقك ما يكون لببغاء الروح من حلاوة السُّكَّر.

٢٣- وما دمتَ تفوق بحمد الله مائةَ "محمود" ، وأنا لستُ فى باب مديحك أقلَّ مِن "العنصرى".

٢٤- ومِنْ ثَمَّ ، فحرىٌّ بهذا العبد (الشاعر) أنْ ينال من لطفك الشامل أعلى مِنْ أبناء جنسه برتبة.

٢٥- يتسنَّى لك مَنْحى الخلاصَ من ألم القلب ، لو تنظر إلى حالى مرةً واحدة بعين العناية .

٢٦- طالما يُزيِّن نقَّاشُ الصنع فى ربيع حُسن الحسان ، ورقَ الورد النَّضر مِنْ خطِّ النيلوفر .

٢٧- فليكنْ محفلُك وقت الربيع مع بهاء وجه الحسناوات ، مثل روضة النيلوفر (السماء) مِنْ ورود الأنجم.

وله أيضًا فى مدح الأمير مولاى بيگ (ص١٧٢-١٧٣)

١- حبذا الطالعُ الذى صار لى مرشدًا إلى بلاط الأمير الأعظم القائد ذى الرأى الرشيد على حين غِرّة.

٢- الملك العادل الأمير رمز المُلك "مولاى بيگ " حارس المُلك الإمبراطور حامى دين الله .

٣- ذلك الذى خوفًا مِنْ سهم عدله يقبع" سيمرغُ" الفلك فى زاوية بصفة دائمة مثل المتوارى .

٤- وذلك الذى فى الخير والشّر والنفع والضُر ، يكون العقلُ الشيخُ مستشارًا دائمًا له وحظُّ الشابّ له مرشدًا.

٥- حيثما يضعون للملك "البيدق" مثل "الوزير" "للرُخ" فإنّه (أى الملك) يضع "الحصان" لمواجهة "الفيل" من الهروب .

٦- صار عنفُه قاصفًا لعُمر الأعداء يوم الوغى ، ولطفُه منعشًا لروح الأحباب يوم المحفل .

٧- لماذا أنينُ "الزير" و"البم" لخصمه مثل "الصنج" ؟ إنْ لم يكنْ يئنُّ من الأخمص حتى المفرق مثل "الناى" من الأسر والجرح .

٨- قائدُ القلعة السابعة الذى يُدعى "زُحل" يكون على بلاطه أقلَّ من خادم وحاجب.

٩- يلين العدوُ على تعديات رمحه ولكنْ يأتى إليه التوبيخُ شديدًا من جراح هراواته الثقيلة.

١٠- كلُّ مَنْ استكان في ظلِّ عقاب رايته ، صار فى ظلِّ عظمة الـ"هُما" مِن
- شمس الغمِّ.

١١- لو ينظر إليه الفلكُ بعين الأحول ، فلو رأى حاكمًا نظيرًا له ، لربما كانت الدنيا.

١٢- أيها الأريحىُّ ، ما إنْ يصل السائلُ إلى بلاطك ، حتى يأتى إلى مسامعه من صرير القلم نداء : ألا فأقبلْ .

١٣- وخوفًا من سايس عدلك ، لا يبقى فى العالم قاطعُ طريق وظالمٌ، اللهم إلا الكأس وعازف البربط.

١٤- لو يصل أمرُك إلى الأشراس ، لايَمَسُّ قشُّ العلف بشىء من الكهرباء .

١٥- لو تصبح أمُّ الدنيا عقيمةً فهذا لائقٌ ، أمَّا أنْ يكون لها ابنٌ مثلــك ، فقــلْ لها: كفى .. لا تلدى آخر مطلقًا .

١٦- أيها الملكُ ، لو ينال "ابنُ يمين" منك عنايةً، فلن ترى عينُ الدنيا مادحًــا للمَلِك مثلَه .

١٧- طالما يكون لروضة حُسنِ العشّاق لونٌ ورائحةٌ مِنْ عارضٍ مشبَّع بالورد ومِنْ طُرَّتين عنبريتين.

١٨- فليكنْ لحديقة "إرم" التى تشبه الجنَّةَ غيرةٌ من جنابــك ومــن حورياتــك الفاتنات .

١٩- وليكنْ حبُّك للأحباب وقهرُك للأعداء حتى الأبــد شــرابًا منعشًا للــروح (للأول) وسُمًّا ناقعًا (للآخر).

وله أيضًا فى مدح علاء الدين محمد الوزير
والتعريف بالقصر الذى شيَّده حديثًا (١٧٣-١٧٤)

١- يا قلبُ ، لو ترغب فى أنْ تشاهد الخلدَ الأبدىَّ ، ولو تهوى أنْ ترى حديقةَ "إرم" فى العالم عيانًا بيانًا.

٢- فانظرْ متمتعًا إلى هذا القصر الشامخ ، حتى تراه بنفس العين غايةَ المتعة أيضًا .

٣- يشيِّدون فى العالم قصورًا وهذه عادتُهم ؛ فهل شيَّد أحدٌ مطلقًا قصرًا ترى فيه العالمَ؟

٤- وترى بابَ هذا القصر الميمون مفتوحًا من تلك اللحظة للنصر ، وترى السعادةَ فيه مغلقةً على العالمين فيه .

٥- وترى سطحَ إيوانه العريض المناطح للفلك ، يغدو عليه "زحلُ" ويروح حارسًا له ليل نهار .

٦- وترى "هُما" أوج الفلك الذى يُدعى الشمس ، قد أقام عشَّه تحت ظلِّ سقفه.

٧- ومن صورة آجر صحنه وصُور سقفه ، تجد الفلكَ مليئًا بالقمر والشمس ، وترى الأرضَ تعجُّ بالإنس والجانِّ .

٨- وترى هواءَه معتدلاً على النحو الذى تكون الصورُ الصمَّاءُ فيه ترجمانًا لصدى أهل البلاغة والبيان .

٩- ومن جهه خاصية طبعه فإنَّه يمنح الصِّحةَ دائمًا ؛ لأنَّ المتعجبَ لا يتسنَّى له أنْ يرى فيه سوى النسيم العليل .

١٠- ربما كان جناتِ عدن ؛ لأنَّك تشاهد فى كلِّ جانب فى ساحته بابًا لبستان.

١١- وصار جنابُه (أى الممدوح) لخلق العالم قِبلةَ الحاجات ، وترى آلاف القوافل تَغْدو صوبَه مثل القِبلة .

١٢- حين طوى وزيرُ العالم العادلُ أرضَه (أى القصر) ترى رأسَـه تتـاطح السماءَ مِنْ عزِّ تقْبيل أقدامه .

١٣- وزير العالم العادل " علاء الدين محمد " ذلك الذى ترى دائمًا حظَّ الشاب قرينًا لرأيه الشيخ .

١٤- لو تتعجب مِنْ عدله زينةِ العالم فهذا غيرُ لائق ؛ لأنك ترى الذئبَ مثـلَ الرعاة فى الحفاظ على الجمل .

١٥- وحين يكون عدلُه معمرًا للدنيا ، فمِنْ هذا تراه آمنًا من الفساد مثل البيت المعمور (الكعبة) .

١٦- فلتدمْ السعادةُ فى هذا القصر البهيج، حتى المكان الذى ترى فيه مثل " ابن يمين " مداحًا لفلكه المرشد .

ولـه أيضًا فى مدح نظام الدين يحيى (ص ١٧٤ - ١٧٥)

١- جاء العيدُ ، فقدِّم أيها المعشوقُ الصبوحَ الورديةَ اللون ؛ ففـى صـفائها مظهرُ صورة الطرب .

٢- فقد استقام أمرُ العيشِ من العيد مثل الصنج ، وتهيَّأ بعد هذا لأجل الطرب مثل الناى .

٣- إلامَ يتغنى المطربُ بنغمة الزهد العذبة ؟ وحتامَ التوبةُ ؟ هيا أيها الساقى وأحضِرْ قدحَ المُدام .

٤- عاقِرْ الخمرَ ؛ لأنَّ طاهرَ القلب لا ينال فى هذا الزمان المتقلب مثل كأس الطِّلى .

٥- قدِّم الراحَ ، فقد ظهرتْ ساحةُ المحفل من ضيائها أطيب عبقًا من فـصل الربيع إلى فصل الشتاء .

٦- فقلتُ له عنها : إنها بصفاء الشمس ، فسمع العقلُ فقال لىَ : ألا فلتصمتْ.

٧- إذا ما تصير الشمسُ مقتبسةً من نورها ، فإنها لا تطوى في الكسوف منشورَ حُسنها .

٨- فقلتُ إنَّنى بَعْدُ لا أتحدث عن الشمس ؛ فماذا أقول له ؟ فقال : إنَّها صورةُ خاطر الوزير الطيب المحتد .

٩- حضرة نظام الدولة والملَّة الذى يُجلس رأيُه حبَّةَ العرق خجلةً على صفحة الشمس .

١٠- ذلك القائدُ الذى يأتى الـ " هُما " تحت عقاب رايته طالبًا السعادة .

١١- يوم الوغى ويوم المحفل ، يستولى بفارس واحد على إقليم الآفاق، ويهب من سؤال واحد مُلكَ " الرَّىِّ " .

١٢- وحين تعرج همَّته إلى العالم العلوى ، يأتى برأس نجم " الجُدَىِّ " [١] تحت أقدامه من فرط رفعته .

١٣- يوم العريكة ويوم الأريكة فى داخل أى عقل ، ما رأى أحدٌ له أثـرًا إلا وقال : إنه له ألف أثر .

١٤- فقد عاد إلى الدنيا مرةً أخرى بفأل السعد " رستمُ " من ناحية " زابل" و"حاتمُ " عن طريق " طىٍّ " .

١٥- ولا يخطو الخلقُ خطوةً من كتم العدم إلى الوجود ، طالما لم يقلْ جودُه : إنَّ أرزاقكم علىَّ .

١٦- فلا عجب لو تسير الشاةُ ثانية فى عهد عدله من القوس كاملةً بقرنها وعصبها .

---

(١) هو البرج الثانى عشر فى الفلك واسم نجم فى القطب الشمالى (فرهنگ عميد) .

١٧- فقال الفلكُ المرشدُ بشفقة ألف مرة إلى طالعه : لقــد أنبَتَــكَ الله[1] أيهــا الصبى .

١٨- أيها الملكُ ، إنَّ رأيَكِ فى ضمير الخصم نورُ هداية للْغِىِّ المخــتص فــى داخله .

١٩- وحين يتجرع خصمُك سوءَ المزاج متأخرًا ؛ فهذا أفضل مِنْ أنْ يعطــوه شراباً من لعاب الحيَّة (سم الأفعى) .

٢٠- يصنع القدرُ لك قباءً من أطلس الفلك ، أنت يا من عظمةُ الملوك تكمن فى حافة تاج قدرك .

٢١- كلُّ هلال يضع نعلَ حافر جوادك (الأصفر) على وسم جواد الفلك الأبلق (أسود وأبيض) فى موضع الكَىِّ .

٢٢- ما أكثر تفاخرَ مادحى العرب من أرباب الفضل بجنابك الرفيع !

٢٣- إنْ لم يدفعْ عدلُك ظلمَ الفلك ، لا يبقى على صفحة الوجود دليلٌ على شىء.

٢٤- أمرُ قاطنى العالم منتظمٌ بوجودِك ، فليكنْ لك الوجودُ حتى توجد الحيــاةُ فى عصرك .

أيضًا له فى مدح خواجه نظام الدين يحيى (ص ١٧٥- ١٧٦)

١- لو تصير كلُّ نبتةِ شعرٍ لى لسانًا ، وأنالُ من الأيام من الأزل حتى الأزل لحظةً واحدةً .

٢- وكلُّ لسانٍ يعبِّر بمائةِ لونٍ من القول عن مكرمة ملَك الفلَك رمز القَــدْر والمكانة.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (سورة نوح آية ١٧) .

٣- ومع هذه المدة اللامحدودة ولحن الفصاحة هذا ، لا أعبِّر بالبيـــان عُـــشْرَ عُشير من كرم الملَك.

٤- الملكُ "يحيى" واهبُ العالم الذى جعلتْ همَّتُه مثل "يحيى بن برمك" الروحَ تسرى فى بدن الجود.

٥- ذلك الذى من عدله لا ترى فى الآفاق كلِّها أفضلَ مِن ذئب الليل من أجل رعاية الحمل.

٦- أيها الملكُ ، أنت ذلك الملكُ الموفق الذى لم يَرَ الفلكُ المرشدُ مطلقًا رمزًا للمُلك مثلك.

٧- لو يطلب أهلُ البصيرة فى الدنيا أبد الدهر حاذقًا ، فإنَّه ناظمُ أحوال الدنيا – أى الملك.

٨- لم يرَ أحدٌ فى الصفاء على صفة رأيك الشيخ ، ويكفى أنه لم يـستطع أنْ يجد مثلَ طالعك الشاب.

٩- يهيِّئ سايسُ حكمك من الهلال ومن المجرَّة رِكابًا وعِنانًا لأجل مركبـك الخاصِّ .

١٠- لو يظلُّ العقلُ المجربُ يفكر حتى يوم القيامة ، فلن يعطى أىَّ علامةٍ عن جلالك سوى الوهم .

١١- تدور دوراتُ الأنجم وتصنع القرونَ ، ولا ينهض إلى الفضل مثيلُك فـى أىِّ قرن .

١٢- كلُّ ما يفيض من السحاب لأجل فصل الربيع ، وكلُّ ما يكون مِن ريــاحٍ فى الخميلة لأجل وقت الخريف.

١٣- أقلُّ من قطرة بحرٍ وغبارٍ من منجم، أمام عطاء قلبك الشبيه بالبحر وكفِّك الشبيه بالمنجم.

١٤- ليس للعدوّ نصيبٌ منك مطلقًا سوى ظهر الدّرع ، ولا يكون منه لأجلك أيضًا سوى وجه القوس.

١٥- ما إنْ يقع بصرُ العدوّ على سيفك ورمحك ، حتى تصير أهدابُه في عينه مثلَ سيفٍ ورمح.

١٦- لو تشمل الفتنةُ الدنيا ، فلا ضير لقاطنيها ، إذا ما يَهبُ رسولُ إنصافك لهم خطَّ الأماني.

١٧- يكون لروح القدس "ابن يمين" غرضٌ مِنْ فلان ؛ ذلك لأنَّ العقلَ يشترى منه كلَّ قولٍ بالروح.

١٨- لو يشترى العقلُ منه كلَّ قول بالروح ، فلن يروا أىَّ ضَيْرٍ من مثل هذا البيع والشراء.

١٩- اشتهر ببغاءُ طبعه من ذلك بعذب القول ، لأنَّ لسانَه مليءٌ بسُكَّر شُكْرك .

٢٠- لقد ختمتُ هذا المدحَ خفيفَ الروح بالدعاء لك ، حتى لا يقولوا فى كلِّ ناحية : إنَّ فلانًا صار ثقيلاً .

٢١- يكون جوهرُ مديحك زينةً لسيف الألسنة ، طالما يكون الكلامُ وكفى جوهرَ كلِّ سيفٍ ولسان .

وله أيضًا فى مدح نظام الدين يحيى (ص ١٧٦ - ١٧٧)

١- لو يشيح محبوبى النقابَ عن محيَّاه ، يستولى على عالم الروح بنظرةٍ ساحرةٍ واحدة .

٢- كلُّ مَنْ طالع خطَّه الأزرق حول ياقوته [١] ، توهَّم أنه ربما كان ببغاءٌ يمضغ السُّكَّر .

٣- لم أنزلق إلى وهم طبع قُبلة على وجهه ؛ فأنا أخشى أنْ يصاب عارضُه بأثرٍ من الملاطفة .

٤- لو سألتنى: متى صرتَ أسيرًا لقلبه ؟ فهذا سؤال صعبٌ علىَّ ؛ لأنَّه يستولى على القلب على غفلة منه .

٥- كلُّ مَنْ يضع قدمَه فى طريق عشق ذلك الملائكىِّ الهيئة يكُنْ شرطُه عليه أنْ ينزع أولاً غطاءَ الرأس .

٦- فقلتُ له : مِنْ حُرقةِ عشقك أضرمتُ نيرانًا فى العالم ، فقال : أتظنُّ أنَّ الملكَ ربما قد مات [٢] ؟

٧- لم أنفصل عنه يوم الوداع ؛ ذلك لأنَّه استولى على مَعْبَر السَّيل الدَّموى من دموعى .

٨- وهكذا يفعل ما يشاء مِنْ ظُلْمٍ على العشَّاق ، ومن اللطيف أنَّه يختصر هذا الذنبَ .

٩- لو كان الظلمُ على هذا النحو؛ فما أسرع أنْ يسلك المريدُ الطريقَ إلى بلاط المَلك "جمشيد" المعظم طالبًا العدل .

١٠- هو الملكُ "يحيى" ذلك الذى لرأيه الشبيه بسيف الشمس تلك القدرةُ على أنْ يستولى على مُلك البحر والبر .

١١- وذلك الذى كلُّ متوَّجٍ فى كل مكان يتمنطق مثل العبد أمام عرشه لأجل كسب العزَّة .

---

(١) الخطُّ الأزرق نبت الشَّعر على شفته العليا ، والياقوت شفاهه الحمراء الداكنة .

(٢) الشاعر يستخدم لعبة الشطرنج هنا فى تعبير رمزى .

١٢- وذلك الذى حينما يحضر "عطاردُ" القلمَ لمدحه ، يستجلب القلمُ الورقَ من "الشهاب" ومن "القمر" .

١٣- يكون لكلِّ واحد من عبيده وقت العمل تلك المقدرةُ على أنْ يتوَّج ملكًا .

١٤- حينما تتجه رايتُه بفضل الخالق ، تُجندل جيشًا آخر وتستولى على مُلْكٍ آخر .

١٥- الثعلبُ الذى يندفع من بلاطه للصيد ، حينئذ يكون موسومًا عليه بأنَّه صاد أسدًا .

١٦- يوم الكريهة يتوارى منه خصمُه مثل النجوم من الشمس ، ولو أنَّه يحشد مثلَ الشمس من النجوم ما لا يُحصى .

١٧- حينما يحلِّق صقرُ رايته فى الآفاق ؛ فإنَّه يأخذ تحت جناحه مثلَ سيمرغ الفلك .

١٨- وقت الجود ووقت العطاء تستولى همَّتُه على العالم مثل القمر والشمس بالفضَّة والذهب .

١٩- ربما تجلب سحبُ الربيع الماءَ مِنْ بحر يده ، فإنَّ الصَّدفَ يأخذ من رشاشها الدُّرَّ والجوهرَ .

٢٠- لو يجد نسيمُ خلقه ممرًّا على أرض الصين ، فسوف تتخضَّب نافجةُ الغزال بدم الكبد غمًّا .

٢١- أيها الملكُ ، ما إنْ يقبض أقلُّ عبيدك "ابن يمين" بالقلم شارعًا فى مدحك .

٢٢- فإنَّ كاتبَ ديوان الفلك كثيرًا ما يصير خجلاً ، فيطيح بالديوان والدفتر ويمضى إلى حال سبيله .

٢٣- مع مثل هذا الشِّعر الذى ينتشر مثل صيتك غازى العالم من المشرق حتى المغرب ؛

٢٤- فلو أدَّعى أنَّنى أنشئ به مديحًا لائقًا بكم ، فإنَّ العقلَ يحاسبنى بشدة على دقائقه .

٢٥- وحتى لا يَملَّ خاطرُك العطرُ بعد هذا ، فمن الأفضل لى أنْ أختصر هذا القول .

٢٦- يكون من الأحسن أنْ يعقب الدعاءُ الثناءَ ، وأنا الذى يأخذ الأفضلَ إلى طريق الأحسن .

٢٧- طالما يكون معلومًا أنَّ الإمامَ المنتظرَ سوف يأتى ويستولى على كلِّ الآفاق أخضرها ويابسها .

٢٨- فلتكنْ لك تلك القدرةُ من الحكم النافذ على الآفاق ، وتستولى مثل الإمام المنتظر على الآفاق كلها .

وله أيضًا (ص١٧٧ – ١٧٨)

١- المنَّةُ لله ، أنَّ السعادةَ قد أرشدتنى ثانيةً صوبَ القصر الشامخ الذى يعلو على الفَلَك .

٢- قَصْرُ حضرة جلال المُلك والدين قائد العهد ، "يونس" طاهر النسب الذى تليق له الرئاسةُ .

٣- ذلك المبارك المعظَّمُ الذى لم يَغبْ "المشترى" عن طالعه للحظة واحدة حتى ينال كلَّ السعادات .

٤- وذلك الذى مِنْ أجل إخماد فتَن "يأجوج" فى العالم ، شيَّد رأيُه زينةُ المُلك سدَّ الإسكندر .

٥- وتشترى الشمسُ ذَرَّةً مِنْ نور رأيه بمائة روح ، لأجل ضياء حالها .

٦- يكون أمرُ نظم المُلك والدين من قلمك حامل الجوهر ، مع وجود ذلك الذى يكون جاهلاً بأمر قلمك .

٧- لا يتسنَّى إيجادُ المزاوجة تحت قبَّة سمائه ، بين جمال المنظر وطيب المخبر .

٨- فى نهاية كلِّ نهار تريق شمسُ المغرب دماءَ القلب فى الوعاء النيلى (السماء) غيرةً من رأيه الساطع .

٩- ما إنْ رأتْ سُحبُ الربيعِ كفَّه ناثرةَ الذهب ، حتى حملتْ رعبَها أمام الفلك وهوتْ أمامه باكيةً .

١٠- أيها الميمونُ الطالع لقد جاء من ديوان القضاء وقفُ ذاتك التى ليس لها نظيرٌ مادةً للطالع السعد .

١١- من أجل عطائك الدائم يكون للقمر وللشمس صنعةُ تصفية الفضَّة وعادةُ صناعة الذَّهب .

١٢- أتيتُ إليك بالشِّعر على سبيل الهدية والمحبة ، فقال العقلُ : أتُحضر يدُ "السامرى" هديةً لأجل "موسى" ؟

١٣- حَسَنًا ما يقول به العقلُ ، ولكنَّ عذرى واضحٌ ؛ فلا يعلم أحدٌ قيمة الجوهر سوى الجواهرجى .

١٤- حقًّا ،عبدُك ينشد الشِّعرَ شوقًا لمديحك ، مع أنَّ الشعرَ والشاعريةَ متاعى من حادثات الدهر .

١٥- يكنُّ لك "ابنُ يمين" إخلاصًا فى أعماق روحه بلا غرض ، مع أنَّك لا تعتنى به مع ألطافك هذه .

١٦- ومع أنَّه لم يأتِ من ألطافك شكْرٌ واحدٌ ، فأنا أظهر إخلاصى لك بنشر مديحك .

١٧- وحين أجرى على اللسان القولَ فى وصف أخلاقك ، فإنَّ ألفاظى العذبةَ تهيئ السُكَّرَ للببغاء الروح .

١٨- حان موسمُ العيد ، وكلُّ شخص يُهنئك ، أتدرى شيئا مما أقوله عن طريق خدمتك ؟

١٩- ليس ثمة حاجةٌ مِنْ وراء تهنئتك ، ولأجل هذا فالخلقُ كلَّ يوم لديهم عيدٌ آخر من فرط بهجتهم .

٢٠- طالما عن طريق مقتضى الطبع يشتدُّ دورانُ السماء بصورة لا تحصيها .

٢١- فليكنْ عمرُك سرمديًّا مثل دوران الفلك ، ولك نصيبٌ من المُلك ومن الروح والشباب .

قصيدة عيدية (ص ١٧٨)

١- ظهر هلالُ العيد والبركات ، فأحضِرْ أيها الساقى الخمرَ المشعَّةَ بسخاء .

٢- ففى محفل الملك حيث تُنشر المكرمات يُطوى ذكرُ "حاتم" و"يحيى البرمكى".

٣- السلطانُ "وجيه" الدولة والدين ذلك الذى وقت الكريهة يأتى فى كفِّه البلاءُ الصريحُ من ورق الصفصاف [١].

٤- وفى يوم الوغى ، يُلَطِّخُ غبارُ موكبه الميمون بالجير وجهَ خصمه المخضَّب بحُمرة الزرنيخ .

٥- ويأتى دوىُّ طبله يوم الهيجاء فى أذن الأبطال أحلى مذاقًا من شَدْوِ القُبَّرَة [٢] .

٦- ويُخضِّب عدوُّه وجهَه بدماء عينه الدموى ، رعبًا من درعه الثقيل .

---

(١) أى من خنجره .

(٢) طائر صغير حسن الصوت .

٧- مع عدله الشامل ، لا يتسنّى لأحدٍ فى العالم أنْ يشتكى مِنْ ظلم الدهر .

٨- المكانُ الذى يستشير فيه الشيخُ حظَّه الشابَّ البضَّ ، هو المكانُ الذى يضع الفلكُ المرشدُ عليه رأسَه بطفولة .

٩- فليكنْ لعدوِّه من فتح قوس الفَلَك ، أهدابٌ مثل السهام الصغيرة تدخل عينَه الوقحةَ .

وله (ص ١٧٨ - ١٧٩)

١- يا ريحَ الصَّبا لو تلطَّفتِ ، فاحملى ذات سحَرٍ خبرًا مرسلاً منّى إلى ملك الآفاق .

٢- قدوةُ أهل الكرم "يونس" طاهر النسب ؛ ذلك الذى لا يمثل البحرُ والمنجمُ خطرًا أمام قلبه وكفِّه .

٣- ذلك المعطاءُ الذى لم تأتِ أمُّ الأركان (الدنيا) مِنْ كتم إلى ساحة الوجود ابنًا يماثله .

٤- وذلك الذى لا ينشد ببغاءُ الطبيعة ، ما لم يكنْ فى فمه سُكَّرٌ مِنْ سُكْره .

٥- وحين تصلين إلى حضرة الميمون صاحب الرفعة ، فاعرضى هناك قَدْرًا منّى ومِنْ حالى .

٦- ذلك لأنَّنى متيقّنٌ مِنْ أنَّ لك فى كلِّ وقت نظرةً من عين العناية صوب "ابن يمين" .

٧- أىَّ خطأ قد حدث ، فلم أرَ هذا العام مثل ما مضى ؛ إذْ لم يَمرَّ على بابه موكبُ لطفك .

٨- لا يُستبعد العقلَ حقًّا من مثلى مع وجود مثلك طلبُ الجود من آخر .

٩- يا شمسَ الكرَم (الممدوح) لا تحسرْ الظلَّ عنه (الشاعر) ، حتى يعلم الجميعُ أثرَ عنايتك .

ثبت بأسماء المراجع

(أ) المراجع التى كتبت بالفارسية :

١- ابن فندق - أبو الحسن على بن زيد البيهقى : تاريخ بيهق ، تصحيح أحمد بهمنياز . چابخانه كانون ١٣١٧ ش .

٢- ابن يمين فريومدى - أمير فخر الدين محمود : ديوان اشعار ابن يمين فريومدى . تحقيق حسينعلى باستانى راد ازانشارات كتابخانه سنائى چابخانه حيدرى ١٣٤٤ ش .

٣- المؤلف نفسه : ديوان مقطعات ورباعيات ابن يمين . باتصحيح ومقدمه سعيد نفيسى . تهران چابخانه شركت مطبوعات ١٣١٨ ش .

٤- ادوارد براون : تاريخ ادبى ايران . جلد سوم . ت على اصغر حكمت تهران ١٣٢٧ ش - ١٩٤٨م .

٥- آذر - حاجى لطفى بيك : آتشكده بمبىء چاپ ٢٧٧هـ - ١٢٧٧م .

٦- آريانا : دائرة المعارف . جلد اول . ازانجمن دائرة المعارف افغانستان ١٣٢٨ .

٧- اميرخواند - امير محمد بن سيد برهان الدين خواند شاه : روضة الصفا. تهران چاپ پيروز ١٣٣٩ ش ح ٥ ، ٦ .

٨- پطروشفسكى : نهضت سربداران خراسان . ت كريم كشاورز ، چاپ سوم بهار ١٣٥١ ش انتشارات پيام .

٩- تقى بينش : مسجد فرومد سبزوار مقال بمجله نامه استان قدس : شمار (١) دوره دهم (٣٧ مسلسل) .

١٠- جلال الدين الرومي : ديوان شمس تبريزى . باهتمام فروز نفر چاپ چهارم ١٣٥٣ - ١٣٥١ هـ ش .
١١- جلال الدين شريعتى ترشيزى : سربداران (از دائرة معارف إسلام) مقال بمجله نامه آستان قدس (١) دوره دهم (٢٧ مسلسل) .
١٢- جلال الدين همائى : تاريخ ادبيات ايران مجلد أول . چاپ اول اميران تبريز ١٣٠٨ ش .
١٣- حافظ آبرو - نور الدين لطف الله - : جغرفياى حافظ آبرو . قسمت ربع خراسان . هرات . به كوشش مايل هروى انتشارات بنياد فرهنگ ايران ١٣٤٩ ش .
١٤- المؤلف نفسه : ذيل جامع التواريخ رشيدى . بخش نخستين . تهران ١٣١٧ هـ ش .
١٥- حسينعلى ستوده : تاريخ آل مظفر انتشارات دانشـگـاه تهران ١١٤٥/١ آذرماه ١٣٤٦ . مجلد أول ، مجلد دوم .
١٦- حمد الله مستوفى قزوينى . تاريخ گزيده . نثر بروان ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م .
١٧- المؤلف نفسه : نزهة القلوب . المقالة الثالثة تصحيح گاى ليسترنج طبع ليدن ١٣٣١ هـ - ١٩١٣م .
١٨- خواند امير - غياث الدين بن همام الدين - : حبيب السير فى اخبار البشر منشورات كتابخانه خيام ١٣٣٣ هـ ش المجلد الثالث ج١ ، ٢ .
١٩- دولتشاه السمرقندى : تذكرة الشعراء . تصحيح وتمهيد . جناب شيخ محمد اقبال صافى صاحب ايم . آكورداسپور سنة ١٩٣٩م ١ ط لاهور .
٢٠- ذبيح الله صفا : حماسه سرائى در ايران چاپ خودكار ايران ١٣٢٤ ش .

٢١- المؤلف نفسه : تاريخ ادبيات در ايران . جلد سوم . بخش دوم . انتشارات دانشـــگـــاه تهران ١٣٤٦/٤٣ .
٢٢- المؤلف نفسه : تاريخ ادبيات در ايران . جلد سوم قسمت اول انتشارات ابن سينا سال ١٣٥١ .
٢٣- رشيد ياسمي : احوال ابن يمين . تهران . نشر كتابخانه شرق طبع مطبعة سعادت ١٣٠٣ هــ ش .
٢٤- رضا پازوكى : تاريخ اول ايران ازمغول تا افشاريه . شركت چابخانه فرهنگــ چاپ اول دى ماه ١٣١٦ .
٢٥- رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات در ايران تهران چاپ انتشارات امير كبير ١٣٤٢ ش .
٢٦- رضا قلى هدايت : رياض العارفين چاپ دوم . تهران ١٣١٦ .
٢٧- المؤلف نفسه : مجمع الفصحاء جلد دوم ط ١٢٩٥ .
٢٨- د. زهراى خانلرى : فرهنگ ادبيات فارس . انتشارات بنياد فرهنگــ ايران ١٣٤٨ .
٢٩- سعدى الشيرازى : كليات سعدى تصحيح ذكاء الملك فروغى چاپ جاويدان چاپ دوم ١٣٥١ هــ ش .
٣٠- سنائى الغزنوى : مثنويهاى حكيم سنائى . تصحيح وتقديم محمد تقى مدرس رضوى تهران ١٣٤٨ .
٣١- سيد حسن الغزنوى : ديوان سيد حسن الغزنوى ملقب به اشرف تصحيح آقاى تقى مدرس رضوى ١٣٢٨ انتشارات دانشـــگـــاه تهران .
٣٢- سيد على أكبر : راهنماى دانشوران جلد دوم ش ق چابخانه تابش قم .
٣٣- شبلى النعمانى : شعر العجم جلد دوم ت فخر داعى تهران ١٣٢٧ ش.

٣٤- شمس الدين محمد بن قيس رازى : المعجم فى معايير اشعار العجم تهران ١٣١٤ ش . تصحيح . محمد بن عبد الوهاب قزوينى .
٣٥- عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران (عهد مغول) مجلد اول . چاپ سوم . ١٣٤٧ هـ . ش چاپ امير كبير .
٣٦- المؤلف نفسه : مقدمة كليات عبيد زاكانى . انتشارات اقبال : سومين چاپ ارديبهشت ١٣٣٢ ش .
٣٧- عطار - فريد الدين العطار - : كتاب منطق الطير من تصنيف شيخ فريد الدين العطار . طبع شد باهتمام خدا گرسيين مطاس . مطبعة خانة پاد شاهانه ١٨٥٧ عيسوى ١٢٧٢ هـ .
٣٨- عليرضا حكمت : وضع ادبى واجتماعى ايران ازديدگاه ابن يمين مقال بمجله مجموعه خطابه هاى نخستين كنگره تحقيقات ايزانى . بكوشش د. غلامرضا ستوده ، دانشكده ادبيات وعلوم انسانى چاپ تهران ١٣٣٢ ش - ١٣٦١ هـ ق .
٣٩- محمد تقى بهار ملك الشعراء : سبك شناسى ج٢ چاپ تابان تهران .
٤٠- محمد على مدرس : ريحانه الادب . چاپ دوم . تبريز ١٣٣٢ هـ.ش جلد چهارم . جلد هشتم .
٤١- محمد عوفى : لباب الألباب ج٢ تصحيح ادوارد براون انگليسى . ط بريل فى ليدن ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م .
٤٢- مسعود فرزاد : قصايد قطعات رباعيات ومثنويات حافظ . انتشارات دانشگاه پهلوى شيراز ١٣٥٠ هـ ش .
٤٣- هرمان اته : تاريخ ادبيات فارسى . ت دكتر رضا زاده شفق تهران ١٤٤٧ .

(ب) المراجع التى كتبت باللغة العربية :

٤٤- د. إبراهيم أمين الشواربى : أغانى شيراز ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢ ، القاهرة .

٤٥- المؤلف نفسه : حافظ الشيرازى ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٤م .

٤٦- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، كتاب التحرير ١٧٢ ط ، دار التحرير بالقاهرة .

٤٧- د. أبو العلا عفيفي : مقدمة فصوص الحكم ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م دار إحياء الكتب العربية .

٤٨- أبو الفدا – عماد الدين إسماعيل : المختصر في أخبار البشر، ج٤، طبعة المطبعة الحسينية ، القاهرة ، سنة ١٣٤٥هـ .

٤٩- أخبار الحلاج : تصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدنى هاشم ، مطبعة عطا، باب الخلق ، القاهرة .

٥٠- إدوارد براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى إلى السعدى ت. الشواربى ، مصر ، ١٧٧٣ هـ - ١٩٥٤م .

٥١- أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، ط الشبكشى، الأزهر ، مصر سنة ١٩٤٧ ط ٣ .

٥٢- د. إسعاد قنديل : فنون الشعر الفارسى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٥م ، القاهرة .

٥٣- إسماعيل بن محمد العجلونى : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح أحمد الكلاش، نثر حلب، الجزء الأول والثانى .

٥٤- بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة الطاهر ، ط دار المعارف بمصر، سنة ١٣٥٨هـ ، الطبعة الثالثة .

٥٥- د. بديع جمعة : منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابورى ، نشر دار الرائد العربى ، ط١ سنة ١٩٧٥ .

٥٦- د. جميل صليبا : المعجم الفلسفى مجلد ٢ ، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، سنة ١٩٧١م ، ط ١ .

٥٧- د. حامد عبد القادر : القطوف واللباب ، الجزء الأول ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤م .

٥٨- دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث عشر ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين .

٥٩- دائرة المعارف الإسلامية ، مجموعة كتب المرحوم د. محمد عسكر بك (أهديت إلى مكتبة جامعة القاهرة فى ٢٦/١/١٩٥٥م) .

٦٠- د. درويش الجندى : ظاهرة التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده ، ط دار النهضة ، مصر ، سنة ١٩٦٩م.

٦١- د. رجاء عبد المنعم جبر : رحلة الروح بين ابن سينا وسنائى ودانتى ، مكتبة الشباب .

٦٢- رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر فى دقائق الشعر ، ترجمة إبراهيم الشواربى ، القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .

٦٣- زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية، ط. الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م .

٦٤- ستانلى لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج ٢، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .

٦٥- شرفخان البدليسى : شرفنامه ، ترجمة محمد على عونى، ج ٢ ، نشر دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٦٢م .
٦٦- د. طلعت أبو فرحة : الرودكى أبو الشعر الفارسي ، القاهرة ١٩٧٤م .
٦٧- عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
٦٨- د. عبد النعيم حسنين : نظامى الـگنجوى شاعر الفضيلة ، نشر مكتبة الخانجى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٦٩- د. عبد الوهاب عزام : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ، مطبعة الجزيرة، بغداد، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
٧٠- المؤلف نفسه : مقال عن الأدب الفارسى فى كتاب " قصة الأدب فى العالم " أحمد أمين ، وزكى نجيب محمود ، القسم الثانى من الجزء الثانى، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .
٧١- د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، طبعة (١) ،نشر دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
٧٢- قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ، ترجمة صادق نشأت ، طبع مكتبة النهضة ، مصر ، سنة ١٩٧٢م .
٧٣- كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ت بشير فرنسيس وكوركيس عواد، طبع بغداد ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٧٤- د. محمد عبد السلام كفافى : جلال الدين الرومى فى حياته وشعره ، بيروت، ط١ ، سنة ١٩٧١م .
٧٥- د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، ط دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م .

٧٦- د. مصطفى محمد حلمى : الحياة الروحية فى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧٠م .
٧٧- د. محمد موسى هنداوى : الروضة لوگلستان ، ج١ ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ .
٧٨- المؤلف نفسه : سعدى الشيرازى ، ط . مصر ، نشر مكتبة الخانجى ، ١٩٥١م.
٧٩- د. محمود قاسم : مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام ، طبع الأنجلو، ١٩٦٤م .
٨٠- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مطبعة السعادة ، ط ١ ، سنة ١٣٢٣هـ ، ج ٢ ، ٣ ، ٤، ٥ ، ٦ .
٨١- ياقوت الرومى : معجم الأدباء ، مسلسلة الموسوعات العربية ، ج ٧ ، الطبعة الأخيرة ، ط . دار المأمون .

(ج) المراجع التى كتبت باللغات الأوروبية :

82- A. J. Arbrry. CLAssical. Persian. Literature. London 1958
83- E. G. Browne. Aliterary. History of Persia. Vol. 111. The Tartar. Dominion (1265 – 1502) Cambridge 1961.
84- Fsteingass A. Comprehensive, Persian. English, Dictionary Lidan 1970.
85- Y. an Rypka. History of Iranian Literature. Holand 1968.

(د) المخطوطات :

٨٦- ديوان كليات سعدى : مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١ أدب فارسى كتب فى سنة ٩٤٩هـ .

(هـ) الرسائل العلمية :

٨٧- أميرة عبد الدايم : قطران التبريزى ، رسالة ماجستير ١٩٧٣م .

٨٨- جابر أحمد عصفور : الصورة الفنية عند شعراء الإحياء فى مصر ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة .

المؤلف فى سطور :

أمير فخر الدين محمود بن يمين الفريومدى الشهير بـ "ابن يمين" أحد شعراء العصر المغولى الكبار. ولد فى "التركستان" فى عام ٦٨٥هـ - على التقريب - ورحل مع أبيه "أمير يمين الدولة" إلى إيران، واستوطنا قرية "فريومد" التابعة لولاية "جوين" فى منطقة خراسان" قبل عهد "أولجايتوخان ٧٠٣ - ٧١٦ هـ" ، حيث عاش ومات فيها عام ٩٦٧ هـ . وقد عاصر دويلة أو إمارة "السربدارية" فى "سبزوار" ، ومدح حكّامها .

المترجم فى سطور :

د/ محمد محمد محمود يونس

أستاذ ووكيل كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ، من أهم مؤلفاته وترجماته :

١ - منظومة "مصيبت نامه" للشاعر الفارسى الكبير ، فريد الدين العطار ، دراسة وترجمة.

٢ - حول وزن الشعر ، د. پرويز ناتل خانلزى ، ترجمة ودراسة وتعليق.

٣ - حكاية الملك والساحر ، لميرزا عبد القادر بيدل ، ترجمة وتعليق وكشف لرموزها.

٤ - بحر "الهزج" بين الأصالة العربية والاستعمال الفارسى ، (بحث) .

٥ - الألفاظ الفارسية فى شعر "ابن الرومى" ، (بحث) .

المصحح اللغوى : عبد الرحمن حجازى

الإشراف الفـــنى : حســـــن كامـــل







هذا هو الجزء الأول من ترجمة كاملة لكل أشعار الشاعر "ابن يمين الفريومدى ت ٧٦٩هـ" التى يحتويها ديوانه الذى يحمل اسمه، وتقع هذه الأشعار بالتحديد فى ١٤٠٧٤ بيتًا دارت حول أغراض: المديح، الغرض الأخلاقى، الغرض الاجتماعى، التصوف، الغزل، الفخر فى أشكال فنية متعددة هى: القصائد - المقطعات - الغزليات المثنويات - الرباعيات - التركيب والترجيع بند المستزاد - المخمس.

وترجع أهمية هذا الديوان - بصفة خاصة - إلى الشهرة الواسعة التى حظيت بها أشعار الشاعر الأخلاقية والاجتماعية التى صبَّها فى قالب "القطعة" التى تتميز بقلة عدد أبياتها، فتمكِّنه من التعبير عن هذا الغرض وقت إحساسه وانفعاله بالموقف الأخلاقى أو الاجتماعى إيجابًا وسلبًا الذى تعرض له مجتمعه بعد حملة المغول المدمرة لإيران. وتمكن الشاعر بذلك من معالجة هذه السلبيات بالتنبيه والتحذير من مساوئها، وأنها لا تقل خطورة عن التدمير السياسى الذى فعله المغول بإيران، وأيضًا أجاد الشاعر بواسطتها فى إعطاء صورة صادقة للحالة التى كان عليها مجتمعه الذى عاش فى كنفه؛ مما يكشف عن أصالته فيما كتب.



اللوحة للفنان: عمر النجدى ...... الغلاف: هند سمير

